جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية
مكة المكرمة

العلاقات بين الجزيرة العربية وفلسطين حتى الفتح الإسلامي

رشاد محمود عبد المجيد بغدادي

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ القديم

بإشراف الأستاذ الدكتور

محمد بيومي مهران

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

شكر وتقديــــــــــر

الحمد لله على نعمه التي لاتحصى بعد ٠ ولاتنتهي عند حد، والصــــــلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، أرسله الله بالهدى وديــــن الحق ليظهره على الدين كله ٠

أشكرك اللهم شرفتني بحب العلم وطلبه ، وأشهد أن لا اله الا اللــه الذي علم بالقلم ، وعلم الانسان مالم يعلم ، وأشهد أن محمدا رسول اللـــه الذي قال : " طلب العلم فريضة على كل مسلم " (1)، صلوات الله وسلامــه عليه ٠

وأسجل عظيم شكري وتقديري لوالدي للدعم والراحة والحث منذ صغـــري على طلب العلم ومواصلته ، وكذلك حسن رعايتهما ودعائهما لي بدوام التوفيق والنجاح حتى كتبت رسالتي هذه (الدكتوراه) ، أمد الله في طاعتـــــه عمرهما وجزاهما الجنة خيرا عني ٠

وأسطر الثناء والشكر والاعتراف بالفضل للمشرفين على رسالتـــــي لنيل درجة الدكتوراه الأستاذ الدكتور رشيد سالم الناضوري ، المشــــرف الحالي ، والأستاذ الدكتور محمد بيومي مهران ، المشرف السابق ، اللذيــن لم يتوانا عن نصحي وتوجيهي بالآراء السديدة ، وتزويدي من علمهمــــــا الواسع حتى أنجزتها وأتممتها ٠ أجزل الله لهما المثوبة في الدنيــــــا وفي الآخرة الجنة ونعيمها ٠

وأدين بالشكر والتقدير لأعمامي ، حسين وعبدالله ، لما قدما لي من ارشاد ومساعدة ببعض المراجع ، من مكتبتيهما الخاصة لعملي هذا ٠ كما أقدم الشكر لجميع من علمني حرفا في حياتي ،وجزاهم الله عني وعن كل من تلقـــى منهم خير الجزاء ٠

وأخص بالشكر الجزيل والثناء الجميل جامعة أم القرى ممثلة فــــي كلية الشريعة والدراسات الاسلامية (العريقة) ، وقسم التاريخ الاسلامـــي

والدراسات العليا التاريخية وجميع القائمين عليهما وعلى الجامعـــــــــة لما قدموه لي من دعم معنوي ومادي لتسهيل دراستي في جميع المراحـــــل بها حتى كتبت هذا الشكر والتقدير في رسالتي للدكتوراه .

اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا ، واجعل اللهم دراستي وحياتي التعليمية خالصة لوجهك الكريم ، ووفقني اللهم لكل خير هو لك رضا ولي فيه صـــــلاح، انك أنت السميع المجيب .

كتبـه

رشاد محمود عبدالمجيد بغدادي

مكة المكرمة
رمضان ١٤٠٧ هـ.
مايو ١٩٨٧م .

المقدمـــــــة

الحمد لله رب العالمين ، مالك الملك ورب كل شيء ، الذى خلق النـــاس جميعا من نفس واحدة ، وجعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا ، ثم أصلى وأسلــــــــم على سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين ، الذى أرسله الله رحمـــــة للعالمين ، محمد رسول الله .

وبعد الاعتماد والتوكل على الله عز وجل ، اخترت موضوع " العلاقـــــات بين الجزيرة العربية وفلسطين حتى الفتح الاسلامى " ليكون عنوان رسالتـــــي لنيل درجة الدكتوراه فى التاريخ القديم ، وهذا الموضوع هو عبارة عن دراسة تاريخية لتلك العلاقات والروابط فى مختلف النواحى وخصوصا الروابط الدينيــــة منها. والواقع أن العلاقات والروابط بين الجزيرة العربية وفلسطين احتلــــت مكانة بارزة فى التاريخ ، وهى تعود الى عصور موغلة فى القدم ، وحتى اليـــوم، وبعد اليوم ، والى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فالجزيرة العربيـــــة وفلسطين كانتا مهدا للأديان السماوية ، فلقد عرفت الجزيرة العربيــــــة فى تاريخها الطويل عددا من الرسالات السماوية ، فقد كان هود ،عليه السلام ، فى الاحقاف ، وكان صالح عليه السلام فى ثمود ، وكان شعيب ،عليه السلام ، فـــي مدين ، وكان موسى ، الذى نادى ربه بجانب الطور الايمن ، على حدود الجزيـــرة العربية ، ومن قبل كان ابراهيم الذى بنى البيت الحرام واسماعيل الذى شاركـه البناء ورعاه من بعده ، حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، ليكـــون خاتم الأنبياء والمرسلين ،فالجزيرة العربية هذه كانت بامتدادها مهبـــــط الوحى منذ القدم ، ولها عهد بالرسالات السماوية ، وقد تعاقبت فيها على مـــر العصور .

وأما فلسطين،بمافيها الأردن ،فقدكانت لها مكانتها كذلك فىتاريخ الأديان السماوية، وعرفت أيضا أعدادا من الرسالات السماوية ، ففيها كان لوط واسحاق ، ويعقـــوب وأيوب وداود وسليمان والياس واليسع وزكريا ويحي عليهم السلام ، كذلك ولـــد عيسى عليه السلام فى بيت لحم ، وربى فى الناصرة فى أرض فلسطين ، وفيها علمه ربه

المقدمة

الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ، وفيها بعث رسولا الى بنى اسرائيل .

وفى الجزيرة العربية توجد مكة المكرمة ، أقدس بقاع الارض ، التي فيها الكعبة المشرفة ، بيت الله الحرام ، وتوجد أيضا المدينة المنورة ، دار الهجرة ،وفيها ثانى الحرمين الشريفين ، وتضم فى ثراها جثمان المصطفي ، صلى الله عليه وسلم . أما فى فلسطين فيوجد بيت المقدس الذى يحتل فى قلوب المؤمنين مكانة بارزة ، لأن ارادة الله عز وجل شاءت بأن يخصها بالعديد من الانبياء والمرسلين ابتداءمن أبيهم ابراهيم ،الذى لقي ربه في الخليل،حتى عيسى بن مريم عليهم السلام ،ولأن فيها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ،وبها مسرى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولما كانت وحدة العقيدة ،ووحدة الهدف ، أساس كل الرسالات السماوية ،فان دين الانبياء عليهم السلام هو دين واحد وان تعددت شرائعهم ، فالله سبحانه وتعالى يقول: "وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون " (١) ، ويقول رسول الله صلى اللهعليه وسلم : " انا معشر الأنبياء ديننا واحد "(٢)، وكان من نتائج ذلك أن كانت الرابطة بين الجزيرة العربية وفلسطين قوية فى جميع النواحى ، وعلىالأخص الرابطة الدينية منها.

ومن المعروف تاريخيا أنالهجرات البشرية من الجزيرة العربية ، والتى بدأت منذ عصور مبكرة ، قد سارت باتجاه شمال الجزيرة العربية وشرقهاوغربها وجنوبها، فعلاقة الجزيرة العربية بفلسطين انماهيعلاقة روحية ،فضلا عن تلك التى ترتبط بالاصول البشرية وبالمصالح المختلفة ، اجتماعية واقتصادية وغيرها .

ومن المعروف كذلك أن رسالات الأنبياء وهم ابراهيمولوط واسحاق ويعقوب وأيوب وداود وسليمان واليسع واليا س وزكريا ويحي وعيسى ، عليهم السلام ، قد ربطت بينالجزيرة العربية وفلسطين ثم كانت رسالةخاتم النبيين ، محمد صلى الله عليه وسلم الى جميع الأمم ، فوحدت بين الامم ، فاصبحوا أمة واحدة، أعلى الله ذكرها بأن جعلها خير أمة أخرجت للناس .

---

(١) سورة المؤمنون : آية ٥٢.

(٢) صحيح البخارى ومسلم، ومسند الامام أحمد .

ومن هذا المنطلق الدينى أولا ، ثم الاجتماعى والسياسى والاقتصادى ثانيا ، كان اختيار هذا الموضوع لدراسته بطريقة علمية جديدة تلقى مزيدا من الضوء على هذه العلاقات المتميزة ، والتى استمرت منذ ماقبل عهد ابراهيم عليه السلام ، وحتى اليوم .

وتنقسم الرسالة الى ستة فصول كل واحد منها يحتوىعلى عدد من المواضيع الفرعية ، الفصل الاول خصص للبحث فى الاصول التاريخية للمسميات وفيه نناقش معنى وأصل لفظة " عرب " وتطورها التاريخى ، ثم نناقش الآراء والنظريات حول أصل العرب وطبقاتهم ، كمانبحث فى هذا الفصل فى أصل الكنعانيين والفلسطينيين والمناطق التى سكنوها واستقروا فيها . أما الفصل الثاني فقد خصص لدراسة الهجرات السامية من شبه الجزيرة العربية الى سورية وفلسطين ، وفى هذا الفصل نناقش مدلول كلمة الساميين ، وكذلك النظريات والآراء التى تدور حول أصل الشعوب السامية وموطنهم الأول ، ثم نناقش هجرات كل من الأموريين والكنعانيين والآراميين .

وقد خصصنا الفصل الثالث لابراهيم عليه السلام وفيه نناقش اسمه ونسبه وكذلك موطنه وعصره ، ثم هجرته الى كنعان ومصر ، والحجاز واسكان اسماعيل فى مكة ، كما نناقش أيضا الاراء التى دارت حول الذبيح من ولد ابراهيم عليه السلام ، وبعدها نتطرق لموضوع بناء ابراهيم وابنه اسماعيل للكعبة المشرفة ، ثم الدعوة الحنيفية . أما الفصل الرابع فقد خصص للبحث فى الرسالات السماوية فى كل من فلسطين والجزيرة العربية ، وبعد أن نتحدث عن وظائف الرسل ، نبين وحدة الهدف من دعوة الرسل لعقيدة التوحيد ، ثم نناقش بالتفصيل أنبياء من فلسطين ومنهم لوط واسحاق ويعقوب وايوب وداود وسليمان والياس واليسع وزكرياويحي ، وأخيرا المسيح عيسى بن مريم ، عليهم السلام ، أما أنبياء من الجزيرة العربية فاننا نتحدث عن هود الذى أرسل فى عاد ، وصالح الذى أرسل فى ثمود ، ثم شعيب الذى بعث لأهل مدين .

ويتركز الفصل الخامس على دراسة وبحث العلاقات التجارية بين الجزيرة العربية وفلسطين فى عهد الجاليات المعينية والسبئية فى ديدان (العلا) ،

كذلك فىعهد اللحيانيين والانباط والغساسنة . أما الفصل السادس والاخير فقد خصص لعلاقات الحجاز بفلسطين منذ عصر النبوة وحتى الفتح الاسلامى ، وفيه نناقش موضوع القدس ، قبلة الاسلام الأولى ، ثم نتحدث بالايجاز عن غزوة مؤته وتبوك وبعثة أسامة بن زيد ، وأخيرا الفتح الاسلامى بفلسطين .

وفى الختام أسأل الله أن يسدد خطاى على الطريق ، وأن يلهمنى الهداية والتوفيق ، وأملى فى الله كبير فى أن تحظى رسالتى هذه بالرضى والقبول ، وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ، وهو الهادى الى سواء السبيل .

...

الفصل الأول

الفصل الاول

الاصول التاريخية للمسميات

- العرب
  - تحديد معنى وأصل لفظة العرب .
  - لفظة العرب فى النقوش والنصوص والمصادر التاريخية القديمة .
  - اصل العرب .
  - اقسام وطبقات العرب .
- الكنعانيون .
- الفلسطينيون .

الاصول التاريخية للمسميات

- العرب :

ظهر الاسلام في الجزيرة العربية ، مهد العرب ، وقد كرم الله سبحانه وتعالى العرب فنزل القرآن الكريم بلغتهم ، اللغة العربية, لما لها من قدرة على التعبير عن هذه الرسالة السماوية . كما اختار الله عز وجل رسوله وحبيبه محمداً بن عبدالله , صلى الله عليه وسلم ، من خيرة العرب لكي يحمل هذه الرسالة، كما يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " أن الله اختار خلقه فاختار منهم آدم ، ثم اختار بني آدم ، فاختار منهم العرب, ثم اختارني من العرب, فلم أزل خياراً في خيار ، الا من احب العرب فبحبي أحبهم ، ومن أبغض العرب, فببغض أبغضهم "(١) , كما جاء في الحديث مثل هذا المعنى ليبين فضل العرب الذين اختارالله منهم نبيه ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ، ففي البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت منه "(٢) .

وقد ظهر الاسلام في بلاد العرب واختير العرب على غيرهم من الامم في تحمل مسؤولية نشر الدعوة الاسلامية للناس جميعاً لما لهم من قدرة على حمل الرسالة ومتابعة نشرها في المعمورة ، كذلكتوافر العديد من الصفات فيهم التي تناسب هذه المهمة الضخمة من التحمل والصبر والمخاطرة والشجاعة والمروءة والنجدة واحترام العهود , وحب الحرية وتعشق الشرف والسؤدد والتمرن على التنقل وتعود الهجرات وعدم التبرم بحياة التقشف ورقة العيش

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك - ج ٤ - ص ٧٣ (طبعة بيروت ، ١٩٧٨م) .

(٢) صحيح البخاري - باب صفة النبي - ج ٤ - ص ٢٢٩ (طبعة دار احياء التراث العربي) .

والتطلع للنهوض اذا يسرت سبله والى غير ذلك من المؤهلات الخلقية العظيمة [١] . ولاشك ان الاسلام لم يكن دعوة سماوية تقتصر على العرب، وانما هى للناس عامة ولكن اختيار العرب لحمل هذه الدعوة العالمية لجميع الناس انما كان لتوافر ماذكرنا من صفات فيهم .

ان فى اختيار العرب لحمل هذه الرسالة السماوية معنى كريما يستحق ان ندرس أصل هؤلاء العرب لنعرف من هم العرب ، واين مواطنهم ، وماذكر عنهم فى جميع النقوش والنصوص والمصادر التاريخية القديمة ، ومما دار حولهم من دراسات ونقاش ، وما ظهر حول تاريخهم من نظريات وآراء .

- معنى وأصل لفظة " عرب " وتطورها :

المقصود بالعرب هم من كانت لغتهم الام هى اللغة العربية ، ويعرف الالوسى العرب بأنهم جيل من الناس لم يزالوا مميزين بين الامم بالفصاحة والبلاغة فى اللسان والمنطق ، وبالبيان فى الكلام ، ويرجع سبب تسميتهم بالعرب لان اسم العرب مشتق من الابانة ، لقولهم : أعرب الرجل عما فى ضميره ، اذا أبان عنه [٢]، وهو بذلك يعطى تفسيرا لغويا لسبب تسميتهم بهذا الاسم ، كما انه يحدد فى موضع آخر الذين يجب أن يطلق عليهم لفظة العرب ، وأنهم يسكنون فى ارض العرب ، وقد حددها بالجزيرة العربية او بالمنطقة الواقعة مابين بحر القلزم (البحر الاحمر) وبحر البصرة (الخليج العربى) ، ومن أقصى اليمن جنوبا حتى أوائل الشام شمالا [٣]،

---

(١) عطيه صقر : الدين العالمى ومنهج الدعوة اليه - القاهرة ١٩٧٠م - ص ١٣٥-١٣٦ .

(٢) الالوسى : بلوغ الارب فى معرفة اصول العرب - شرحه وصححه وضبطه محمد بهجه الاثرى ، ج ١ ، بيروت ، ص ٨ ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، بيروت ١٩٨١م - ص ١٧ .

(٣) الالوسى : المرجع السابق - ص ١١ .

وقديما - اى قبل البعثة المحمدية - يمكن أن يشمل هذا التعريف جميع سكان الجزيرة العربية وأجزاء من سورية وفلسطين والعراق ، ولكن بعد ان جاء الاسلام ليعم المعمورة ، نجد هذا التعريف اصبح يشمل مناطق واسعة فبالاضافة الى سكان المناطق التى سبق ذكرها فانه يشمل سكان شمال ، وشمال شرق افريقيا حيث اللغة العربية هى اللغة القومية لشعوب تلك المناطق . فالعربى هو كل من تكلم اللغة العربية حتى وان كان من غير العرب نسبا وذلك حسب ماجاء فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ليست العربية باحدكم من أب ولا أم ، انما هى اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربى " (١).

اختلف الباحثون والكتاب حول تحديد اصل ومعنى كلمة " عرب " و " عربى " حتى اصبحت المصادر والمراجع مليئة بالعديد من الآراء والتفسيرات والنظريات حول هذا الموضوع ، والواقع أن الخوض فى تلك المصادر والمراجع قد تقود الباحث الى متاهات يقف بعدها محتارا بين تلك التفسيرات والاراء والنظريات ، لذلك فانه من الافضل ايجاز الحديث عن هذا الموضوع .

ان الكتاب الاوائل من اخباريين ومؤرخين ، ومن نقل عنهم من بعدهم من المتاخرين نجدهم ، عند تفسير وتحديد لفظة العرب ، حيارى حول تعيين اول من نطق بالعربية ، فالبعض يذكر ان " يعرب بن قحطان كان اول من اعرب فى لسانه ، وتكلم باللسان العربى (٢) ، ولانه " أول من سجع

---

(١) القرطبى : الجامع لاحكام القران - ج ١٦ - القاهرة ١٩٦٧ - ص ٣٤٠-٣٤٨، عبد الرحمن فودة : من معانى القرآن الكريم - القاهرة - ص ١٣٢ .

(٢) أبو الفداء : المختصر فى اخبار البشر - ج١ - القاهرة ١٣٥٥ - ص ٦٦ ، الالوسى : روح المعانى ، ج ٢ - القاهرة : ص ١٧٢ ، السيوطى : المزهر فى علوم اللغة - ج١ - القاهرة ١٩٤٢ - ص ٣١-٣٢ ، القلقشندى: نهاية الارب ج ١٤ - القاهرة ١٩٥٩ - ص ٣٣٩ ، ياقوت الحموى : معجم البلدان - ج ٤ ، بيروت ١٩٥٧ - ص ٩٦-٩٧ ، السمهودى : خلاصة الوفا - المدينة المنورة ١٩٧٢ ، ص ١٦١ ، الهمدانى : الاكليل - ج ١ - القاهرة ١٩٦٣ - ص ١٦١ - الزبيدى : تاج العروس ، ج١ ، الكويت ص ٣٧١ ، ابن قتيبة : المعارف - القاهرة ١٩٣٤م - ص ١٣ ، المقدسى : البدء والتاريخ ج ٣ ، باريس ١٩٠٣ - ص ١٧٤ .

فى العربية الواسعة ، ونطق بافصحها وأبلغها وأوجزها ، والعربية منسوبة اليه ومشتقة من اسمه "[١]، وفى نفس الوقت نجد أنهم يجعلون العربية هى لسان أهل الجنة ، وكذلك انها كانت لسان آدم عليه السلام، قبل ان ينحرف الى السريانية [٢]، وهم على ذلك يجعلون " يعرب بن قحطان " يعود الى عهد بدء الخليقة ، وهذا الامر بعيد كل البعد عن الحقيقة [٣]، فاللغة السريانية هى لهجة آرامية قديمة ، ولم تصبح كلغة الا بعد اللغة العربية بوقت جد متاخر [٤] .

لقد اجهد القائلون بقحطانية اللغة العربية أنفسهم فى سرد الروايات الضعيفة والواهية من أجل اثبات صحة رأيهم من أن القحطانيين هم اصل العرب ، وأنهم أول من نطق بالعربية ، ومنهم تعلم العدنانيون العربية [٥] ودليلهم على صحة رأيهم هذا هو أبيات من شعر حسان بن ثابت [٦] ، وقد تجاهلوا

---

(١) ابن منظور : لسان العرب - ج ١ - بيروت ١٩٥٥ - ص ٥٨٧ ، عبد الملك الاحمص : تاريخ العرب قبل الاسلام ، تحقيق محمد حسن ال ياسين ، بغداد ١٩٥٩ ، ص ١٨ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب فى عصر الجاهلية - بيروت ١٩٧١ ، ص ٥٩-٦٠ ، الالوسى : المرجع السابق - ص ١٧٢ ، السمهودى : وفاء الوفا باخبار دار المصطفى - ج١ - القاهرة - ١٣٢٦ ، ص ١٢٢-١٢٤ .

(٢) الالوسى : المرجع السابق - ص ١٧٢ ، السيوطى : المرجع السابق - ص ٢٠ .

(٣) محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم - الرياض ١٩٧٧م - ص ١٣٧ ، جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام - ج ١ - بيروت ١٩٦٨ - ص ١٤ .

(٤) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ١٣٨ (هـ ٢) .

(٥) جواد على : المرجع السابق - ج ١ - ص ١٤-١٥ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ١٣٨ .

(٦) الهمدانى : الاكليل - ج١ - ص ١١٦ ، جواد على : المرجع السابق ص ١٤-١٥ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ١٣٨ .

أن شعر حسان بن ثابت انما جاء فى زمن متأخر جدا بحيث لايمكن أن يكون دليلا على أول من نطق بالعربية ، اضافة الى ان هذا الصحابى الجليل قحطانى النسب، ومن ثم فانه من الممكن أن يكون حسان متعصبا لقومه في شعره [١]، فى حين نجد ان بعضهم كان قد تنبه لهذه النقطة فاورد شعرا عربيا فصيحا ونسبوه الي يعرب بن قحطان ، غير ان هذا الشعر فى حقيقته هو شعر منحول [٢] .

انالقائلين بقحطانية اللغة العربية لم يدر فى بالهم أن سكان اليمن القحطانيين انما كانوا قبل الاسلام يتكلمون بلهجات تختلف عن لهجة القرآن الكريم ، وقد تمت معرفة ذلك بعد أن اكتشف سر الخط المسند الذى كان سكان جنوب شبه الجزيرة العربية يكتبون به ، وتمت قراءة نصوصه والتعرف على لغته [٣]، وقد اتضح أن عربيته تختلف عن العربية التي نكتب بها ، حتى ان بعض علماء اللغة العربية اعتبروا الحميرية واللهجات العربية الجنوبية ليست من اللغة العربية ، وأن اللغة التى نزل بها القرآن الكريم وما تفرع عنها من لهجات هى العربية الصحيحة [٤] .

ويعجز القائلون بأن " يعرب بن قحطان " هو جد اللغة العربية وموجدها عن التوفيق بين هذا الرأى ، ورأيهم بأن العربية قديمة قدم العالم ، وانها كانت لغة آدم فى الجنة ، كما أنهم عجزوا عنتوضيح كيف كانت لغة أجداد " يعرب بن قحطان " ؟ وكيف توصل الى استنباط هذه العربية ؟ ، ثم كيف استطاع أن يوجد العربية دون معين ومؤازر؟ الي غير ذلك من الاسئلة التى لم يتنبه لها الاخباريون فى ذلك الزمن [٥] .

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ١٣٨.

(٢) نفس المرجع السابق - ص ١٣٩ .

(٣) أحمد حسين شرف الدين : اللغة العربية فيعصور ماقبل الاسلام - القاهرة ١٩٧٥م ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ١٣٩

(٤) المسعودى : مروج الذهب - ج ٢ - بيروت ١٩٧٣م ، ص ٤٦ ،جواد علي : المرجع السابق- ج ١ - ص ١٥.

(٥) جواد على : المرجع السابقص١٥ ،محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ١٣٩-١٤٠ ، ابن قتيبة : المعارف - ص ٢٦١. الدينورى : الاخبار الطوال- القاهرة ١٩٦٠،ص ٧.

ولقد ذهب البعض الى محاولة تقديم تفسير خيالى وهو أنه عندما انقرضت عاد من اليمن بعد هود ، عليه السلام ، أرسل النمرود ابن عمه قحطان او ولده يعرب بن قحطان ليسكن اليمن ، وحينما وصل الاخير اليها وجد عددا قليلا ممن آمنوا بهود ، عليه السلام ، ولكنهم سرعان ما بادوا [١] ، وعليه أصبحت الأرض لقحطان وحده ، وكانت والدة يعرب - من دون اخوته - امرأة من قوم عاد ، لذلك تكلم عاد بلسان أمه وهو العربية ، وفى رواية أن أمه كانت من العماليق ، وعلى هذا فان أولادها جميعا أخذوا عنها العربية [٢] ، ويترتب على هذه الروايات أن موطن قبائل عاد كان فى اليمن قبل أن يغزوها قحطان ويستولى عليها [٣] ، علما بأن هناك اتجاها جديدا يذهب الى أن قوم عاد مثلهم فى ذلك مثل قوم ثمود - انما كانت مواطنهم فى شمال الجزيرة العربية وليس فى جنوبها [٤] ،

---

(١) عبد الرحمن الانصارى : لمحات من بعض المدن القديمة فى شمال غرب الجزيرة العربية - مجلة الدارة - الرياض - العدد الاول (١٩٧٥) - ص ٨٨ ، القلقشندى : المرجع السابق ص ١٩ ، البكرى : معجم ما استعجم ج ١ - القاهرة ١٩٤٥ - ص ١١٩ ،
وكذا : Forster, C., The Historical Geography of Arabia , London, Vol. 2, p. 32 .

(٢) الدينورى : المرجع السابق - ص ٧٨ ، المعارف - ص ٢٧١ .

(٣) تاريخ ابن خلدون - ج ٢ ص ٥٢ .

(٤) تتجه الاراء الحديثة الى أن موطن عاد كان شمال الجزيرة العربية وفي المنطقة الممتدة من منطقة " حسمى " فى سيناء حتى منطقة " اجا وسلمى " (عند مناطق قبائل شمر) ، وهناك العديد من الادلة التى تؤيد هذا الراى الجديد . (انظر بالتفصيل : عبد الرحمن الانصارى : المرجع السابق) ، وحول موطن كل من عاد وثمود انظر بالتفصيل : محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الرياض ١٩٨٠ م - ص ٢٤٦ - ٢٤٩ ، ٢٦٥ - ٢٧٦ ، ٢٨٢-٢٨٦) .

وكذلك زعموا ـ حسب رأيهم ـ أن النمرود هذا كان هو صاحب ابراهيم ، عليه السلام ، علما بأنه أتى بعد عصر هود ، عليه السلام ، بعدة قرون .

ويزعم فريق أن هودا عليه السلام كان أول من تكلم العربية ، وآخر يزعم أن اباه هو أول من نطق بالعربية ، وثالث يزعم أن نوحا ، عليه السلام ، هو أول الناطقين بالعربية [١] ، فى حين نجد فريقا رابعا يزعم أن عمليقا هو أول من تكلم بالعربية ، وذلك حين ظعن القوم من بابل ، وعليه كان يقال لعمليق والعمالقة " العرب العاربة "[٢] ، وأخيرا يذهب فريق خامس الى القول

---

(١) عبدالوهاب النجار : قصص الأنبياء ـ القاهرة ١٩٦٦م ـ ص ٤٩ ، أبو الفداء : المرجع السابق ـ جـ١ ـ ص ١٢ ، الألوسى : المرجع السابق ـ جـ ٨ ـ ص ١٥٤ ، ابن حبيب : المحبر ـ حيدر اباد ١٩٤٢ ـ ص ١٨٤ ، محمد رشيد رضا : تفسير المنار ـ جـ ٨ ـ القاهرة ١٩٥٩ ـ ص ٤٩٥ ، جـ ١٢ ـ ص ١١٤ .

(٢) الطبرى : تاريخ الامم والملوك ـ جـ ١ ـ القاهرة ١٩٦٧ ـ ص ٢٠٧ ، محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم ـ ص ١٠٤ ، والعماليق ورد ذكرهم فى التوراة (سفر العدد ٢٤:٢٠) فى نبوءة " بلعام بن فاعوراء " لملكه " بالاق " ولعل اصل اشتقاقه من الكلمة العبرية التى تعنى الشعب المقطوع، قطع (رأس طائر مثلا عند ذبحه وفصلها عن جسده).
وفى نفس سفر العدد (١٣/٣٠) ... العمالقة مقيمون بارض الجنوب (النقب) والحيثيون واليبوسيون والاموريون مقيمون بالجبل والكنعانيون مقيمون عند البحر وعلى عدوه الاردن .
وفى سفر الخروج (١٧:٨ـ٩) ... ثم جاء العمالقة فحاربوا اسرائيل فى رفيديم (ارفد = اربد ؟ فى الأردن) ـ وهو مستبعد لأن هذه الوقائع حدثت فى سيناء فقال موسى ليشوع اختر لنا رجالا واخرج لمحاربة العمالقة وغدا أنا أقف على راس التله وعصا الله فى يدى .
وفى سفر التثنية (٢٥:٧) ... اذكر ماصنع بك عماليق فى الطريق عند خروجك من مصر ، وورد ذكرهم فى سفر القضاة (٣ :١٣ ، ٦:٣ـ٥) ... وكان اذا زرع اسرائيل يصعد المدينيون والعمالقة وبنو المشرق (اقليم عرعر وحايل) ويخرجون ضدهم ويجيشون عليهم ويفسدون غلة الارض الى مدخل غزة ولايبقون ميره فى اسرائيل ولا غنما ولا بقرا ولاحميرا، لانهم كانوا يصعدون بماشيتهم وخيامهم ويأتون فى مثل كثرة الجراد بحيث لاتعدونهم ولاجمالهم ويأتون الارض ويفسدونها (اى انهم بدو من الصحراوات المحيطة بفلسطين) .
ومن اقدم الاشارات الى العمالقة ماجاء فى سفر التكوين (١٤:٧) عن ارض العمالقة ـ وذلك فى زمن ابراهيم عليه السلام فى اوائل الالف الثانى قبل الميلاد .(ملاحظات من حسن ظاظا) .

بأن اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، كان أول من ألهم اللسان العربي المبين وهو في سن الرابعة عشرة من عمره [١]، ولعل هذا الرأى الاخير هو السبب في أن يذهب البعض الى اعتبار " قحطان " من ولد اسماعيل بن ابراهيم ،عليهما السلام [٢]

ان اختلاف الآراء وتضاربها حول أول من تكلم العربية كانت السبب فى أن البعض يحاول أن يوفق بين الرأى القائل أن يعرب أول من نطق العربية ، والرأى الأخير القائل بأن اسماعيل ،عليه السلام ، هو أول من ألهم اللسان العربى ،فذهبوا الى القول بأن يعرب هو اول من تكلم بمنطق العربية ، وأن اسماعيل هو أول من نطق بالعربية الحجازية الخالصة والتى نزل بها القرآن الكريم [٣] .

وقد أثبتت المقارنة بين اللغات السامية أن العربية الفصحى هى أقرب اللغات المعروفة عن هذه العائلة الى السامية الام . واقرب هذه اللغات اليها الاكادية التى ترجع الى الألف الرابع قبل الميلاد وهي مع ذلك تبدو وقد " انحرفت " عن مزايا العربية الفصحى مما يجعلنا نشعر بأن هذه العربية الفصحى ترجع الى ألف أو ألفين من السنين قبل الاكادية وقبل ابراهيم واسماعيل عليهما السلام بالفين او ثلاثة الاف من السنين . هذا بالاضافة الى أن نقش سرجون الأول الاكادى صريح فى أن أمته جاءت الى جنوب العراق مهاجرة من بلاد العرب وساكنت " سومر " هناك [٤].

ان أصل كلمة " عرب " غير معروفة بالتحديد وقد اختلفت الاراء فى تفسير هذه الكلمة ومصدر اشتقاقها وبالرغم من التفاسير المختلفة التى يقدمها علماء اللغة فقد ذهب البعض الى اعتبار ان اصل كلمة " عرب " مازال مسألة غامضة [٥] في حين يذهب اخرون الى القول بأنها مشتقة اصلا من الفعل " يعرب " اى يفصح فى الحديث ،ومن ثم فقد اصبحت تدل على العرب لفصاحتهم فى اللسان [٦]، ولكن هناك من يعترض على هذا القول

---

(١) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى – ج ١ – ص ١٢٢–١٢٤ – بيروت ١٩٦٠ – ص ٢٢١ ، السمهودى : المرجع السابق – ج١ص١٢٢–١٢٤ ، ابن منظور: المرجع السابق – ج ٢ – ص ٧٥٤ ، الزبيدى : المرجع السابق – ج٢ – ص ٣٥٢ ، الفاسي : العقد الثمين فى تاريخ البلد الامين – ج ١ – القاهرة ١٩٥٩ – ص ١٣٤ ، شفاء الغرام باخبار البلد الحرام – ج ٤ – القاهرة ١٩٥٦ – ص ٩٧–٩٨ .

(٢) السمهودى : المرجع السابق – ص ١٢٢–١٢٣ – ابن هشام : السيرة النبوية – ج ١– بيروت – ١٩٨٠ص ٨.

(٣) الديار بكرى : تاريخ الخميس– القاهرة ١٣٠٢ – ص ١١٠ – ابن سعد: الطبقات الكبرى – ج١ – بيروت ١٩٦٠ – ص ٥١ ، الزبيدى : المرجع السابق – ج ٢ – ص ٣٥٢، الالوسي : المرجع السابق – ج٢ – ص ١٧٢ ، السيوطى : المرجع السابق – ج١ – ص ٣٠، ابن منظور: المرجع السابق – ج٢ ص ٧٥ ، تاريخ ابن خلدون – ج٢ – ص ٣٦ ، جواد على : المرجع السابق ج ١ – ص ١٥ ، محمد بيومي مهران : المرجع لسابق – ص١٤١.

(٤) ملاحظات عن حسن ظاظا .

(٥) برنارد لويس : العرب فى التاريخ ، ترجمة نبيه فارس ومحمود يوسف – بيروت – ١٩٥٤ – ص ٩.

(٦) تاريخ ابن خلدون – ج ٢ ص ١٧ ، الألوسى : بلوغ الارب – ج١ ص ٨.

ويرى ان العكس هو الصحيح ، أي ان الفعل " يعرب " هو الذى اشتق من لفظة "عرب " لان المرء عندما يريد التعبير عما فى افكاره باللسان العربى فانه يعرب عن رأيه [(١)] ، وذكر ان العرب سموا ذلك نسبة الى بلدهم العربات[(٢)] وأن قريشا اقامت بعربه (مكة) فتنخت بها وانتشرت العرب فى جزيرتها فنسبوا كلهم الى عربه لأن أباهم اسماعيل ، عليه السلام نشأ فيها[(٣)] .

ان بعض علماء اللغة يذهب الى أن كلمة " عرب " مشتقة من اصل سامي قديم معناه ب " الغرب " [(٤)] ، ويفسرون ذلك بان سكان بلاد مابين النهرين هم اول من أطلقوا عليهم هذا الاسم لان العرب كانوا يقيمون فى البادية الواقعة الى الغرب من العراق ، والتى كان يطلق عليها اسم " ارض عريبى Aribi " [(٥)] ، غير ان هذا القول من الصعب اثباته وتقوم حجج كثيرة ضده ، فالعرب كانوا يستخدمون هذا الاسم عندما يتحدثون عن أنفسهم وليس من المعقول ان يسمي شعب أنفسهم باسم مشتق من موقعه بالنسبة لشعب آخر من الشعوب المجاورة [(٦)]، وعلى ذلك فقد اعتبر البعض هذا الرأى غير صحيح ، غير ان السومريين كانوا قد اطلبوا علىجيرانهم " الاموريين " اسم " مارتو " كما اطلق عليهم "الاكديون " اسم " امورو " وتعنى "الغرب " وهذا هو الاسم الذىعرفوا به في التاريخ ، أضف الى ذلك فان البابليين توسعوا فى استعمال كلمة " أمورو " ، واطلقوها على كل سورية القديمة كما سموا البحر الابيض باسم " بحر امور العظيم" وكانت عاصمتهم " مارى " مشتقة من كلمة سومرية شبيهة باسم البلاد " مارتو " و "امورو "اى بلاد العرب ، ناهيك مانطلقه اليوم - سياسيا وعلميا - من اصطلاحات مثل "الشرق الأوسط " و " الشرق الأدنى "

---

(١) السيوطى : المرجع السابق - جـ١ - ص ٣٥ - ٢٠٩ ، ابن منظور : المرجع السابق - جـ ١ - ص ٥٨٨.

(٢) معجم البلدان - جـ ٤ - ص ٩٧ ، العربوالعرابة = البادية والصحراء .

(٣) ابن منظور : المرجع السابق - جـ١ - ص ٥٨٧ ، معجم البلدان - جـ٤ - ص ٩٦ .

(٤) احمد فخرى: اليمن ،ماضيها وحاضرها - القاهرة ١٩٥٧ - ص ١٣.

(٥) Grohman, A., "AL-ARAB", in Encyclophedis of Islam, New Edition, p. 252.

(٦) برنارد لويس : المرجع السابق ، ص ٩ ، السيد عبدالعزيز سالم ، المرجع السابق - ص ٥٩.

و "الشرق الاقصى" وجميعها اصطلاحات أوربية تدل على موقع تلك المناطق بالنسبة الى أوربا[١] .

وهناك من الباحثين المحدثين من يرى أن لفظة "عرب" مشتقة من الكلمة العبرية "عرابا" (Aʿrabah) التى تعنى الأرض ، أو السهوب الداكنة أو المظلمة ، او المغطاة بالكلأ[٢] ، والمعنى الاخير هذا يشير الى حالة القوم الاجتماعية والتى تقوم على السعى والتنقل الى موارد العشب[٣]، وذكر بعضهم انها مشتقة من كلمة عبرية اخرى هي "عريب" (Erebh) التى تدل على معنى الحرية وعدم الخضوع لنظام ما[٤]، ويرى آخرون أن لفظة "عرب" ذات صلة باللفظة العبرية "عابار" أو "عبر" (A'bhar) التى تعني فى العبرية "تحرك" او "عبر" ، وهى تفيد بمعنى التحرك والتنقل من موضع الى آخر ، وقد تولد عن ذلك ارتباط هذا المعنى بالبداوة ، حتي انه يقال أن العرب أنفسهم استعملوا اللفظة منذ القديم ليميزوا بين البدو وسكان المدن والقرى الناطقين بالعربية[٥] ، لذلك يرى ولفنسون أن كلمة "عربى" ترتبط ارتباطا لغويا متينا بكلمة "عبرى" لانهما مشتقتان من أصل واحد ، وهما يدلان حتى على معنى واحد ، فهما مشتقتان من الفعل الثلاثي "عبر" اى بمعنى عبر الوادى او النهر، أو قطع مرحلة من الطريق ، وذلك لان العبريين والعرب كانوا فى الاصل من الامم البدوية الصحراوية الكثيرة التنقل والترحال بماشيتها وابلها بحثا عن الماء والكلأ ، ومن هنا فان كلمة "عربى" و "عبرى" مثل

---

(١) محمد بيومى مهران: دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم - الجزء الثانى - اسرائيل - القاهرة ١٩٧٣ - ص ٣٣٢ ، تاريخ العرب القديم - ص ١٤٢.

(٢) برنارد لويس : المرجع السابق - ص ٩.

(٣) عبدالعزيز سالم : المرجع السابق .

(٤) برنارد لويس : المرجع السابق .

(٥) نفس المرجع السابق .

كلمة " بدوى " ، أى ساكن البادية او الصحراء[1] ، ومنثم يؤكد نولدكه أن المعنى الحقيقى لكلمة " عرب " هو صحراء ، وان معنى (Arabia) يشمل صحراء شبه الجزيرة العربية وسورية وشبه جزيرة سيناء[2]، وهناك آخرون رأوا أن كلمة " عرب " مشتقة من " هاعرابه " ha Arabah " اى وادى عربه الممتد من البحر الميت الى خليج العقبة ، وتعنى لفظة " عرابه " فى اللغة العبرية الجفاف وحافة الصحراء ، وأرض محروقة، وكلها معان ذات صلة بالبادية والبداوة[3] .

- لفظة " العرب " فى النقوش والنصوص والمصادر التاريخية القديمة :

لقد وردت لفظة " عرب " فى النقوش والنصوص والمصادر التاريخية القديمة ، ولعل اقدم اشارة مدونة وجدت فيها هذه اللفظة تقع فى نقش اشورى يعود الى عهد الملك شلمنصر الثالث (٨٥٩-٨٢٤ ق • م•) وبالتحديد الى سنة ٨٥٣ ق • م • حيث جرت موقعة " قرقر" فى شمال حماة ، وقد ورد فيه ان الملك الاشورى استطاع ان يقضى على ثورة قامت ضده من قبل ملك دمشق الارامى وحليفه " اخاب " ملكاسرائيل ،وقد اشترك فى هذه الموقعة امير عربى يدعى " جنديبو " (جندب) الى جانب حلف من الامراء السوريين[4]،

---

(١) اسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية - القاهرة ١٩٢٩- ص ٧٧-٧٨•

(٢) Noldeke, T., The Historians History of the World, Vol.VIII, London, 1908.

(٣) جوادعلى: المرجع السابق - جاص ١٩،عبدالعزيز سالم: المرجع السابق ص ٦١•

(٤) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ١٤٣ ، نسيبوهيبة الخازن : من الساميين الى العرب - بيروت ١٩٧٩- ص ١٥٣ ، فيليب حتى : تاريخ العرب (مطول) - جا - بيروت ١٩٦٥ - ص ٤٥ • وكذا : Musil, A., Arabia Deserta , New York , 1927, p.77 . Montgomery , J.A., Arabia and the Bible, Philadelphia, 1934, p.27. Cooke, S.A., in CAH, Vol.III, Cambridege 1965, p.363, Ency. of Islam Vol.I., p.524,Oppenheim, A.L.Babylonian and Assyrian Historical Text, ANET , 1966, p.379, Gratsom, A.K., Assyria: Ashur-dan II to Ashur-Nirari V(934-745 B.C..) CAH, III,Cambridge, 1982. p. 261.

وعليه فمنذ ذلك الحين تو الى ذكر لفظة " عرب " فى النقوش الاشورية والبابلية ، ففى " كالح " (Kalhu) فى جنوب مدينة الموصل بالعراق - عشر على حوليات تعود الى عهد الملك الاشورى تجلات فالصر، الثالث (٧٤٥-٧٢٧ ق ٠ م ٠) فيه اشارات الى جزية كانت تدفعها ملكة بلاد العرب " زبيبى " (زبيبه) الى الملك الاشورى ، وفى نص آخر يذكر الملك كيف نقضت ملكة بلاد العرب واسمها " شمس " (شمش او شمسه) عهد الولاء لاشور[١] ، وفى عهد سرجون الثانى (٧٢٢-٧٠٥ ق ٠م ٠) جاء فى النصوص أن الملك الاشورى كان يتلقى الجزية من " بيرو صاحب موصرى " ومن " شمس " ملكة بلاد العرب ، ومن " اتعمار " (يثع امر) امير سبأ[٢] . كذلك تتحدث النقوش فى عهد سنحاريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق٠ م٠) وولده اسرحدون (٦٨٠ - ٦٦٩ ق ٠ م ٠) عن سيطرة سنحاريب على بادية شمال بلاد العرب ، وقد جعل هذا " هيرودوت " يدعوه بملك العرب والاشوريين، فضلا عن اخضاعه لملكة العرب " تعلخونو " ملكة أدومو (دومة الجندل) أو أدوم وأسره أيضا الملكة او الأميرة العربية " تاريو " (تبوءه)[٣] . كما وجد نقش يعود

---

(١) سبتينو موسكاتى : الحضارات السامية القديمة - ترجمه وزاد عليه : يعقوب بكر - القاهرة ١٩٦٨ - ص ٣٥٥ ، نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم - جه - الاسكندرية ١٩٦٣ - ص ٢٦٨ ، محمد بيومى مهران: المرجع السابق - ص ١٤٤ ، فيليب حتى : المرجع السابق - جا - ص ٤٥ ٠
وكذا Olmstead, A.T., History of Assyria , Chicago,1933,p. 189.

(٢) Oppenhiem , ANET, p. 284, Musil, op.cit., p. 479, Lie,A.G., The Inscription ofSargon II, Part I, the Annals, 1929, p.5.

(٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق - ص ٢٨٩ - ٢٩٠ ، فيليب حتى : المرجع السابق - ص ٤٦ ، موسكاتى : المرجع السابق - ص ٣٥٥ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ١٤٤
وكذا : Herodotus, The Histories , trans. Aubry de Selincourte, rev.by A.R, Burn, New York, 1983, BK.II. ch. 141 , Oppenhiem , ANET, P.290, Luckenbill, D.D., Ancient Records of Assyria and Babylonia , II, Chicago, 1927, p.518, Musil, Op.cit., p.480.

الىعصر اشوربانيبال (٦٦٨ – ٦٣٣ ق ٠م ٠) وفيه يتحدث الملك الاشوري عن حملة قام بها ضد "يواتع" ملك العربية ، لانه لم يرسل الجزية المقررة عليه (١) .

ويذهب العلماء والباحثون الى أن لفظة " عرب " لم تكن تعنى عند الاشوريين سوى " بداوة " او " امارة " تحكم فى البادية المجاورة للحدود الاشورية ، ويحكمها امير يطلق على نفسه لقب " ملك "، ونظرا لان الكتابة الآشورية ساكنة المقاطع فاننا نجد انه من الصعب على العلماء ضبط كلمة " العرب " وعلى ذلك اختلفوا على نطقها ، ووجدت لها عدة قراءات مثل " عربى " (Arbi) و " عريبى " (Aribi) و " عربى " (Urbi) و " عربو " (Urbu) و " عريبو " (Aribu) و " عروبو " (Arubu) و " عروب " (Arub)(٢).

هذا وقد ورد فى النصوص والكتابات البابلية عبارة " ماتو اربى " ومعنى " ماتو " او " متو " هو بلاد او ارض ، وبذلك يكون معنى (Matu A-Rabi) هو " أرض عربى " أى بلاد او أرض العرب ٠ وبتعبير أدق فان المعنى يكون هو " بلاد الاعراب " ويقصد بذلك البادية التى كانت تحفل بالاعراب (٣) .

---

(١) لطفى عبدالوهاب يحي : العرب فى العصور القديمة – بيروت ١٩٧٩– ص ١٥٢٠

(٢) جواد على : المرجع السابق ، ص ١٦ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق – ص ١٤٤–١٤٥

وكذا Cheyne. T.K., Encyclopedia Biblica, I, London, 1899-1903, p.273.

(٣) جواد على : المرجع السابق – ص ١٧٠

وكذا : Margoliouth ,D.S., The Relation between Arabs amd Israelites Prior to the Rise of Islam, London , 1924, p.3.

وظهرت كلمة " عرب " (عرباية Arabaya) فى النصوص الفارسية وذلك فى نقش معروف باسم " نقش بهشتون " وقد كتب باللغة الاخمينية على احد الممرات الجبلية فى الطريق بين همدان وكرمنشاه ، وقد سجل فى هذا النقش انتصارات الملك الاخمينى " دارا الاول " (٥٢٢-٤٨٦ ق.م.) كما ظهرت لفظة " عرب " (عرباية Arapaya) فى النص المكتوب بلهجة العيلامين (١) ، ويبدو ان لفظة " عرب " تعنى " البادية " التى تفصل بين بابل واشور من ناحية ، وبين مصر من ناحية اخرى ، مما حمل بعض العلماء على ادخال " طور سيناء " فى جملة هذين الارضين ، ففى منطقة سيناء عاشت قبل الميلاد عدة قبائل عربية (٢) .

وفى آسفار العهد القديم وردت كلمة " العرب " فى عدة مواضع بمعنى " البدو " و " الاعراب " ، ولم يقصد بهذه الكلمة قومية على جنس معين وانما المقصود بها دائما " البادية " موطن العزلة والوحشة والخطر(٣)

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ١٤٥ ، جواد على : المرجع السابق ص ١٧-١٨ . وكذا :

Kent, R.G., Old Persiian Text, III, Darius, Behiston Inscription, JNES, 11, 1943, Olmstead, A.T., Darius andhis Behiston Inscription, AJSL, LV, 1938.

(٢) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ١٤٥ ، جواد على : المرجع السابق ، ص ١٨ . وكذا :

Ency. Bibli, I, p. 267, 273,
Hastings, J., Dictionary of the Bible, Edinburgh, 1963, p. 47.

(٣) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ١٤٦ ، جواد على : المرجع السابق ص ١٩-٢٠ وعن ذكر العرب فى اسفار العهد القديم انظر: أشعياء ١٣ : ٢٠ ، ٢١ : ١٣ . ارميا ٣/٢ ، ٢٥ : ٢٤ . اخبار الايام الاول ٢٩/١ . اخبار الايام الثانى ٢١ : ١٦ ، فيليب حتى : المرجع السابق - ص ٥٢-٥٦ . وكذا :

Hastings, J., Encyclopedia of Religion and Ethics, Vol. 1. New York, 1908-1926 (artical "arab") , Smith, W., Dictionary of the Bible , I, Bostron ,1868-1896 (Artical "arab") , Simons, J, The Geographical and Topographical Texts of Old Testment , Leiden, 1959 , p.4.

في حين كان سكان الحضر يسمون بأسماء قبائلهم أو بأسماء الأماكن أو المواضع التي ينزلون فيها . وأما تعميم كلمة عرب على سكان شبه الجزيرة العربية فقد جاء متأخرا وعلى أثر الاحتكاك بين العبرانيين والقبائل التي كانت تقيم في البادية (١) .

أما في التلمود فقد كانت كلمة " عرب " و " عربيم" (Arbim) و " عربئيم " (Arabi'im) تعني الاعراب اى نفس المعني الذى ورد في الاسفار القديمة من التوراة . كما أصبحت لفظة " عربي " مرادفة احيانا لكلمة " اسماعيلي " نسبة الى اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، جد العرب(٢) .

ان أقدم اشارة الى العرب وجزيرتهم في الكتابات اليونانية القديمة تعود الى اواخر القرن السادس والخامس قبل الميلاد ، فقد تحدث عنهم " اسكيلوس " (اسخيلوس Aeschylus ٥٢٥-٤٥٦ ق.م) أثناء كتابته عن الهجوم الذى قام به الملك الفارس " اكزركسيس "(٤٨٦-٤٦٥ ق.م.) على بلاد اليونان ، وقد وصف في كتابته الجزيرة العربية بانها ارض نائية يجيء منها محاربون يحملون حرابا مدببة حادة ، وقد كان من ضمن جيش "اكزركسيس" قائد عربي معروف (٣) . ثم بعد ذلك

---

(١) عبد العزيز سالم : المرجع السابق - ص ٦٢ ، لطفي عبد الوهاب يحيي : المرجع السابق - ص ١٨٣.

(٢) جواد علي : المرجع السابق - ص ٢٠-٢١ ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق - ص ١٤٦. وكذا: The Talmud, trans. by: Polano ,H., London , 978, pp. 77-82.

(٣) جواد علي : المرجع السابق - ص ٢١ ، فيليب حتي : المرجع السابق ص ٥٧ ، عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ٦٢ ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق - ص ١٤٦ ، لطفي عبد الوهاب يحي : المرجع السابق ص ١٩٧ وكذا: Ency Biblica , I, p.373.

" هيرودوت " (Herodotus) (٤٨٤ – ٤٢٥ ق٠ م٠) فتحدث عن العرب وجزيرتهم فى عدةمواضع من كتابه " التاريخ " بطريقة تدل على المامه بالعرب وبلادهم ، ولم يقصر " هيرودوت " تسمية بلاد العرب (Arabia) على شبه الجزيرة العربية ، بل اطلقها على شبه جزيرة سيناء وعلى بادية الشام ، وصحراء مصر الشرقية الواقعة مابين نهر النيل وسواحل البحر الاحمر الغربية والتى تعرف احيانا باسم (صحراء العرب)[١] .

ويتوالى بعد ذلك ذكر العرب وجزيرتهم فى الكتابات اليونانية واللاتينية ، وكذلك الاداب الرومانية ، فقد ذكرهم " سترابون (Strabo) (٦٣/٦٤ ق ٠م – ٢٣ م) فى جغرافيته [٢] ، كما تحدث " بلينى"(Pline) (٢٣ – ٧٩ م) فى تاريخه الطبيعى بتفصيل كبير فى قسمين من دراسته المستفيضة عن شؤون الجزيرة العربية وسكانها العرب [٣] ، ومما تجدر الاشارة اليه ان " ديودوروس الصقلى " (Diodorus Siciliauus)

---

(١) برنارد لويس : المرجع السابق – ص ١١ ،جواد على : المرجع السابق ص ٢١ ، لطفى عبدالوهاب يحي : المرجع السابق – ص ١٩٨ وكذا :
Herodotus,Histories
BK.II,Ch.8-17 وفيه قصر سيناء ببلاد العرب .
BK.III,Ch,2-12 وفيه قصد بادية الشام ببلاد العرب
BK.II,ch.75-82. وفيه قصد صحراء مصر الشرقية ببلاد العرب
BK.II,ch, 29-31. وفيه يقصد المنطقة بينوادى الرافدين وخليج السويس ببلاد العرب.
BK.III,ch, 106-118 وفيه يتحدث عن جنوب الجزيرة .

(٢) Encyclopedia Britannica , 15th edition, Micropedia IX, Chicago, 1979, p.596, Strabo, The Geography,trans. by: Horac Leonard Jomes, Cambridge,1917 - 1949, BK,XVI, ch., 4:21-27.

(٣) Ency. Britan, Micro.VIII , p. 45, Plinius Secundus, Natural History , ed.H. Rackham , Cambridge, 1958 BK., VI, ch., 30,32.

الذى اشتهر فى نهاية القرن الاول للميلاد ، قد تحدث ايضا عن العرب وعن الجزيرة العربيال فى عدة مواضع من كتاباته [١]. كذلك كتب عنهم وعن جزيرتهم " كلاوديوس بطليموس " (Claudius Ptolemaius) فى القرن الثانى للميلاد وتعتبر كتاباته فى الجغرافية عن شبه الجزيرة العربية من انواع الكتابة المتخصصة فى هذا المجال وقد قسم " بطليموس " شبه الجزيرة العربية الى ثلاثة اقسام : العربية الصحراوية (Arabia Deserta) العربية الصخرية ، (Arabia Petrea) والعربية الميمونة (Arabia Felixa) او السعيدة .

أما فى المصادر الأثرية العربية فلم يرد لفظه " عرب " الا متأخرا فقد ظهرت فى نقوش عربية شمالية ، ونقوش من جنوب شبه الجزيرة العربية ، ولكن هذه اللفظة وردت فى هذه النقوش بمعنى " بدو " و " اعراب " ويعتبر أقدم ذكر للعرب فى النقوش المستخرجة من شمال الجزيرة العربية (كتابات عربية شمالية) تلك التى وجدت فى النقش المعروف باسم (نقش النمارة)[٣] والذى يعود تاريخه الى عام ٣٢٨ م ، وهو مكتوب على

---

(١) Diodorus Siculus, Diodorus of Sicily, Trans. By. C.H., Oldfather, Cambridge , 1933-1967, BK II,Ch.48, BK.III. ch. 43,44, BK. XIX, ch, 94, 97 .

(٢) لطفى عبد الوهاب محي : المرجع السابق ، ص ٢١١-٢١٢.

(٣) نقش النمارة هو نقش اكتشفه "رينيه ديسو" و " فردريك ماكلر " عام ١٩٠١م على بعد كيلومتر واحد من النمارة ، والقائمة على انقاض مخفر رومانى شرقى جبل الدروز والنقش عبارة عن خمسة سطور حفرت على حجر من البازلت تشاهد على قبر امرىء القيس المعروف باسم امرىء القيس البدء والاول – ملك الحيرة – المتوفى فى ٧ ديسمبر عام ٣٢٨م . وهذا النقش يوجد فى متحف اللوفر بباريس (انظر محمد بيومى مهران : المرجع السابق – ص ٣٤٩-٣٥١ ، ٥٨١-٥٨٣) .

طريقة الكتابة النبطية الارامية ، وفيه نقرأ اسم امرئ القيس " ملك جميع العرب " ومن الاهمية بمكان ان نشير الى ان كلمة " العرب " في هذا النقش كان يقصد بها بمعنى " الاعراب " الذين كانوا يسكنون البادية ولم يرد بها ان تكون علما على قوم او جنس معروف (١) .

وتعتبر النقوش المستخرجة من جنوب الجزيرة العربية اقدم الاشارات العربية المكتوبة التي ورد فيها لفظة " عرب " و " عربي " وكانت تعنى أيضا " اعراب " وهم سكان البادية تميزا لهم عن سكان الحواضر المستقرين ، فقد ورد " واعرب ملك حضرموت " بمعنى "واعراب ملك حضرموت " وورد " واعرب ملك سبأ " اى " واعراب ملك سبأ " واما اهل المدن المتحضرون فكانوا يعرفون بمدنهم وقبائلهم المستقرة ، ولهذا قيل " سبأ " و " همدان " و " حمير " وقبائل اخرى ، اى بمعنى انها قبائل مستقرة وهى التى تمتاز عن القبائل المسماة " اعراب " فى النصوص العربية الجنوبية ، مما يدل على ان لفظة " اعراب " و " العرب " لم تؤد معنى الجنس والقومية فى الكتابات العربية المدونة والتى وصلت الينا الى ماقبل الاسلام بقليل ومابين عامى ٤٤٩م و ٥٤٢ م ، فالعرب الجنوبيون لم يفهموا هذا المعنى من اللفظ الا بعد دخولهم فى الاسلام وقراءتهم للقرآن الكريم ،

---

(١) انظر بالتفصيل : جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام - بيروت ١٩٧٩م - ص ٢٦٩ - ٢٧١ ، رينيه ديسو : العرب فى سورية قبل الاسلام - ترجمة عبد الحميد الدواخلى - القاهرة - ١٩٦٨ - ص ٣٣ ، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ العرب قبل الاسلام - بيروت - ١٩٧٦م ص ٢١٧-٢١٨ ، حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم - الاسكندرية ١٩٧١ ، جواد على : المرجع السابق - ص ٢٣-٢٤ ، ج ٣ - ص ١٩١-١٩٢ ، فيليب حتى : المرجع السابق - ص ١٠٩ . وكذا :

Montgomery , op. cit., p. 28.

وتكلمهم بلغته التى نزل بها . وقد وردت لفظة " عرب " فى النصوص علما لاشخاص[١] . نثل الامبراطور الرومانى فيليب العربى (Philiffus Arabius, MarusJulius Philiffus (204 - 249) الذى ولد فى الاردن (ادوم) واصبح امبراطورا للرومان عام ٢٤٤ م،وقد اغتاله ديكيوس فى فرونا سنة ٢٤٩م .

أما الشعر الجاهلى فلم يكن بأفضل من النصوص المكتوبة فى هذا الصدد ، فما وصل من الشعر الجاهلى يخلوا من وجود صيغة " عرب " للتعبير عن معنى قومى للجنس العربى ، ولا على معنى يتعلق باللغة التى يتكلمون بها وذلك لاستغراق عرب الجاهلية فى منازعاتهم وحروبهم القبلية ، ولم يكن لديهم فيما لدينا من التراث اللغوى ، مايدل على المدرك القومى الجامع ، ولكن عندما وقف العرب فى نهاية العصر الجاهلى امام الفرس بداوا يشعرون شيئا من الكراهية للفرس ، ويعبر عنترة بن شداد فى شعره عن تلك الكراهية فنراه يقول فى معلقته عن ناقته :

شربت بماء الدحرضين فاصبحت
زوراء تنفر عن حياض الديلم (٢)

---

(١) جواد على : المرجع السابق جا ص ٢٣-٢٤ ، خليل يحي نامى : نشر نقوش سامية قديمة منجنوب بلاد العربوشرحها - القاهرة ١٩٤٣م ص ٨٩، ٩٢.
وكذا : Montegomry , op.cit. ,p, 27, Margoliouth, op.cit., p.2, Jamme , A., Sabaen Inscriptions from Mahram Bilq is(Marib) , Baltimore, 1961, p. 445, Ency. Biblica, I, p.,275.

(٢) عمر فروخ : تاريخ الجاهلية - بيروت ط ١٩٨٤- ص ٤١ ، عبد العزيز سالم : المرجع السابق - ص ٦٢ .

ان لفظة " عرب " التى ورد ذكرها فى النصوص والمصادر التاريخية القديمة لم يكن القصد بها الدلالة على معنى قومى يتعلق بالجنس العربى ، وان اللفظة بمعنى جنسية وقومية مصطلح لايمكن ان يعود الى ماقبل بداية القرن السابع الميلادى ، ولايرتقى-تاريخيا- الى ماقبل الميلاد، بل انه لايرتقى عن الاسلام الىحد بعيد[1] . ويعتبر القرآن الكريم اول مصدر ورد فيه لفظة " العرب " للتعبير بوضوح عن المعنى القومى للجنس العربى ، مما يدل على ان الكيان القومى الذى يشير اليه القرآن الكريم كان موجودا بوقت لانستطيع تحديدة بدقة ، لانه ليس من المنطقى انيخاطب القرآن الكريم قوما بهذا المعنى الا اذاكان لهم سابق علم به[2] والقرآن الكريم عندما نزل فى الثلاث وعشرين سنة فى مكة والمدينة لم يرد فيه صيغة من الجذر " ع - ر - ب " الا ثلاث صيغ " عربا " جمع عروب بفتح العين - نعتا للمرأة المتحببة لزوجها فى قوله تعالى :

" عربا أترابا " [3] .

ثم جاءت الصيغة " اعراب " عشر مرات وفى سور مدنية فقط ، ست منها فى سورة التوبة وحدها[4] ، والبقية فى سورة الفتح [5] وسورة الحجرات والاحزاب [6] ، ولاحاجة لنا للاستشهاد على ان كلمة " أعراب " التى وردت فى القرآن الكريم تدل - كما تدل فى غيره - على معنى البدو[7] .

---

(١) جواد على : المرجع السابق ص١٣.

(٢) عبدالعزيزسالم : المرجع السابق .

(٣) سورة الواقعة : اية ٣٧. عمر فروخ : المرجع السابق .

(٤) سورة التوبة : اية ٩٠ ، ٩٧ -٩٨ ، ١٠١-١٠٢ .

(٥) سورة الفتح : اية ١١ ، ١٦.

(٦) سورة الحجرات اية ١٤ ، سورة الاحزاب : اية ٢٠.

(٧) عمر فروخ : المرجع السابق - ص٤١ ، القلقشندى : المرجع السابق، ص ١٢- ١٥.

ان القرآن الكريم هو ارفع واقدم مصدر عربى ورد فيه صيغة " عربى " فقد جاءت فيه كلمة " عربى " احدى عشرة مرة ، منها عشر مرات نعتا للغة التى نزل بها القرآن الكريم بانها لغة واضحة بينة (١) ، وجاءت مرة واحدة نعتا لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم على انه نبى عربي وذلك فى قوله تعالى :

" ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ، أأعجمي وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى . أولئك ينادون من مكان بعيد" (٢) .

وهكذا أصبحت كلمة " عرب " علما على جميع العرب ، وكان استعمال القرآن الكريم للكلمة هو الهدى الذى دل الشعراء للتعبير الذى لم يتوصل اليه " عنترة بن شداد " فنرى " كعب بن مالك " يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول :

بدا لنا فاتبعناه نصدقه *** وكذبوه فكنا أسعد العرب

ثم نرى " حسان بن ثابت " ينتقد " بنى هذيل " عندما اشترطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيح لهم الزنا لكى يدخلوا فى الاسلام فيقول :

سألت هذيل رسول الله فاحشة *** ضلت هذيل بما قالت ولم تصب
سألوا رسول الله ماليس معطيهم *** حتى الممات وكانوا سبة العرب (٣)

---

(١) سورة يوسف : آية ٢ ، سورة الرعد: آية ٣٧ ،سورة النحل : آية ١٠٣ ، سورة طه : آية ١١٣ ، سورة الزمر: آية ٢٨ ، سورة فصلت : آية ٣ ،سورة الشورى : آية ٧ ، سورة الزخرف : آية ٣ ، سورة الاحقاف : آية ١٢ .

(٢) سورة فصلت: آية ٤٤ ، مختصر تفسير الطبرى ، تحقيق واختصار صالح أحمد رضا ومحمدعلى الصابونى - ج٢ - بيروت ١٩٨٣ - ص٣١١ مختصر تفسير ابن كثير - ج ٣ - ص ٢٦٦.

(٣) ديوان حسان بن ثابت الانصارى - القاهرة ١٣٢١ - ص ١٢١ .

وقال قيس بن عاصم يهجو عمر بن الاهتم :

ظللت مفترشا هلباك تشتمني

عند الرسول فلم تصدق ولم تصب

ان تبغضونا فان الروم أصلكم

والروم لاتملك البغضاء للعرب

وبرزت بذلك كلمة " عربى " فى مقابل كلمة " رومى "[1] ولكن لما كان الاسلام قد جاء لازالة العصبيات ، فاننا نرى الرسول صلى الله عليه وسلم ينهى عمرا وقيسا عن هذا التلاحى ويفهمهما ان الدين الاسلامي قد اغرق كل العصبيات[2] .

وهكذا بدا مدرك العروبة يظهر فى الشعر العربى واحس العرب انهم جماعة واحدة ذات نطاق من الوحدة الجامعة ، ولكن مدرك العروبة في تلك الأيام ، أو المدرك القومى العام على الاصح ، كان والاسلام شيئا واحدا [3]، وبدأت كلمة " عرب " تستعمل للتعبير عن المعنى القومي للجنس العربى ، فكان للاسلام الفضل فى بعث تلك الروح عند العرب ،حتي اننا نجد فى اثناء الفتوحات الاسلامية وفى زمن الخليفة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ان العرب قد بدأوا يتباهون بجنسهم العربى فيقول "يربوع بن مالك " مفتخرا بالعرب :

اذا العرب العرباء جاشت بحورها

فخرنا على كل البحور الزواخر[4]

---

(١) الاصفهانى: الاغانى - ج١٤ - - القاهرة ١٩٢٩- ص ٨٧-٨٨ ، عمر فروخ : المرجع السابق - ص ٤٢-٤٣ .

(٢) عمر فروخ : المرجع السابق - ص ٤٣ .

(٣) المرجع السابق - ص ٤٣ .

(٤) عبد العزيز سالم : المرجع السابق - ص ٦٤-٦٥ ، عمر فروخ : المرجع السابق - ص ٤٣ .

ومما هو جدير بالذكر ان الاسلام لم يكن – ولن يكون ابدا – دين عنصرية ، وانما هو دين ينادى ويقوم على مبدأ الاخوة ، " انما المؤ منون اخوة "(١) . ويقوم على مبدأ " ان اكرمكم عند الله اتقاكم "(٢) وانه " لافضل لعربى على عجمى الا بالتقوى "(٣) . ومن ذلك يتضح انه على الرغم من ان الاسلام هو الذى جعل لكلمة " عرب " هذا المقام فى شعور الجماعة فانه نهى بشدة عن ان يكون هذا الشعور عاملا يفرق بين المسلمين وهو الذى وحد صفوفهم بالاضافة الى ذلك ، فان الاسلام بشريعته الخالدة، وبخلاف الاديان السماوية الاخرى ، جاء للبشرية جميعها وليس لامة واحدة ، فيقول تعالى :

" وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لايعلمون "(٤) .

ان الله ارتضى للبشرية الدين الاسلامى الذى فى ظلاله يتساوى الافراد، وكان هذا الدين حربا على العصبية الجاهلية ، وقد أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم ، براءته ممن يدعو الى العصبية ، باى شكل من اشكالها ،فالفرد لايكون مسلما اذا دعا الى العصبية ، او قاتل عليها ، أو مات على العصبية، فالمؤمنون اخوة ولايفضل أحدهم على الاخر الا بالتقوى ، وقد روى ان أحد المنافقين ، وكان يدعى " قيس بن مطاطيه " جاء الى حلقة كان فيها " سلمان الفارسى " و " بلال الحبشى " و " صهيب الرومى " رضى الله عنهم جميعا ، فقال: لقد قام الاوس والخزرج بنصرة هذا الرجل ، ويقصد

---

(١) سورة الحجرات :اية ١٠

(٢) سورة الحجرات : اية ١٣ ، ابراهيم خليل احمد : محمد فى التوراة والانجيل والقران – القاهرة – ١٩٦٥ – ص ٢١١ .

(٣) ابو الحسن الندوى : النبوة والانبياء فى ضوء القران – القاهرة ١٩٦٥م ص ٧٧ .

(٤) سورة سبأ : اية ٢٨ ، عباس محمود العقاد : الاسلام دعوة عالمية – القاهرة ١٩٧٠م ، مناع القطان " الاسلام شريعة الله الخالدة الى البشرية كافة " مجلة كلية الشريعة – العدد الخامس – الرياض – ١٣٩٤ – ص ١١–٤٠ ، محمد بيومى مهران : قصة الطوفان بين الاثار والكتب المقدسة " مجلة كلية اللغة العربية – العدد الخامس – الرياض – ١٩٧٥م – ص ٤٣٧–٤٤٤ .

بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم - فما بال هذا ؟ ويقصد ما الذى يدعو الفارسي والحبشي والرومي بنصره ، فقام اليه " معاذ بن جبل " رضي الله عنه واخذ بتلابيبه وعنفه ثم جاء الى النبي صلوات الله وسلامه عليه واخبره بماحدث فقام عليه الصلاة والسلام غاضبا الى المسجد ، ثم نودى بان الصلاة جامعة ، وخطب الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وقال : " يا أيها الناس ان الرب واحد ، والاب واحد ، وان الدين واحد وليست العربية بأحدكم من اب ولا ام وانما هى اللسان فمن تكلم العربية فهو عربى " ، فقام معاذ بن جبل وقال : فما تأمرنى بهذا المنافق يارسول الله ؟ قال : دعه فانه الى النار"(١) . وهكذا يبدو بكل وضوح وبدون اى لبس او غموض ان العربية فى نظر الاسلام كانت مفهوما دينيا وثقافيا اكثر من كونها مفهوما جنسيا او عرقيا(٢) .

أصل العرب :

يقف الباحث حائرا ومتسائلا حينما يريد الخوض فى بحث ومعرفة اصل العرب ، لانهناك الكثير من الحقائق التى قد تعيننا على فهم اصل العرب ، وماضيهم ، لم تظهر بعد ، فالكثير من الحقائق الجيولوجية لم تظهر وتحتاج الى دراسة مستفيضة لاخراجها، ولابد للكثير من المواقع الأثرية أن تدرس، ولابد من اجراء الكثير من الدراسات الجغرافية عن هذا الموضوع حتى تستكمل المعلومات ، كل ذلك يجب ان يتم قبل ان يكون الحكم على اصل العرب قريبا من الصحة ، أما اذا اعتمدنا على الفرضيات التى تجعل أصل العرب من الشعوب السامية ، فان ذلك لايقودنا بالتالى الى الوصول الى حقيقة أصل العرب ، لان

---

(١) عبد الرحيم فوده : المرجع السابق - ص ١٣٢، كنز العمال - ج٣ (حديث رقم ٥٦٥٥)
(٢) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ١٥٣.

البحث فى الوطن الاصلي للساميين لايزال مثارجدل ونقاش بين العلماءوالباحثين وعليه فسوف تظل هذه القضية مرتبطة بالوصول الى النتائج النهائية التى تحل مشكلة الوطن الاصلى للشعوب الاسلامية (١)

اصطلح العلماء على تسمية سكان الجزيرة العربية بالساميين ، وقد اشتق اسم الساميين من " سام بن نوح " علىأساس أن الساميين كانوا متسلسلين من " سام " الابن الأكبر لنوح عليه السلام ، غير أن السامية من وجهة علمية هى تسمية لغوية تطلق على الشعوب التى تتكلم او تكلمت بالسامية فالساميون ليسوا عنصرا او جنسا بالمعنى الاثنولوجى (Eth nology) لهذه الكلمة ، فالسامية لاتدل على صفات جسمانية وراثية كتلك التى يعرفها علماء الانثروبولوجية (علم الانسان) والتى يحددون بها اصل الجنس او العرق مثل مقياس الرأس وملامح الاشخاص ، وشكل الانف والشفاه والى آخر ما الى ذلك من صفات جسمانية ، فالساميون هم مجموعة من الشعوب او الاقوام تتحدث بلغات متقاربة ، ومتشابهة سميت اصطلاحا باللغات السامية ، وعلى ذلك فلفظة " سامى " او " سامية " هى دلالة لغوية اكثر منها اثنولوجية (عرقية) .

وقد اعتبر العرب من الشعوب التى اصطلح على تسميتهم باسم " الشعوب السامية " وقد احتفظ العرب بالمميزات الطبيعية والخاصيات العقلية للشعوب السامية ، كما احتفظت لغتهم بخصائص اللسان السامى الاصلى بما فى ذلك التصريف، أكثر مما احتفظت غيرها من اللغات السامية الأخرى ، لذلك يركز علماء هذا العصر على أن سكان الجزيرة العربيةهم الكتلة الكبرى من الساميين الاقحاح ، ويرون أن بلاد العرب هى مهد الشعوب السامية (٢) ،

---

(١) سنتحدث بالتفصيل فى الفصل الثانى من هذا البحث عن الشعوب السامية

(٢) فيليب حتى : المرجع السابق – ص ٨–١٠.

ومع ذلك فانه يمكن القول بأن مسألة مهد الشعوب السامية لاتزال من المسائل الغامضة ، ولعل كثرة مادار حول هذه القضية من نقاش وردود واعتراضات ونظريات هو دليل كاف على ان الحديث عنها لايزال بعيدا عن مرحلة الرأي المؤكد المسلم به ٠

ـ أقسام وطبقات العرب :

ان الباحث في تاريخ العرب القديم عندما يخوض في مناقشة ودراسة اقسام وطبقات العرب فانه يجد اختلافات واضحة بين العلماء والباحثين حول التقسيمات الرئيسية والفرعية لطبقات العرب ، كما انه يجد تفصيلات واسعة ومرهقة ملأت الكتب ، وقد تشابكت وتداخلت الامور حتى اصبح من الصعب رسم خطوط بين التقسيمات الكبرى لطبقات العرب ، وعلى ذلك فان الباحث يخرج من دراسته بمزيد من الحيرة والتساؤلات دون انيتوصل الى نتيجة دقيقة ومحددة ، او حقيقة ثابتة من الناحية العلمية ، لذلك يرى الباحث انه من المستحسن مناقشة الامور العامة والرئيسية من هذا الموضوع دون الدخول في الكثير من التفصيلات ٠

يكاد الرواة والاخباريون أن يتفقوا على تقسيم العرب الى عدة طبقات وهي العرب البائدة ، والعرب العاربة ، والعرب المتعربة أو المستعربة (١) ، وقد اطلق على العرب الاخيرة العرب الباقية (٢) ، غير ان هناك من يقسم العرب الى العرب العاربة وهم الذين كانوا اعربا صرحاء وخلصاء وذوي نسب عربي خالص ، ويقصد بهم العرب البائدة ، ويتكونون من قبائل عاد وثمود والعماليق

---

(١) ابو الفداء : المرجع السابق — ص ٩٩ ، الزبيدي : المرجع السابق — ج٣ — ص ٣٣٢٠

(٢) المسعودي : التنبيه و الاشراف . بيروت ١٩٦٥ — ص ٨٥ ، عبدالعزيز سالم : المرجع السابق — ص ٦٦ ٠

وطسم وجديس وجرهم واميم وعبيل ووبار والعرب المتعربة والمستعربة وهم ليسوا عربا خلصاء وهؤلاء هم من العرب القحطانية والعرب العدنانية ويقصد بهم العرب الباقية (١) . فيحين نجد ان هناك من يقسم العرب الى طبقتين فقط وهما العرب القحطانية باليمن والعرب العدنانية بالحجاز (٢) ، وهناك أيضا من يقسمهم الى أربع طبقات تبعا للتسلسل التاريخي وهم العرب العاربة وهم البائدة ثم العرب المستعربة وهم القحطانيون ، ثم العرب التابعة لهم من عدنان وقحطان وقضاعة ثم العرب المستعجمة وهم من استعجمت لفتهم على اللسان المضرى الذى نزل به القرآن الكريم ، ويقصد بهم الذين دخلوا فى نفوذ الدولة الاسلامية (٣) .

ومن الملاحظ أن التقسيمات التى رأى الاخباريون فيها تقسيم العرب الى طبقات من ناحية القدم والتقدم فى العربية ، انما يرجع الى العصور الاسلامية وليس من مصادر العرب القديمة التى سبقت بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى انه لايوجد نص واحد يذكر مثل هذه التقسيمات ويعود تاريخه الى ماقبل العصور الاسلامية ، كذلك يلاحظ أن هذه التقسيمات هي عربية خالصة لأنه لايوجد فى المصادر اليهودية أو اليونانية أو اللاتينية او السريانية مايذكر هذا التقسيم أو حتى يتعرض له بالذكر (٤) ، كما أنه من الملاحظ أن الآراء التى تقسم العرب الى طبقات رئيسية وفرعية لاتستند على حقائق ثابتة علميا ، وأن معظم البراهين والأدلة التى تقدمها قابلة

---

(١) عمر فروخ : المرجع السابق - ص٤٤ .

(٢) طه حسين : فى الادب الجاهلى - القاهرة ١٩٣٢ - ص ٧٩.

(٣) تاريخ ابن خلدون - جـ ٢ ص ٢١ ، ٢٥ ، ٢٨٣ ، الالوسى : بلوغ الارب - جـ ١ - ص ٩ - ١١ ، عبدالعزيز سالم : المرجع السابق - ص ٦٦ .

(٤) جواد على : المرجع السابق - جـ ١ - ص ٢٩٥.

للنقض والرفض ، وهي مليئة بالنقاط الغامضة والضعيفة ، وحيث اننا لانملك من الادلة العلمية والحقائق الثابتة مايثبت صحة هذه التقسيمات او بطلانها لذا فانه لايمكن ان نسلم بها كحقائق ثابتة او نعتبرها مسالة نهائية .

وكلمة العلماء تكاد تجمع على تقسيم العرب الى طبقتين ، العرب البائدة، والعرب الباقية ، ومن الأفضل أن نشير هنا الى انه لايقصد بالعرب البائدة والعرب الباقية بأنهم أقوام قد انقرضوا ولم يبق منهم احد ، او أنهم أقوام لم يكونوا ثم نشأوا من جديد ، وانما يقصد ان هناك قوما قد يقل عددهم بسبب الكوارث ، أو بسبب ذوبانهم في أقوام آخرين ، فيتوقف تاريخهم وتبطل حضارتهم ، علما ان بقاياهم ماتزال موجودة ولكن من غير قيمة حضارية ، والتاريخ هو تطور الحضارة وعليه فمتى انتهت حضارتهم انتهى تاريخهم ، فقال - عند ذلك - هؤلاء القوم قد بادوا (١) . والحقيقة أن التسمية " العرب البائدة " ربما كانت مستوحاة من القران الكريم لذكره لهم وكان الكتاب العرب قد ابتدعوها ، ومن المعروف ان الشئ لايمكن ان يصبح بائدا طالما ترك من الاثار التي تدل عليه ، والآثار هي المصدر الأساس للتعرف على الحضارات التي سبقت (٢) ، وربما يكون القصد من لفظة " بائدة " هو عدم وجود أي أحد من العرب الذين يعود نسبهم الى هذه أو تلك القبيلة عندما كتب المؤرخون الاسلاميون تاريخ العصور الاسلامية ، ومن اهم القبائل العربية البائدة هم عاد وثمود ومدين وطسم وجديس واميم وعبيل وجرهم والعماليق وحضورا ووبار (٣) .

واما العرب الباقية فيقصد بهم الاقوام الذين كان اسلافهم موجودين من السابق وبرز منهم اقوام اخرون جدد ، وبداوا في انشاء حضارة جديدة ولم تصل اليهم ايدى الكوارث ، ومازالوا يعيشون في المنطقة ، وسوف يظلون يعيشون

---

(١) عمر فروخ : المصدر السابق - ص ٤٩ .

(٢) عبد الرحمن الانصارى : لمحات عن القبائل البائدة في الجزيرة العربية - كلية الاداب - جامعة الرياض - الرياض ١٩٦٩م - ص ٨٦ .

(٣) محمد بيومي مهران : المرجع السابق - ص ١٦٤ .

فيها الى أن يرث الله الارض ومن عليها ، وأن حضارتهم مستمرة ويتوارثونها جيلا بعد جيل ، وانكل جيل يضيف اليها ما استطاع الى ذلك سبيلا[(١)] ، والعرب الباقية هم مايطلق عليهم اسم العرب العاربة ، والعرب المتعربة والمستعربة أو العرب القحطانيون والعدنانيون[(٢)] .

والواقع أن تقسيم العرب الى قحطانيين وعدنانيين ، مازال موضع خلاف كبير بين العلماء والكتاب فهناك من اعتبر " قحطان " نفسه من نسل اسماعيل عليه السلام ، لانه عندما مر الرسول صلى الله عليه وسلم ، بقوم من " اسلم خزاعة " القحطانية وهم يناضلون في السوق قال لهم : " ارموا بنى اسماعيل فان اباكم كان راميا "[(٣)] . في حين ان هناك كثرة تذهب الى ان " قحطان " ليس من ولد اسماعيل ، وانما يعود نسبه الى سام (وعدنان) بن نوح عليه السلام . ويذهب البعض الى ان جميع العرب هم من نسل اسماعيل عليه السلام ، لان " قحطان " و " عدنان " يستوعبان العرب القحطانيين والعدنانيين[(٤)] ، وهناك راى يذهب الى أن " عدنان " هو القرم الأول للقبائل العربية ، وذلك اعتمادا على ما ورد من ان النبى صلى الله عليه وسلم ، كان اذا انتسب لم يجاوز فى نسبه " عدنان " ويقول : كذب النسابون ، كما ورد أنه قال: " استقامت نسبة الناس الى عدنان "[(٥)] .

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ١٦٣-١٦٤.
(٢) جواد على : المرجع السابق - ص ٣٥٤ ، عمر فروخ : المرجع السابق - ص ٤٤.
(٣) صحيح البخارى : (باب المناقب) - ج٤ - ص ٢١٩ ، ابن حزم : جمهرة انساب العرب - القاهرة ١٩٦٢ - ص ٢٣٥ ، الهمذانى : المرجع السابق - ص ١٠٣-١٠٥.
(٤) تاريخ ابن خلدون - ج ٢ - ص ٢٨٩-٢٩٠.
(٥) الطبقات الكبرى - ج ١ - ص ٥٦ ، عبد الرحمن الانصارى : المرجع السابق ، ص ٩٣-٩٤.

وقد اعتمد الاخباريون الأوائل فى كتاباتهم لانساب العرب على التقاليد اليهودية المعروفة بالاسرائيليات الى حد كبير ، لذا نجدهم قد رفعوا من العرب العاربة ، وهم من نسل قحطان ، ونزلوا من العرب المستعربة وهم من نسل اسماعيل عليه السلام ، وقد اعتبر الكتاب الجنوبيون (القحطانيون) العرب المستعربة أحدث نسبا من غيرهم من قبائل العرب البائدة والعاربة وبالتالي فهم اقل شانا من قبائل جنوب شبه الجزيرة العربية [1]، وهكذا أصبح الكتاب المسلمون مروجين لنظرية التوراة فى الانساب ، وتجاهلوا أن التوراة قد كتبت لترفع من شان وقد رنسل اسحاق - وهم اليهود - على نسل اسماعيل - وهم العرب - ،ولكى تجعل من نسل اسحاق الشعب المختار من الله دون غيرهم من الشعوب ، والسلسلة المصطفاة وعلى الأخص على من كان من نسل اسماعيل [2].

ويستند دعاة تقسيم العرب الى قحطانيين وعدنانيين حقيقة هامة الا وهي تأصل العداء والصراع بين العدنانيين والقحطانيين سواء كان فى الجاهلية اوفى العصور الاسلامية ، ولكنه غاب عن هؤلاء أنه اذا كان العداء والنزاع بين القبائل العدنانية والقحطانية كان مستحكما بينهم فى الجاهلية ، فانه كان هناك عداء بين القحطانيين أنفسهم , وكذلك بين العدنانيين أنفسهم ، ومن ثم كيف يمكن أن نتصور ان انقسام العرب الى قحطانيين وعدنانيين هو انقسام حقيقى علما أنه كثيرا ماكان يحدث أن تتحالف القبائل فيما بينها أيام الحروب ، وغالبا مايجمع هذا التحالف قبائل قحطانية وعدنانية ، فاذا كان العرب هم مقسمين الى قحطانيين وعدنانيين فى الأصل ،فكيف نفسر تحالف " جديله " وهى من قبيلة " طى " القحطانية مع " بنى شيبان "

---

(١) عبد الرحمن الأنصارى : المرجع السابق - ص ٩٣ .

(٢) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ١٥٨ ، دراسات تاريخية من القرآن الكريم - ص ١١٥ - ١٨٠ ، اسرائيل - الجزء الثانى ص ١٥٠-٢١٢.

وهم من العدنانية ، لمحاربة قبيلة " عبس " العدنانية ، وكيف نفسر التحالف الذى كان يحدث بين قبائل يمنيه مع قبائل عدنانية لكى تحارب قبائل يمنية او عقد تحالفات دفاعية ـ هجومية معها[١] . وكل هذا يخضع لتقسيم اصله لغوى واقليمى اذ ان الفرع القحطانى ، قبل هجرته الى الحبشة والعراق وشمال الجزيرة العربية وبلاد الشام كان مستقرا فى اليمن وتطورت لغتة هناك من سبئية وحميرية ومعينية وقتبانية وحضرمية قديمة ونصوص هذه اللغات تثبت انفصالها عن العربية السامية الفصحى . كذلك هناك من يرى أن العداء كان قائما ومستحكما بين العدنانيين والقحطانيين قبل عصر الرسالة المحمدية . ويتمثل هذا العداء الشديد بين أهل المدينة من الأوس والخزرج اليمنيين (قحطانيين) واهل مكة القرشيين (عدنانيين) وقد استمر هذا النزاع بينهما حتى بعد أن دخلوا فى الاسلام ، وهو يتمثل فى النزاع بين الأنصار (يمنيين) والمهاجرين (عدنانيين) فكانت هناك حزازات ومفاخرات بين القومين فكل منهم يدعى أنه أشرف نسبا وأعز نفرا . وتبرير هذا النزاع أنه كان يمثل العداوة الطبيعية بين الحضارة والبداوة[٢] وبين المستقرين والطارئين وهكذا يظهر بكل وضوح ان الصراع المتاصل بين القحطانيين والعدنانيين لايصلح ـ باى شكل من الاشكال ـ لكى يكون القاعدة التى يتسند عليها فى تقسيم العرب الى قحطانيين وعدنانيين .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الانقسام بين العرب لم يظهر فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كما انه لم يظهر لافى زمن الخليفة ابوبكر الصديق ولا ايام الخليفة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنهما ، وحتى ان عمر عندما نظم ديوان العطاء لم يرد فى الروايات مايشير الى أى انقسام أو تميز بين القحطانيين والعدنانيين ، وانما كان الأساس فيه مدى القرابة للرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم يتفاضل الناس بعد ذلك على مقدار سبقهم للاسلام ، وكان بنو هاشم هم قطب الترتيب لانهم بيت النبوة [٣] . كذلك لم يظهر مثل هذا التقسيم فى توزيع الجيوش

---

(١) جواد على : المرجع السابق ، ج ١ ـ ص ٤٧٧ ، محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم ـ ص ١٦٠ ، عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ٦٩ .

(٢) احمد امين : فجر الاسلام ـ بيروت ـ ١٩٦٩م ـ ص ٦ ، جواد على : المرجع السابق ـ ص ٤٨٢ .

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ـ ج٢ ـ بيروت ـ ١٩٧٨م ـ ص ٣٥٠-٣٥٢ ، تاريخ اليعقوبى : ج ٢ ـ ص ١٣٠ .

زمن الفتوحات الاسلامية ، ولاحتى فى الحروب التى جرت بين الامام على , رضى اللـــه عنه ، وبين خصومه , لأنها لم تكن حروبا بين قحطانيين وعدنانيين ، وانما كانـــت بين العدنانيين أنفسهم (١) .

واذا تتبعنا الشعر العربى فى عصور الجاهلية ، فاننا لانجد اى ذكـــر لتقسيم العرب الى قحطانيين او عدنانيين وكل ماورد فيه لايزيد عن كونه شعـــر للتفاخر بقحطان او عدنان وماقيل من ابيات للتفاخر بقحطان او عدنان لايمكـــن تفسيره على ان تقسيم العرب كان موجودا ومتعارفا عليه بين العرب ولايمكـــن ان نعتمده كدليل على وجود هذا التقسيم لان كثيرا من القبائل القحطانيـــة كانت تتفاخر على بعضها البعض ومثله نجد ان القبائل العدنانية كثيرا ماكانـــت تتفاخر بعضها علـى بعض واغلب الظن ان هذا الشعر لايمثل فى الحقيقة العصور الجاهلية لان معظمه قيل فى الفترة القريبة من العصر الاسلامى ، فضلا عن ان ماقيل من الشعـــر، سواء كان للتفاخر او كان للهجاء لايصلح كاساس لاعتماد الراى القائل بوجـــود اختلاف وتقسيمات بين القبائل العربية (٢) .

ويمكن ان نضيف الى ذلك أن علماء الانثروبولوجى(Anthropologists) والاثنولوجيا (Ethnologists) المتخصصين فى دراسة الاجنـــاس البشرية وسلالات الشعوب لم يلاحظوا وجود أى فروق واضحة فى التكوين الجسمانـــي بين القحطانيين والعدنانيين ، فى حين وجدوا فروقا واضحة بين القحطانييـــن الشماليين (من استقر فى شمال الجزيرة العربية) والقحطانيين الجنوبييـــن (جنوب الجزيرة العربية) ولعل السبب فى وجود الفروق فى الملامح الجسميـــة بين القحطانيين انفسهم يعود الى امتزاج اجناس بشرية متعددة بهم نتيجـــة الحروب والهجرات والتجارة وغيرها من عوامل الاتصال الأخرى . وقد وصل الأمر الـــى

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق — ص ١٦٠ ، عبد العزيز سالم : المرجــع السابق — ص ٦٨.

(٢) جواد على : المرجع السابق — ج ١ — ص ٤٧٤-٤٧٦ ، عبد العزيز سالم : المرجــع السابق — ص ٦٨ .

أنه من الممكن التمييز بين القحطاني الجنوبي و القحطاني الشمالي بسرعة عند رؤيته فيحين يصعب التمييز بين القحطاني الشمالي من العدناني الا بالاستفسار منه ، لذلك فانه يمكن ان نقول ان الفروق بين القحطانيين والعدنانيين هي اقلجدا من الفروق التي توجد بين القحطانيين انفسهم ، الشماليين منهم و الجنوبيين (١) ، وبناء على ذلك فاننا نستخلص من ان نتائج دراسات الباحثين في علم الاجناس البشرية وسلالات الشعوب لاتصلح لكي تكون قاعدة يستند عليها دعاة تقسيم العرب الى قحطانيين وعدنانيين .

وهكذا نجد ان هذه التقسيمات غير مقبولة ، بل متعسفة ،لان القرآن الكريم ، وهو أوثق المصادر ، لم يورد في اية من اياته وجود اى فكرة عن تقسيم العرب الى طبقات ، وبالتالى لم يفرق بين العرب القحطانية و العدنانية وانما رفعهم جميعا الى اب واحد وهو الخليل ابراهيم عليه السلام . فيقول تعالى :

" وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ، ملة أبيكم ابراهيم "(٢) .

وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : " كل العرب من ولد اسماعيل ابن ابراهيم ، عليهما السلام "(٣) ، حتى ان جرير بن عطيه التميمى قال شعرا يتفاخر بأبوّة ابراهيم عليه السلام :

---

(١) جواد على : المرجع السابق - ص ٤٧٨- ٤٨٢ ، محمد بيومى مهران : " العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة " - مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - العدد السادس - الرياض ١٩٧٦م ص ٢٨٧- ٤٣٧ ، وكذا : Thomas, B., Arabia Felix ,Across the Empty Quarter, New York, 1931, p.301.

(٢) سورة الحج : اية ٧٨ . ، محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم ص ١٥٧.

(٣) الطبقات الكبرى - ج ١ - ص ٥١.

ابونا خليل الله لاتنكرونــــه
فاكرم بابراهيم جدا ومفخـــرا
أبونا خليل الله والله ربنـــا
رضينا بما أعطى الاله وقـــدرا (١)

وقد لعبت الظروف السياسية فى العصر الاموى والعباسى دورا هامـــا فى تكوين نظرية الطبقات بين العرب وتقسيمهم الى قحطانيين وعدنانييـــن كما ان العصبيات القبلية والنزاعات الحزبية كان لها تاثير خطير علـــى اصحاب هذه النظريات من الاخباريين الاوائل . فنجد ان الامويين عملوا علـــى احياء العصبية الاولى بين القبائل لكى تنشغل كل واحدة منها بضرب الاخـــرى وكذلك تنشغل عمايجرى فى الدولة من اخطاء فيسهل على الدولة السيطرة علـــى القبائل جميعا ، وغالبا ما تسبب هذا الوضع فى الاساءة الى القبائل الجنوبيـــة (القحطانيين) الى حد كبير ، وقد وجدت هذه القبائل فرصتها عندما قامـــت الدولة العباسية فعملت على استعادة مكانتها وما فقدته فى عصر بنى اميـــة ونجد ذلك واضحا فى كتابات الاخباريين وكان معظمهم ينتمون الى القبائـــل الجنوبية — للانساب والتاريخ القديم للعرب ، والخطير فى الامر انهـــم اعتمدوا عند كتابتهم عن الانساب على نصوص العهد القديم (التوراة) ومايدور فى فلكها من تصانيف امتلات بها مكتبات العراق ، لذا كانت كتاباتهـــم عبارة عن نقل لما ورد فيها عن قحطان واسماعيل ، وهجر وسبأ ، وبعض قبائـــل الجنوب ، كما نسبوا معظم قبائل العرب البائدة الى جنوب شبه الجزيـــرة العربية ، ولم يكتفوا بوضع نسب لانفسهم وانما نسبوا غيرهم اليهم ، وقـــد سيطر جو العصبية والتفاخر بالانساب على هذه الفترة من التاريخ.

---

(١) جواد على : المرجع السابق — ص٤٩٦ ، المسعودى : التنبيه والاشراف — ص ٩٥.

ومن الغريب أن نجد أن بعض القبائل العدنانية اعتبرت الفرس (وهم من الشعوب ذات أصل هندى - أوربى) من أبناء عم العرب ، وقد عدوهم (الفرس) من نسل اسحاق بن ابراهيم ، وراحوا يتفاخرون بهم بقصد الرد على القحطانيين ، كذلك ربط العدنانيون نسبهم الى الأكراد لنفس القصد ، وقد رد القحطانيون على ذلك بأن جعلوا اليونانيين من أقاربهم ، والترك من حمير(١). ولاشك أن تلك الظروف السياسية كانت سببا فى اثارة العصبية الجاهلية البغيضة بين العرب انفسهم ، تلك العصبية التى جاء الاسلام بشريعته الخالدة حربا عليها ، ووحد بين المسلمين وجعلهم أخوة .

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ١٦١-١٦٢ ، قارن جواد علي : المرجع السابق ص ٣٩٦ - ٤٠٩ ، ٤٤٨-٤٤٩ ، ٤٨٢-٥٠٧ ، عبد الرحمن الانصارى : المرجع السابق ص ٩٣ ، الهمدانى: المرجع السابق ج ١ - ص ٩٦ ، ١٠٦ ، ١١٦ ، ١١٨ ، الاغانى للاصفهانى - ج ٢ - ص ١٤٨ ، ١٥١ ، ج ١٣ ، ص ٤٢ ، ج ١٤ - ص ١١٤- ١٢٢ ، ج ١٧ - ص ٥٢ ، ج ٢٠ - ص ١١٧ ، ديوان حسان بن ثابت - ص ٤٠ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٨٩ ، المسعودى: مروج الذهب - ج١ - ص ١٧٨ ، ٢٦٦ - ٢٧٧ ، التنبيه والاشراف - ص ٧٥ - ٧٨ ، عبد الرحمن البرقوقى : شرح ديوان حسان بن ثابت - القاهرة ١٩٢٩م - ص ٦ ، ٢٠٠ ، طه حسين : المرجع السابق - ص ١٢٣ .
وكذا :
Ency. of Islam , II, p.655, Hastings, Dictionary, p.235,385, Ency. Biblica, II, P. 1333, 2175,Nicholson, R.A., A Literary History of the Arabs, Cambridge, 1962, p.20, Della Vida, L., Pre-Islamic Arabia, Princetion , 1944,p.6.

ومما هو جدير بالاشارة أن هناك رأيا اعتبر مسألة الانساب بين القبائل العربية ماهى الا أسطورة بدأت من قبل البعثة المحمدية . وقد انتسب الكثيرون الى جنوب شبه الجزيرة العربية نظرا لمكانتها ومقامها العظيم في العصور الجاهلية . وقد سجلها علماء الانساب على أنها حقيقة واقعة وكانوا فى الواقع تحت تأثير العوامل السياسية السابقة الذكر(١) .

...

---

(١) Musil, A., Northern Nejd, New York, 1928,p.318.

الكنعانيــــون :

الكنعانيون هم أحد الشعوب السامية التى خرجت من شبه الجزيـــرة العربية لتستقر فى فلسطين ، وأقامت فى تلك المنطقة حضارة راقيـــــة ، كما أنها لعبت دورا رئيسا وهاما فى تاريخ فلسطين وشرق البحر المتوسـط خلال الالفين الثالث والثاني قبل الميلاد ، وقد دعيت فلسطيـــــن " بارض كنعان " نسبة الى هؤلاء الكنعانيين ، فكان هذا الاسم هو اقـــدم ماسميت به " فلسطين " ويعتبر الفينيقيون ، الذين استقروا على الشريـط الساحلى للبحر المتوسط وفيما بين المنطقة الواقعة بين طرسوس شمالا وجنـوب جبل الكرمل جنوبا ، فرعا من الكنعانيين (١) .

وقد اختلف العلماء فى أصل كلمة " كنعان " فهناك من رأى أنهـا مشتقة من الكلمة السامية " كنع ، خنع ، قنع ، Kana' " التـي تعنى الأرض المنخفضة وقد سموا بالكنعانيين لنزولهم فى المناطق الساحليـة المنخفضة الواقعة شرق البحر المتوسط وتميزا لهم عن غيرهم الذين نزلوا فـي المناطق الجبلية (٢) ولكن أصبح يشك فىأن تكون هذه التسمية أصلها سامـي، بل يعتقد أنها مشتقة من كلمة " كناجى Kanaggi " الأوريـــة والتى تعنى فى " الحورية " الصباغ الأرجوانى أو القرمزى الذى اشتهـر بصناعته الكنعانيون (٣) .

(١) Harden, D., The Phoenicians, London, 1980, pp.18-19.,

(٢) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين – ترجمة جورج حـــداد، وعبد الكريم رافق – جا – بيروت ١٩٨٢ – ص ٨٥ ، مصطفى مراد الدبـاغ : بلادنا فلسطين – ج ١ – بيروت ١٩٧٣ – ص ٣٨٧ ، محمد بيومى مهـران : اسرائيل – ج٢ – ص ٥٢٠ .

(٣) احمد سوسه : العرب واليهود فى التاريخ – بغداد ١٩٨١ – ص ١٠٨.

غير أن هذه التسمية غير مقبولة لانها وردت هكذا فى الكتابات القديمة وبالاسم الذى تقدم ذكره [(١)]، وربما تكون الكلمة الاكادية " كناخى Kinakhkhi " (كيناخى Kinahna كما فى مسمارية تل العمارنة) وكذلك الفينيقية " كنع Kena' "، والعبرية " كنعان " - وجميعها تعنى الحمرة القرمزية او الارجوانية - مشتقة اصلا من الكلمة الحورية " كناجى Knaggi " [(١)]. اما الكلمة اليونانية " فينكس Phoinix فكانت ترمز الى اللون الارجوانى وعندما اتصل اليونانيون خلال منتصف الالف الثانية قبل الميلاد بسكان سواحل البحر المتوسط لفرض التجارة ، فانهم اطلقوا عليهم هذا الاسم واصبحت كلمة " فينيقى " مرادفة لكلمة " كنعانى " وتعني شيئا واحدا منذ القرن الحادى عشر قبل الميلاد [(٢)] .

وهكذا نجد ان التسمية السامية القديمة اتفقت مع التسمية اليونانية فى الربط بين هذه الشعوب وبين اللون الارجوانى او القرمزى والذى اشتهرت المدن الساحلية الواقعة على شرق البحر المتوسط فى صناعته حيث كان يستخرج هذا اللون المميز من الحيوانات البحرية الرخوة التى كانت تعيش بكثرة على تلك الشواطىء [(٣)] . كما أن تسميتهم بالكنعانيين فى اللغة السامية ، وبالفينيقيين فى اللغة اليونانية اصبحت كلاهما اسما وعلما على شعب سامى واحد ينزل فى السهول الساحلية لشرق البحر المتوسط . وقد جاءت تسميتهم بهذا الاسم لشهرتهم فى صناعة الأصباغ الأرجوانيه وتجارتهم فيه .

---

(١) فيليب حتى : المرجع السابق - جا - ص ٨٥-٨٦.

(٢) نجيب ميخائيل: المرجع السابق ص ٤٧ . وكذا :
Harden , Op.cit., pp. 19-20.

(٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق - ص ٤٧-٤٨.

وهناك من رأى أن الكنعانيين قد سموا بهذا الاسم نسبة الى جدهم " كنعان " كما هي عادة العرب فى تسمية قبائلهم . وان هذا الرأى - فى نظرهم - هو الأرجح[١]، وتذكربعض المصادر العربية بأن " كنعان " كان يعرف باسم " شالوما " وهو من أبناء نوح وكانت بلاد الشام هي موطن الكنعانيين[٢] في حين تشير أسفار العهد القديم الى أن " كنعان " هو أحد أحفاد نوح وهو من ولد " حام " وكان لكنعان عدد من الاولاد منهم " صيدون " و " حثا "[٣] وكان النسابة اليهودى يخرج من الجنس السامى اعداء اليهود مهما كانوا ساميين وينسبهم الى حام لان التوراة التى كتبوها تزعم انه الابن الملعون من ابيه نوح (على الرغم من ايمانه و صعوده معه فى الفلك)وأنه دعا عليه أن يسود الله وجهه ولا يلد الا عبيدا....!

وهكذا جعل النسابة اليهود الكنعانيين حاميين على الرغم من ان لغتهم ليست الا لغة عبرية لقوم لم يؤمنوا بموسى،والعهد القديم لم يسم لغة اليهود بالعبرية ولا مرة واحدة بل كان يطلق عليها اسم (لسان كنعان) ، كذلك جعل المصريين حاميين للعداوة بين فرعون وموسى عليه السلام. بينما هناك من يذهب الى القول بانه " كنعان بن سام بن نوح " واليه ينسب الكنعانيون[٤] وقد عد المؤرخون العرب الكنعانيين من العرب البائدة ، وان نسبهم يعود الى العماليق أحفاد سام بن نوح[٥] .

وتعتبر شبه الجزيرة العربية هي الموطن الاصلى للكنعانيين . وقد كونوا هم والاموريون الهجرة السامية الاولى والتى خرجت من هناك ، ربما فى حوالى الالف الثالث قبل الميلاد وربما قبلذلك ، وقد استقر الاموريون (العموريون) في الاقسام الداخلية من بلاد الشام فى حين نزل الكنعانيون فى المناطق الساحلية من بلاد الشام وفلسطين . وعليه فالكنعانيون هم احد الشعوب السامية التى يعود نسبها الى " سام بن نوح " غير ان اسفار العهد القديم اعتبرتهم - خطأ - من الشعوب الحامية والتى يعود نسبها الى " حام بن نوح"

---

(١) مصطفى مراد الدباغ : المرجع السابق - ص ٣٨٧.
(٢) ياقوت الحموى : المرجع السابق - ج٤ - ص ٤٨٣.
(٣) سفر التكوين : ١٠:١٥-١٨ ،هناك جدل قائم حول هذه الاسماء وأنها أسماء مدن وليست اسماء رجال وهي من اخطاء التوراة . (انظر محمد بيومي مهران: اسرائيل - ج ٣ - ص ٣٣ ومابعدها).
(٤) ياقوت الحموى : المرجع السابق - ص ٤٨٤.
(٥) تاريخ الطبرى : ج ١ ص ٢٠٣ - تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٤٤.

وليسوا من الساميين ، فى الوقت الذى نجد انها اعتبرت العيلاميين (Elamits) واللوديين (Ludim) من الساميين وذلك بسبب الصداقة الايرانية اليهودية القديمة منذ سمح قورش الثانى لهم بالهجرة من السبي البابلى الى فلسطين فى القرن الخامس قبل الميلاد ؛ علما انه لايمكن ان نعد هؤلاء من الساميين اطلاقا • ولكن يبدو ان تصنيف اسفار العهد القديم للبشر لايستند الى أسس عنصرية او علمية صحيحة وانما وضع نتيجة اعتبارات سياسية وعاطفية ، وعلى ماكان شائعا من اراء بين الشعوب فى ذلك الزمان حول الانساب وتوزيع البشر[١] ، ولعل السبب والدافع الذى جعل أسفار العهد القديم تنسبهم الى الحاميين أصحاب البشرة السوداء يعود الى وجود جاليات فينيقية (كنعانية) فى أفريقية ، لذا اعتبرتهم من الحاميين[٢] ، بالاضافة الى ذلك فانه ربما كان العبرانيون قد تعمدوا اقصاء الكنعانيين عن قائمة انساب " سام بن نوح " لأسباب دينية وسياسية ، على الرغم من علمهم حقيقة مايربطهم بالكنعانيين من صلات عنصرية ولغوية[٣] .

تتفق وجهات نظر العلماء على أن الكنعانيين كانوا قد جاءوا الى فلسطين من شبه الجزيرة العربية • وهناك شبه اجماع بين العلماء على انهم كانوا يسكنون على السواحل الشرقية للخليج العربى قبل ان يهاجروا منها الى سواحل البحر المتوسط • ودليل ذلك هو وجود التشابه بين المقابر الموجودة فى جزر البحرين ومقابر الفينيقيين وكذلك تشابه اسماء المدن والاماكن فى البحرين وشرق الجزيرة العربية بأسماء المدن التى انشاها

---

(١) سفر التكوين ١٠:١–١٨ وكذا :
Hastings, Ency. of Religion and Ethics (ERE), Vol.2, pp. 370-378, Dictionary of the Bible (DB), P. 945, Barton, G.A., Semitic and Hamitic Origins, London, 1943, p.1.
وقارن جواد على : المرجع السابق ص ٢٢٣–٢٢٤ •

(٢) Nicholson, Op.cit., p.15

(٣) جواد على : المرجع السابق – ص ٢٢٤

الفينقيون على سواحل البحر المتوسط مما حملهم على الاعتقاد بأن تلك الأسماء هى فينيقية الأصل[١] .

وهناك اختلاف بين المؤرخين حول تاريخ دخول الكنعانيين الى فلسطين، فالبعض يرجع تاريخ دخولهم الى القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد وذلك اعتمادا على ماذكره هيرودوت من رواية علماء صور له بذلك[٢]، غير أن هناك من يرجع ذلك التاريخ الى اقدم من هذا التاريخ بكثير، فقد جاء أن الحفاير التى عثر عليها فى " تليلات غسول " الواقعة شمال شرقى البحر الميت هى آثار لاقدم مدينة كنعانية قامت فى فلسطين • وكانت ذات حضارة راقية • وقد خربت هذه المدينة نتيجة حريق كبير أدى الى تدميرها فى بداية العصر البرونزى (٥٠٠٠ - ٣٠٠٠ ق •م •)[٣]، كذلك أثبتت المكتشفات الاثرية على أن مدن " اريحا " و " بيت شان " (بيسان) و " مجدو " و " جازر " ذات الاسماء الكنعانية ، كانت قد تأسست قبل عام ٣٠٠٠ ق •م [٤] .

وهناك من البراهين والأدلة الاثرية التى تثبت أن الكنعانيين استقروا فى مدن تحمل أسماء كنعانية تعود الى عصر الاسرة الخامسة المصرية (٢٥٦٠- ٢٤٢٠ ق•م) كما أنها وردت فى النقوش المصرية ،التى تعود الى عصر الأهرامات (عصر الاسرة الرابعة ٢٦٨٠ - ٢٥٦٠ ق •م•)،كلمات كنعانية[٥]،

---

(١) محمد بيومى مهران: اسرائيل - جـ٢ - ص ٥١٧-٥١٨، مصطفى مراد الدباغ: المرجع السابق ص ٣٨٨ - ٣٩٠ وكذا Strabo, BK. XVI, ch., 2.

(٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق - ص ٥٢•

(٣) أحمد سوسه : المرجع السابق - ص ١٠٦•

(٤) فيليب حتى : المرجع السابق - ص ٨٧•

(٥) احمد فخرى : مصر الفرعونية - القاهرة ١٩٧١ - ص ٩٩ ، ١٢٨ وكذا : Albright, W.F., Archaeology and Religion of Israel, Baltimore, 1942, p. 68.

وهناك حقيقة تاريخية قيمة نأخذها من ملاحم " راس الشمرة"، حيث يفهم منها أن الكنعانيين كانوا قد عاشوا فترة من الدهر في صحراء النقب جنوب فلسطين ، وأن الفضل يرجع لهم في تخطيط أهم المدن في تلك المنطقة مثل مدينتي " اشدود" و " بئر السبع "[1] .

وهناك من يرجع تاريخ دخولهم الى فلسطين قبل عام ٢٥٠٠ ق٠م[2] في حين هناك من يرجع ذلك الى نهاية الالف الثالثة قبل الميلاد[3]، كما يعتقد البعض ان هجرتهم من شمال الجزيرة العربية في حوالي عام ٢٢٠٠ق٠م[4] ومن ضوء ماذكر من تواريخ نلاحظ أن ارجاع تاريخ دخولهم الى منتصف الالف الثالث هو الأكثر قبولا لأن المكتشفات الأثرية تدعمه أكثر من غيره ٠

أقام الكنعانيون على سواحل شرق البحر المتوسط حضارة راقية ، ولعبوا دورا هاما في تاريخ الشرق القديم ، ولقد منعتهم طبيعة المنطقة التي نزلوا فيها من تاسيس دولة قوية وموحدة ولكنهم انتظموا في جماعات صغيرة يحكم كلا منها ملك وكانوا يتمركزون حول مدن محصنة استطاعت بفضلها أن تقاوم هجمات كثيرة تعرضت لها وكانت الحروب كثيرا ماتنشب بين تلك الجماعات غير أنها كانت تتحد أمام المهاجمين من الشعوب الأخرى فكان يحصل أن تتمتع احدى الجماعات بنوع من السيادة والزعامة على الآخرين ولكن هذه التحالفات كانت لاتستمر فترة طويلة لأن بعض المدن كانت تحاول الانتفاع على حساب الآخرين[5] .

---

(١) حسن ظاظا : المرجع السابق - ص ٥٧٠

(٢) مصطفى مراد الدباغ : المرجع السابق - ص ٣٨٠٠

(٣) انطوان مورتكات : تاريخ الشرق الادنى القديم - تعريف توفيق سليمان وغيره - دمشق ١٩٦٧م ص ٢٥٠٠

(٤) انيس فريحه : اسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها٠ بيروت: ١٩٥٦م - ص (المقدمة)٠

(٥) محمد ابو المحاسن عصفور: تاريخ الشرق الادنى القديم٠ بيروت ١٩٨٤م - ص ٢٧٨-٢٧٩٠

وقد اختلفت اسفار العهد القديم فيتحديد بلاد الكنعانيين ، فمرة تطلقها على الساحل الشامي وحتى حدود مصر(١)، ومرة تضيف الى" كنعان " المناطق الجبلية (٢)، وغور الاردن (٣)، فحين تطلق اسم " ارض كنعان " على سكان الجبال والسهول ومنطقة بئر السبع الواقعة في جنوبي البلاد والتي تعرف باسم " النقب "(٤) ولكنه يتضح من رسائل" العمارنة " (٥) ، ووثائق " راس الشمرة "(٦) ، واللتين يعود تاريخهما الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وكذلك المكتشفات الأثرية حديثا ، الى آن بلاد الكنعانيين كانت تقع بين الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط وصحراء سورية (٧)

---

(١) التكوين - ١٠:١٩٠
(٢) يشوع - ١١:٣٠
(٣) العدد - ١٣:٢٩٠
(٤) القضاة ١ : ١-٣٦٠
(٥) رسائل العمارنة هي عبارة عن المراسلات الملكية التي تمت بين امنحتب الثالث (١٤٠٥-١٣٦٧ ق٠م) وولده اخناتون (١٣٦٧-١٣٥٠ ق٠م) من ناحية وبينمختلف الحكام الاسيويين فيعصرهما كملوك بابل واشور، وملك الحيثيين وغيرهم من ملوك الشرق ٠ وكالامراء السوريين من رعايا الامبراطورية المصرية في سورية وفلسطين وقد كتبت رسائل العمارنة بالبابلية الاسفينية (المسمارية) والمستخدمة في كتابة المعاملات الدبلوماسية في ذلك العصر ٠ وقد كتب معظم تلك الرسائل كتاب كنعانيون أو فينيقيون أو مصريون ملمون بتلك اللغة٠ وتل العمارنة هو الاسمالعربي للقرية المصرية التي قامت على أنقاض مدينة " اخيتاتون " عاصمة الامبراطورية المصرية في عهد " اخناتون " وقد اكتشفت تلكالرسائل اول مرة في عام ١٨٨٧م٠ (انظر محمد بيومي مهران : دراسات فيتاريخ الشرقالادنىالقديم - ج ٤- اخناتون - الاسكندرية ١٩٧٩ - ص ٢٣٣-٢٤٥) ٠
(٦) راس شمرا هي قرية صغيرة قرب مدينة اللاذقية غرب سورية وقد قامت على انقاض مدينة " اوجاريت " القديمة وقد كشفت اطلالها في عام ١٩٢٩م حيث عثر على الواح كتبت بالمسمارية البابلية اوالمسمارية الاوجاديتية تعود الىالقرن ١٤ ق٠م٠، وهي تلقى الكثير من الاضواءعلي حضارة الكنعانيين في الشمال (EB.Vol.18,pp.832-833)
(٧) نسيب وهيبه الخازن : المرجع السابق - ص ٤١٠

فهى بذلك كانت تشمل المناطق الساحلية وغربى فلسطين وقسم كبير من سورية [١] . وعلى هذا فان اعتبار بلاد كنعان مقصورة على فلسطين كما ورد فى أسفار العهد القديم أمر لايتفق مع الواقع فى حدود بلاد الكنعانيين [٢] .

لم ينجح الكنعانيون في تأسيس دولة قوية موحدة بل كونوا ممالك مدن صغيرة على رأس كل منها ملك وكانت تلك المدن فى حالة حرب مع بعضها البعض مما جعلها مطمعا للغزو من القوى المجاورة [٣]، ومع نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد بدأ الغزو الاسرائيلى لفلسطين (أرض كنعان) وقد سبق الكنعانيون بنى اسرائيل فى الاستقرار فى فلسطين باكثر من ألف عام حتى أن أسفار العهد القديم كانت تطلق على سكان فلسطين ، قبل مجىء الاسرائيليين ، اسم " الكنعانيين " دون النظر الى الاختلافات الجنسية بينهم [٤] وعندما غزا بنو اسرائيل فلسطين كانوا أشبه بقطيع من الذئاب الهزيلة التى دفعها الجوع الى الاقتراب من المدن [٥] . وقد قاوم الكنعانيون ببسالة رائعة الغزو الاسرائيلى ، ولكن بنى اسرائيل تمكنوا بأسلوب القتل والحرق والنهب والتدمير من انهاء سيادة الكنعانيين وآخضعوا أقساما كبيرة من بلاد كنعان (فلسطين) لسيطرتهم ونفوذهم ، وقد بقي

---

(١) فيليب حتى : المرجع السابق - ص ٨٧.

(٢) نسيب وهيبه الخازن : المرجع السابق - ص ٤١.

(٣) فيليب حتى : المرجع السابق .

(٤) محمد بيومى مهران : اسرائيل - جـ٢ - ص ٥١٩ ، ٥٩٩ - ٧٢١ .

(٥) جوستاف لوبون : اليهود فى تاريخ الحضارات الاولى - ترجمة عادل زعيتر - القاهرة ١٩٦٧ - ص ٣٥.

الكنعانيون فى بلادهم حتي القرن السابع قبل الميلاد ، حيث ورد ذكرهم في الاحداث التى جاءت فى سفر " صفنيا " الذى كتب فى عهد الملك " يوشيا " (٦٤٠ – ٦٠٩ ق.م) ملك يهوذا؛ وذلك على الرغم من محاولات بنى اسرائيل المتسمة بالعنف والهمجية وعمليات الابادة لافناء الكنعانيين[١] ، ومع تغير العصور تغير اسم " بلاد كنعان " وأصبحت المنطقة تعرف باسم " فلسطين " – بعد الدخول الفلسطيني لها خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد بفترة طويلة –. وربما فى القرن الخامس قبل الميلاد .[٢]

---

(١) سفر صفينا : ٢:١–٧ ، حسن ظاظا : المرجع السابق ، ص ٥٧ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق – ص ٥١٩.

(٢) فى سفر الخروج (١٥:١٤) وردت ... سكان فلسطين ، وفى سفر اشعيا (١٤:٢٨ ، ٣١) كذلك وردت .. فلسطين ، وفى النقوش المسمارية الاشورية Pilistu & Palestu وعند هيرودوت Παλαιστίνη وايضا Φυλιστίνον ، وفى صمويل الاول (١٧:٨) وما بعدها وردت ألفلسطينى فى الحديث عن محاربة داود لجالوت الفلسطيني وقتله ، وفي صمويل الثانى (٢١:١٧) عن قتل ابيشاى فلسطيني آخر .

وفلسطينيون : (بدون هاء التعريف الا نادرا) وردت عشرات المرات فى العهد القديم وفى نصوص من اقدم مرويات مثل : سفر التكوين (١٠ : ١٤ ، ٢٦ : ١ ، ١٥ ، ١٨) وبانهم الفلسطينيون كانوا في صحراء النقب قبل ابراهيم – اى قبل ١٧٠٠ ق.م ؛ سفر القضاة (٣ : ٢١) سفر التكوين (٢٦ : ١٤) .. فحسده ألفلسطينيون ...، وسفر يوشع (١٣:٣) وسفر القضاة (٣:٢) .. امراء الفلسطينيين ؛ وسفر التكوين (٢٦ : ١ ، ٨) ... ملك الفلسطينيين .. وسفر القضاة (١٠ : ٦) اله (أو آلهه) الفلسطينيين . (ملاحظات حسن ظاظا).

الفلسطينيون :

الفلسطينيون هم احدى القبائل التى عرفت باسم " شعوب البحر " (Peoples of the Sea) والتى قدمت من جزيرة " كريت " او من السواحل الجنوبية الغربية لاسيا الصغرى ، وقد استقر الفلسطينيون فى السهول الجنوبية الشرقية من سواحل البحر المتوسط ربما خلال القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، وقد عرفت المنطقة التى نزلوا فيها بعد ذلك باسم " فلسطين " نسبة اليهم. وتشمل المنطقة الممتدة مابين يافا وغزة بنحو خمسين ميلا طولا ، وخمسعشرة ميلا عرضا ، ولكنه منذ القرن الخامس قبل الميلاد اطلق اسم فلسطين على كل الجزء الجنوبى الغربي من بلاد سورية وليس فقط السهل الساحلى الذى نزلوا فيه اصلا وقد جاء ذلك فى كتاب المؤرخ اليونانى " هيرودوت " الذى كتبه فى عام ٤٥٠ ق.م، وهو الذى أطلق اسم فلسطين على الجزء الجنوبى الغربى من بلاد سورية.

ان كلمة " فلسطينيين " جاءت لفظتها بصورة مختلفة ، فنجدها " بلسيت Peleset "،و" بلستى Pelesti " و "بولساتى Pulasati وفى النقوش الاشورية القديمة بلفظ " بالشتو Palashtu او بلشتى Pilishti "، كما وردت فى نقوش تعود الى " رعمسيس الثالث " (١١٨٢-١١٥١ ق.م.) وجدت فى مدينة " هابو Habu "(١)

(١) مدينة هابو هى عبارة عن منطقة اثرية تقع فى الطرف الجنوبى للضفة الغربية من طيبة (الاقصر حاليا) واعظم مافى هذ المنطقة المعبد الذى شيده رعمسيس الثالث وتغطى جدران هذا المعبود نقوش عن الاحداث الخطيرة التى مرت بها مصر فى ذلك العصر. كما انها تسجل انتصاراته الساحقة على شعوب البحر للدفاع عن حرية مصر. (محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم - ج ٢ - مصر - الاسكندرية ١٩٨٤ - ص ١٥٠-١٥٤.

باسم " برست Pereset وربما "Purusti" ، فيحين ذكرتهم أسفار العهد القديم باسم " فلسطينيين Philistines[(١)] ، وهناك من يرى أن " بلستى او بالستى Palaeste هو اسم لمكان يقع فى منطقة " الليرية " وهى " ابيروس " وان هذه الكلمة (Palaeste) هى كلمة يونانيةمشتقة من اسم هذا المكان بعد اضافة " ino " التى تستخدم فيتكوين المعنىالاثنولوجى (العرقي) لهذه الكلمة [(٢)]، ويرىالبعض أن"برست Pereset " التى وردت فى نقوش رعمسيس الثالث ترمز الى الفلسطينيين (Philistines) حيث انه لايوجد الحرف " L " فىالكتابات المصرية ، والحرف " R " يمكن ان يقرأ " L "وفىكل الحالات فانهعندما يوجد الحرف "L " فانه يقرأ " R " وعليه فانناتلفظ - مثلا - رعمسيس " Ramses "

---

(١) ماكلستر ، ر. آ. س : تاريخ العالم - ج٢ - القاهرة - ص ٨٨-٨٩ ، مصطفى مراد الدباغ : المرجع السابق ص ٥٣٦ ، محمد بيومى مهران: اسرائيل - ج٢ - ص ٥٨٧ ، فيليب حتى : المرجع السابق - ص ١٩٦ . وكذا :

Bonfânte, G., Who were the Philistines, in AJA, Vol. L, 1946, p.251,Gardiner,A.H..Egypt of the Pharaohs Oxford, 1946, p.201, Hall, Op.cit., pp. 70-71, Albright, W.F., The Archaeology of Palestine,London, 1949, p.113, Velikovsky, I., Peoples of the Sea London, 1980, p.30. Grant, M., The History of Ancient Israel, New York, 1984, p.67, EB., Vol. 17, p.941, Hastings, ERE,Vol.O, p.840,Breasted ,J.H., Ancient Records of Egypt,Vol.4., Chicago, 1906,p.403,Pritchard,J.,Ancient Near Eastern Texts, Princeton, 1969, p.262.

(٢) فيليب حتى : المرجع السابق - ص ١٩٦ ، محمد بيومى مهران: المرجع السابق - ص ٥٨٧ وكذا :

Bonfante, AJA, Vol.L, p.251.

وليس لمسيس " Lamses "(١) . وهناك من يرى ان كلمة فلسطين تعنى" غرباء " اى بلاد المغتربين وربما تكون هذه الكلمة مشتقة من كلمة " فلاش " (Flach) ذات الاصل السامى والتى تعني " يهاجر "(٢) . أو لعلها تعنى السهل الفلسطيني الساحلي .

هناك اختلاف كبير فى وجهات النظر بين العلماء والباحثين حول تحديد الموطن الاصلى للفلسطينيين، فنصوص أسفار العهد القديم تذكر ان الفلسطينيين - وقد ذكروا باسم الكفتوريين (Caphtorim)- قد جاءوا الى فلسطين (ارض كنعان) من " كفتور Caphtor "(٣)، ويعتقد ان " كفتور " هذه هى ذاتها " كيفتو , Kftiw , Kftyw Keftie " التى وردت فى النقوش المصرية من عهد الاسرة الثامنة عشر(٤)، وليس هناك أى اشكال حول وجود الحرف " R "، كما وردت فى نصوص اسفار العهد القديم - وعدم وجودها فى نهاية الكلمة - كما وردت فى النقوش المصرية - لأن المصريين قد حذفوا الحرف " R " من اخر الكلمة (٥) . ومما تجدر الاشارة اليه فان " كفت ور " التى جاءت فى أسفار العهد القديم و " كيفتو " ، التى جاءت فى النقوش المصرية هى جزيرة " كريت " (Crete) التى كانت مركزا للحضارة

---

(١) Valikovsky , op.cit., p.30.

(٢) مصطفى مراد الدباغ : المرجع السابق - ص ٥٤٢ . وكذا :
Smith, Dictionary , Vol.2. p.170.

(٣) التكوين ١٠:١٤ ، عاموس ٩:٧ ، التثنية ٢٠: ٢٣ ، ارميا ٤٧:٤ .

(٤) Hall,op.cit., pp. 72-73(f.3) Hastings,ERE,Vol,9. p. 841.

(٥) Hall , op. cit., p. 73 (f.3).

المينيوية (Minoan) خلال العصر البرونزي وكان الفلسطينيون قد قدموا منها - اى من جزيرة كريت (Crete) عند غزوهم لفلسطين ومصر(١) ، وعليه فان اصل الفلسطينيين يعود من جزيرة كريت(٢)، غير ان هناك من يرى بان الفلسطينيين كانوا قد جاءوا فعلا من " كفتور " ولكن " كفتور " ليست هى (كريت) على اى حال(٣) .

وهناك من يذهب الى ان الفلسطينيين قد جاءوا من منطقة بحر ايجة ، والسواحل الجنوبية لاسيا الصغرى(٤)، وتعتبر " كريت " من اكبر الجزر الواقعة فى بحر ايجه .ويرى البعض - بعد دراسة لغوية لتفسير اسم فلسطين - ان الفلسطينيين اصلهم من الشعوب " الهندو -اوربية Indo-European التى قدمت من جزيرة كريت ، ولكنهم لم ينشأوا فيها اصلا(٥)، فى حين يذهب البعض الى انهم كانوا قد قدموا من جزيرة " قبرص Cyprus "(٦) ، بالاضافة ايضا الى جزيرة " رودوس Rhodes " حيث ان الاواني الفخارية الفلسطينية يظهر فيها تاثير النمط المالوف فى " قبرص " ، و " رودوس " فى التزين ، ولكن لانجد فيها وجود اى تاثير يونانى او كريتي بشكل مباشر (٧)، والرأى الاخير لايمكن اعتماده لان التاثير فى مثل هذه النواحى

---

(١) محمد بيومى مهران: المرجع السابق ص ٥٩٠- نجيب ميخائيل : المرجع السابق - ص ٣٤٨-٣٥٠ ، مصطفى مراد الدباغ : المرجع السابق ص ٥٣٤(هـ) وكذا : Hall,op.cit., p.71, Grant, op.cit., p.67. Hastings, ERE, Vol.9, p.841, Velikovsky,op.cit.p.31.

(٢) Breasted,J,H.,History of Egypt,New York,1946,p.477.

(٣) Wainwright,G.A.,Some Sea-Peoples, in JEA,47,1961, pp. 78-82.

(٤) فيليب حتى : المرجع السابق - ص ١٩٦ وكذا: Albright,op.cit., p.114. وكذا : IB, Vol. 17, p.941.

(٥) Wainwright, JEA, 47, 1961, p.82.

(٦) Velikovsky, op. cit., p.31.

(٧) Albright, op.cit., p. 115.

لايكون بالضرورة دليلا على اصل الشعوب والتاثير غالبا مايحدث نتيجة احتكاك او اتصال بين شعب واخر عن طريق التجارة — مثلا — أو الهجرات .

وحيث ان هناك شواهد تدل على ان الفلسطينيين الذين هاجموا مصر في عهد رعمسيس الثالث (١١٨٢-١١٥١ ق.م.) لم يهاجموها عن طريق البحر فقط ، بل انهم ساروا برا مخترقين اسيا الصغرى وقاصدين شمال سورية ، فان البعض يرى ان " كريت " ليست موطنهم الاصلي وانما موطنهم الاصلي كان في مكان ما شمال بحر ايجة، وربما كان وجودهم في احدى جزر بحر ايجة هو مرحلة من مراحل هجراتهم من موطنهم الاصلي حتى استقروا في فلسطين وان " كيفتو " (Keftiu) التي وردت في النقوش المصرية — يمكن ان تعني " كريت " و شاطئ قليقيا (Cilicia) ايضا [1] . في حين ذهب البعض الى ان الفلسطينيين لم يكونوا بالضرورة " كريتيين " خلصا بل هناك شواهد تدل على ان في عروقهم دماء من " كاريا " (Caria) الواقعة في جنوب غرب اسيا الصغرى [2] علاوة على ان هناك من يرى انهم من الشعوب "الهندو — جرمانية Indo-German " [3]، وهو امر بعيد الاحتمال لعدم توفر اى ادلة علمية تؤكد هذا الرأى .

ان بعض الجغرافيين العرب ذهب الى القول بان الفلسطينيين يعود نسبهم الى " فلسطين بن سام بن ارم بن سام بن نوح " عليه السلام ، وعلى ذلك فقد سميت فلسطين نسبة اليه [4]، ولكن هذا الراى لايعتمد على اى دليل

---

(١) Gardiner, op.cit., pp, 204-205.

(٢) ماكلستر : المرجع السابق — ص ٨٩ وكذا Grant,op.cit., p.67.

(٣) Hall, op.cit., p. 73(f).

(٤) معجم البلدان — ج ٤ — ص ٢٧٤.

حتى يمكن الاخذ به ، فالاخباريون العرب درجوا فى تفسيرهم للتسميات على منهجهم التقليدى فىتحديد الانساب وهو ارجاع آسماء البلاد واسماء الشعوب الى نوح عليه السلام ، فكانوا يقولون - مثلا - عن التركانهم آبناء " ترك بن يافث " ، وعن الفرس انهم ابناء " فارس بن لاوزد بن سام ابن نوح " والنبط ابناء " نبيط بن ماش بن ارم " ، وعن مصر انها نسبة الى مصرايم بن حام بن نوح " وهكذا . والواقع انهم قد تاثروا فى ذلك بالتقاليد العبرانية (الاسرائيليات) او اسفار العهد القديم والتي ترجع كل شعب الى حد معين .

ويستمر الحديث عن تعدد وجهات النظر بين العلماء الباحثين حول موطن الفلسطينيين الاصلى حتى اننا نجد بعضا منهم يحاول ان يجعل " كفتور " واقعة على دلتا نهر النيل [١]، فىحين يذهب البعض منهم الى ابعد من ذلك حيث اعتبر الفلسطينيين اصلهم من الشعوب السامية ، لان اسماء مدنهم تشير الى انهم ساميون ، كما أنهم كانوا يتحدثون لغة الكنعانيين ويمارسون عاداتهم بالاضافة الى ان معبوداتهم كانت يغلب عليها النزعة السامية فمن آلهتهم " داجون Dagon " اله الحبوب ، و "اتارجاتس Atargatis (عشتارت Ashtorett) العسقلانى و " بعل زبوب Baalzebub " العقرونى[٢]، ولكن نظرا لان الفلسطينيين كانوا لايختنون ، لذلك فهم يختلفون عن الساميين[٣]، غير اننا لانستطيع ان نعتمد الراى الاخير لان وجود اسماء سامية فيما بينهم وكذلك فى عباداتهم ، كما ان تاثرهم بعبادات وتقاليد الكنعانيين ،

---

(١) Hastings, ERE , Vol.9, P.841.

(٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق - ص ٣٤٨- ٣٥٠ وكذا :
Hastings, ERE, Vol.9, p.843, Hall, op.cit., p.418.

(٣) Hall, op.cit.,pp.399-400, Gardiner, op.cit., pp. 204-205.

كذلك لايعنى بالضرورة انهم من الشعوب السامية ، وربما جاء هذا التأثير كنتيجة لاحتكاكهم وتعاملهم مع الكنعانيين فترة من الزمن ، فالفلسطينيون من دون أدنى شك كانوا من الشعوب الهندو-اوربية (Indo-European)، ويدل على ذلك رسومهم التى وجدت على المعبد العظيم الذى بناه رعمسيس الثالث في سهلطيبة الغربى ، كما ان نماذج الخزف الذى ادخلوه الى فلسطين يدل ايضا على قدومهم من جزر اليونان ، وخصوصا جزيرة (كريت "(١) كما يعتقد بان جزر " قليقيا Cilicia و " كاريا Caria هى موطن الفلسطينيين الحقيقى ، وانهم كانوا قد احتلوا شرق كريت Crete بعد انهيار الحضارة المينيوية (Minoan) وسقوط عاصمتها " كنوسوس Kanossos " القوية (٢) .

ومن الملاحظ أن معرفة أصل الفلسطينيين يتوقف على تحديد موطنهم الاصلى ، والواقع ان جميع الاراء والنظريات التى قدمها العلماء لتحديد المنطقة التى جاء منها الفلسطينيون مازالت موضع بحث ونقاش ولايمكن التسليم بهاكحقائق ثابتة ونهائية ولاشك ان المزيد من الاكتشافات الاثرية قدتوصلنا الى القول الفصل في هذا الخصوص ، غير انه يتضح أن آراء العلماء ووجهات نظرهم حول الموطن الاصلى للفلسطينيين ، تكاد تتفق على أنهم كانوا قد جاءوا من " كفتور " (كريت) عند غزوهم لفلسطين ومصر ليبحثوا عن مناطق اقل اضطرابا مما كانت عليه مناطق آسيا الصغرى والجزر الواقعة فى بحر ايجه خلال الفترة مابين القرن الرابع عشر والثانىعشر قبل الميلاد

---

(١) فيليب حتى : المرجع السابق – ص ١١٧.

(٢) Hall, H.R., The Philistine Migration, CAH.II, 1931, pp. 287-288.

ولكن كريت (كفتور) لم تكن الموطن الاصلى لهم ، وانما كانت منطقته استقرار مؤقت فىاحدى مراحل هجراتهم من موطنهم الاول اما استقرارهم فى كريت والمنطقة التىجاءوا منها اصلا فهو موضوع لايزال موضع خلاف بين العلماءوالباحثين .

وهكذا تتعدد وجهات النظر بينالعلماء والباحثين حتى انه صبح من العسير تفضيل رای على الآخر ، ولكن النظرية التى ترجع أصل الفلسطينيين الى مناطق آسيا الصغرى هىالاقرب للاحتمال ، لانمعظم مايعرف باسم " شعوب البحر " (Peoples of the Sea)،والتى يكون الفلسطينيون أحد هذه الجماعات ثبت أنها تعود الى هذهالمنطقة والادلة العلمية فى صالح هذه النظرية اكثرمن غيرها [١] .

عندما قامت " شعوب البحر " بمحاولة غزو مصر فىالسنة الثامنة من عهد رعمسيس الثالث ،ربما حوالى ١١٧٦ ق. م،كان الفلسطينيون من ضمنهم . وتذكرالنقوش المصرية القديمة ان محاولة الغزو لمصر انطلقت من فلسطين عن طريق البحروالدلتا وكذلك عن طريق البر من الناحية الشمالية الشرقية لمصر . وقداستطاع رعمسيس الثالث الحاق الهزيمة بهم ومنعهم من النزول فى مصر[٢] . والواقع ان هدفهم لميكن الاستقرار في مصر وانما كان هدفهم الاستقرار الدائم فى فلسطين حيث اصطحبوا معهم النساء والاطفال وجميع أشياءهم وممتلكاتهم اثناء الغزو[٣] وعندما الحق رعمسيس الثالث الهزيمة بهم سمح لهم بالاستقرار بصفة دائمة علىالساحل الفلسطيني

---

(١) محمد بويمى مهران : المرجع السابق – ص ٥٩٣.

(٢) Pritchard, op. cit., pp.262-263, Hastings, ERE, Vol.9. p.841, EB,Vol. 17, p.941.

(٣) Hall, op.cit., p. 71.

من البحر المتوسط على أمل أن يصبحوا من الجنود المرتزقة والتابعين له [١]، ولكنه سرعان ما أصبح لهم نفوذ وتأثير قوى اخل بتوازن القوى فى المنطقة .

استقر الفلسطينيون على الشريط الساحلى الخصب والممتد فيما بين يافا وغزة وكانت عسقلان وغزة وعقرون واشدود وجت (عراق المنشية) من اهم مدنهم وكان الكنعانيون هم الذين بنوها ، وقد احتفظت هذه المدن باسمائها السامية حتى بعد سيطرتهم عليها ، غير ان الفلسطينيين اقاموا مدينتى اللد وصقلاغ (شمال شرق بئر السبع) وقد كانت المدن مستقلة كل واكدة منها عن الاخرى استقلالا تاما (دويلات مدن City States) ولكنه يضمها جميعا اتحاد واحد . أما السيادة فكانت لمدينة اشدود . وكان حاكم المدينة يلقب باسم " سيرين Seren "[٢] ومن المرجح انها كانت كلمة فلسطينية تعنى " سيد " ولعل اختيار الفلسطينيين لهذه المدن يعود لادراكهم اهمية مواقعها ، فعسقلان كانت تقع على البحر مباشرة بحيث تجعلهم يظلون قريبين من البحر فيمكنهم ذلك من السيطرة على طرقه ، في حين نجد ان بقية المدن تقع على الطريق الداخلى الذى يربط بين مصر وسورية والعراق [٣] .

وقد أخل وصول الفلسطينيين واستقرارهم على السهول الساحلية الجنوبية من ارض فلسطين (كنعان) في نهاية القرن الثانى عشر قبل الميلاد - (هناك حفائر كثيرة ترجع استقرار الفلسطينيين الى اقدم من هذا التاريخ) - بميزان القوة فى ارض كنعان (فلسطين) فقد اصطدم الفلسطينيون بالعبرانيين

---

(١) Grant, op.cit., p.68.

(٢) للمقارنة : رئيس - امير - حاكم فى العبرية ، وشارّو Šarrū ملك فى الاكادية ، وسَرِيّ (فى العربية) عظيم .
وفى سفر صموئيل الاول (٦:٥) كانت المدن الفلسطينية خمساً عليها خمسة حكام ".. حسب عدد اقطاب الفلسطينيين خمسة بواسير من ذهب وخمسة فئران من ذهب ..." .

(٣) فيليب حتى : المرجع السابق ص ١٩٧ ، مصطفى مراد الدباغ : المرجع السابق ص ٥٣٧ - ماكلستر : المرجع السابق ص ٨٩ وكذا :
Hastings, ERE, Vol.9, p. 842, EB, Vol.17, p.941, Grant , op.cit., p.68, Hall, op.cit., p. 416.

والحق بهم الفلسطينيون عدة هزائم ، وظل الفلسطينيون يسيطرون على مجريات الاحداث التاريخية فى فلسطين فترة من الزمن ،مايقرب من قرنين، واستمر الصراع بين الفلسطينيين والعبرانيين ، وكان الفلسطينيون هم القوة المسيطرة فى هذا الصراع حتى أوائل عهد الملك النبى داود عليه السلام (١٠٠٠-٩٦٠ ق٠م) ، حينما الحق بهم هزائم متتالية[١]، وظل الفلسطينيون يسيطرون على الساحل الفلسطينى كله حتى فى عهد سليمان عليه السلام ٠

وهكذا بعد ان الحق الملك داود الهزيمة بالفلسطينيين فى القرن التاسع قبل الميلاد لم يستطع الفلسطينيوين تكوين اى قوة سياسية أو عسكرية مؤثرة فى فلسطين وظلوا خاضعين لجميع القوى التى كانت تسيطر على سورية وفلسطين ومع مرور الزمن اخذ الفلسطينيون فى الزوال كشعب اجنبى قدم من آسيا الصغرى،فقد اختلطوا واندمجوا بالساميين وسكان فلسطين فهضمتهم البلاد ولم يترك الفلسطينيون الا القليل من الاثار كبعض الفخار والادوات الزراعية ومطارق وفؤوس وازاميل حديدية كدليل على حضارتهم المادية ، ويعتقد انهم اعطوا جيرانهم الفينقيين ميلا للاسفار البحرية البعيدة وكان من نتائج ذلك استكشاف البحر المتوسط والبحر الاحمر والمحيط الاطلسى الشرقى[٢]، وقد احتفظ التاريخ باسمهم على فلسطين ولايعود ذلك لكونهم غالبية السكان فيها أو لانهم بسطوا نفوذهم عليها جميعا ، ولكن ربما لانهم آخر من نزل بها ،ولكثرة ذكر اسمهم فى اسفار العهد القديم (التوراة)[٣] ٠

---

(١) مصطفى مراد الدباغ: المرجع السابق ص ٥٣٩-٥٤١ وكذا :
EB, Vol.17, pp.941-942 , Hastings , ERE, pp.841-842, Albright, op.cita,pp. 113-114, Hall, op.cit., pp.415, 428, Grant, op.cit., pp. 68-80.

(٢) فيليب حتى : المرجع السابق ص ٢٠٠٠

(٣) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ٥٩٤٠

الفصل الثاني

الفصل الثانـــــــــــــــــي

الهجرات السامية من شبه الجزيرة العربية

- مدلول كلمة الساميـــــــن -
- آصل الشعوب السامية وموطنهم الأول .
- شبه الجزيرة العربيةمهد الشعوب السامية .
- الامورريــون .
- الكنعانيون .
- الآراميون .

—.—

لاتوجد أرض مهما كانت تربتها خصبة ومهما اتسعت رقعتها تستطيع ان تتحمل اكثر من اعداد محدودة من البشر ، واذا حدث وزاد سكان منطقة ما عن القدر المحتمل فانه يجب على العدد الزائد هذا ان يختار بين حلين لابديل لهما ، اما الهلاك واما الهجرة والخروج الى مناطق اخرى • والتاريخ البشرى عرف الكثير من الهجرات البشرية الرئيسية التى خرجت من مناطقها الاصلية قاصدة مناطق معينة فاحتلتها بالقوة وطردت اهلها الاصليين او عاشت معهم واختلطتبهم ولعل من اهم الهجرات البشرية الرئيسية التى تاثرت بها منطقة الشرق الادنى فى العصور القديمة هى هجرات الشعوبة الارية وهجرات ماعرفوا باسم شعوب البحر ، وكذلك هجرات الشعوب السامية ومن أهمها الأكاديون الاموريون والكنعانيون والاراميون •

- مدلول كلمة الساميين :

تعود تسمية الشعوب السامية بهذا الاسم نسبة الى سام بن نوح ، وأساس هذه التسمية يرجع الى اسفار العهد القديم التى ذكرته على انه ألجد الاكبر لهذه الشعوب [1]،وقد دخل هذا التعبير الى اللغات عن طريق الترجمات اللاتينية المتداولة للتوراة ويعتبر العالم النمساوى " شلوتستر" Schloetzer اول من اطلق هذا التعبير فى عام ١٧٨١م، معتمدا على ماجاء فى أسفار العهد القديم ،على مجموعة اللغات المتشابهة التى تكلمت بها هذه الشعوب لتصبح بعد ذلك علما عليها منذ ذلك الحين وقد أخذ آيشهورن " Eichhorn هذه التسمية وسعى الى تعميمها بين العلماء على الشعوب المذكورة منذ القرن الثامن عشر للميلاد [2] .

---

(١) التكوين ١٠:١-٢١ وكذا : Smith , op.cit., Vol.2,p.531.

(٢) جواد على : المرجع السابق - ص ٢٢٢-٢٢٣ محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٥٠٠ ، موسكاتى : المرجع السابق ص ٢٣٩ - محمد السيد غلاب : (=)

وهكذا فان تسميتهم بالساميين تعود أساسا الى ماورد فى أسفار العهد القديم على انه كان لنوح عليه السلام ثلاثة من الاولاد هم: " سام" و " حام " و " يافث " وتنحدر منهم السلالات البشرية باقسامها وفروعها القبلية. ويعتبر الساميون من سلالة " سام " الابن الاكبر لنوح عليه السلام [(١)]. وقد ظلت النظرية التى تعتمد اساسا على ماورد فى اسفار العهد القديم عن اصل الساميين مقبولة عند الكثير من الباحثين حتى النسابين والمؤرخين العرب ، فقد اعتمد المؤرخون والنسابون فى كتاباتهم عن الانساب على رواية اسفار العهد القديم هذه فكرروا ماقالته فى هذه الرواية مع اضافة بعض التعديلات الفرعية [(٢)]. والواقع ان هذا الراى فى التسمية والذى يعتمد على اسفار العهد القديم اصبح مرفوضا فى الوقت الحاضر لدى الكثير من العلماء والباحثين لانه لايستند على اساس علمى ولاتؤيده الابحاث العلمية الحديثة، واصبحت تسميتهم بهذا الاسم (الساميون) مجرد اصطلاح ولكنه لايعنى أى تميز عنصرى (جنسى ، عرقى) لهذه الشعوب .

(=) الهجرات البشرية الكبرى — مجلة اللغة العربية والعلوم الاجتماعية — العدد السادس — الرياض — ١٩٧٦م — ص ٤٩٣ ، اسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية — بيروت ١٩٨٠م — ص ٢.

(١) التكوين ١٠/١-٣٢ محمد مبروك نافع : عصر ماقبل الاسلام — القاهرة ١٩٥٢ — ص ١٠ ، صالح احمد العلى : محاضرات فى تاريخ العرب — ج١ — بغداد ١٩٦٠م ص ٧ — حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٥ ، جرجي زيدان : المرجع السابق ص ٤٣. وكذا : EB, Micro.IX,p.50, Smith.op.cit,.Vol.1,p.531,Hastings,ERE,Vol.II,pp378ff

(٢) صالح احمد العلى : المرجع السابق ص ٧. تاريخ الطبرى ج١ ص ٢٠٧ وما بعدها ، تاريخ اليعقوبى ج١ ص ٢٢-٢٣ ، المسعودى : مروج الذهب ج١ — ص ٥١-٥٢ ، الطبقات الكبرى — ج ١ — ص ٤١ ، ٤٣ ، ابن حزم : المرجع السابق ص ٤٦٢ ومابعدها . ابن الاثير : المرجع السابق ج١ ص ٤٤-٤٧ ، امين مدنى : التاريخ العربى وجغرافيته — القاهرة ١٩٧٦م — ص ٤١.

ان الرواية التىاوردتها اسفار العهد القديمحول انساب الامم أدخلت الشك فى نفوس العلماء والباحثين حول صحتهاوذلك بسبب عدمذكرها للكنعانيين من ضمن ابناء " سام بن نوح " علما بان هناك روابط عنصرية ولغوية وثيقة تربط الكنعانيين بالعبرانيين فمتى كانابناءيعقوب من ابناء سام فعندها لابد وان يكون الكنعانيون منهم [١]، ويبدو ان بني اسرائيل هم الذين اقصوا الكنعانيين عمدا من انتسابهم الىابناء " سام بن نوح " وذلك لاسباب سياسية ودينية علىالرغم من معرفتهم تماما بالروابط العنصرية واللغوية الوثيقة التى تربطهم بالكنعانيين [٢]، فاسفار العهد القديم عدت الكنعانيين من آبناء "حام بن نوح " علىالرغم انهم كانوا يتكلمونباللهجة السامية ، فىحين اعتبرت العيلاميين و اللوديين من بنى سام بالرغم من انهم لايتكلمون السامية ولغتهم لمتكن سامية ، وربما عدتهم اسفار العهد القديم من الساميين لانهم كانواخاضعين لدولة آشور السامية [٣]، اولدخولهم فى الامبراطورية الاكمينية التىاسسها قورش الثانى - صديق اليهود.

وهكذا يتضح لنا آن المعلوماتالتى آوردتها آسفار العهد القديم فى سفر التكوين لايمكن الاعتماد عليها اطلاقا لانها غيرصحيحة ،وهى موضع شك وعدم ثقة لكون كاتبها كان متاثرا بعواطفه العدائية نحو شعوب بذاتها ، مما جعل بعض الباحثين يذهب الىاعتبار ماورد فى سفر التكوين مادة كدرة وبعيدة عن الحقيقة والصواب ، وان الاعتماد عليها منزلق خطير يجب تجنبه [٤].

---

(١) ولفنسون : المرجع السابق ص ٢.

(٢) جواد على : المرجع السابق - ص ٢٢٤ ، وكذا: Barton.op.cit.,p.1

(٣) ولفنسون : المرجع السابق - ص ٣ ، جواد على : المرجع السابق : ص ٢٢٣ - ٢٢٤ . وكذا : انظر ص ٤٦

Nicholson,op.cit.p.15,Hastings, op.cit.p.378.

(٤) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ٥٠٣-٥٠٤، وكذا :

Albright,W.F., The Bible and the Ancient Near East, London, 1961, p.300.

يفترض الكثير من العلماء والباحثين ان اطلاق لفظة الساميين على انها تعنى جنسا بشريا واحدا يعود نسبه الى "سام بن نوح " ليس صحيحا، وذلك لان هذه التسمية لاتستند على آسس وادلة علمية او عنصرية صحيحة ، فالسامية ليست تسمية تدل على جنس او عرق له صفاته ومقوماته الجسمانية التى تدل على ان الساميين ينحدرون من اصل عنصرى وجنس واحدوبنيت تلك القرابة ووضع ذلك التقسيم اعتمادا على اعتبارات سياسية وعاطفية ، وعلىماكان شائعا بين شعوب تلك الفترة التاريخية عن الانساب وتوزيع السلالات البشرية (١).

والسامية ليست جنسا بالمعنىالمفهوم عندعلماء الانثروبولوجيا (علم الاجناس والسلالات) اىانه جنسله صفاته الجسمانية وملامحه الخاصة التى تميزه عن غيره من الاجناس البشرية الاخرى ، بل ان هناك تباينا وتمايزا فى الملامح والعلامات الفارقة بين الساميين انفسهم ، لذا فان اطلاق الجنس عليهم بالمعنى العلمى الحديث والمفهوم من علم الاجناس (الاثنولوجيا Ethnology) والفروع العلمية الاخرى نوعمنالاسراف واللغو فهناك اختلاف فىالملامح والمظاهر الجسمية فى داخل الشعب الواحد من هذه الشعوب السامية ، وفىهذا التمايز والتباين دلالة على وجود اختلاط وامتزاج فىالدماء وقد وجد العلماء المتخصصون فىعلم الاجناس تباينا بين اليهود في الصفات والخصائص التى وضعها هذا العلم. كذلك وجدوا هذا التباين في الملامح الجسمية أيضا بالنسبة للعرب والآشوريينوالبابليين (٢) .

وهكذا فان مسالةوجود تطابق فى الملامح والخصائص الجسمية بين الشعوب السامية امر غير قائم لان التمايز والتباين واضح بين هذه الشعوب من جهة كما انه واضح فى داخل كل شعب منها من جهة اخرى . والواقع

---

(١) جواد على : المرجع السابق - ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٢) المرجع السابق ص ٢٥٥.

وكذا : Barton , op.cit.,pp.85-87.

آن نقاء الاجناس البشرية في حقيقته "خرافة " لان الاجناس اختلطت ببعضها منذ أن بدأت الحياة البشرية بشكل آكبر ممايمكن تصوره .

وقد تنبه علماء الاجناس منذ آواسط القرن الحالى ، الى آن نقاء الاجناس البشرية قد اصبح فيحقيقة الامر " خرافة علمية " ولعل اقرب مايمكن ان يقال فى موضوع الجنس أو العنصر الى الصواب هو انه قد وجدت اجناس نقية فعلا فى يوم من الايام ولكن هذه الاجناس بدات فى الاختلاط منذ بدء الحياة البشرية وبشكل اكثرمما نتصور[1] . لذا فان الحديث عن جنس او عنصرسامي يصلح اساسا للتسمية السامية هو امر اقل مايقال فيه هو انه مستبعد علميا[2]، وعليه فانه ينبغى الا نفهم من استعمال كلمة " السامية " اى شىء اكثر من اصطلاح يقصد به تيسير الامر على الباحثين دون ان نعتقد ان له دلالة عنصرية[3].

ان تحديد لفظة " السامية " يستند على اساس لغوى وتعتبر تسمية الشعوب السامية بهذا الاسم هو تسمية لغوية اكثرمن ان تكون تسمية جنسية فالساميون كانوا يتحدثون بلغات متشابهة ومتقاربة ، وعليه فاللغات التى كانوا يتكلمونها هى الاساس فى تحديد درجة القرابة بين الشعوب السامية وهذه اللغات (السامية) تتشابه فى اكثر من نقطة رئيسية ، فالالفاظ المتداولة بينها تمثل نسبة عالية من مفرداتها اللغوية ومخارج الحروف التى تميز هذه اللغات لاتوجد فى غيرها ، وصيغ الصرف التى تتفرع بها الكلمات من المادة الواحدة تجرى فى كل اللغات على خطة لاتختلف فى جوهرها وهذا يدل على ان وراء هذه اللغات التى تعرف بالسامية لغة واحدة اندثرت

---

(١) لطفى عبد الوهاب يحي : المرجع السابق - ص ٤٥.
(٢) نفس المرجع السابق - ص ٤٧.
(٣) حسن ظاظا : المرجع السابق - ص ٦ .

فى العصور السابقة مع مرور الزمن [١]، فهناك أوجه شبه ظاهرة وصلة جوهرية حقيقية بين هذه اللغات ، فجذر الافعال فى كل من هذه اللغات ثلاثى ، وان الزمن له صيغتين هما الماضى والمضارع ، وان تصاريف الافعال متشابهة ، كذلك أصول المفردات ومنها الضمائر والاسماء الدالة على القرابة الدموية والاعداد وبعض أسماء اعضاء الجسم وجملة من الالفاظ مثل : بيت ، ماء ، سماء ، أرض ، حمار ، جمل ، كلب ... وعدد غير قليل من حروف الجر ، نجدها جميعها متشابهة تشابها يكاد يكون تاما [٢] .

غير أن هناك رأيا يذهب الى القول بان الثابت من الملاحظة التاريخية هو ان اللغة لاتصلح اساسا لاى تحديد جنسى او عنصرى لسبب بسيط هو ان مئات الشعوب لها قابلية غريبة فى التقاط اللغات اذا كان ذلك يخدم اهدافا عمرانية او ذات مصلحة ، ودليل ذلك هو مناطق الحدود التى تفصل بين القوميات المختلفة حيث نجد الاختلاط وتشابك المصالح يودى فى أغلب الاحيان الى ازدواجية فى اللغة . كذلك هناك أمثلة واضحة على شعوب غيرت لغتها جزئيا او كليا فى مرحلة من مراحل حياتها ، ففى جنوب العراق كانت اللغة السومرية (غير سامية) هى المسيطرة ، ومع ذلك تحول السكان تدريجيا نحو اللغة الاكدية (سامية) لتصبح لغتهم فى كل جانب من جوانب حياتهم الفردية والجماعية [٣] ، ولكن مع ذلك يبقى التقارب اللغوى الكبير بينها ، وهو امر لايمكن ان نرفضه ، اذ هو بدوره يدل على تقارب كبير بين هذه فى صورة أو اخرى وهو تقارب يدل على ان هناك موطنا أصليا وجدت فيه مجموعة بشرية تتكلم لغة واحدة هى اللغة الام لكل اللغات السامية [٤] .

---

(١) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٨ .

(٢) فيليب حتى : تاريخ العرب - جا - ص ٩-١٠ ، ولفنسون : المرجع السابق ، ص ٨ ، موسكاتى : المرجع السابق - ص ٤٤-٤٨ ، جواد على : المرجع السابق ص ٢٢٢ .
وكذا Hastings, op.cit., p.378, EB, Vol.8, pp.592-595.

(٣) لطفى عبد الوهاب يحي : المرجع السابق ص ٤٧-٤٨ .

(٤) نفس المرجع السابق - ص ٤٩ .

ومن الواضح انه اذا نظرنا الى الانظمة الاجتماعية والعقائد الدينية عند الشعوب التى تتكلم باللغات السامية وعقدنا مقارنة بين خصائصهم الجسدية لظهر ان هناك تشابها واضحا ورائعا بين هذه الشعوب ، فليست القرابة اللغوية اذن سوى مظهر من مظاهر الوحدة الجنسية الراهنة . وعلى ذلك فانه يمكن أن نستنتج أن أسلاف الشعوب السامية المختلفة كانوا فى زمن ماقبل تباينهم يعيشون شعبا واحدا فى مكان واحد.(١)

ان اللغات السامية تؤلف فيمابينها أسرة متميزة متحددة ،وقد راى الكثير من العلماء ان فكرة " السامية " لاتصح الا فى الميدان اللغوى ولايمكن على نحو صحيح اطلاقها على شعوب وصور من الحضارة ،ولكن نادى اخرون بعكس ذلك مؤيدين دعواهم بالاشارة الى التشابه العائلى الملحوظ فى النظم الاجتماعية والدينية للشعوب التى تتكلم باللغات السامية ، واذا اردنا ان نحدد مدلول كلمة " الشعب " نجد ان علم الاجناس الحديث يعرفه بانه مجموعة من الافراد الذين قد يختلفون فى الجنس والموطن الاصلى ولكنهم ممتزجون بشكل متجانس بفضل وحدة اللغة والمسكن والتقاليد التاريخية والحضارية ، وهذا التعريف يصدق فى وضوح ويسر على كل فرد من الشعوب التي تتكلم السامية ، كما انه لايتعارض من الناحية الجغرافية على تجانس المجموعة فيما بينها ، وانه لم يعترض احد ابدا على الاعتراف بان هناك اسرة لغوية سامية موجودة . وبهذا يبدو ان الشعوب التى تتحدث السامية تؤلف كتلة واحدة لا باجتماعها فى منطقة جغرافية واحدة والتحدث بلهجات لغة واحدة فحسب ، بل باشراكها فى اصل حضارى تاريخى واحد ايضا . وعلى ذلك فانه من الجائز الا تقصر الصفة السامية على الميدان اللغوى وأن نتحدث أيضا عن الساميين وعن الشعوب والحضارة السامية (٢) .

---

(١) فيليب حتى : المرجع السابق ص ١٠ .
وكذا Hastings, op.cit., p.381.

(٢) موسكاتى : المرجع السابق - ص ٤٨-٤٩.

وعلى أىحال ، فعلىالرغم من أن العلم الحديث يعتبر تسمية السامية او الشعوب الساميةهى تسمية لغوية اكثرمن كونها تسمية جنسية ، فان تعبير " الشعوب السامية " مقبول علىاساس شيوعه ، ليدل على شعوب جمعت بين اهلها روابط التشابه فىالملامح العامة ، وروابط التشابه في تأثيرات البيئة والمناخ ، وروابط اللغات ، ثم روابط العقائد والتقاليد والتخيلات نتيجةلتشابه الاسس التى قامت عليها الظروف التى اوحت بها وينطبق ذلك باطرافه على شعوب الشرق الادنىالقديم بدوله العربية فى شبه الجزيرة العربية والشام والعراق ومصروالدول العربية الافريقية (١) .

ونستنتج من كل ذلك انه ليس هناك شىء اسمه الجنس السامى كما تعنيه هذه الكلمة فى علمالاجناس وانما السامية هى مجرد اصطلاح ، يقصد به التعبير عنالروابط والظواهر اللغوية والحضارية التى توجد بينالشعوب السامية ولكن مهما يكن من شىء فان هذا الاصطلاح (السامية) أصلح وأوفق ما اهتدى اليه العلماء لتسمية تلك المجموعة من الامم التى كانت تعيش فى بلاد اسيا الغربية والتى كونت وحدة دموية ولغوية مستقلة (٢) .

...

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص٥٠٤ .

(٢) ولفنسون : المرجع السابق — ص ٣ .

أصل الشعوب السامية وموطنهم الأول :

يجمع معظم العلماء والباحثين على أن الشعوب الناطقة بالسامية يرجع أصلها الى موطن واحد لهذه الشعوب فمنه انطلقت على شكل هجرات جماعية فى فترات تاريخية مختلفة الى مناطق متعددة من الشرق الادنى القديم، غير ان هناك اختلافا فيما بينهم حول تحديد مهد الساميين الاول وموطنهم الاصلى ولم يتوصل هؤلاء العلماء والباحثون حتى الان الى أي دليل مادى يدل بالتحديد على هذا الموطن أو حتى يؤكد موطنهم الاصلى ، لذلك نجد أن آراء العلماء والباحثين جاءت متعددة ومتباينة فى هذا الخصوص ، وان لكل منهم حججا وبراهين لاثبات نظريته ورأيه .

واذا استعرضنا آراء العلماء والباحثين وجدنا أن بعضهم (كريمر ، جويدى ، هوميل) راى ان ارض بابل (مابين النهرين) هى موطن الساميين الاول . وقد بنى هؤلاء نظريتهم على اساس لغوى ، فبعد مقارنة " كريمر " لمجموعات من المفردات والمسميات والالفاظ بين اللغات السامية المختلفة وجد انه قبل ان تتكون تلك اللغات وتنفصل الى لغات مختلفة فان كلمة " جمل " وردت فى جميع اللغات السامية بينما لايوجد اى ذكر لشجرة النخلة وثمرتها او " النعامة " فى جميع اللغات السامية ، وعليه فورود كلمة " جمل " فى هذه اللغات هو دليل على ان الساميين قد عرفوا الجمل عندما كانوا شعبا واحدا وكانوا يعيشون مع بعضهم فى موطن واحد هو موطنهم الاول ولكنهم لم يعرفوا " النخلة " و " النعامة " الا بعد تفرقهم فى المناطق المختلفة (١) . ولكن لما كان الموطن الاصلى لحيوان الجمل هو اسيا الوسطى وبالقرب من منابع نهرى سيحون وجيحون ، فان " كريمر " ذهب الى القول بان تلك المنطقة هى الموطن الاقدم للساميين ، وان اجدادهم قد غادروها تحت ضغط الشعوب الآرية فعبروا ايران ليستقروا فى اقليم بابل حيث كونوا هناك اقدم مركز من مراكز الحضارة السامية ، وصار هذا الاقليم - بابل -

(١) النخلة (تامار) ، والنعامه (يعنه) من الكلمات المشتركة في اللغات السامية .

الموطن الاول للساميين [1] .

كذلك نجد ان " جويدى Guidi " عندمابحث موضوع الموطن الاصلى للشعوب السامية فانه اتبع فى بحثه نفس اسلوب وطريقة " كريمر " فدرس المفردات والكلمات التى تعبر عن سطح الارض والتربة والفصول والطقس واسماء المعادن والحيوانات،لذلك كانت نتائجه تشبه ما انتهى اليه " كريمر " من ان اقليم بابل هو موطن الساميين الاول غير انه اختلف عنه حول الموطن الاقدم للساميين واعتبره فى المنطقة الواقعة جنوبى بحر قزوين ومنه هاجروا الى اقليم بابل [2] .

اما راى " هومل Hommel " فانه يختلف كثيرا عن هذا الاتجاه فقد اعتقد فى البداية ان المنطقة السفلى من بلاد مابين الرافدين (بابل) هو موطنهم الاصلى ثم عدل عن رايه هذا واعتبر المنطقة العليا من بلاد مابين الرافدين هو ذلك الموطن قبل ان ينفصل الساميون عن الحاميين [3] وهو بذلك يعتقد ان المصريين القدماء هم فرع من فروع الشجرة التى اثمرت الثمرة السامية ، وهم الذين نقلوا - حسب رايه - الحضارة من البابليين الى مصر [4] .

---

(١) جواد على : المرجع السابق ص ٢٢٩-٢٣٠ ، محمودكامل المحامى: اليمن - بيروت - ١٩٦٨ - ص ٥٥ . لطفى عبدالوهاب يحي : المرجع السابق، ص ٥٥-٥٦ كذا :
Hastings, op.cit., p.379,Barton,op.cit.,p.3.

(٢) محمود كامل المحامى : المرجع السابق ص ٥٥ ، جواد على : المرجع السابق ص ٢٣٠ وكذا :
Hastings,op.cit.,p.379,Barton,op.cit.,p.3.

(٣) محمودكامل المحامى : المرجع السابق - ص ٥٦ وكذا :
Hastings, op.cit., p.379,Barton, op.cit., p.3.
لم يقتصر هومل على هذا الرأي بل أشار أيضا الى إعتبار الجزيرة العربية هي الموطن الاصلى للشعوب السامية (انظر ص ٨٩ من هذا الفصل).

(٤) جواد على : المرجع السابق - ص ٢٣١ - وكذا :
Barton, op.cit., p.3.

وهكذا يلاحظ ان القائلين بهذه النظرية غير مستقرين فى نظريتهم فنراهم يبدلون ويغيرون فيها ، فمرة يفترضون وطنا اصليا لجد الساميين، ثم يفترضون مرة اخرى وطنا ثانيا يزعمون ان اجداد الساميين كانوا قد تحولوا من الموطن الاول اليه فأصبح الموطن الاقدم لهم [١] .

ولقد وجدت النظرية القائلة بان اقليم بابل هو الموطن الاصلي للساميين معارضة ونقدا من قبل العلماء والباحثين فقد اعتبر البعض منهم ان المنهج اللغوى فى البحث عن اصول الشعوب هى طريقة غير مامونة الجوانب وذلك لما يحدث غالبا من استعارة وانتقال المفردات والكلمات من لغة الى آخرى كما ان عدم وجود لفظ مشترك بين لغتين قد يكون راجعا الى احلال لفظ محل آخر تحت ظروف لانعرفها [٢] ، وقد عارض " نولدكه " Noldeke " نظرية هؤلاء العلماء القائمة على المقابلات والموازنات اللغوية معارضة شديدة وبين انه من العبث الاعتماد فى وضع نظرية مهمة كهذه على مجرد دراسة كلمات واجراء موازنات بين الالفاظ لم يثبت لنا ثبوتا قطعيا ان جميع الساميين اخذوها من اهل العراق ثم ذهب الى سرد مجموعة من كلمات ومفردات اختلف الساميون فى تسميتها ؛ فكل لغة سامية منها تسميها باسم مغاير للاسم الذى تطلقه عليه اللغة الأخرى مع انها اجدر المعانى بان يكون لها لفظ مشترك فى جميع اللغات السامية لانها كانت موجودة عند جميع الشعوب السامية عندما كانوا امة واحدة وحين تفرقوا امما شتى [٣] .

---

(١) جواد على : المرجع السابق ص ٢٢٩.
(٢) محمد السيد غلاب : المرجع السابق – ص ٤٩٧.
(٣) جواد على : المرجع السابق ص ٢٣١. ولفنسون : المرجع السابق – ص ٥ .
وكذا : EB , Vol.8, pp. 592-595.

ومن أوجه النقد والاعتراض التي وجهت الى هذه النظرية هو أن انتقال شعب منحالة الحضارة والحياة الزراعية الى حالة البداوة أمر ينافي مبدأ التطور الاجتماعي[1]، فمن غير الممكن أن تكون الهجرات السامية قد انتقلت من جنوب العراق (بابل)، وهيمنطقة على جانب كبير منالخصوبة، الى مناطق صحراوية مثل شبه الجزيرة العربية، أو شبه صحراوية مثل المنطقة السورية[2]، ومن ثم فانالانتقال من اماكن خصبة الى اماكن مجدبة امر غير مالوف بينما العكسهو مانجده في كل زمان ومكان .

ومن العلماء والباحثين من راى ان ارضأرمينيةوعلى حدود كردستان كانت المهد الاول للساميين وصاحب هذا الراى هو " جون بيترز " (John Peters) الذى استند في اجراء بحثه على قصة الطوفان التي وردت في اسفار العهد القديم فحسب ماجاء في قصة الطوفان بان السفينة كانت قد رست في مكان من المرتفعات التي ينبع منهانهري دجله والفرات في شمال العراق وبناء على ذلكفان مرتفعات كردستان الواقعة في ارض ارمينية هي المقصودة في هذهالقصة . ولما كانت القصة تذكر ان نوحا عليه السلام قد أخذ أسرته وفيهم ابناؤه سام وحام ويافث معه فيالفلك فعندها تكون الشعوب السامية والشعوب ألآرية والشعوبالحامية التي انحدرت منصلب هؤلاء الابناء قد بدات فيارمينيةكموطناول لها جميعا [3] .

---

(١) فيليب حتى : المرجع السابق — ص ١٠ .

(٢) لطفيعبدالوهاب يحي : المرجع السابق — ص٥٦—٥٧ ، صالح احمد العلى : المرجع السابق — ص ١٠ .

(٣) التكوين ١٣:٧ ، ٤:٨—٥ ، ٩:١٨—١٩ ، حسن ظاظا : المرجع السابق — ص ٩ ، لطفيعبدالوهاب يحي : المرجع السابق — ص ٥٤ .
وكذا : Barton , op.cit., p.8.

وهناك اعتراض على هذه النظرية التى تحدد ارض ارمينية لتكون مهد الساميين الاول لان الخلل فى هذا الراى يأتى من انه لو سلمنا بها جدلا دون مناقشة فانه يترتب على ذلك ان تكون مرتفعات كردستان هى المهد للانسانية جميعها وليس فقط للشعوب السامية ، فقد نزل من السفينة - حسب ماجاء فى قصة الطوفان - فى هذا المكان نوح واولاده الثلاثة جميعا سام وحام ويافث .

ولكن أنصار هذا الرأى يقولون ايضا عن حام انه لعن اى طرد ، وأن يافث انطلق ليكون شعبا كثير العدد فى بلاد بعيدة ، بينما بقى سام بجوار أبيه نوح حيث رست السفينة ، كما انه فى نفس المنطقة عاش أرفشكد ومن بعده عابر ، الاب الاسطورى للعبريين . ومن الواضح اننا فى هذه النظرية ننتقل من افتراض الى اسطورة الى مفاهيم ضمنية وكل ذلك لايمكن ان تقوم عليه نظرية علمية مقبولة ، لذلك فان هذا الافتراض اصبح الان مهجورا ولايقبل به أحد (١) .

كذلك يعترض هذا الراى القائل بان ارمينية هى المهد الاول للساميين صعوبتان ، اولهما هى ان قصة الطوفان لم ترد فقط فى اسفار العهد القديم كجزء من التراث العبرى ، وانما وردت كذلك فى تراث عدد كبير من الشعوب فى الفترة التى سبقت اسفار العهد القديم او الفترة التى تلتها وفى منطقة الشرق الاوسط وغيرها من المناطق فى ارجاء مختلفة من العالم اذ هى تشير ، احتمالا ، الى الامطار الغزيرة التى هطلت خلال عصر البلايستوسين (Pleistocene)(٢) اخر العصور الجيولوجية فى المناطق

---

(١) حسن ظاظا : المرجع السابق - ص ٩ ، محمد بيومى مهران : قصة الطوفان بين الاثار والكتب المقدسة ص ٤٨ ومابعدها .

(٢) العصر البلايستوسين (Pleistocene) هى مقياس لفترة جيولوجية بدات حوالى ٥٠٠ر٢٠٠٠ سنة مضت وانتهت حوالى ٠٠٠ر١٠ سنة مضت وخلال هذا العصر غطت طبقات الجليد مناطق شاسعة من خطوط العرض الوسطى من امريكا الشمالية وشمال غرب اوربا واسيا وهو عصر عادة مايذكر عند الحديث عن عصر الجليد الاعظم ويأتي بعده عصر الهولوسين Holocene.

المدارية في حقبة ماقبل التاريخ ، وقد احتفظت بها الشعوب في ذاكرتها عبر الرواية منجيل الى الذي بعده حتى عبروا عنها كتابةً كل حسب تصوره الخاص ومن هنا فانه يوجد اكثر من مكان مناسب لقصة الطوفان حسب تصور كل شعب، أما الصعوبة الثانية ،وهي امتداد للاولى ، ان قصة الطوفان كما وردت في اسفار العهد القديم تاخذ هيكلها العام واكثر تفاصيلها عن قصة الطوفان كما جاءت في اساطير منطقة وادي الرافدين . وقصة الطوفان في وادي الرافدين سواء في روايتها السومرية او البابلية او روايتها في ملحمة " جلجامش " تذكر اماكن في وادي الرافدين مثل مدينة اوروك (Uruk) (الوركاء) ومدينة شورباك (Shuruppak) (تل فارة) وكلاهما تنقعان في في جنوب وادي الرافدين كما تحدد مكانا كذلك في وادي الرافدين الجبل الذي رست فيه سفينة نوح وهو جبل نيسير (Nisir) الذي يحدده عادة الباحثون بجبل " بير عمر كوردون " الواقع في جنوبي نهر الزاب الصغير (احد روافد نهر دجله) بسلسلة جبال زاجروس الممتد بطول المنطقة الشرقية لوادي الرافدين من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي[1] .

وهناك فريق من العلماء رأى آن ارض امورو (Amurru) او الاموريين - اي بلاد الشام ومنطقة نهر الفرات - كانت هي المهد الاول للساميين ومنها انطلقت هجراتهم ، ويتزعم " كلي Clay, A. T." هذه النظرية[2] ، وقد توصل " كلي " الى نظريته هذه بعد دراسات لغوية فهو يؤكد ان الكثير من الاسماء القديمة والمميزة في بابل هي اسماء

---

(١) لطفي عبد الوهاب يحي : المرجع السابق ص ٥٤-٥٥ ، فاضل عبد الواحد علي : الطوفان في المراجع المسمارية - بغداد ١٩٧٥ ص ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٧٤ ،ومابعدها سفر التكوين ٦ : ٩ .

(٢) جواد علي : المرجع السابق ص ٢٣٨ وكذا: Hastings, op.cit., p.380.

Clay, A.T., Amurru, The Home of the Northern Semites, Philadelphia , 1909; The Empire of the Amorites, New Haven, 1919, Hastings, op.cit, p.380, Barton, op.cit., p.9.

سامية ، كما يؤكد أن العديد من الالهة البابلية الشهيرة مثل ادد (Adad) ، آنو (Anu) ، عشتارت (Ashtar)، وغير ذلك هي ذات اصل سامي(1) . وقد اعتبرت هذه النظرية نظرية واهية لانها لاتستند على ادلة قوية ، كما انها لاتقوم على دراسات حضارية واثرية تدعمها حفائر ، وانما تستند على مقارنة فكرية في الاساطير والماثورات الشعبية بين المناطق التي ازدهرت فيها (٢) ، واذا اسلمنا بهذه النظرية فانه يترتب عليه ان يكون الساميون قد انطلقوا من سورية الى غيرها من بلاد الشرق القديم كالعراق والاردن والجزيرة العربية وهذا يتطلب رحلات طويلة عبر الصحراوات وهو أمر لايمكن القيام به في مثل تلك العصور الموغلة في القدم الا باستخدام الابل كوسيلة للنقل ، وهذا يعني أن الابل يقتضي ان تكون معروفة ومهجنة ومستخدمة في النقل منذ الالف الرابع قبل الميلاد على الاقل ، وهو امر كل الادلة تقوم على خلافه لان استعمال الابل في هذه المنطقة لم يعرف الا في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد وربما بعد ذلك . وعليه فهي عقبة كئود في طريق قبول واقرار هذه النظرية (٣)

---

(1) Hastings ,op.cit. p.380,Barton,op.cit.,p.9.

(٢) حسن ظاظا : المرجع السابق - ص ١٢.

(٣) نفس المرجع السابق ص ١٣. أعتقد أن استخدام الجمل في الشرق القديم يعود الى الألف الثانية قبل الميلاد . فالجمل قد ظهر في الجزيرة العربية في اواخر النصف الثاني من الالف الثانية ق.م. ، في حين يرجح بعض الباحثين ان مطلع الالف الاولى ق.م. يمثل بداية سيادة هذا الحيوان في التنقلات فوق الارض العربية (انظر جواد علي : المرجع السابق ،ج ١ ، ص ١٩٧ - ١٩٩ ، رضا جواد هاشم : تجارة القوافل في التاريخ العربي معهد البحوث والدراسات العربية - بغداد - ١٩٨٤م - ص ١٠) .

ان هذه النظرية لم تقدم دليلا قويا يمكن الاعتماد عليه . كما انها لم تثبت أن الجزيرة العربية لم تكن هى المهد للساميين ولكنها حددت المناطق الشمالية للجزيرة العربية والتى كانت تعرف باسم آمورو (Ammurru) فى النقوش القديمة او بارض الاموريين ، بانها الموطن الاصلى للشعوب السامية علما بان الاموريين هم من الشعوب السامية القديمة التى سكنت فى فلسطين والشام واقليم بابل (١) .

وقد افترض بعض العلماء والباحثين بان افريقية كانت هى مهد الشعوب السامية ، فقد راى " بلغريف Pelgrave " التشابه العرقى القوى بين العرب والاحباش وبربر شمال افريقية وخصوصا فى شكل الفك وركبة الساق ، بالاضافة الى التشابه فى اللغة والنظم الاجتماعية ، كل ذلك يقود الى الظن بان الساميين الصميمين ربما وصلوا من افريقية وليس من آسيا (٢) ، كما ذهب " جيرلاند Gerland " الى نفس الرأى مستندا الى اوجه التشابه الجسمى , مثل تكوين الجماجم بين العرب والبربر فى شمال افريقية ، بالاضافة الى التشابه اللغوى ، على ان شمال افريقية هى موطن الساميين الاول , بل ذهب الى القول بان الساميين والحاميين هم فى الاصل شعب واحد ، وتفرع الى فروع عديدة منهم الحاميون باقسامهم ومنهم الساميون الذين اختاروا الشرق الادنى موطنا لهم (٣)، وقد أيد " برتن" (Bertin) هذا الرأى ودافع عنه ، كما ذهب الى القول بان الساميين

---

(١) Hastings, op.cit., p.380, Dictionary of the bible, p.27, EB., Vol. I, p. 146.

(٢) محمود كامل المحامى : المرجع السابق ص ٥٧ ،وجواد على: المرجع السابق ص ٢٣٤ ، محمد السيد غلاب / المرجع السابق ص ٤٩٨ ، وكذا : EB., Vol.I, p. 1043, Hastings , ERE.,Vol.11, p.380, Barton, op.cit., p.6.

(٣) محمود كامل المحامى : المرجع السابق ص ٥٨ ، جواد على : المرجع السابق ص ٢٢٥ ، محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٤٩٩ ، وكذا : Hastings, op.cit., p.380,Barton, op.cit., p.6, lconographic Encyclopaedia of Art and Sciences,Vol.1, Philadelphia 1885,(ortical: Ethrography").

الافريقيين هاجروا الى شبه الجزيرة العربية عن طريق برزخ السويس ، وانهم اكتسبوا صفاتهم الجسدية والثقافية فى بلاد العرب الشمالية (١) .

وقد احتضن " برنتون Brinton " هذه النظرية وحدد منطقة جبال الاطلس فى شمال غرب افريقية (المغرب) على انها الموطن الاصلي للهجرات السامية ، وقد استند على دراسة اللغات المقارنة وعلم الاثار وعلم الاجناس والتقاليد الشعبية والحفريات لدعم رايه هذا (٢)، وقد ايد موريس جسترو Morris Jastrow نظرية برنتون هذه ، كما قبلها " نولدكه " ايضا ، أما عالم الانثروبولوجيا " كين Keane " فقد راى ان اقليم موريتانيا فى المغرب هى الموطن الاصلى للشعوب السامية والحامية والسلالة القوقازية جميعها ، كما راى " كين " ان جنوب شبه الجزيرة العربية هى الموطن الاول للساميين بعد خروجهم من افريقية حيث عبروا الى بلاد العرب عن طريق باب المندب (٣) ، فى حين راى " ناثانيل شميث (N. Schmidt) ان الساميين ربما دخلوا بلاد العرب عن طريق

---

(١) محمود كامل المحامى : المرجع السابق ، محمد السيد غلاب : المرجع السابق، كذا : Bertin, in JAI, XI, 1882, p.431, Hastings, op.cit., p. 380, Barton, op.cit., p.6.

(٢) محمد السيد غلاب : المرجع السابق ، ص ٤٩٩-٥٠٠ ، جواد على : المرجع السابق ، محمود كامل المحامى :المرجع السابق . وكذا : Hastings, op.cit., p.380, Barton, op, cit., p.7, Brinton, D.G., Cradle of the Semites, Philadelphia, 1890, Races and Peoples, New York, 1890, p.132.

(٣) محمد السيد غلاب : المرجع السابق - ص ٥٠٠ ، محمود كامل المحامي: المرجع السابق - ص ٥٨ ، وكذا Keane, A.H., Man, Past and Present, Cambridge, 1900, p.490ff, Ethnology, Cambridge, 1909, p. 392, Hastings, op.cit., p.380.

أرض الحبشة والصومال ، وقد عاشوا في الجزيرة العربية مدة طويلة أكسبتهم خصائص ومميزات جديدة ، ولكنها لم تقض على خصائصهم الاولى التى تدل على موطنهم الاول ، ولا على الصلة بين اللغات الحامية والسامية التى تشير الى الاصل المشترك كذلك (١) .

وقد استعرض " ريبلى Ripley " كل الآراء السابقة ووجد أن الخصائص الجنسية للعرب تتفق مع نظرية " برنتون " و " جسترو " عن الاصل الافريقى للشعوب السامية (٢)، ويذهب "ريبلى " الى ان هناك أدلة مقنعة تثبت أن هناك ثلاثة اجناس بيض ، واحد هذه الاجناس البيض هو الجنس الابيض المتوسط والذى يتمثل بوضوح فى العرب البربر اهل شمال أفريقية ، وأن الجنس الذى يعيش فى شمال أفريقية هو - فى الواقع - جنس أبيض (٣) . كذلك نجد أن " بارتون Barton " يميل فى كتاباته العديدة الى اعتماد أفريقية بأنها مهد الشعوب السامية (٤) .

---

(١) محمود كامل المحامى : المرجع السابق - ص ٥٩ ، جواد على : المرجع السابق ، ص ٢٣٦ ، وكذا :
Barton, G.A., A Sketch of Semitic Origin Social and Religions, New York, 1901, pp. 1-5.

(٢) محمود كامل المحامى : المرجع السابق - ص ٥٩ ، محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٥٠٠ • وكذا :
Ripley, W.Z., Races of Europe, London , 1899, p, 376, Hsstings , op.cit., p. 380.

(٣) محمود كامل المحامى : المرجع السابق • وكذا :
Ripley, op.cit., pp. 121-130.

(٤) محمد السيد غلاب : المرجع السابق • وكذا :
Barton , op.cit., Ch.1 , Semitic and Hamitic Origins, Hastings, op.cit., p. 380.

واختلف العلماء والباحثون أصحاب نظرية الأصل الافريقى للساميين حول تحديد المكان الذى ظهر فيه الساميون أول مرة فى آفريقية ، فذهب البعض الى أنه فى شمال غرب أفريقية ، وبالتحديد حول منطقة جبال الاطلس فى حين آختار البعض الآخر افريقية الشرقية ولاسيما منطقة الحبشة والصومال ، ومن منطقة شرق افريقية عبر الساميون الىالجزيرة العربية عن طريق شبه جزيرة سيناء ومنه الى بلاد العرب الشمالية ثم الى بقية أنحاء الجزيرة العربية ، أو آنهم عبروا الىالجزيرة العربية عن طريق منطقة باب المندب ، وقد استقر الساميون فىالجزيرة العربية مدة طويلة آكسبتهم مميزات وخصائص جديدة ولكن ظلت خصائصهم القديمة التى تدل علىموطنهم الاول - وهو آفريقية - موجودة كدليل على أصلهم المشترك، ويستند هؤلاء العلماء والباحثون لدعم نظريتهم ورآيهم على وجود التشابه اللغوى بيناللغات السامية ومجموعة اللغات الحامية ، كذلك العلامة الانثروبولوجية أوالتشابه الجسمانى ، بالاضافة الى وجود التشابه فى الخط المسند الذى عرفت الكتابة به فى كل منطقة شرق افريقية وجنوب الجزيرة العربية ، كما استند هؤلاء العلماء لدعم رايهم على وجود التشابه فى اسماء بعض الاماكن فى هاتينالمنطقتين (اليمنوالحبشة) وكذا اسماء الاصنام فى أرض الحبشة هى نفسها فىاليمن ،كصنم" المقه " وهو اله السبئين المشهور واخيرا ادعاء ملوك الحبشة انهم ينتمون الى سلالة - بلقيس - ملكة سبأ وذلك حسب الأساطير اليهودية .

وتعترض هذه النظرية بعض الصعوبات والاحتمالاتالتى تضعفها وتقلل من شأنها والاعتراض الموجه الى هذه النظرية هو كيف اختفت جميع اللغات السامية ولمتعد الا فى المستعمرات الفينقية على الساحل ، لاسيما المستعمرة " البونية " بقرطاجة فى تونس ، ثم عادت الىالظهور مع الفتح العربى فى القرن السابع الميلادى ؟ وهو اعتراض مفحم ليستله اجابة علمية مقنعة (١).

---

(١) حسن ظاظا : المرجع السابق - ص ١٢.

كما أن لغة البربر فى القسم الغربى من الشواطئ الافريقية الشمالية لايمكن التاكيد على انها لغة محلية صافية ، بل انه من الممكن ان يكون العكس هو الصحيح ، حيث ان قسما كبيرا من قبائل الوندال الجرمانية عبر الى هذا الجزء من شمال غرب افريقية بعد القرن الرابع الميلادى واستقر هناك واندمجوا مع السكان الاصليين للبلاد وبالتالى فانه من الممكن أن تتأثر لغة السكان الأصليين نتيجة لذلك (١) .

وأما فيما يخص الرأى الذى يشير الى الحبشة كموطن أول للساميين فالحقيقة ان الصلة بين الحبشة وجنوبى غرب الجزيرة العربية امر طبيعي حيث يسهل العبور بين هاتين المنطقتين عن طريق باب المندب ، والحقائق التاريخية تؤكد أن هناك اتصالا حدث بين الجانبين خلال العصور التاريخية ، سواء فى النواحى التجارية أو نتيجة احتلال الحبشة لليمن خلال القرن السادس الميلادى ، وهذا يجعل الترجيح بتأثير حبشى على منطقة جنوب غرب الجزيرة العربية أمرًا قائما ولكنه لايشكل ، وفى كثير من الاحوال ، قاعدة يمكن الاستناد عليها ، اذ أنه من الممكن أن هذا التأثير جاء من جنوب غرب بلاد العرب وليس العكس ، وعلى ذلك فان الاحتمال قائم بان الخط المسند قد يكون تأثيرا سبئيا على الحبشة وليس العكس ، وأن التأثير اللغوى قد سار فى نفس الطريق ، والشئ ذاته يمكن ان يقال بالنسبة للتاثير الدينى الذى يرمز اليه بالصنم " المقه " – اله السبئيين – ، والذى لايوجد دليل قاطع يثبت أنه كان بالضرورة حبشيا ، بل ربما يكون العكس هو الصحيح ، ومن الامور الواردة كذلك ، ان لم تكن من المرجحة ، أن الديانتين اليهودية والمسيحية كان لهما تأثيراً قرّب ثقافة الحبشة من الثقافة السامية ، ومن ثم أفسح

---

(١) لطفى عبد الوهاب يحي : المرجع السابق – ص ٥١–٥٢.

الطريق أمام التأثير السامي في اللغة الحبشية [١]، وهذا أمر طبيعي في كل لغة وثقافة ، فكما هي تعطي فانها أيضا تأخذ.

وعند البحث عن اى الجهتين أقدم ثقافة ، شرق افريقية او جنوب غرب الجزيرة العربية ، فان بلاد العرب هي الاقدم ، ومنها انتقلت الثقافة الى شرق افريقية ، فـ " عدن " واليمن كانتا مؤهولتين بالسكان في العصور الحجرية القديمة ، وأن قسما من سكانها قد هاجروا الى عمان ومناطق الخليج العربي ، والى شبه جزيرة سيناء وفلسطين والاردن ، كذلك هاجر قسم اخر الى الصومال وتنجانيقا وكينيا [٢] ، وقد استمرت هذه الهجرات الى سواحل افريقية الشرقية في العصور التاريخية ايضا ، وربما يرجع ذلك الى العوامل المناخية والاقتصادية ، وكذلك المصالح التجارية ، فثروات افريقية كانت دافعا قويا الى الفتح والاستيطان الدائم ، والعرب الجنوبيون هاجروا الى افريقية ومع مرور الزمن اخذوا في الاستقرار هناك ، وسرعان مالعبوا دورا رئيسيا في ارساء قواعد حضارة وثقافة نابعة من صميم حضارتهم العربية الجنوبية ، وقد كانت هجرات العرب الجنوبيين نحو شرق افريقية على دفعات متعددة ، وفي فترات مختلفة ، ففي الالفي سنة الاخيرة قبل الميلاد هاجرت جماعات عربية جنوبية الى الحبشة وبلغت هذه الهجرات اقصاها فيما بين عامي ١٥٠٠ - ٣٠٠ ق ٠م ٠ [٣] ٠

---

(١) لطفي عبد الوهاب يحي : المرجع السابق - ص ٥٢-٥٤ ، جواد علي : المرجع السابق ص ٢٣٦-٢٣٧ ٠ وكذا :
Smith, op.cit., Vol. 1, p. 119,720.

(٢) محمد بيومي مهران : تاريخ العرب - ص ١٩٧ ، جواد علي : المرجع السابق - ص ٥٢١ ٠

(٣) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، موسكاتي : المرجع السابق ص ٢١٣٠

وقد كانت هناك جالية عربية تعيش فى المنطقة الواقعة بين نهرى الزمبيرى واللمبوبو منذ الالف الثانى قبل الميلاد ، وان معبد " زمبوبيه " الضخم كان قد بنى فى عام ١١٠٠ ق٠م٠، وقد كان السبئيون هم اصحاب السيادة فى ذلك الوقت [(١)] ، كذلك نزحت جالية سبئية الى منطقة " تعزية " فى ارتيريا وكذا الى هضبة الحبشة لتكون حكومة محلية هناك منذ القرن السادس قبل الميلاد٠ ولعل هجرة الاوسانيين الى السواحل الافريقية انما كانت فى نفس الفترة حيث اتخذوا من " غزانيا " مقرا لهم ، اضف الى ذلك كله تلك الهجرة السبئية التى حدثت فى القرن الخامس قبل الميلاد [(٢)] ٠

وهكذا فان التأثير الذى جاء من جنوب غرب الجزيرة العربية الى شرق افريقية هو الارجح وليس العكس ، فجنوب غرب بلاد العرب اقدم ثقافة ، فهو بذلك أسبق تأثيرا وقد حمل العرب الجنوبيون هجراتهم من جنوب الجزيرة العربية الى السواحل الافريقية الشرقية ثقافتهم وحضارتهم معهم الى تلك المناطق فظهر التأثير واضحا وجليا فيها ، وقد حدا هذا التأثير الظاهر ببعض الباحثين الى الاعتقاد بان هذا التأثير قد جاء من شرق افريقية الى جنوب الجزيرة العربية وليس العكس [(٣)] ٠

ان نظرية الاصل الافريقى للساميين لاتخلو من الضعف ، وقد دافع عنها علماء الاجناس ولكنهم استسلموا للدراسات الاثنولوجية التى لم تنضج، فى حين اهملوا الاعتبارات التاريخية ، ومن اوجه النقد لهذه النظرية انه كان هناك تشابه جسمانى بين سكان شرق افريقية وجنوب الجزيرة العربية

---

(١) جورج فضلو حورانى : العرب والملاحة فى المحيط الهندى - ترجمة وزاد عليه يعقوب بكر : القاهرة ١٩٥٨م ص ١٢٨ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ١٩٨٠

(٢) جواد على : المرجع السابق - ج ٣ - ص ٤٥٠ ٠

(٣) حول التأثير العربى فى شرق افريقية انظر بالتفصيل جواد على: المرجع السابق ص ٤٤٩ ومابعدها ٠

فى حين لانجد ثمة تشابها من الناحية الجسمانية بين سكان افريقية الشرقية وسكان سورية والعراق خصوصا من حيث الانف الاقنى السامى. كما ان التركيب الجسمى للاحباش ابعد مايكون عن العبرانى كجنس سامى . ثم ان كثيرا من علماء الاجناس البشرية يرون ان افريقية تاثرت بالدماء الاسيوية. اما تاثيرها فى دماء اهل الشرق الادنى وفى دماء سكان الجزيرة العربية فقد كان نادرا ، فى حين دخلت اليها دماء شعوب الشرق الادنى من البحر المتوسط وعبر طور سيناء ومضيق باب المندب . ويظهر اثر هذا الاختلاط بوضوح فى شرق وشمال افريقية ومازال هذا التاثير واضحا حتى اليوم . ولهذا فانه من الصعب تصور هجرة الساميين من افريقية الى الجزيرة العربية والعراق والشام على حسب نظرية هؤلاء العلماء(1) .

...

---

(1) جواد على : المرجع السابق ج ١ — ص ٢٣٧—٢٣٨.

وكذا :

Barton , op.cit., p.8, Burxton, L.H. D., The Peoples of Asia, London, 1925, p. 34.

شبه الجزيرة العربية مهد الشعوب السامية :

أكد معظم العلماء والباحثين أن الجزيرة العربية كانت الموطن الأصلي للشعوب السامية فهى خزان بشرى كبير يفيض بسكانه على شكل موجات متتالية من الهجرات البشرية الى المناطق الخصبة المتاخمة لها كمنطقة العراق وسورية وفلسطين ووادى النيل ، وكانت الجزيرة العربية منطقة طرد سكانى وصحراء ولود على مر عصور التاريخ ولم تتوقف على الاطلاق حتى الفتح الاسلامي فى القرن السابع الميلادى[1]. ويدعم أصحاب هذه النظرية بالعديد من الحجج والبينات والأدلة التى استندوا عليها لكي يثبتوا نظريتهم هذه فلقد رأى هولاء العلماء أولا: أن معظم سطح الجزيرة العربية عبارة عن مناطق صحراوية ، ولما كانت الشعوب السامية قد قضت في أطوار حياتها الاولي حياة بدوية فان الجزيرة العربية هي أصلح مكان لان تكون الموطن الأول للساميين أكثر من أى مكان آخر ، وهي بذلك تكون منطقة طرد لامنطقة جذب سكاني ، وليس من المعقول أن ينتقل سكان الجبال والمزارعون من حياة الحضارة والاستقرار الى حياة البداوة والترحال ، وهذا يتنافى مع مبدأ التطور الاجتماعي ، لأن العكس هو الأمر المألوف وهو ما نجده في كل زمان ومكان . يضاف الى ذلك أن تصحر شبه الجزيرة العربية قد وقع بعد خصب وعمران على آثر جفاف نهر فيشون (حضارة عاد) ونهر جيحون (حضارة ثمود الأولى) كما لاحظ الباحثون أن كلمة (نهر)مشتركة بين جميع اللغات السامية بينما تختلف الكلمة الدالة على (جبل) في كل لغة سامية عن الأخرى[2] .

ثانيا : ثبت أن معظم المدن والقرى التى نشأت فى العراق وسورية وفلسطين انما كونتها عناصر بدوية استقرت فى مواضعها واشتغلت بالزراعة واصلاح أراضيها وتعميرها كما اشتغلت بالتجارة فنشأت من ذلك تلك المدن والقرى، ولما كانت أكثر هذه العناصر البدوية قد جاءت من الجزيرة العربية

---

(١) محمد بيومي مهران : الساميون والآراء التى دارت حول موطنهم الاصلي ، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - العدد الرابع - الرياض ، ١٩٧٤م - ص ٢٦٣-٢٧١.

(٢) انظر ص ٩٥ من هذا الفصل.

فتكون الجزيرة قياسا على ذلك الموطن الذى غذى العراق وبادية الشام بالساميين وارسل عليهما موجات متتالية .

ثالثا : هناك ادلة لغوية ودينية وتاريخية وجغرافية تشير بكل وضوح الى ان الجزيرة العربية هى مهد السامية وموطن الساميين .

ورابعا : أن الجزيرة العربية قد أمدت العراق وبلاد الشام بالسكان، وان القبائل الضاربة فى الهلال الخصيب قد جاءت من الجزيرة العربية، فليس بالمستبعد اذن أن يكون الساميون قد هاجروا منها الى منطقة الهلال الخصيب (١).

هذا ويعتبر " سبرنغر " Sprenger (٢) أول من أيد ودافع عن هذه النظرية القائلة بان الجزيرة العربية الموطن الاول للساميين فى عام ١٨٦١م، وقد ايدت جمهرة من العلماء والباحثين هذه النظرية ونقرأ من هؤلاء " سايس Sayce (٣) و"دى غويه De Goeje (٤)" و"شرادر E.Schrader (٥)".

---

(١) جواد على : المرجع السابق - ص ٢٣٤ .

(٢) Sprenger, A. Das Leban and die Lehre des Mohammad Balin, 1861, p.241; Die Alter Geographie Arabiens, Be rlin, 1875, p.293.

(٣) Sayce, A.H., Assyrian Grammer , Oxford , 1872, p.13,

(٤) De Goeje, Het Vader land der semitiche Volken, Leyden, 1885.

(٥) Schrader, E., Die Alstammung der Chaldaer die Ursitz de Semiten , in ZDMG, No, 27 (1873) pp. 379-420.

و " جريمه H. Grimme "(1) و"بروكلمان Brockelaman "(2)
و " كينج L.W. King "(3) و "مايرز J.L.Meyers(4) و"كوك S.A.Cook "(5)
كما مال الى تاييدها وترجيحها " نلسن(6) D.Nielsen وفينكلر H.Winckler(7)
و "هوميل F.Hommel "(8) ، رايت G.E.Wright(9) و"سميث R.Smith(10)
ومونتوجمرى J.A.Montgomery(11) و"ماكدونالد D.B.Macdonald(12) وكونتو J.Conteneau(13) وكيتانى J.Caetani(14) وفليس Fleisch(15) وموسكاتى Moscati(16)
واخرون . ولقد اختلف اصحاب هذه النظرية من العلماء
والباحثين فى تعيين المكان الذى كان المهد الاول للساميين من

---

(1) - Grimme , H. Mohammad, Weltgrschichte, Berlin, 1904, pp.6-8.

(2) - Brockelman,C.,Grundriss der Vegleichenden Grammatik der semitichem sprache,Brelin,1908,I.,P.2,

(3) - King ,L.W.,History of Summer and Akkad,London,1915,p.119.

(4) - Meyers,J.L.,in CAH,I,1923, p.28.

(5) - Cooke, S.A., in CAH,I,1923,p.192.

(6) - Nilsen, D.,Hand buch der Altarbischen Altertumskunde, I., Leipzing,1927,47,55.

(7) - Winckler, H., The History of Babylonia and Assyria, New York, 1907,pp.18-22.

(8) - Hommel, F., Ethnologie und Geographic des Alten Orient, Myenchen, 1926,p.10.

(9) - Wright, G.E. Comparative Grammar of Semitic Languages, Cambridge, 1890,p.8.

(10) - Smith, R.,Kinship and Marraige in Early Arabia, London, 1907 , p. 178.

(11) - Montgomery, Arabia and the Bible, p,126.

(12) - Macdonald, D., B., The Hebrew Literary H Genius, Princetion, 1933.

(13) - Caetani,L., Studi di Storia Orientale,p.63.

(14) - Contenau,Manuel d'Archeologie Orientale;La Civilisation d'Assur et de Babylone,Paris,p.3.

(15) - Fleisch,H.,Introduction a'l'etude des langues semitiques,Paris,1974,pp.24-25.

(16) - Moscati,op.cit.,pp.32-33.
حول آراء هولاء العلماء وكتاباتهم بالتفصيل انظر: محمد بيومى مهران: اسرائيل - الجزء الثانى ص ٥٠٧-٥٠٨ ، احمد سوسه: المرجع السابق ص ٢٥٥-٢٦٤ ، جواد على : المرجع السابق - ص ٢٣١-٢٣٢.

الجزيرة العربية ، فقد راى شبرنغر ان وسط الجزيرة العربية لاسيما منطقة نجد هو المكان الذى يجب ان يكونموطن الساميينوسنه خرجت الهجرات السامية الى منطقة الهلال الخصيب وأضفت عليها طابعهم السامى ، ومن هناك انتشروا فيمناطق آخرى ، وقد دافع "شبرنغر " عن رأيه هذا على أساس أن هناك قانونا تاريخيا يقرر أنه من امستحيل أن يتحول المزارعون الى بدو رحل ورأى أنه آهون عليه أن يتصور أن سبع البحر(الفقمة)يعيش فوق جبال الألب والماعز فىاعماق البحار ، على آن يسلم بأن سكان الجبال يتحولون الى بدو وقد لاقى هذا الرأى تاييدا وترجيحا من العلماء والباحثين (١) .

غير أن هذا الراى واجه نقدا على أساس أن منطقة نجد تفتقر الى الكثير من اسباب الحياة التى تؤدى الىتكاثر السكان وزيادة عددهم بالشكل الذى يجعل منها خزانا بشريا يفيض بالسكان فيهاجرون منها على شكل موجات متتالية ، فالمنطقة صحراوية واسعة وقاحلة بها عدد ضئيل من الواحات المنتشرة فيها . كذلك فان قيام مثل تلك الهجرات من منطقة نجد الى أطراف الجزيرة العربية الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية يحتاج الى وسيلة نقل تستطيع ان تتحملحرارة الجو والجفاف وقلة الاكل والماء لايام طويلة وهى مثقلة بالاحمال وتقطع تلك المسافات الطويلة،ويعتبر الجمل افضل وسيلة لمثل هذه المهمة ، ولكن الجمل لم يعرف فى مناطق الشعوب السامية الا منذ القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، فى حينكانت وسيلة النقل المعروفة

---

(١) جواد على : المرجع السابق — ص ٢٣١ ، محمود كامل المحامى : المرجع السابق ص ٥٦ ، محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٤٩٧ ، احمد سوسه المرجع السابق ص ٢٥٦ .
وكذا :
Barton, op.cit., p.4., Hastings , op.cit., p.379, Smith, op.cit., The Extra Vol., p.74, Warrell, W.A., Study of Races in the Ancient Near East, Cambridge, 1927, p. 7, 45, 94.

قبلهذا التاريخ هىالحمار ، وهو لايصلح الا لنقل احمال محدودة ولمسافات محدودة .(١)

ومن العلماء القائلين بنظرية الجزيرة العربيةمن فضل جزيرة البحرين والسواحل المقابلة لها لتكونالمهد الاول للهجرات السامية ويستشهد هؤلاء العلماء لدعم رأيهم ببعض الدراسات التى قد تثبت ان الفينقيين ، وهم فرع من الكنعانيين ، احد الشعوب السامية ، قد هاجروا من هذه المنطقة (٢) ليستقروا علىالسواحل الشرقية للبحر المتوسط ، علما بان الدراسات تؤيد بالنص والاستنتاج ان هناك صلات بينمنطقة البحرين والفينقيين ، ولكن يظل هذا الرأى محتملا ولايرقىالى مرحلة التأكيد كما انه حتى فى حالة ثبوته فان هذا الرأى لن يدل الا على تلك الهجرة ، ولايعنى بالضرورة ان منطقة البحرين كانت وطنا اول لجميع الشعوب السامية (٣) .

وهناك أيضا فى احد النقوش المشهورة التى تعود الى الملك الاكدى سرجون الاول (حوالى الالف الثالث ق ٠م٠) وهوواحد من الملوك الساميين الاول فىالعراق ، كتب هذا الملك عن أصله مايفهم منه صراحة أنه وعشيرته كانوا قد نزحوا الىالعراق من شبه الجزيرة العربية (٤) . ولكن تظل هذه المسألة

---

(١) لطفىعبدالوهاب يحي : المرجع السابق ، ص ٦١-٦٢ ، جواد على : المرجع السابق - ص ٢٢٣ . وكذا :
Roux, G.Ancient Iraq, Baltimore, 1966, pp,137-138.

(٢) جواد على : المرجع السابق - ص ٢٣٢.

(٣) لطفىعبدالوهاب يحي : المرجع السابق - ص ٦٣-٦٥.

(٤) حسن ظاظا : المرجع السابق - ص ١٠ ، جرجى زيدان / المرجع السابق ص ٥٧ .
وكذا : King, L.W., Egypt and Western Asia in the Light of Recent Discoveries, London, 1907, p. 158, 223.

من المسائل الغامضة التى يجب تركها حتى تتسع معارفنا بما يكتشفونه من النقوش الاكدية والاشورية والبابلية وغيرها فى العراق وسورية وتحلل رموزها لاثبات هذا الرأى .

كذلك رأى " فيلبى Philby " ان الاجزاء الجنوبية من الجزيرة العربية ومن ضمنها اليمن هى الموطن الاصلى للشعوب السامية ، فهى مهد العرب ومهد الساميين ، ومن هناك هاجرت الشعوب السامية بعد ان اضطرت الى ترك اوطانها بسبب الجفاف الذى حل بها وذلك على شكل موجات بشرية متعاقبة ، وقد سلكوا الطرق البرية والبحرية حاملين معهم أشياءهم الثمينة وكذلك آلهتهم ، ومن أهمها الاله " القمر " وايضا حملوا معهم لغتهم ومدوناتهم الثقافية ومنها الخط المسند الذى اشتقت منه سائر الاقلام التي كتبت بها الشعوب السامية الاخرى والذى منه الخط الفينيقى ليستقروا في العراق وسورية وفلسطين وقد طبعت تلك المناطق الواسعة بعد ان استقروا فيها بالطابع السامى الذى ظل باقيا حتى اليوم (١) .

فاليمن فى رأى " فيلبى " وفى نظر بعض المستشرقين ايضا ، هو " مهد العرب " و " مصنع العرب " فمنه انطلقت الموجات البشرية الى سائر الانحاء، وقد أمد اليمن الجزيرة العربية بعدد كبير من القبائل قبل الاسلام بامد طويل وكذلك فى عصر الاسلام (٢) .

ان الدليل الذى يستند عليه القائلون بالاجزاء الجنوبية من الجزيرة العربية كموطن الساميين الاول هو ان اله " القمر " الذى كان معروفا عند اهل اليمن ظهر ايضا بين بعض الشعوب السامية الاخرى ، كما ان الخط المسند،

---

(١) جواد على : المرجع السابق - ص ٢٣٢-٢٣٣ . احمد سوسه : المرجع السابق ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، وكذا :
Philby, J,B., The Background of Islam Alexandria , 1949 , p. 9 ff.

(٢) جواد على : المرجع السابق ، وكذا :
Philby, op.cit., p.9, Montgomery, op.cit., p.126 .

الذى عرف فى الاجزاء الجنوبية من الجزيرة العربية هو الذى اشتقت منه سائر الخطوط التى دونت بها الشعوب السامية الأخرى[1] ويرى لطفى عبدالوهاب يحي أن هذا الرأى فيه عدد من نقاط الضعف بينها أن اليمن ظل لفترة طويلة منطقة تشتهر بخصوبتها واستقرارها بحيث وصل سكانها الى مستوى حضارى راق ومزدهر فى عصور ماقبل الاسلام ، وذلك فى مختلف نواحى الحياة واذا كان قد ظهر فيه بعض الاضطرابات والتراخى الحضارى فى فترة اخرى من عصوره التاريخية فان ذلك لايكفى لان يدفع بسكانه الى الهجرة على شكل موجات بشرية الى خارج البلاد ، كذلك فان انتقال عبادة الاله " القمر " من اليمن الى بعض الشعوب السامية الاخرى لايعنى بالضرورة الافتراض بان هناك هجرات سامية حملت معها هذه العبادة الى المناطق الاخرى ، فهناك الكثير من العبادات القديمة والعقائد انتقلت وانتشرت خارج مناطقها الاصلية دون ان يستدعى ذلك هجرات بشرية ترافقها ، فعبادة " آمون " المصرية وصلت الى اليونان وعبادة " ايزيس المصرية " انتشرت فى بلاد اليونان والرومان دون هجرات بشرية من مصر الى بلاد اليونان والرومان . اما اشتقاق الخط الفينيقى من الخط المسند فهو مسالة لم تثبت حتى الان وحتى وان ثبتت ذلك فان انتقاله من جنوب الجزيرة العربية الى الشمال ربما تم عبر المعاملات التجارية وليس بالضرورة القصوى عن طريق الهجرات البشرية [2] .

وتوسط بعض العلماء والباحثين بين الآراء المتباينة والمختلفة عن الموطن الاصلى للشعوب السامية فراى ان منطقة الهلال الخصيب[3]

(١) Montgomery, op.cit., p.126. Philby, op.cit., p.9.

(٢) لطفى عبدالوهاب يحي : المرجع السابق ص ٦٢-٦٣.

(٣) كان المستشرق الامريكى " جيمس بريستد " هو اول من اطلق هذا التعبير في عام ١٩١٦م على المنطقة الخصبة الممتدة من بابل (جنوب العراق) ، والمتجهة شمالا فتشمل نهرى دجلة والفرات حتى اشور (شمال العراق) ومنها نحو الغرب لتشمل سورية وحتى البحر المتوسط ثم تنزل جنوبا لتشمل جنوبى فلسطين وغالبا مايدخل وادى النيل من ضمن امتداده وقد اطلق هذا التعبير عليها لانها تشبه الهلال فى شكلها بحيث يكون قرنى الهلال هما نهرى دجله والفرات فى الشرق ونهر النيل فى الغرب فى حين تتوسطه بادية الشام (انظر جيمس بريستد : العصور القديمة - ترجمة داود قربان بيروت -١٩٨٣م - ص ١١١ وكذا:

EB, Micropedia, Vol. IV, p.110.

والاطراف الشمالية من الجزيرة العربية هى موطن الساميين وكان الساميون يعيشون فى هذه المنطقة منذ عصور ماقبل التاريخ ، ولكنهم قدّموا انفسهم على فترات مختلفة عن طريق نشاطهم وتحركاتهم العسكرية او نفوذهم السياسى المؤثر او تبنيهم اسلوبا مميزا فى الكتابة وذلك حينما ورد ذكرهم فى السجلات المدونة للدول المستقرة (١) . وهذا الراى منطقى من حيث انه لاتوجد اى صعوبات جغرافية تقف حائلا امام وموله هجرات سامية الى وادى الرافدين وسورية ، كافتراض هجرة الاموريين الى العراق والآراميين الى سورية وفلسطين ولكن اذا ثبت صحة هذا الافتراض فانه لايفسر الا هجرة اثنين من الشعوب السامية فى حين تبقى بقية الحالات المتعلقة بباقى الشعوب السامية دون تفسير مقنع (٢) . كذلك نجد ان الانتقال من المناطق الخصبة الى الاماكن المجدبة امر غير مالوف فى حين نجد ان العكس هو مايحدث فى كل زمان ومكان . كما ان مبدا التطور الاجتماعى يعنى انتقال اى شعب من حالة البداوة الى حالة الحضارة وليس العكس لذا فان هذا الراى يقعف امام هذا المبدأ .

لقد ابدى العلماء والباحثون آراء متعددة حول الموطن الاصلى للساميين ، فبالاضافة للاراء والنظريات التى سبق ذكرها هناك من راى ان اصل الساميين كان من جزر البحر المتوسط حيث كانوا يعيشون فى تلك الجزر منذ كان ينقسم الى بحيرات عديدة غار مابينها من اليابس وبقيت الجزر الحالية وكان سكان الجزر الاخذة فى الغور يغادرون اراضيهم المغمورة تباعا وينتقلون الى القارات (٣) ، فى حين نجد من راى ان اصلهم من اوربة حيث تركوها وهاجروا منها الى اسية الصغرى ومن هناك هاجروا الى بلاد الاموريين (٤)

---

(١) انظر : Roux, op. cit. ,pp. 138-139

(٢) لطفى عبد الوهاب يحي : المرجع السابق ص ٦٥-٦٦ .

(٣) وهيب نسيبه الخازن: المرجع السابق ص ١٠ .

(٤) جواد على : المرجع السابق - ص ٢٣٨ .

وذهب آخرون الى ان ارض " قفقاسية " (بلاد القوقاز Caucasus) هى الوطن الاول والأصلى للشعوب السامية ، ومنها انتقل الساميون الى أوطانهم الجديدة ، فهاجروا نحو الجنوب ليستقروا فى الهلال الخصيب ، ثم الى السواحل الجنوبية للجزيرة العربية (١). ولكن تظل هذه الاراء مجرد افتراضات قابلة للنقد والرفض فضلا عن انها لاستند الى أدلة علمية ثابتة ولم تقدم دليلا مقنعا وقويا .

تلك هى مجمل آراء ونظريات العلماء والباحثين حول الموطن الاول المفترض للشعوب التى اصطلح على تسميتها بالشعوب السامية ، ولعل تعدد وتباين اراء هؤلاء العلماء وكثرة مادار حول هذا الموضوع من نقاش وجدل ونقد واعتراض دليل كاف على ان البحث فيه لايزال قائما وبعيدا عن مرحلة الرأى النهائى والمؤكد ولكن يتبين لنا ان معظم الاراء تميل الى جانب اعتبار الجزيرة العربية هى الموطن الاول والاصلى للشعوب السامية لان الادلة التاريخية والجغرافية والجسمانية واللغوية فى صالح هذه النظرية . وكان الجفاف هو من اقوى الدوافع لخروج الساميين الأول من موطنهم الاصلى فى الجزيرة العربية، والجزيرة العربية لم تكن فى كل عصورها القديمة منطقة صحراوية جافة وقاحلة بل كانت تعرضت فى اواخر العصور الجيولوجية لامطار غزيرة فاصبحت الغابات والاعشاب والنباتات تغطيها كما تعيش فيها على امتداد مساحتها مجموعات بشرية ولكن عندما اخذ الجفاف يزحف عليها وحل محل تلك المناطق الخضراء العامرة بالبشر امتدادات صحراوية قاحلة بدات موارد الغذاء من النباتات والحيوانات تتضاءل تدريجيا فاضطر السكان الى أن ينزحوا منها كلما زحف الجفاف والاجداب على هذه الموارد وقد ادى ذلك الى هجرات بشرية

---

(١) جواد على : المرجع السابق - ص ٢٣٩.
وكذا : EB, Micro., Vol. 11, p,649.

على شكل موجات متعاقبة الى المناطق الخصبة او الاقل جفافا والواقعة على حدودها (١) ، وتدل الاثار المدروسة فى الجزيرة العربية على وجود اثار المياه والنباتات فيها فقد وجدت بحيرة جافة فى اطراف الربع الخالي كما وجدت الطبقات الرسوبية فى وادى الدواسر ووادى الرمة ووادى السرحان مما يدل على انها كانت مجارى للانهار خلال العصور القديمة . وكانت الفيلة والاسود والنعامة وغيرها من الحيوانات تعيش فى الجزيرة العربية حيث كان مناخها أشبه بمناخ الهند من حيث الدفء والرطوبة وكثرة المياه (٢) وعندما تغيرت العوامل المناخية بدا الجفاف يزحف على الجزيرة العربية فاضطر سكانها الى الهجرة حيث المناطق الخصبة والمياه الغزيرة ، واذا كان الساميون قد تفرقوا على اطراف الجزيرة العربية بسبب الجفاف فان معنى ذلك ان القفر سرعان ما فصل بينهم فتطورت لغاتهم وحضاراتهم متباعدة عن بعضها البعض وهى عكس الظاهرة فى تكوين الشعب المصرى ، ففى مصر يقع الخصب فى وادى نهر النيل متجمعا فى صعيد واحد تحيط به الصحارى من الجانبين ، فادى ذلك الى تاكد الوحدة السكانية للمصريين فى مقابل التفرق الذى حدث عند الساميين (٣) .

وانطلقت من الجزيرة العربية موجات متتالية من الهجرات البشرية والتى اصطلح على تسميتها بالشعوب السامية نحو المناطق المجاورة حيث الخصب ووفرة المياه وكان يفصل بين كل هجرة والتى بعدها فترة زمنية

---

(١) لطفى عبد الوهاب يحي : المرجع السابق - ص ٥٨-٥٩.

(٢) حول هذا الموضوع بتوسع : انظر : جواد على : المرجع السابق - ص ٢٤٠-٢٥٤ ، صالح احمد العلى : المرجع السابق ص ١١ ، احمد سوسة : المرجع السابق - ص ٢٦٤-٢٧١ ، محمد السيد غلاب : المرجع السابق - ص ٤٨٨-٤٩٢. وكذا : Huntington, E., The Puls of Asia, London, 1919, Huntrgton and Visher, S., Climate Changes, New Haven, 1922, Musil, Northern Nejd, pp.304-319.

(٣) حسن ظاظا : المرجع السابق - ص ١٦ ، وانظر ص ٨٧ من هذا الفصل .

تطول وتقصر ، وقد ذهب بعض العلماء الى آن الفترة بين الموجه والتى تليها تبلغ زهاء الف عام [١] ولعل من ابرز هذه الموجات هجرة الاكاديين الذين استوطنوا فى وادى الرافدين فى الالف الرابع قبل الميلاد ثم تلتها هجرة الاموريين والكنعانيين (بما فيهم الفينيقيين) ليستقروا فى سورية ووادى ، الرافدين خلال الالفين الثالث والثاني قبل الميلاد ،ثم جاءت بعدها هجرة الاراميين ليستقروا فى مناطق الهلال الخصيب ،والعبرانيين ليستقروا في فلسطين فى اخريات النصف الثانى من الالف الثانى قبل الميلاد ، وقد اعتبر الانباط والفينيقيون وبعض القبائل العربية الجاهلية والذين استقروا فى بلاد الشام بين القرن الخامس قبل الميلاد والقرن السادس الميلادى احدى الهجرات التى خرجت من الجزيرة العربية كما توج العرب وهم يحملون لواء الاسلام ودين التوحيد القويم والحرية والعدالة الاجتماعية فى القرن السابع الميلادى اخر هذه الهجرات السامية [٢] . هذا وسنتحدث عن كل من الاموريين والكنعانيين (بما فيهم الفينقيين)والآراميين بشئ من التفصيل .

...

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق : ص ٥١٠ ، محمد مبروك نافع : المرجع السابق ص ١١.

(٢) حول ترتيب وعدد الهجرات السامية انظر : عبدالوهاب يحي : المرجع السابق - ص ٦٠ ، صالح احمد العلى : المرجع السابق - ص١٢ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق - ص ٢٣-٣٥ ، محمد السيد غلاب : المرجع السابق - ص ٥٠٢-٥٠٣ ، فيليب حتى : المرجع السابق - ص ١١-١٢ ، محمد مبروك نافع : المرجع السابق ص ١١-١٢ ، محب الدين الخطيب : اتجاه الموجات البشرية فى جزيرة العرب - القاهرة - ١٣٤٤- ص ٧-٣٢ .
وكذا :

Roux, op.cit., p.173, Keane, op.cit., pp.388-497, Kroeber, A., Anthropology, New Haven,1933,pp,452-454.

- الاموريـــــون :

الاموريون او العموريون هم احدى الشعوب المعروفة بالسامية التى هاجرت من الجزيرة العربية خلال الالفين الثالثة والثانية قبل الميلاد وعاشت فى العراق والشام [١]، وكان من العناصر التى تالفت منها هجرة هذه الموجة الجديدة الكنعانيون ، وقد سكنوا فى غربى الشام وفلسطين بعد عام ٢٥٠٠ ق ٠م٠ وكذلك الساحليون الذين سماهم الاغريق الفينقيين [٢]، وقد ظهر تأثير الاموريين وسيطرتهم على مجريات الاحداث التاريخية فى العراق وسورية وفلسطين طوال الفترة الواقعة مابين عام ٢٠٠٠ ق٠م الى عام ١٦٠٠ ق ٠ م [٣] .

بيد اننا لانعرف الاسم الذى كان الاموريون يطلقونه على انفسهم ولكن جيرانهم السومريين اطلقوا عليهم اسم " مار-تو " MAR - TU " وتعنى الغرب ، كما اطلق عليهم ابناء عمومتهم الاكديون اسم " امورو " Ammurru " وتعنى الغرب وربما اطلق السومريون والاكاديون عليهم هذا الاسم (الاموريون) لانهم كانوا يقطنون فى البادية الواقعة الى الغرب منهم [٤] ، وهم فى ذلك مثل سكان شبه الجزيرة العربية

---

(١) Roux, op.cit., p.161.

(٢) فيليب حتى : المرجع السابق - ص ١١

(٣) فيليب حتى : تاريخ سورية - الجزء الاول - ص ٧٠ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٥١١ ، محمد عبد القادر محمد : الساميون فى العصور القديمة - القاهرة ١٩٦٨ ص ١٠٩ ، عبد العزيز صالح: الشرق الادنى القديم ٠ القاهرة - ١٩٨٤ - ص ٤٤٧ ، احمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم - القاهرة ١٩٨٤ - ص ٦٥ ٠

وكذا : EB Vol. 11, p. 974, Roux, op.cit., p.161
Moscati. S., The Face of the Ancient Orient, New York 1962, pp 61-62, Clay, Amurru, The Home of the NOrthern Semite, The Empire of the Amorite.

الذين اطلقوا اسم الشام على كل من كان على يسارهم من ناحية الشمال، واسم اليمن على كل من كان على يمينهم من الجنوب [١] ، لذا فانهم يعرفون عند بعض الباحثين باسم الساميين الغربيين تمييزا لهم عن الساميين الشرقيين ، أي الاكاديين [٢] ، في حين ذكر بعض الباحثين ان تسميتهم بالاموريين ربما تعود نسبة الى اسم احد الهتهم الكبرى الذي كان يسمي " امورو " والذى ورد ذكره فى نصوص بابلية [٣]، فكلمة " اموريين " اذا غير سامية وتعنى الغربيين ، والعاصمة الامورية " مارى " التى تقع جنوب مصب نهر الخابور هى من ناحية الاشتقاق اشبه باسم البلاد " امورو " و " مارتو " اى بلاد الغرب، و" آمور "كان أيضا اسم الههم القديم وهو اله الحرب والصيد، وقد وسع البابليون فيما بعد مدلول الاسم (امورو) فصار يشمل كل سورية ، كما اطلقوا على البحر المتوسط اسم " بحر امورو العظيم" [٤] وهناك احتمال ان اسم " امورو " كان فى الاصل اسما لقبيلة قوية او مجموعة من القبائل ثم عجم الاسم بعد ذلك وصار علما يطلق على البدو القاطنين في بادية الشام [٥] ، فى حين نجد ان هذا الاسم (الاموريون) فى اسفار العهد القديم يعنى بصفة عامة سكان المناطق الجبلية فى فلسطين [٦] .

---

(١) احمد فخرى : المرجع السابق .

(٢) مورتكات: المرجع السابق ص ١٢٤-١٢٧.

(٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق - ص ٤١٧-٤٤٧.

(٤) فيليب حتى : المرجع السابق .

(٥) محمد عبد القادر محمد : المرجع السابق ص ١١٠.

(٦) العدد ٢٩/١٣ ، التثنية ٧:١ ، ٢٠ ، يشوع ١٠:٦ ، عاموس ٩:٢ ، ١٠ . وكذا :

Unger, M.F., Archaeology and the Old Testament, Chicago, 1954, p.45, Barton, op.cit., p. 80.

هاجر الاموريون من الجزيرة العربية واخذوا يتجولون بقطعانهم كقبائل بدوية رحالة فى العراق وسورية وفلسطين وقد عرفهم السومريون منذ الالف الثالثة قبل الميلاد كبدو لهم حياتهم الغريبة والتى اعتبروها مثيرة للاشمئزاز ، كما عرفوهم كافراد وقد تحولوا من حياتهم القبلية وعاشوا واستقروا فى المدن ليعملوا فيها (١) وقد عبر احد الشعراء السومريين الذى عاش قبل عام ٢٠٠٠ ق م بقليل حين كان الاموريون يعيشون فى بلاد بابل عن هذا الانتقال من حياة الرعى والترحال الى حياة الاستقرار فى المدن بصورة شعرية وضح فيها كيف ان " المارتو " (الاموريون) لايعرف الحبوب ، ولايعرف البيت ولا المدينة ، اجلاف الجبال (المارتو) الذى يبحث عن الكماة (نوع من الفطر) ... ولايعرف الركوع (لكى يزرع الارض) ... المارتو الذى ياكل اللحم غير ناضج ، وليس له بيتا طوال حياته ولايدفن بعد الموت .... ثم ... مارتو اصبح يملك بيتا ...مارتو يملك حبوبا........(٢)

وظهرت اول اشارة عن الاموريين وارض امورو (Amurru) فى وثائق غزوات الملك الاكدى سرجون الاول (حوالى ٢٣٥٠ ق.م.) (٣) ، فبعد أن وطد سرجون الاول دعائم ملكه واحكم سيطرته على بلاد سومر (Sumer) واكد (Akkad) وجه حملاته العسكرية نحو المناطق المجاورة فعبر دجلة الى بلاد العيلاميين ، على طول الفرات نحو سورية حيث هاجم ارض امورو من

---

(١) Roux, op.cit., p. 161.

(٢) فيليب حتى : المرجع السابق – ص ٧١
Roux,op.cit.,Mpscate, op,cit., p.62, Chiers, E., Sumerian Religions Texts,Upland,1924,pp,20-24 وكذا

(٣) احمد فخرى : المرجع السابق – ص ٦٥ ، فيليب حتى : المرجع السابق – ص ٧٠.
Finegan,J,,Archaeological History of the Ancient Near East, Boulder, 1979, p.41,Lloyed, S., The Archaeology of Mesopotamia , London,1978,pp.137-138.

من الغرب [١] ، وكان سرجون اولقائد عظيم فىتاريخ الجنس السامي واول ملك (سامى الاصل) أنشأ امة عظيمة فى غرب اسيا تمتد حدودها من عيلام الى البحر المتوسطومن ثم شمالا الى امد بعيد على محاذاة الرافدين [٢] .

وقد كتب الملك سرجون الاول عن اصله فى احد النقوش المشهورة بما يدل على انه من الساميين الذين نزحوا من شرقالجزيرة العربية الىالعراق [٣]، وقد كان والده الحقيقى من اصل سامى واسمه " لا – ايبو" ولكن لانعرف عنه اكثر من ذلك [٤] .

ويعود اول ذكر للاموريين فى النصوص المصرية الى عهد " سيتي الاول " (١٣٠٩–١٢٩١ ق٠م٠) حيث يوجد علىالجدار الشمالى لمعبد الكرنك بالاقصر نقش يشير الىحملة هذا الملك لتخريب "قادش " وبلاد " امعور" (امور) [٥] ، ثم جاء ذكرهم فىنصوص من عهدرعمسيس الثانى (١٢٩٠–١٢٢٤ ق٠م) وكذلك عهد رعمسيس الثالث (١١٨٢–١١٥١ ق٠م) وكان اخر ذكر لهم فى مرسوم " كانوب "[٦] ٠ ويرجع الى عام ٢٣٧ ق ٠م علىأيام بطليموس الثالث (٢٤٦–٢٢١ق٠م) [٧] ٠

---

(١) Gardiner, A.H., Ancient Egyptian Onomastica, Vol.2, Oxford, 1947, p.189, .

(٢) برستد : المرجع السابق – ص ١٣٤٠

(٣) حسن ظاظا : المرجعالسابق – ص ١٠ ، جرجي زيدان : المرجع السابق ٠

(٤) مورتكات : المرجع السابق – ص ٨٦ ٠

(٥) محمد بيومى مهران : المرجع السابق – ص٥١٢٠ وكذا Gardiner, op.cit., pp. 189-190.

(٦) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ٠ وكذا: Chiers, op.cit., pp, 20-21.

(٧) انظر عن مرسوم كانوب (محمد بيومى مهران : مصر – الكتاب الاول – الا سكندرية ١٩٨٢ م – ص ١٠٩–١١٠٠

من الواضح ان الامورييين كانوا بدوا ساميين يعيشون فى شمال سورية ثم اخذوا ينتشرون بعد ذلك بالتدريج فى مناطقها الوسطى وسواحل البحر المتوسط حتى وصلوا الى فلسطين ، كما انهم اتجهوا نحو الشرق ودخلوا بلاد الرافدين ، مناطق الحضارات القديمة فاتصلوا بغيرهم من السومريين المتحضرين ، فأثر ذلك على تقدمهم وتحولهم من حياة البداوة الى الحضارة ، لذلك فاننا نجد ان النصوص الادبية السومرية كانت تصف الامورييين بالرعاة والبدو المتحولين والذين لايقطنون فى البيوت وياكلون اللحم الغير ناضج ، ولايعرفون الزراعة . ثم تشير هذه النصوص بعد ذلك الى استقرارهم وتحضرهم فاصبحوا يسكنون فى البيوت ويزرعون الحبوب (١) .

استقر الاموريون فى اواسط حوض نهر الفرات الذى كان السومريون قد سبقوهم اليه ، ومع مرور الزمن اصبح الاموريون يشكلون الغالبية العظمى من سكان تلك المنطقة ونجحوا فى بداية الالف الثانى قبل الميلاد فى تاسيس سلسلة من الدول فى فلسطين وسورية وبلاد الرافدين وما انحل القرن العشرون قبل الميلاد حتى اصبحت منطقة الفرات الاوسط امورية فى سكانها وحكومتها وحضارتها وانشاوا هناك دولا لم تكن تقل فى شىء عن مثيلاتها من دول المنطقة من ناحية التمدن والحضارة (٢) .

أسس الاموريون دولة لهم فى منطقة الفرات الاوسط وكانت عاصمتهم مدينة " مارى Mari " وكان العيلاميون الذين استقروا فى مدينة " لارسا Larsa " جنوب العراق ينافسونهم فى التحكم فى مصير

---

(١) Chiers, op.cit. ,pp. 20-21.

(٢) ابو المحاسن عصفور: المرجع السابق ، ص ٢٧٦-٢٧٧.

العراق القديم وتهديد كيان الامبراطورية السومرية ، ولكن الاموريين كانوا اعظم باسا واشد رغبة فى التوسع من العلاميين وكانت الغلبة في آخر الامر للاموريين لانهم كانوا يحصلون على المدد البشرى المتزايد من الصحراء كما هى الحال بالنسبة لجميع القبائل البدوية . ويبدو أن قوتهم العسكرية كانت عظيمة بشكل مكنهم من السيطرة السياسية على المنطقة الممتدة من مدينة مارى حتى لارسا فى الجنوب (١) .

وكانت مارى تقع فى منطقة الفرات الاوسط وتبعد حوالى ميل واحد من نهر الفرات وموقعها اليوم فى الاراضى السورية بالقرب من مدينة دير الزور ، وعلى بعد عشرة كيلومترات شمال بلدة ابوكمال ، وقد اتضح أن " تل الحريرى " فى جنوب مصب نهر الخابور ليس الا موقع هذه المدينة الهامة وعاصمة الاموريين ، وقد ادت الحفريات التى بدات فى عام ١٩٣٣ في تلك المنطقة الى اكتشاف اثار هامة جدا ، وكان اهمها العثور على مايقرب من عشرين الف لوحة فخارية مكتوبة بالخط المسمارى وجدت فى قصر الملك الاكدى " زمرى – ليم Zimrilim " اخر ملوك مارى وقد حفظت هذه اللوحات فى متحف اللوفر بباريس (٢) ، وتحتوى بعض هذه الالواح على خطابات ووثائق واناشيد دينية وقد كشفت دراساتها عن الكثير من الجوانب الحضارية فى منطقة سورية فى تلك الفترة الزمنية وذكرت فيها كثيرا من دويلات المدن التى اشتهرت فى ذلك العصر مثل مدينة " خلبو" (حلب) وكانت عاصمة لدولة " يمخذ" او " يمخاص" وكذلك مدينة " جبلة " (جبيل- بيبلوس) التى كانت مركزا صناعيا للثياب والمنسوجات ومدينة " قطنة " (تل المشرفة) شمال شرق حمص ، وايضا " حرانو " (حران) وكلها كانت

---

(١) مورتكات: المرجع السابق – ص ١٢٤–١٢٥.

(٢) محمد بيومى مهران : اسرائيل – ج ٢ – ص ٥١٢ .
وكذا : Unger, op.cit., p.46, Finegan, op.cit., p. 62.

دول أمورية حيث تظهر الوثائق انها كانت جميعها مراكز سلالات امورية أو تحت حكم أمراء أموريين (١)

استقرت الامور لهذا الشعب السامى فىمدينة مارى ، ثم بدأوا بعد ذلك فى توسيع رقعة نفوذهم وسيطرتهم، ولم يقتصروا على تأسيس دولة فى منطقة الفرات الاوسط واجتياح سورية وانما اجتاحوا بلاد مابين النهرين أيضا وحكموها (٢)، فمن مارى تقدموا جنوبا ووصلوا الى " أور Ur " و " ايسن Isin " و " لارسا Larsa " كما اخذت " بابل" (٣) تحظى بعنايتهمويولونها الكثير من اهتمامهم ثم اتخذوها مقرا لحكمهم وقد أسس الاموريون عدة سلالات حاكمة من " اشور Assur " في الشمال حتى " لارسا " فى الجنوب فىالفترة مابينعامى ٢١٠٠ - ١٨٠٠ ق٠م ٠ واهمها كانت سلالة " بابل " وهى اول سلالة ظهرت فى هذه المدينة وانتسب اليها حمورابى (٤) ٠

ارتقى حمورابى الملك السادس من الاسرة الاعورية عرش بابل وحكم مابين ١٧٢٨-١٦٨٦ ق٠م٠ وقد وجد فىالمدنالسورية فى الجنوب قوما عرفوا بالعيلاميين ، الذين كانوا قد دخلوها قادمينمن عيلام فى الجبال الشرقية بعد ان تضاءل شان المدن السومرية فى الجنوب ، وقد حارب العيلاميون الملك حمورابى وظلت الحرب بينهما سجالا مدة ثلاثين عاما ،

---

(١) احمد فخرى : المرجع السابق - ص ٧٣ ، فيليب حتى : المرجع السابق - ص ٧٣-٧٤ ، وكذا ٠ Finegan, op.cit., p. 63

(٢) فيليب حتى : المرجع السابق - ص ٧١ ٠

(٣) ابراهيم رزقانه واخرون : حضارة مصر والشرق القديم - القاهرة - ص ٢٩٦ ٠

(٤) فيليب حتى: المرجع السابق - ص ٧٢ ٠

انتصر في نهايتها حمورابي على العلاميين فطردهم من البلاد واستولى على المدن السومرية ، وقد جعل بابل قاعدة ملكه وسيده مدائن البلاد، ولم تنل بابل هذه المنزلة السامية من السؤدد والنفوذ ، ولم تسمي البلاد كلها باسمها الا بعد ان تولى حمورابي مقاليدها وظلت من ذلك الوقت فصاعدا مدينة ذات شأن عظيم (١) .

قضى حمورابي على دولة " زمري ليم " ملك ماري وفتح بلاد الاموريين على أثر انتفاضة قامت ضده هناك . وقد دخل بذلك العراق القديم في فترة جديدة من تاريخه تعرف باسم " دولة بابل الاولى " او العصر البابلي القديم وقد امتد حكم هذه الدولة مدة ثلاثة قرون او اكثر (٢)، وقد ألف الاموريون عصب هذه الدولة وكان الاموريون قد انتشروا بين المدن المتحضرة في العراق واستقروا فيها وتولوا حكم بعضها (٣) وقيل ان الدولة الامورية الاصل دام حكمها من حوالى ١٨٣٠ ق.م واستمر حتى عام ١٥٣٠ ق.م (٤) .

وقد لعب الاموريون الدور الاكبر في التاريخ الرئيسي للمنطقة الشمالية من سورية مع مطلع الالف الثانية قبل الميلاد وبعد منتصف الالف الثاني قبل الميلاد بقرن ، تحول مركز الثقل الى سورية الوسطى وكان الاموريون لايزالون يلعبون الدور الرئيسي وفي هذه الاثناء دخل قسم كبير من سورية تحت سيطرة المصريين واستطاع الحيثيون اخضاع الجزء الشمالي من سورية لسيطرتهم بعد ان كانت تسيطر عليه مملكة " يمخاذ (يمخذ - يمخاض) الامورية وعاصمتها " حلبو " (حلب) وبين هاتين

---

(١) برستد : المرجع السابق - ص ١٣٩.
(٢) موسكاتي : المرجع السابق - ص ٦٨.
(٣) عبد العزيز صالح: المرجع السابق - ص ٤٦٠ .
(٤) ابراهيم رزقانه واخرون: المرجع السابق - ص ٢٩٦

القوتين (المصرية والحيثية) انحصرت الدولة او الدول الامورية فى سورية الوسطى وكانت تشمل فى ذروتها - حسب ماورد فى رسائل تل العمارنة - قسما كبيرا من شمال لبنان وساحله وسورية المجوفة ولبنان الشرقى ومنطقة دمشق واخذ الحيثيون يسيطرون على شمال سورية ووسطها الى ان انتهى نشاط الاموريين منها واقتصر على جنوبها .ويسدل الستار بعد ذلك على الاموريين فى سورية الوسطى وينتقل مركز الحوادث الى الجنوب حيث كانت جماعات جديدة تسمى الخابيرو ويرافقها الاراميون ،وهم قبائل سامية قد بدأت تعزوا تلك المنطقة الجنوبية [1]

عندما دخل العبرانيون فلسطين وجدوا أن الاموريين كانوا يحتلون قسما منها على الأقل ، وتدل أسفار العهد القديم على أن الاموريين كانوا يسكنون فى المناطق الجبلية من فلسطين وفى شرق الأردن قبل قدوم بنى اسرائيل اليها [2]، وذلك لان الاموريين كانوا أهم قبيلة فى المناطق الجبلية بجنوب فلسطين منذ عصر ابراهيم عليه السلام (١٩٤٠-١٧٦٥ ق٠ م٠) [3] وكانوا يقطنون فى حصون تامارا - وتقع على مقربة من حبرون وهى تل الجدى - كما انشأوا مدنا فى " تل الحسى " الذى يبعد ١٦ ميلا عن شرق غزة ، وفى " تل النجيلة " الذى يبعد ١٨ كيلو مترا شمال شرق غزة ، كذلك بنوا مدينة " شعليم " وتقع شرق " اللد " وجددوا مدينتى " لخيش " و " جازر" [4] . ونتضح أن الاموريين كانوا يسيطرون على المواقع الاستراتيجية

---

(١) فيليب حتى : المرجع السابق - ص ٧٥-٨٠، أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق - ص ٢٧٨ .

(٢) العدد ٢٩:١٣ ، يشوع ٨:٢٤ ، ١٨ ، عاموس ١٠:٢ ،حزقيال ٣:١٦ ، ٤٥، فيليب حتى : المرجع السابق - ص ٨١، وكذا :
Smith, Dictionary., Vol.1, p.119,

(٣) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ٥١٣ ، وكذا :
Gardiner, op.cit., p.187.

(٤) التكوين ٧:١٤ ، التثنية ٢:٧ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ٥١٣-٥١٤.

ورؤوس التلال فى سورية الجنوبية وانهم أسسوا بعض المراكز التى تطورت فيما بعد فأصبحت تلك المدن الكنعانية الهائلة التى أوقفت قدوم العبرانيون بأسوارها وأبراجها المحصنة [١]، ولكن بعد مدة استطاع العبرانيون الحاق الهزيمة بمملكة سيحون (Sihon) ، ومملكة عوج (Og) ملك باشان (Bashan) الاموريتين والواقعتين فى منطقة شرق الأردن [٢] .

...

---

(١) فيليب حتى : المرجع السابق - ص ٨١ .

(٢) التثنية ٣:٣-١١ ، ٢ : ١ ومابعدها ، القضاة ١١: ١٩-٢٢ وتقع مملكة سيحون فى شرق الاردن من أرفون (وادى مؤاب) الى يبوق (وادى الزرقاء) ، ومن الاردن الى الصحراء . وتقع مملكة عوج من يبوق حتى جبل حرمون (جبل الشيخ) ، (انظر : محمد بيومي مهران : المرجع السابق - ص ٥١٤) .

وهناك احتمال أن سيحون هذه تسمية باقية من وادى نهر سيحون التي كانت ثمود الأولى مزدهرة فيه .

- الكنعانيـــــــون :

الكنعانيون هم أيضا أحد الشعوب السامية التى هاجرت مــــن الجزيرة العربية خلال الالفين الثالثة والثانية قبل الميلاد،وتوطـــن الكنعانيون على السواحل الشرقية للبحر المتوسط (فلسطين) وقد عرفـت فلسطين قبل هذا باسم " بلاد كنعان " نسبة لهم ، وقد عـد الفينيقيـــون فرعا من الكنعانيين ، هذا وقد سبق لنا الحديث عن الكنعانيين بالتفصيل فىالفصل السابق .

قدم الكنعانيون الى فلسطين مع الاموريين - او ربما بعدهم مباشـرة - ومن ثم فهم يمثلون الموجة السامية الثانية التى لعبت دورا رئيسيـا وهاما فىتاريخ فلسطين بعد الاموريين ، وينتمىالكنعانيون والاموريين الـي أصل واحد لذا فهما يتحدثان بلغتينمتشابهتين فى الكثير ، حتى ادى ذلـك التشابه الى أن يطلق على لغة الاموريين " الكنعانيةالشرقية " تمييــزا لها عن لغة الكنعانيين التى عرفت " بالكنعانية الغربيةوالفينيقيــة " وذلك على أساس ان هاتيناللغتين تنتميان الى اصل واحد[1] .

ويختلط فى كتب الاثار والتاريخ ذكر الكنعانيين والامورييـــــن فمصـــادر التوراة اليهوويـــة (Jahwist) تطلق على السكان السابقين للعبرانيين فى سكنى فلسطين اسم الاموريين فىحين يسميهم النـــــــص الالوهيمى (Elohist) الكنعانيين ، ومن الواضح ان هناك صلة قوية بين هذينالشعبين فلغاتهم لاتختلفان الا اختلاف اللهجة عن الاخـــرى وربما كانوا سابقين للاموريين فىالنزوح الى سوريا ، وهناك احتمال آخـــر وهو ان الاموريينماهو الا اسما اطلقه العهد القديم على سكان المناطـــق

---

(١) محمد بيومى مهران: المرجع السابق - ص ٥١٤ ، فيليب حتى : المرجـــع السابق - ص ٨٣ .

المرتفعة في فلسطين (هضبة يهوذا) بينما اطلق اسم الكنعانيين على سكان السهول على الرغم من ان كليهما شعب واحد . ويؤيد هذا الاحتمال ان الاصل العبري لكلمة كنعان (ك . ن . ع .) تعني الارض المنخفضة ، وعندها فان الكنعانيين اسم سكان المنخفض وقد ظل اسم كنعان وارض كنعان يطلق على ساحل فلسطين وسورية حتى بعد ان هاجر العبرانيون الى هذه المنطقة وقنعوا باحتلال هضبة يهوذا بفلسطين ، اما اراضي الاموريين فهي الجانب السوري المتاخم للصحراء حتى أعالي الفرات [١] .

وقد رأى علماء الساميات ان الكنعانيين أنشأوا مركزا لهم في سواحل لبنان واسسوا سلسلة من المدن الساحلية وجميعها ذات اسماء سامية مثل صيدا وصور وارود ، وقد كونوا هناك احد عناصر الشعب الذي اشتهر في التاريخ باسم الفينقيين ، وكان الاغريق هم الذين اطلقوا عليهم هذا الاسم في حين انهم هم (اى الفينيقيين) يطلقون على انفسهم اسم الكنعانيين وكانت لغتهم لاتختلف كثيرا عن العبرية والبابلية بل ان اللغة الفينيقية واللغة العبرية كلتاهما اشتقت من اللغة الكنعانية الاصلية [٢] . هذا ولم تقتصر الهجرة التي حملت الكنعانيين الى الساحل السوري على تعمير سورية فحسب ، بل وصلت الى العراق حيث ان الاسماء الكنعانية مثل حداد وريمون ومراجون واشباهها ظهرت في بابل منذ عام ٢١٠٠ ق.م. بشكل ملفت للنظر [٣] .

---

(١) محمد السيد غلاب : المرجع السابق - ص ٥٠٢ - ٥٠٣ ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق - ص ٥١٥ ،
وكذا Barton, op.cit., p.80.

(٢) محمد السيد غلاب : المرجع السابق - ص ٥٠٣ .

(٣) المرجع السابق - ص ٥٠٢ .

ومن خلال فترات تاريخهم الطويل لم يستطع الكنعانيون تأسيس دولة موحدة وقوية ، وانما نجد آن تنظيمهم السياسى اتخذ شكل مدن مستقلة ذات حكومة وسيادة امتدت من أوجاريت (راس شمرا) فى الشمال حتى غزة فى الجنوب وعلى طول سواحل البحر المتوسط وقد اثبت الكنعانيون طوال تاريخهم انهم شعب لايميل الى القوة العسكرية وانما يحب السلام، وركزوا جل اهتمامهم بالتجارة والفنون والدين ، واتبعوا فى حياتهم سياسة الاستسلام والخضوع عندما كانت دولة مصر والحيثيين تعزوهم او دول بلاد مابين النهرين او بلاد فارس فكانوا يدفعون الخراج والجزية ليشتروا به السلام والاستقرار على آمل آن تتوسع تجارتهم وتزيد الاسواق لتصريف تجارتهم فيعوض ذلك مايدفعوه من جزية [1] .

...

---

(١) فيليب حتى : خمسة الاف سنة من تاريخ الشرق الادنى - الجزء الاول - بيروت ١٩٨٢م ص ١٢٠-١٢١ .

- الآراميـــــون :

يمثل الاراميون الموجة السامية الثالثة التى خرجتمن الجزيـــــرة العربية الى منطقة الهلال الخصيب فى الالف الثانى - أونهاية الثالث قبل الميلاد، وقد استقر هؤلاء فى الممر الواقع بين جبال لبنان الصحراوية ونهـــــــر الفرات ، وآسسوا دولة كبرى فى هذا الجزء من العالم خلال القرن الرابــع عشر قبل الميلاد وقد امتد نفوذهم الى ارض الجزيرة والعراق الاعلـــــي كله (١) .

وقد اختلفت آراء العلماء والباحثين حول اسم الاراميين ، فمـــــن قبل آن يسمى الاراميون بهذا الاسم، فانهم كانوا قبائلمن البدو الرحـــل فى بادية شمال الجزيرة العربية وربما عرفوا باسماء قبلية مختلفـــــة ، وعندما استقروا على ضفاف وادى الفرات الاوسط خلال منتصف الالف الثانيـــة قبل الميلاد ، هناك نشآت وتطورت قوميتهم ولغتهم التى عرفت باللهجـــة او اللغة السامية الشمالية . ويعتقد بان " الارامية " قد اتت مـــن لهجة سامية غربية كانت مستعملة فى شمال غرب بلاد الرافدين خلال النصـــف الاولمن الالف الثانية قبل الميلاد . وعلى ايحال فان الاراميين لم يكتسبـوا اسمهم (الاراميين) حتىعصر الملك الآشورى " تجلات فلصر " الاول (١١١٥-١٠٧٧ق.م) حين اقاموا فى منطقة الفرات الاوسط حتى سورية غربا (٢) .

---

(١) محمد السيد غلاب : المرجع السابق - ص ٥٠٣-٥٠٤، محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ٥٢٤-٥٢٦.

(٢) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين - جا - ص ١٧٤.

وحول معنى " آرام " فقد ذهب بعض علماء اللغات الى أن أصل هذا الاسم مشتق من كلمة (ا ن ع ا م و ن) وتعنى " مخلوقات " او كما فسره احد العلماء بانه اسم او لقب اله، فى حين يذهب بعضهم الى القول بان اسم " ارام " انما هو اسم لشعب وليس اسم منطقة وأن " آرام" انما تعني سكان البلاد المرتفعة او العالية وان هذا التعبير - سكان البلاد المرتفعة - اطلق عليهم لاقامتهم فى اعلى الدجلة والفرات باعتبار انهم كانوا بالنسبة لسكان الوادى (دجلة والفرات) يعيشون فى اماكن مرتفعة [١]. ويرجح ان كلمة " ارام " تعنى الارض العالية ، ونجدها مضافة الى غيرها مثل " ارام حوبا " و " ارام معكة " و " ارام نهرايم " و "ارام بيت رحوب " و "ارام دمشق " و " فدان ارام " (مركزها حوران) وهى تسميات تردد ذكرها فى اسفار العهد القديم وتعنى جميعها الارض المرتفعة في هذه النواحى [٢] . ويطلق اسم "ارام " الذى ورد فى اسفار العهد القديم على سلالة عنصرية كما يطلق على الاقليم الذى تسكنه تلك السلالة [٣]. وقد ورد فى اسفار العهد القديم ان "ارام " كان واحدا من ابناء سام بن نوح ، وهو والد عوص وحول وجاثر وماش ، وعلية ، فقد تسموا بالاراميين نسبة الى "ارام بن سام بن نوح " [٤] .

وكان الاراميون مجموعة من العشائر والقبائل وقد عرفت فى رسائل تل العمارنة وفى الكتابات المسمارية باسم " اخلامو Akhlamu " وتعنى فى اللغة الامورية القديمة الرفاق او الاصدقاء أو الاحلاف ولعلها تسمية عرفهم بها الاراميون [٥]، وهذه التسمية - اخلامو - لم تكن تسمية

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ٥٢٦ - وكذا :
Krealing, E.G.H., Aram and Israel, New York, 1918, pp.20-22, Hall, op.cit., p.400.

(٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق - ص ٤٧٦ ، صموئيل الثانى ٨ : ٣-٥ ، ١٠ : ٦ ، التكوين ٢٤ : ١٠ ، ٢٩ ، ٤-٥ .

(٣) احمد سوسة : المرجع السابق - ص ١٦١ .

(٤) : ١٠ : ٢٢ ، احمد سوسه : المرجع السابق - ص ١٥٩ .
وكذا Hastings, Ency. of Religion., Vol.12, p.164.

(٥) نجيب ميخائيل: المرجع السابق - ص ٤٧٧ ، ابراهيم رزقانه : المرجع السابق - ٣٧٨ .

عرقية وقد اطلقها لاول مرة كما يبدو الاموريون المقيمون فى منطقة الفرات على اتحاد من القبائل[١]، ونظرا لشهرة هذه القبائل صار اسما كثيرا مايطلق على جميع الاراميين[٢] .

وقد ذكر الاراميون تكرارا مع " الاخلامو " بشكل لفت انتباه العلماء، فظن البعض أن الاراميين هم فرع من الاخلامو ، وان هذا الاصطلاح - اخلامو - يعنى " حلفاء " نظرا لان اصل الكلمة العربية " خلم " (بمعنى صديق) وجمعها اخلام وخلماء . ولكن فريقا آخر من العلماء راى ان كلمة " خلم" لاتعنى فى هذا الموضع حليف خاصة وان صيغة الجمع "اخلامو " ترجع الى عصر احدث ، ويفضل ان يفسر كلمة " اخلامو " على انه كان اسما يطلق على قبيلة بدوية ثم توسع فى استعمال هذا الاسم[٣] .

ويتجه بعض الباحثين الى ان الذين حملوا اسم "ارام "واطلقوه على السكان الاراميين فى سورية انما هم الحيثيون الذين كانوا على اتصال بارامى اعالى دجلة والفرات ثم سيطروا على سورية وقد نقلوا الاسم فى تلك الاثناء الى سورية من أعالى دجلة والفرات ولعل هذا هو السبب فى ان اسم الاراميين اطلق على الاخلامو الذين دخلوا سورية،بعد تدهور قوة الحيثيين[٤].

يمثل الاراميون الموجة الثالثة من موجات الهجرات السامية التي خرجت من الجزيرة العربية ، وكانوا فى بداية الامر يتجولون فى انحاء وادى الجزيرة من ناحية الشمال ويتحركون الى الشرق من ناحية العراق ،

---

(١) فيليب حتى : المرجع السابق - ص ١٧٤-١٧٥.
(٢) احمد سوسه : المرجع السابق - ص ١٦١.
(٣) محمد عبد القادر محمد : المرجع السابق - ص ٢٠١.
(٤) محمد بيومي مهران : المرجع السابق - ص ٥٢٥.

والى الغرب من ناحية سورية حتى بدأوا يستقرون فى العراق الاوسط وقد اثبتت الابحاث الحديثة ان الاراميين يرجعون الى ازمنة موغلة فى القدم اذا يذكر نقش يعود الى عهد الملك البابلى " نرام سن" (٢٢٩١-٢٢٥٥ ق.م) اقليما يدعى " ارام " يقع فى اعالى بلاد الرافدين، ثم على لوحة تجارية ترجع الى عام ٢٠٠٠ ق.م. والتى تذكر مدينة او دولة " ارام " بالقرب من اشنونا (تل الاحمر الحالية) فى وادى دجلة السفلى ثم يتكرر اسم "ارام " فى عام ١٧٠٠ ق.م فى نصوص " مارى " وكذا حوالى ١٤٠٠ ق.م. فى نصوص " أوجاريت "، ونستدل من نصوص بلاد النهرين على ان جماعات ارامية قد اجتاحت قسما كبيرا من هذه البلاد وشمال سورية ووسطها فى القرنين الرابع عشر و الثالث عشر قبل الميلاد وان هذه المناطق التى سادت فيها العناصر السامية بدات فى اتخاذ الصفة الارامية [١]. لكن ينبغى ان ننتبه الى ان هذه الوثائق لاتصرح بوجود سياسى او عسكرى للاراميين وانما نفهم منها انهم موجودون فى المنطقة لاغير [٢] .

وعلى اى حال استطاع الاراميون فيما بين القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد ان يضغطوا على الاموريين والحوريين والحيثيين وان يستولوا على افضل المواقع فى وادى العاصى والمنطقة التى تليها من الشمال والى امتصاص هؤلاء او طردهم، ولكنهم لم يستطيعوا ان يتقدموا غربا الى أبعد من ذلك لان جبل لبنان وقف عائقا فى طريق توسعهم نحو الغرب، فلم يتاثر بغزوهم الكنعانيون والفينيقيون على الساحل [٣] ، ثم بلغ

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ٥٢٥ ، محمد عبد القادر محمد : المرجع السابق - ص ٢٠٠ ، احمد فخرى : المرجع السابق - ص ١٠٢ ، موسكاتى : المرجع السابق - ص ١٧٦ ، حسن ظاظا : المرجع السابق - ص ١٠٣-١٠٤ .

(٢) حسن ظاظا : المرجع السابق - ص ١٠٣ (الهامش).

(٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق - ص ٤٧٧ ، فيليب حتى : المرجع السابق - ص ١٧٥-١٧٦ .

وكذا : Hall, op.cit., p.400.

الآراميون ذروة سلطانهم السياسى فى القرنين الحادى عشر والعاشر قبل الميلاد بسبب ضعف الامبراطوريات الكبرى فى مصر والعراق فى تلك الفترة فغزت قبائلهم الجزء الشمالى من ارض الرافدين واسست هناك سلسلة من الدويلات كما أسس الآراميون سلسلة من الدويلات أو الامارات فى شمال سورية ثم فى وسطها وجنوبها [1]، ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن قوة توسع الاراميين التى تبرز واضحة فى هذه الفترة لم تصحبها القدرة على تنظيم فتوحاتها بل لم تصحبها بصفة عامة القدرة على تنظيم دولهم نفسها ولم ينشئ الاراميون وحدة سياسية فعالة وكان العامل الاساسى فى ضعفهم هو انقسامهم الى ممالك محلية صغيرة مع كثرة الاجناس المتباينة التى اختلطوا بها [2].

غزت القبائل الارامية الجزء الشمالى من ارض الرافدين واسست هناك سلسلة من الدويلات الصغيرة اهمها دويلة " بيت اديني " و " بيت بخياني " كما اسست فى شمال سورية عددا من الولايات الصغيرة منها " جرجوم " و " سمآل " و " خاتينا " و " ياخان " و " يمخذ " كذلك اسسوا سبع دويلات فى شرق الاردن وسورية وهى دويلة " آرام النهرين " و "ارام دمشق" و "ارام صوبة " و " امارة معكه " و " امارة جشور " و " امارة ارام بيت رحوب " وأخيرا " امارة طوب " [3] • غير أن أهم الدول العديدة التى آسسها الاراميون كانت تلك التى مركزها كان صوبه ودمشق • وقد تأسست

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٥٣١ ، محمدعبدالقادر محمد : المرجع السابق ص ٢٠١ •

(٢) موسكاتى : المرجع السابق – ص ١٧٨•

(٣) انظر بالتفصيل : محمد بيومى مهران :المرجع السابق ص ٥٣٢–٥٤٢، ابراهيم رزقانه : المرجع السابق ص ٣٨٠–٣٨٢ محمد عبدالقادر محمد/ المرجع السابق ص ٢٠١–٢٠٤ ، موسكاتى : المرجع السابق ص ١٧٧–١٧٨ ، حسن ظاظا : المرجع السابق ص ١٠٥–١٠٩ ، احمد فخرى : المرجع السابق ص ١٠٣ •

وكذا : Hastings, op.cit., p.166, Smith, op.cit., Vol.1, pp,42-43, Roux op.cit., pp.247-249, Bowman, R.A., Arameans and the Bible, JNES, V. II, 1948, pp. 66-67.

دولة دمشق اواخر القرن الحادى عشر قبل الميلاد فكانت معاصرة تقريبا لتاسيس مملكة العبرانيين وقد تطورت فاصبحت مملكة كبرى تمتد الى الفرات من جهة والى اليرموك من جهة اخرى وكانت متاخمة لاراضى الاشوريين في الشمال والعبرانيين فى الجنوب وكانت سورية الداخلية شرق جبل لبنان وسورية الشمالية وباشان تحت سلطتها الاكيدة فى حوالى ١٠٠٠ ق م.[(١)].

وكانت مملكة " صوبة " (عاصمتها صوبة ايضا) وموقعها فى بلدة " كالسس " او " عنجر " الحديثة جنوبى زحلة بالبقاع ، قد وصل مدى اتساعها فى عهد ازدهارها الى حدود حماة فى الشمال الغربى وقد اصطدم ملوكها مع منافسيهم العبرانيين فى الجنوب فى عهد طالوت (شاؤل)مؤسس المملكة العبرانية[(٢)]، كما حارب ملوك " صوبة " الاراميون مملكة اسرائيل فى عهد سليمان وحارب ملك دمشق الذى كان تابعا لملك " صوبة " مملكة اسرائيل طيلة فترة حكم سليمان ، كذلك هاجم ملك دمشق " بنحدد الاول " (حوالى ٨٧٩ – ٨٤٣ ق م.) مملكة يهوذا وغنم من القصر الملكي والمعبد فى اورشليم كنوزا ثمينة وهاجم ايضا مملكة اسرائيل وجعل " جلعاد " فى شرق الاردن تحت السيطرة الآرامية، وقد اصبحت مملكة اسرائيل تابعة اسمية لارام منذ اواخر عهد ملك اسرائيل " عمرى " (حوالي ٨٧٥ ق م.)[(٣)].

---

(١) فيليب حتى : المرجع السابق – ص ١٧٧.

(٢) فيليب حتى : المرجع السابق – وكذا :
Kraeling, op.cit., p.40.

(٣) فيليب حتى : المرجع السابق – ص ١٧٨–١٧٩ ، احمد فخرى : المرجع السابق ص ١٠٣ ، قارن اخبار الايام الاولى ١٨:٨ اخبار الايام الثانية ٢:١٦ ومابعدها ، صموئيل الثانى ٨:٨ ، الملوك الاول ١١:٢٥ ، ١٥ : ١٨–٢٠ ، ١:٢٠ ومابعدها .

وعندما بدأت الدولة الاشورية فيتوسعها خلال القرن التاسع قبل الميلاد فانها اصطدمت بالاراميين واصبحت قوة تهدد جميع البلاد السورية واستطاع الملك الاشوري "تجلات فلصر " الثالث (٧٤٥-٧٢٧ ق ٠م٠) ان يهزم الاراميين بمساعدة مملكتي يهوذا واسرائيل ، فسقطت مملكة دمشق في عام ٧٣٢ ق ٠م٠ ، وبسقوط مملكة دمشق انتهت معها السيادة الارامية الىالابد ولمتقم للمملكة الارامية بعد ذلك قائمة وشيئا فشيئا اختفىالاراميون من مسرح السياسة فى غضون القرنالتاسع والسابع قبل الميلاد وقد اصبحت المنطقة كلها منذ ذلك الحين وحتى ظهور الاسكندر الاكبر تدور فى فلك الدول الكبرى المتصارعة (١) .

اختفىالاراميون من مسرح الاحداث كقوة سياسيةولكنهم استمروا قرونا عديدة بعد ذلك كمجتمع وثقافةويتمثل ذلك فى ديانتهم فقد ترك الاراميون للشرق ميراثا حضاريا قيما وهو اللغة الارامية (٢)، فهذه اللغة من ابسط اللغات السامية وأكثرهامرونةوملائمة للحياة الحضارية والعلمية ، وهي لم تتأثر بانهيار القوة السياسية والعسكرية للاراميين ، بل ان بعدهم عن موطنهم الاول وتشردهم فى انحاء الشرق القديمبعد هزائمهم كان سببا فىانتشار لغتهم معهم اينما ذهبوا،ونلاحظ انهمنذ اواخر القرن التاسع قبل الميلاد ان هناك غزوا لغويا اراميا ناجحا ، اذ تبدأ اللغة الارامية بالتدرج فى الانتشار فىالرقعة الشاسعة التى تمتد من الهند شرقا الى البحر المتوسط ومصر غربا ، فتصبح الارامية هى لغة الادارة والدبلوماسية

---

(١) احمد فخرى : المرجع السابق - ص ١٠٣-١٠٤٠

(٢) عن اللغات السامية وتقسيماتها انظر بالتفصيل : حسن ظاظا:الساميون ولغاتهم ، ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ، نسيب وهيبه الخازن : منالساميينالى العرب ٠ وكذا :

EB., Vol., 8, pp.592-595, Hastings, ERE., Vol. 11, p.381.

لدى الفرس الاخمينيين،تكتب بها الوثائق الرسمية والعقود والرسائل في كل انحاء الامبراطورية الفارسية كما عثر على مجموعة من اهم النصوص في برديات وجدت في جزيرة الفيلة (١) باسوان في مصر وفي فلسطين أخذت الآرامية تحل شيئا فشيئا محل العبرية حتى ماتت العبرية نهائيا ، حتى اننا نجدها في الكتاب المقدس نفسه وفي الماثورات الدينية والادعية والصلوات والشروح والتفاسير اليهودية ، كذلك احتفظت اللغة الارامية بعد فتوحات الاسكندر المقدوني بمكانتها الى جانب اليونانية ويكفي ان نشير الى انه عندما ظهرت المسيحية كان عامة الناس في بلاد الشام من اقصاها الى اقصاها لاتفهم الا اللغة الارامية (٢) .

ومن الخط الارامي اخذت خطوط كثيرة من الكتابات ،فاليهود استبدلوا حروفهم الفينيقية فيما بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد بحروف ارامية والخط العبراني المسمى بالخط المربع هو مشتق من الخط الارامي، وقد اتخذ العرب الشماليون الحروف الارامية حيث اخذوا خطهم من الخط النبطي ، أحد اشكال الخط الارامي،وهو الذي تطور عنه الخط العربي الحديث، وكذلك اخذ الارمن والفرس والهنود الخط البهلوي والخط السنسكريتي من اصول ارامية ، وقد نقل الكهنة البوذيون الخط السنسكريتي من الهند الى قلب الصين وكوريا . وهكذا يكون الخط الفينيقي وهو اصل الخط الارامي قد انتقل من ايدي الاراميين الى جميع نصف العالم الشرقي ،في حين ان اليونانيين

---

(١) وتقع مقابل مدينة اسوان الحالية عبر النهر وهي تعرف اليوم باسم جزيرة اسوان وكانت تعرف ايضا في العصور القديمة باسم جزيرة " اليفانتين" وهو يعني في اللغة المصرية القديمة " فيل" وربما سميت بذلك لان الافيال وجدت فيها قبل هجرتها النهائية صوب الجنوب . (انظر محمد بيومي مهران اسرائيل - ج ٢ - ص ١٠٨٤) .

(٢) حسن ظاظا : المرجع السابق - ص ١٠٩-١١٠ ،ثم قارن ابراهيم رزقانه : المرجع السابق - ص ٣٨٣-٣٨٦ ، محمد بيومي مهران: اسرائيل - ج٢ - ص ٥٤٢-٥٤٦ ، احمد سوسة : المرجع السابق ص ١٦٢-١٧١ ، ولفنسون : المرجع السابق ، نسيب وهيبه الخازن : المرجع السابق ص ٧٧-٨٢ ،موسكاتي: المرجع السابق - ص ١٨٠-١٨٢.

نشروا الخط نفسه الى نصف العالم الغربى (١) .

وقد سجل الانباط لهجتهم العربية بالابجدية الارامية ، وقد تطور هذا الخط الآرامى الذى نقله الأنباط الى كتابة خاصة عرفت بالكتابة النبطية او الخط النبطى ، وقد تطور هذا الخط النبطى وأصبح فى القرن الثالث للميلاد الخط المالوف فى لغة العرب الشماليين . ومن المعروف ان أقدم نسخ القرآن الكريم كانت قد كتبت بهذا الخط وأن الكتابة العربية الحديثة تطورت عن تلك الكتابة (٢) . وهكذا نجد ان لغتنا العربية اليوم لغة القران الكريم والسنة النبوية ، تكتب بخط من أصل آرامى .

...

---

(١) نجيب ميخائيل: المرجع السابق - ص ٤٧٩-٤٨٠ ، طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات - ج ٢ - بغداد - ١٩٥٦م - ص ٧٧ ٢ .

(٢) أحمد فخرى : المرجع السابق - ص ١٠٥- ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ٥٤٤ ، ابراهيم رزقانه : المرجع السابق - ص ٣٨٥، سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق - ص ١٣٧ ، جواد على : المرجع السابق - ج٣ - ص ١٤.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

ابراهيم عليه السلام

- اسم ونسب ابراهيم عليه السلام .
- موطن وعصر ابراهيم عليه السلام .
- هجرة ابراهيم عليه السلام الى كنعان .
- رحلة ابراهيم عليه السلام الى مصر .
- زوجات ابراهيم عليه السلام .
- رحلة ابراهيم الى الحجاز واسكان اسماعيل فى مكة .
- قصة الذبيح من ولد ابراهيم عليه السلام .
- ابراهيم واسماعيل وبناء الكعبة المشرفة .
- الدعوة الحنيفية .

ابراهيم الخليل ، عليه السلام ، هو أبو الأنبياء ، وأول من أعطى المسلمين اسمهم ، قال تعالى :

" وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل "(١) .

وهو الذي بنى كعبتهم ، فقال تعالى :

" واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . "(٢) .

وقد خص الله سبحانه وتعالى ابراهيم بخصائص ومزايا فريدة فجعل ملته التوحيد ، وجعله اماما للمتقين ، واختاره من بين الأنبياء والمرسلين بالخلة ،

---

(١) سورة الحج : آية ٧٨ . جاء في تفسير ابن كثير في تفسير قوله تعالى " هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا . قال ابن عباس : الله عز وجل وقال ابن اسلم " هو سماكم المسلمين من قبل " يعني ابراهيم وذلك لقوله تعالى " ربنا واجعلنا مسلمين لك وأمة مسلمة لك (البقرة ١٢٨) وفي صفوة التفاسير للصابوني وقال الحسن : الضمير يعود على ابراهيم (مختصر تفسير ابن كثير ٥٥٧/٢ ، صفوة التفاسير ٣٠٠/٢) . وقال الفخر الرازي في التفسير الكبير : فيها قولان : احدهما ان الكناية راجعة الى ابراهيم عليه السلام ، فان لكل نبي دعوة مستجابة وهو قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام "ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك " فاستجاب الله تعالى له فجعلها امة محمد صلى الله عليه وسلم . وروى انه عليه الصلاة والسلام اخبر بان الله تعالى سيبعث محمدا بمثل ملته ، وانه ستسمى امته بالمسلمين . والثاني : ان الكناية راجعة الى الله تعالى في قوله تعالى (هو اجتباكم) (تفسير الفخر الرازي ٧٤/٢٣) . وفي تفسير الطبري (٢٠٨/١٧ ط. بيروت ١٩٨٤) عن الضحاك يقول : الله سماكم المسلمين ، وقال آخرون بل معناه ابراهيم هو سماكم المسلمين . قال ابن زيد : هو سماكم المسلمين . قال: الا ترى قول ابراهيم :" واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك " قال: هذا قول ابراهيم " هو سماكم المسلمين ولم يذكر الله بالاسلام والايمان غير هذه الامة ، ذكرت بالاسلام والايمان جميعا ولم نسمع بامة ذكرت الا بالايمان .

(٢) سورة البقرة : آية ١٢٧.

ومنه تتفرع شجرة النبوة ، فمن ذريته جعل الله النبوة والكتاب تتعاقب أجيالا بعد أجيال ، فكل الانبياء من بعده من اولاده واحفاده فهو الجد الاعلي للرسول صلى الله عليه وسلم ، لان محمد ابن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم ، من نسل اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، وكان محمد آخر الأنبياء جميعا حيث جاء تحقيقا واستجابة لدعوته ، عليه السلام ، التى دعا الله فيها بأن يبعث من الاميين رسولا منهم ، فأرسل الله سبحانه وتعالى نبيه وحبيبه محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون بشيرا ونذيرا ورحمة للعالمين ، فاللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، وسلام على ابراهيم .

لقد ورد ذكر الخليل ابراهيم فى القرآن الكريم تسع وستين مرة باسم " ابراهيم " فى حين تذكر نصوص أسفار العهد القديم أنه ، عليه السلام ، كان يدعى " ابرام " حتى بلغ التاسعة والتسعين من عمره ومن ثم تغير اسمه ليصبح " ابراهام " (١) . وتعنى كلمة ابراهيم " أب لجمهور من الامم " بينما ابرام تعنى "الاب الرفيع " أو " الاب المكرم "(٢) ، وذكر أن اسم " ابرام " يتألف من " أب " و " رام " وتعنى " رام " هنا " أحب " فاسم " ابرام " يعنى بذلك " محبوب الله " وهو وصف يوافق تلقيبه عليه السلام " خليل الله "(٣) ، والاسمان (أبرام وابراهام) اطلقا بمعنيين على شخص واحد هو ابراهيم ، فقد أطلق الاموريون ، اهل بابل ، عليه اسم " ابرام " بينما أطلق الكنعانيون - سكان كنعان - عليه اسم " ابراهام " ، ويوجد فى بابل وكنعان أسماء مشابهة تماما لمثل هذه التسمية مثل " ابارام " و "اباراما " و " ابراهام " (٤) .

---

(١) سفر التكوين : الاصحاح ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧.

(٢) التكوين ٤/١٧ ، حبيب سعيد : خليل الله فى اليهودية والمسيحية والاسلام - القاهرة ص ٢٧ ، محمد بدر : الكنز فى قواعد اللغة العبرية - القاهرة ١٩٢٦ ص ٣٩ ، محمد حسنى عبد الحميد : أبو الانبياء ابراهيم الخليل ١٩٧ ام ص ١٢ . وكذا : E.B., Vol., I, p.11.

(٣) عباس محمود العقاد : ابراهيم أبو الأنبياء - بيروت ١٩٨١ - ص ١٣٣.

(٤) محمد حسنى عبد الحميد : المرجع السابق - ص ١٣.

وابراهيم اسم من الأسماء التى تدل على نشأة دينية ، لأن كلمة الخليل تفيد معنى " حبيب الله " وقد كان قدماء السريان يطلقون اسم راس الاسرة مجازا على الاله المعبود فيسمونه الاب تارة والعم تارة أخرى ، ومن هنا نجد أن اسم " عمرام " و " ابرام " كلاهما ركب من "العم " و " الاب ". ومن كلمة " رام " التى تعنى المحبة ، وكان التغير الذى طرأ على اسم " ابرام " استحدث لكى يفيد معنى " حبيب الله " بدلا من " حبيب الاله " الذى كان آبوه يعبده فى معابد الوثنية [1] .

ويعود نسب ابراهيم عليه السلام ، الى سام بن نوح ، فنصوص أسفار العهد تذكر انه " ابرام بن تارح بن ناحوربن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام بن نوح "[2]. وهذا النسب هو الذى ذكره بعض المفسرين والمؤرخين ، ربما نقلا عما ورد فى اسفار العهد القديم ، ومن أن اسم ابيه " تارح " او " تارخ "[3] فى حين نجد ان القرآن الكريم يختلف عما ورد فى اسفار العهد القديم حول اسم والد ابراهيم ، فقد ورد فى القرآن الكريم بان اباه كان يسمى " آزر " حيث يقول الله تعالى :

" واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين "[4] .

---

(١) عباس محمود العقاد : المرجع السابق - ص ١٨٩.

(٢) التكوين ١١ : ١-٢٦ ، وكذا: The Talmud , ch. 11, p.31.

(٣) الكامل فى التاريخ - جـ١ - ص ٥٣ ، تاريخ الطبرى - جـ١ - ص ٢٣٠ ، ابوالفداء المرجع السابق - ص ١٣ ، تاريخ اليعقوبى - جـ١ - ص ٢٣-٢٤ ، تاريخ ابن خلدون - جـ٢ - ص ٣٦ ، المسعودى : المرجع السابق - جـ١ جـ ص ٥٦ ، المقدسى : المرجع السابق - جـ٣ - ص ٤٧ ، تفسير روح المعانى - جـ٧ - ص ١٩٤ ، تفسير القرطبى - ص ٢٤٥٨ ، الثعلبى : قصص الانبياء المسمى عرائس المجالس - القاهرة ١٣٤٠ هـ - ص ٦٣. ابن كثير: قصص الانبياء - تحقيق عبدالقادر عطا الله - جـ١ - بيروت ١٩٨٢ ص ١٩١ - سيرة ابن هشام - جـ ١ - ص ٢-٤ ، المعارف - ص ٣٠-٣١ .

(٤) سورة الانعام : آية ٧٤ ، محمد الطيب النجار : تاريخ الانبياء - الرياض ١٩٨٣ - ص ٩٥.

والصحيح هو ماورد فيالقرآن الكريم والذى يجب آن نعول عليه .

ويبدو آن بعض المفسرين والمؤرخين نظروا الى ماجاء فى نصوص آسفار العهد القديم وكآنها هيالسند الصحيح والمعتمد ، ومن ثم فقد حاولوا تاويل هذه الاية الكريمة بما يخرجهامن صريح اللفظ محاولين آن يقضوا بذلك علىالتناقض بين ماورد فى القرآنالكريم وماذكرته آسفار العهد القديم ومن ثم فقد ذهب فريق منهم الى آن " آزر " انما هو اسم صنم كان " تارح " والد ابراهيميعبده ، وكان سادنا له ، وهذا الرآى بعيد عن الصواب من الناحيةاللغوية العربية ، لانالعرب لاتنصب اسما بفعل حرف الاستفهام فلاتقول - مثلا - آخاك آكلمت ؟ وهى تريد بذلك آكلمت آخاك (١) .

ومنالواجب آن نشير هنا الى آن آسفار العهد القديمالتى استند عليها هؤلاء المفسرون والمؤرخون قد دخل اليها الكثير من التحريف ، ولم يعد هناك آى مجال للوثوق بما جاء فيها من نصوص ، لانها تختلف عن كونها كتابا سماويامقدسا آنزله الله سبحانهوتعالى ، ويشير القرآن الكريم الى ذلك فى قولهتعالى :

" فويل للذين يكتبون الكتاب بآيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت آيديهم وويللهم مما يكسبون "(٢) .

وقوله تعالى : " والله اعلم باعدائكم وكفى بالله نصيرا،من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه" (٣) .

(١) دائرة المعارف الاسلامية - دار الشعب - القاهرة ١٣٦٩ - ١٩٧٢ - ج ١ - ص ٥٢ ، ٥٥ ، ابنكثير : تفسير القرآن العظيم- ج ٢ - بيروت ١٩٨٣م - ص ١٤٩-١٥٠ ، البداية والنهاية - ج١ - بيروت - ١٩٨٢ - ص ١٤٢ ، روح المعانى - ج٧ - ص ١٩٤ ، الطبرى : جامع البيان فى تآويل القرآن - ج ١١ - القاهرة ١٩٧٢ - ص ٤٦٦-٤٦٧ ، تاريخ ابنخلدون - ج ٢ - ص ٣٦، تفسير المنار - ج ٧ - ص ٤٤٦-٤٤٧ ، محمد بيومى مهران : اسرائيل - ج ١ - ص ٥٥-٥٦.

(٢) سورة البقرة : آية ٧٩ ، تفسير ابنكثير - ج١ - ص ١١٦-١١٨.

(٣) سورة النساء: اية ٤٥ ، ٤٦ ، تفسير ابنكثير ، ج ١ ص ٥٠٧.

فأسفار العهد القديم نصوص ملطخة بسواد التحريف والتغيير ويجب عدم الاعتماد عليها على أنها كتاب مقدس وسماوى ، وأنها مصدر موثوق به وصحيح وغير قابل للنقاش والجدل ، وانما يجب ان نتعامل مع ماورد فيها من نصوص كما نتعامل مع أى مصدر آخر ، نستمد منه معلومات تاريخية ، وجميع معلوماته وأخباره قابلة للجدل والنقاش ، وحتى الرفض ، وليس أكثر من ذلك .

ولقد اختلف المفسرون والمؤرخون حول اسم والد ابراهيم عليه السلام فهناك من رأى أن " آزر " هو نفسه " تارح " مثل " اسرائيل " الذى هو نفسه " يعقوب " فيكون لابى ابراهيم اسمان " تارح " اسم العلم ، و " آزر " وهو وصف لهذا الاسم (١) ، وذهب فريق آخر الى أن " آزر " كلمة ذم تعني أعرج ، أو معوج او خرف او مخطىء وما الى ذلك ، ولكنه من البعيد ان يكون ابراهيم - عليه السلام - قد خاطب اباه بمثل كلمات الذم هذه وما فيها من تحقير أو عيب أو زجر كأعرج ومخطىء وخرف ، فابراهيم كان من الانبياء وخلق الانبياء لايصدر عنه مثل هذا السلوك ، وابراهيم كان قمة فى الأدب والخلق والحلم ، فانظر كيف كان تصرفه مع أبيه وقد دعاه بكل لطف ولين وأدب الى ترك عبادة الاصنام ، فقال يخاطب أبيه - كما ورد فى الآية الكريمة -

" واذ قال لابيه يأبت لم تعبد مالايسمع ولايبصر ولايغني عنك شيئا ، يا أبت انى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا ، يا أبت لاتعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ، يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا "(٢) .

---

(١) تفسير القرطبى - ص ٢٤٥٨ ، تفسير الطبرى - ج ١١ ، ص ٤٦٥-٤٦٩ ، تاريخ ابن خلدون :- ج٢ - ص ٣٦ ، المسعودى : المرجع السابق ، دائرة المعارف الاسلامية - ج ١ - ص ٥١ .

(٢) سورة مريم : آية ٤٢-٤٥ ، تفسير ابن كثير : ج٣ - ص ١٢٢-١٢٣ .

فكان رد والده عليه مليئا بالتهديد :

" أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا "(١) .

ولم يكن جواب ابراهيم على الرغم من هذه الجفوة القاسية وهذا التهديد العنيف الا ان قال لابيه بكل اجلال وتوقير والتوسل الى الله له بالمغفرة :

" سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا "(٢) .

فأي أدب واحترام وتوقير وخلق أكثر من هذا ، انه خلق الانبياء ولاعجب ، لهذا فانه من غير المعقول أن تسيغ تفسير كلمة " آزر " وفق ماذهب اليه بعض المفسرين من القول بانها كلمة ذم لوالد ابراهيم ، هذا فضلا عن أن الكلمة نكرة والموصوف معرفة (٣) .

وهناك من رأى أن " آزر " انما هو عم ابراهيم عليه السلام وليس أباه لانه لو كان " آزر " أبا ابراهيم فانه سبحانه وتعالى لايقول - كما ورد في الاية الكريمة - " لابيه آزر ... " لان العرب لاتقول : ابا فلان الا للعم دون الاب الحقيقي . وهذا القول مردود لان ظاهر القرآن يرد عليه ،خصوصا عند محاورة ابراهيم مع أبيه (٤) ، فحين نرى من يتردد في الاسم ،

---

(١) سورة مريم : آية ٤٦ ، تفسير ابن كثير - ج٣ - ص ١٢٣ .

(٢) سورة مريم : آية ٤٧ ، تفسير ابن كثير - ج٣ - ص ١٢٣-١٢٤ .

(٣) تفسير الطبري - ج١١ - ص ٤٦٧ ، تفسير ابن كثير ، ج٢ - ص ١٤٩ ، روح المعاني - ج ٧ - ص ١٩٤ ، تفسير القرطبي : دائرة المعارف الاسلامية - ج ١ ، ص ٥٢ ، عبد الوهاب النجار: المرجع السابق - ص ٧٠ ، محمد حسني عبد الحميد : المرجع السابق - ص ١٤ .

(٤) سورة مريم : اية ٤١-٥٠ ، الانبياء : اية ٥١-٥٢ . الشعراء : اية ٦٩-٨٦ ، الصافات : اية ٨٣-٨٧ ، الزخرف : اية ٢٥-٢٦ ، الممتحنة : اية ٣٠ . دائرة المعارف الاسلامية : ج١ - ص ٥٤ ، تفسير المنار : ج ٧ - ص ٤٤٨ .

فيذكره مرة " تارح " ويذكره مرة " آزر "[١]. ويكاد يجمع العلماء على القول بأن " آزر " انما هو والد ابراهيم عليه السلام طبقا لما ورد من صريح الاية الكريمة فى القرآن[٢] . وفى هذا يخبرنا المعصوم صلى الله عليه وسلم انه قال : " يلقى ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجهه قترة وغبرة (أى سواد وغبار) فيقول له ابراهيم : ألم أقل لك لاتعصنى ؟ فيقول له أبوه : فاليوم لا أعصيك "[٣] .

وانه من الواضح أن اسم والد الخليل ابراهيم ، عليه السلام ، انما هو " آزر " وذلك طبقا لماجاء فى القرآن الكريم ،وما ورد فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصحيح والمعول عليه عندنا كمسلمين هو مانص عليه القرآن الكريم ، وما ورد فى الحديث النبوى الشريف .

وكانت أم الخليل ابراهيم ، عليه السلام ، تسمى " بونا " وفى رواية " نونا " وهى بنت " كرينا " وفى رواية " كربتا " بن " كوثى " وفى رواية " كرثى " من بنى آرفخشذ بن سام بن نوح[٤] ، كما ذكر ايضا ان اسمها

---

(١) تاريخ الطبرى - جا - ص ٢٣٣-٢٣٥ ، تفسر الطبرى : ج١١ - ص ٤٦٥-٤٦٩ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ - جا - ص ٥٣-٥٧.

(٢) تفسير الطبرى : ج١١ - ص ٤٦٨-٤٦٩ ، تاريخ الطبرى : جا - ص ٢٣٤-٢٣٥ روح المعانى : ج٧ - ص ١٩٤-١٩٥ ، الفخر الرازى : التفسير الكبير - ج٣ - طهران - ص ١٧٢ ، ابن حيان : البحر المحيط - ج٤ - ص ١٦٣-١٦٤ ، طنطاوى وجوهر : الجواهر - ج٤٠ - القاهرة ١٩٧٤ - ١٦٣-١٦٤ ، ابن كثير: قصص الانبياء - ج ١ - ص ١٩٦.

(٣) انظر الحديث فى صحيح البخارى : ج٤ - ص ١٦٩ ، تفسير ابن كثير : ج ٢ - ص ٣٩٤ ، البداية والنهاية : جا - ص ١٤٢ ، قصص الانبياء - ص ١٩٥ ، روح المعانى : ج٧ - ص ١٩٤.

(٤) الطبقات الكبرى : جا - ص ٤٦ ، قصص الانبياء - ص ١٩١.

" أبيونا " من ولد افرايم بن ارغو ابن فالغ بن عابر بن شالح بن ارفخشد بن سام بن نوح[١]، في حين نجد من ذكر ان اسمها كان " اميله "[٢] وقيل أيضا أن اسمها كان " امثيتا Amtheta "[٣] ، وليس هناك من سبيل الى ترجيح رواية على أخرى .

وكان ابراهيم يكنى " أبا الضيفان "[٤]، وربما جاءته هذه الكنية لانه كان كثير الضيوف ، وكان يحسن اكرام الضيف . ويذكر لنا القرآن الكريم قصته عليه السلام مع ضيوفه الملائكة عندما قدموا لاهلاك قوم لوط ، عليه السلام، وقد مروا على ابراهيم فى طريقهم ليبشروه بغلام ، فاسرع الى أهله وذبح لهم عجلا ثم شواه وقدمه لهم ظنا منه أنهم من البشر ، فلما لم يأكلوا ارتاب فيهم وأخذ ينظر اليهم بكل غرابة وخوف ، حتى أخبرون انهم من الملائكة ، قال تعالى :

" هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين. اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون . فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين. فقربه اليهم قال ألا تأكلون . فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم " (٥)

وهذه الآيات تدل على كرم ابراهيم لضيوفه فربما اكتسب بذلك هذه الكنية .

---

(١) الطبقات الكبرى : ج١ — ص ٤٦ .
(٢) قصص الانبياء — ص ١٩١
(٣) The Talmud , ch., 11, p.31.
(٤) قصص الانبياء — ص ١٩١ .
(٥) سورة الذاريات : آية ٢٤—٢٨ ، تفسير ابن كثير — ج ٤ — ص ٢٣٥—٢٣٦ .

موطن وعصر ابراهيم عليه السلام :

يرجع نسب ابراهيم الى القبائل الارامية والتى نزحت فى الأصل من شبه الجزيرة العربية واستقرت على ضفاف نهر الفرات الاوسط ، وبالتحديد فى منطقة " حاران " قرب منابع رافدى نهر الفرات " الخابور " و " البليخ" فى حوالى الالف الثانية قبل الميلاد ، وقد هاجرت بعض الاسر الآرامية ومن جملتهم آسرة ابراهيم الخليل ، الى منطقة فى الفرات الاسفل ، وذلك بسبب انخفاض مستوى مجرى النهر ، وقد استقرت تلك الاسر فى الجنوب فكان ابراهيم عليه السلام من نسل آحد هذه الاسر الارامية (١)، فابراهيم — على ذلك — كان آراميا أصله من شبه الجزيرة العربية ، أى عربيا خالصا من سلالة العرب العاربة ، كما أنه يكون أبا العرب العدنانية الذين هم من نسل ولده اسماعيل ، وهو جد العرب قبل آن يكون جد اليهود (٢) .

ولد ابراهيم ، عليه السلام ، بعد آن بلغ والده من العمر خمسة وسبعين عاما ، وكان ابراهيم الولد الاكبر لآزر ، فمن بعده ولد اخواه " ناحور " ، و " هاران " (٣) وقد انجب " هاران " " لوط " عليه السلام ، فهو ابن اخ ابراهيم، وقد عاصر " لوط " عمه ابراهيم ومن ثم آمن بدعوته للتوحيد ، فقال الله تعالى :

" فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى انه هو العزيز الحكيم" (٤) .

---

(١) التكوين ٢٤:٤ ، ٣٨—٤٠ ، التثنية ٢٦:٥ احمد سوسه : المرجع السابق ص ١٧٣—١٧٥ ، ٥٠٨ ، ٧٩٦ .

(٢) محمد بيومى مهران : تاريخ العرب — ص ١٥٥—١٦٢ ، اسرائيل — جا — ص٦١ وجاء فى تفسير النسفى (٣/١١٢—١١٣) فى تفسير قوله تعالى:(ملة أبيكم ابراهيم " سماه ابا وان لم يكن ابا للامة كلها لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ابا لامته لان امة الرسول فى حكم اولاده . قال صلى الله عليه وسلم :"انما انا لكم مثل الوالد " (قارن طبقات ابن سعد ١/٥١) .

(٣) قصص الانبياء : جا — ص ١٩١ ،قارن التكوين ١١:١٠—٢٨ . ناحور فى التوراة هو اسم جد ابراهيم واسم آخيه آيضا ، آما هاران فهو ابو لوط واخو ابراهيم.

(٤) سورة العنكبوت آية ٢٦ ، سيد قطب : فى ظلال القرآن — بيروت ١٩٨٢ — ص ٢٧٣٢ ، تفسير ابن كثير : ج ٣ ، ص ٤٠٩ — ٤١١ .

وقد اختلف الباحثون فى المكان الذى ولد فيه ابراهيم عليه السلام، فاسفار العهد القديم تذكر ان ولادته كانت فى مدينة " أور Ur " والتي عرفت باسم " أور الكلدانيين "[١] . ولكن هناك اختلافا حول تحديد موقع مدينة " اور الكلدانيين " التى ورد ذكرها فى اسفار العهد القديم على انها مسقط راس ابراهيم عليه السلام . فمجرد ذكر كلمة " كلدانيين " مع كلمة " اور " فان ذلك جعل معظم انظار العلماء والباحثين تتجه الى منطقة الفرات الادنى حيث قامت هناك امبراطورية للكلدانيين خلال منتصف الالف الاولى قبل الميلاد . ومدينة " اور " موغلة فى القدم ويعود تاريخها الى عصر السومريين فى الالف الرابعة قبل الميلاد ، وقد تم اكتشاف موقع هذه المدينة فى عام ١٨٥٤ ميلادية ويعرف فى الوقت الحاضر باسم " تل المقير " ومكانه فى منتصف الطريق مابين مدينة بغداد والخليج العربى وبالتحديد على بعد ١٢٠ ميلا شمال البصرة ، وعلى بعد عشرة اميال الى الغرب من نهر الفرات[٢]، ويعتقد معظم الباحثون أن " أور " هذه هى المدينة التي ولد فيها الخليل ابراهيم عليه السلام[٣]، ولكنه لايوجد اى دليل على أن تل المقير (اور) هى نفسها " اور الكلدانيين " التى ورد ذكرها في

---

(١) التكوين : ٢٨/١١ ، ٣١ ، ١٥ : ٨ تحميا ٩:٧ ،
The Tulmud , ch. 11, p.44.

(٢) Woolley, L. UR, of the Chaldees', London, 1982, p.12.
وكذا E.B. Vol.18, p.1021, Smith, op.cit., 238 ,
Grant, op.cit. p.31, Finegan, op.cit., p.238, Smith, op.cit., p.128, Woolley, op.cit., pp. 8-9. E.B. Vol. 18, p.1021.

(3) Woolley, op.cit., p.9.

نصوص أسفار العهد القديم على انها مكان ولادة ابراهيم ، فضلا عن أن الحفاير والمكتشفات الاثرية هناك لم تصف أو حتى تشير الى ابراهيم او قومه على الاطلاق [١] .

ولقد أثبتت الحفريات الاثرية التى أجريت فى موقع مدينة " اور " أن تلك المدينة قد بلغت أرقى مراحل الازدهار والحضارة خلال نهاية الألف الثالث قبل الميلاد ، وذلك فى عهد مؤسس السلالة الثالثة فى "اور" الملك " اورنامو " Ur-Nammu (٢١١٣-٢٠٩٦ ق.م.) فقد كانت " أور " أحد مراكز أزهى عصور الحضارة فى تاريخ العراق القديم [٢] ، وعليه فان ولادة ابراهيم تبعا لذلك - تكون فى الالف الثالث قبل الميلاد ، وذلك في أثناء فترة ازدهار ونهضة وارتقى مدينة " أور " ولكن اذا اخذنا بالرأى القائل أن ولادته كانت فى " أور " فعندها لابد أن نوافق على أنه ولد فى الالف الثالث قبل الميلاد ، بيد أننا نعارض الرأى الذى يحدد مدينة " أور " مكان ولادته ، وبالتالى تاريخ ولادته ، لاننا حينما نقرأ عن الاوصاف التى صورتها نصوص اسفار العهد القديم لاسلوب الحياة التى عاش فيها ابراهيم ، كبدوى بسيط يسكن الخيام ، وعنده أغنام وماشية ، وأنه ينتقل من مكان الى اخر بحثا عن الماء والكلأ [٣] ، فاننا نجد ذلك يتعارض مع الرأى الذى حدد أور (تل المقير) مكان ولادته ، فاسفار العهد القديم تعطى وصفا لنمط الحياة التى عاش فيها ابراهيم عكس ماكانت عليه هذه المدينة خلال الالف الثالث قبل الميلاد والتى اوضحت الحفريات انها كانت مدينة ذات حضارة

---

(١) Woolley, op.cit., p.9

(٢) Moscati, op.cit., p.25, Roux, op.cit., pp.149-163, Woolley, op.cit., pp. 137-178.

(٣) سفر التكوين ١٢: ١-٢٠ ، ١٣: ١-١٨.

مزدهرة استمرت حتى سقوطها وتدميرها على ايدى العيلاميين ، وبناء على ذلك فان الرأى الذى يجعل من مدينة " أور " الموطن الاصلى لابراهيم عليه السلام، ومكان ولادته ، يصبح مرفوضا نظرا للتعارض الواضح بين ماورد فى نصوص اسفار العهد القديم وبين ما اثبتته المكتشفات الاثرية التى جرت فى تلك المنطقة ، وبالتالى يصبح تحديد زمن ولادته فى الالف الثالث قبل الميلاد زمنا غير مقبول .

وهناك من يذهب الى أن مدينة " أور " التى وردت فى اسفار العهد القديم ليست هى " أور " التى تقع فى جنوب العراق (بابل) وانما تقع في أقصى الشمال مابين نهرى دجلة والفرات ، ويحتمل ان مدينة " اورفا Urfa " الواقعة ضمن حدود تركيا فى الجنوب ، هى المدينة المقصودة كموطن أصلي لابراهيم ، عليه السلام ، ومكان ولادته [١] ، غير أن هناك اعتراضا على هذا الرأى ، وذلك لان أسماء المدن الواقعة فى أقصى الشمال ، مابين دجلة والفرات وتحمل اسم " أور " انما هى أسماء منقولة من اسم مدينة "أور" الواقعة فى جنوب العراق ، ومنها مدينة " أورفا Urfa " هذه ، وينتهي صاحب هذا الرأى الأخير الى أن " أور " التى وردت فى أسفر العهد القديم انما تقع فى جنوب العراق ، وهى مكان وموطن ولادة ابراهيم عليه السلام [٢] ولكن صاحب هذا الرأى يعجز عن تقديم أى دليل علمى مقنع يؤكد ان موقعها في الجزء الجنوبى من العراق وليس فى خارج العراق .

---

(١) نجيب ميخائيل : المرجع السابق - ص ١٨٣ ،
وكذا : Finegan, op.cit., p. 68.

(٢) أحمد سوسه : المرجع السابق - ص ٥٠٧ (هـ ٨) .

واختلف المؤرخون المسلمون أيضا فى رواياتهم حولموطن الخليل ابراهيم الاصلى ، فقد ذكروا انه كان فى " كوثى " (تل ابراهيم) بسواد العراق ، وذكروا انهكانمن " سوسه " بارض الاهواز ، كما ذكروا انه كان من " حران "(مابين الرها والرقة) ، وذكروا انه كان من " الوركاء " وذكروا انه ولد فى غوطة دمشق بقرية يقال لها " برزه "[1]، ومن الملاحظ أن معظم هذه المواقع توجد فىالاجزاء الجنوبيةمن العراق - عدا " حران" التي تقع فى الاجزاء الشمالية مابين دجلة والفرات ، فضلا عن برزة فى مجاورات دمشق - ولكنهم لم يقدموا أى دليل استندوا عليه لابداء رايهم فىتحديد مثل هذه الاماكن ، ومن الجائز أنهم تاثروا بما ورد فى آسفار العهد القديم حول ارتباط مكان موطنابراهيمالخليل باسم " الكلدانيين " فاعتقدوا ان جنوب العراق - الذى كان الكلدانيون قد استقروا فيهونجحوا في تأسيس امبراطورية عظيمة خلال منتصف الالف الاولى قبل الميلاد - هوموطنه الاصلى .

وهناك من يميل الى أن "حاران " (حران الواقعة اليوم فى تركيا) وتقع على نهر " بلخ " وعلى بعد ستين ميلا من التقائه بالفرات ، وفى غرب " تل خلف " وتبعد ٢٨٠ ميلا شمال شرق دمشق [2]، كانت هى الموطن الاصلي لابراهيم عليه السلام ومسقط رأسه ، لأنالعديد من الادلة تؤيد هذا الاتجاه الذى يجعل منها - وليس مدينة " اور " في جنوب العراق - موطنا للخليل ابراهيم عليه السلام [3] .

---

(١) تاريخاليعقوبى : ص٢٣ ، معجم البلدان : ج٢ ص ٢٣٥ ، ج ٤ - ص٤٨٧ ،
ابو الفداء: المرجع السابق - ج١ - ص١٣ ، تاريخ الطبرى : ص ٢٣٣ ،
قصص الانبياء : ج ١ - ص ١٨٢ ، الثعلبى : المرجع السابق : ص ٦٣ ،
الكامل فىالتاريخ : ج١ - ص٥٢ ، تاريخ ابن خلدون : ج٢ - ص ٣٨.

(٢) Smith, op.cit., p.128, Unger, op.cit., p. 458.

(٣) حول مزيد من التفاصيل لهذه الادلة انظر محمد بيومى مهران : اسرائيل ج ١ ، ص ٦٦-٧١.

ولعل من الأهمية الاشارة الى أن النقوش المسمارية التى اكتشفت في موقع مدينة " إبلـه Ebla "(١) قد اشارت الى مدينة سورية تدعى " أور Ur " تقع فى منطقة " حاران " هذه(٢) ، والواقع أن ذكر اسم " آور " فى نقوش مدينة " ابيلا " امر يسترعى الانتباه فهذه النقوش تذكر مدينة تسمى " آور " ضمن منطقة " حاران " مما يجعلنا نفترض ان " آور " هذه هى التى كانت موطن ابراهيم الاصلى وليست " آور " التى فى جنوب العراق ، ويبدو آن " آور " هذه كانت معروفة بدليل انها ذكرت فى نقوش " ايبلا " ، كذلك ورد فى نقوش " ايبلا " اسم " ابرامو Abramu " و " ابيرامو Abiramu "(٣) ، وهو بلا شك قريب من اسم ابراهيم ، ولكن اسم " ابرامو " وابراهيم لم يذكر مرتبطا باسم " آور " غير ان هذا لايمنع الفرضية بانه كانت هناك علاقة بين اسم "اور " و "ابرامو " .

---

(١) موقع مدينة " ايبلا Ebla " اليوم فى القسم الشمالى الشرقي لسورية وعلى بعد مايقرب من ٣٥ ميلا الى الجنوب من مدينة " حلب " ، و "ايبلا " كانت مركزا حضاريا مرموقا خلال الالف الثالثة قبل الميلاد وقد بدأت الحفريات عن آثار هذه المدينة منذ عام ١٩٦٤م تحت اشراف عالم الاثار الايطالى د. بولوماثييه (Paolo Matthiae) من جامعة روما ، واعظم اكتشاف لهذه البعثة حدث فى عام ١٩٧٥م عندما عثر على مكتبة فى اطلال احدى القصور تحتوى على مايقرب من عشرين الف لوحة منقوشة بالخط المسمارى ويقوم عالم اللغويات جيوفاني بتياناتو (Giovanni Pettinato) بفك رموز هذه الثروة الاثرية والتى يعتقد انها اعظم اكتشاف عن تاريخ الالف الثالثة قبل الميلاد .

راجع Ebla, Natiomal Geographic , Vol. 145,No:6, Dec. 1978, pp. 731-759,

وكذا Bermantand, C., Weitzman, M., Ebla, London, 1979.

(٢) Bermantand & Weitzman, op.cit., pp.1,68,184,190.

وعلينا الانتظار حتى تجرى المزيد من الابحاث والدراسات لفك رموز تلك الالواح المسمارية التى اكتشفت ضمن مكتبة " ايبلا " والتى يزيد عددها عن ستين الف لوحة لكى نتوصل الى معرفة الكثير من الحقائق التاريخية حول هذا الموضوع .

تتباين آراء المؤرخين حول تحديد عصر الخليل ابراهيم ، عليه السلام ، وبالتالى تاريخ ولادته ، ومن الصعب مناقشة كل راى على حدة ، ومن ثم تفضيل رأى على آخر لان لكل راى من تلك الاراء الكثيرة والمختلفة حاول ان يدعمه صاحبه بعدد من الأدلة والبراهين ، البعض منها يكاد ان يكون مقنعا ومقبولا والبعض الآخر يكاد يكون بعيدا عن الحقيقة والصواب (1) ، مثل الرأى القائل

---

(١) هناك من يرى ان ابراهيم عاش فى الفترة مابين ٢١٦١-١٩٨٦ ق.م.. فى حين يرى آخر أن خروج ابراهيم من مصر كان على أيام " امنمحات الاول " (١٩٩١-١٩٦١ ق.م.) ، وأنه ابراهيم - طبقا لما ورد فى اسفار العهد القديم - كان فى الخامسة والسبعين من عمره ، فان معنى هذا ان ولادته كانت فى حوالى منتصف القرن الحادى والعشرين قبل الميلاد . وهذا تاريخ جد متقدم . كذلك نجد ان هناك من حدد عصر ابراهيم فيما بين عامى ٢٠٠٠ و ١٧٠٠ ق.م. ، بينما يرى آخرون ان ابراهيم كان معاصرا لعصر " لارسا " اى فيما بين عامى ١٩٢٠ ، ١٧٠٠ ق.م.. واستنتج البعض بان الخليل قد عاش فى حوالى ١٩٠٠ ق.م.، كما يرى بعض العلماء والباحثين انه ولد فى الربع الاخير من القرن العشرين قبل الميلاد غير ان هناك من حدد عصره فى زمن متوسط بين اوائل القرن الثامن عشر ، واوائل القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، وهناك فريق من العلماء يرى ان ابا الانبياء عاصر الملك حمورابى وعاصر سنوسرت الاول ثم امنمحات الثانى (وكلاهما من الاسرة الثانية عشرة المصرية) على التوالى اى بمعنى انه عاش فيما بين بداية القرن العشرين ونهاية القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، فى حين ان هناك فريقا من الباحثين حاول أن يربط بين ابراهيم ، عليه السلام ، وبين مايسمون باسرة ارض البحر او ملوك الارض البحرية (اصطلاح يطلق على الملوك الذين حكموا جنوب العراق وعند اور الكلدانيين) بمعنى ان الخليل عاش فى عصر مايسمون بملوك الارض البحرية وانه كان واحدا من هؤلاء (=)

بان عصر ابراهيم كان على زمن الملك البابلى الشهير حمورابى (١٧٢٨-١٦٨٦ق٠م٠) علما بان عصر حمورابى جاء متاخرا عن عصر ابراهيم عليه السلام ، باكثر من مئة عام ، ومثل هذا الرأى الذى ذهب الى أن ابراهيم كان ملكا من الملوك الذين حكموا جنوب العراق ، والذين اصطلح على تسميتهم بملوك الارض البحرية او بملوك الشاطىء ، والرأى الاخير بعيد كل البعد عن الصواب ، لان القرآن الكريم الذى هو اوثق المصادر ، لم يذكر ان الخليل ابراهيم ، عليه السلام ، كان ملكا بل ابو الانبياء جميعا ، ارسله الله سبحانه وتعالى بدعوى التوحيد ليهدى قومه الضالين ٠

(=) الملوك وقد حدد عصر هذه الاسرة - اسرة ارض البحر - فى الفترة مابين ١٩٦٥ - ١٧٦١ق٠م ، حول هذه الاراء بالتفصيل انظر : محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ٧٣ - ٨٢ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق - ص ٩٦ ٠ وكذا :

Unger, M.F., Bible Dictionary , Chicago, 1970, pp.10-14, The Westminister Historical Atlas to the Bible , Philadelphia 1946, p. 234, Weigall, A., A History of the Pharaoh Vol.,2, London , 1922, p.40, Wooley , L., Abraham ,Recent Discovories an Hebrew Origins, London , 1963, p. 492, 612, Keller, W., The Bible As History , 1967, p.69, Roux, G., Ancient Iraq,p.215, Fingan ,J., Light from the Ancient Past, I, Princeton, 1969, p. 73, Smith, S., Early Histroy of Assyria to 1000 B.C., London, 1928, p. 70-71, Wells, H.G., A Short Histroy of the World, London, 1965, Philby, J.B., The Background of Islam, Alexandria, 1947.

كذلك لم تشر أسفار العهد القديم او اى مصادر تاريخية قديمة الى مثل ذلك اطلاقا ، وعلى أية حال فان جميع الآراء المختلفة حول عصر ومولد ابراهيم ، عليه السلام ، ماهى الا فرضيات ، واحتمالات ونظريات قابلة للنقد والنقض ، لان الاثار التاريخية التى تشير وتتحدث عن تاريخ الخليل ابراهيم معدومة ولم يكتشف حتى الآن آى شىء يمكن الاستناد اليه فى حين ان النصوص الموجودة غيرموثقة وغير مطمئنة .

هذا ومن الملاحظ ان الفترة التى حاول العلماء والباحثون تحديدها لعصر ابراهيم ، عليه السلام ، تتراوح مابين القرن الثانى والعشرين والقرن السابع عشر قبل الميلاد ، ولكن ليس امامنا سوى ان نفترض - حدسا من غير يقين - آن الرأى الذى يجعل ابراهيم ، عليه السلام ، يعيش فى النصف الاول من الألف الثانى قبل الميلاد هو آقرب الآراء الى الصواب ، وذلك على أساس ان بنى اسرائيل قد خرجوا من مصر فى نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وعلى وجه التحديد فى عصر " مرنبتاح " (١٢٢٤-١٢١٤ ق.م.) وانهم جاءوا الى مصر فى عصر الهكسوس (١٧٢٠- ١٥٧٥ ق.م) اى حوالى ١٦٥٠ ق.م. ولما كانت اسفار العهد القديم قد حددت مدة اقامتهم فى مصر (وهى المصدر الوحيد الذى حدد فترة اقامة بنى اسرائيل فى مصر) بحوالى ٤٣٠ عام[١] ، فان قدوم ابراهيم الى كنعان يصبح حينئذ فى حوالى عام ١٨٥٠ ق.م. ولما كان ابراهيم عليه السلام قد هاجر الى آرض كنعان ، طبقا لما ورد فى اسفار العهد القديم[٢] ، وهو فى الخامسة والسبعين من عمره ، فان ولادته بذلك تكون فى حوالى عام ١٩٤٠ ق. م. ، واذا اعتمدنا انه انتقل الى الرفيق الاعلى وعمره ١٧٥ عام [٣] ، فانه يكون قد عاش فى الفترة مابين ١٩٤٠ ، ١٧٦٥ ق.م. ، فى حين اذا آخذنا ببعض الروايات

---

(١) الخروج ١٢:٤٠ .
(٢) التكوين ١٢:٤٠.
(٣) التكوين ٢٥:٧ .

الاسلامية التى تذهب الى انه عاش ٢٠٠ عام (١) ،فانه يكون قد عاش عند ذلك فى الفترة مابين عامى ١٩٤٠ ، ١٧٤٠ ق٠م٠ (٢) .

ان عصر ابراهيم ، عليه السلام ،كان عصر وثنية وشرك ، عصر كانت تقدس فيه الاصنام وتعبد من دون الله ، وكان أبوه " آزر " مشركا يصنع الاصنام ويعبدها ، قال الله تعالى فى كتابه الحكيم :

" واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا * اذ قال لابيه يا أبت لم تعبد مالايسمع ولايبصر ولايغنى عنك شيئا * يا أبت انى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا * يا أبت لاتعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا * يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا * قال أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرنى مليا * قال سلام سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا * "(٣) .

ولو تتبعنا الايات القرآنية التى ذكرت ابراهيم ، عليه السلام ، لاستخلصنا من معانيها ان عصره كان عصر كفروشرك ووثنية ، وقد أرسله الله سبحانه وتعالى الى قومه بعقيدة التوحيد والدعوة الى عبادة الله وحده وعدم الاشراك بعبادته (٤) .

---

(١) البداية والنهاية - جا - ص ٥٦ - ٥٧ ، المقدسى : المرجع السابق: - ج٣ - ص ٥٣ .

(٢) محمد بيومى مهران : دراسات تاريخيةمن القرآن الكريم ، ص ١٢٦-١٢٧ ، اسرائيل : جا - ص ٨١-٨٢٠

(٣) سورة مريم : آية ٤١-٤٧ ، تفسير ابن كثير - ج٣ - ص ١٢٢-١٢٤٠

(٤) سورة مريم: اية ٤١-٤٨ - سورة الانبياء : اية ٥١-٧٦ ، سورة الصافات : اية ٨٣-١٠٠ ، سورة الانعام : اية ٧٤-٨٣٠

وعلى هذا وطبقا لما جاء في القرآن الكريم فان دعوته كانت فى عصر ملك طاغية ومستبد وكافر. قال تعالي :

" ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أتاه الله الملك
اذ قال ابراهيم ربي الذى يحي ويميت قال أنا أحيي وأميت
قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها
من المغرب فبهت الذى كفر والله لايهدى القوم الظالمين"(١) .

وان عصر ابراهيم ، عليه السلام ، كان عصرا منحرفا فى عقائده ، لذلك هناك من جعل عصره معاصرا لدولة الاموريين فى العراق ، وأن ولادة ابراهيم ، عليه السلام ، في هذه الفترة ترجحها النتائج التى تمثلت في سيرته وكلها دلائل على تنازع السيطرة ، وتنازع العقائد ، واضطراب الأمور والاضطرار الى الرحلة الدائمة من " أور " الى " آشور " والى فلسطين ثم الى مصر ، فبيت المقدس ثم الى صحراء الجنوب وتقترن زلازل الطبيعة وزلازل السياسة فلا يستقر لاحد من المقيمين في ديارهم قرار ، فضلا عن القبائل الرحل فى طلب المرعى وطلب الامان (٢).

...

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٥٨ ، تفسير ابن كثير، ج ١ ، ص ٣١٣.

(٢) عباس محمود العقاد: المرجع السابق - ص ١٨٣.

هجرة ابراهيم عليه السلام الى أرض كنعان :

تذكر أسفار العهد القديم قصة هجرة ابراهيم ، عليه السلام ، الى أرض كنعان (فلسطين) بشكل محير وفيه الكثير من التناقض ، فمرة تذكر ان فكرة الهجرة الى ارض كنعان كانت فكرة والد ابراهيم ، فقد خرج ابو ابراهيم من " اور الكلدانيين " ومعه ابراهيم ابنه وساراى كنته ولوط ابن ابنه هاران قاصدين كنعان ، ووصل الى " حاران " وفيها مات [1] ، فى حين نرى فى موضع آخر ان الهجرة كانت شيئا خاصا بابراهيم وليس لابيه اية علاقة بها ، فقد أمر الرب ابراهيم بالنزوح الى ارض كنعان ، فخرج ابراهيم من " حاران " ومعه زوجته " ساراى " وابن اخيه " لوط " وجميع مايملكون من اموال وعبيد وأتوا الى ارض كنعان [2] ، فالتناقض هنا يظهر بشكل واضح ، فنستدل من الاولى ان ابراهيم كان اصله من مدينة " اور الكلدانيين " وانه هاجر مع ابيه الى " حاران " فكانت اقامته عابرة فى "حاران " وان أباه قد مات فيها ، فى حين يفهم من الثانية ان موطن ابراهيم وارضه وعشيرته وبيت ابيه فى " حاران " التى منها أمر ان يهاجر الى ارض كنعان .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة هنا الى أن القرآن الكريم قد اشار الى هجرة ابراهيم ، عليه السلام ، كما فى قوله تعالى : " فامن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى انه هو العزيز الحكيم " [3] ، وفى قوله تعالى: " ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين " [4] . ولكن من الملاحظ ان هذه

---

(١) التكوين ١١: ٢١-٢٢.

(٢) التكوين ١٢ : ١-٥.

(٣) سورة العنكبوت : اية ٢٦ ، تفسير ابن كثير - ج٣ - ص٤٠٩-٤١١.

(٤) سورة الانبياء : اية ٧١ ، تفسير ابن كثير - ج ٣ - ص ١٨٤.

الايات الكريمة لاتشير اطلاقا الى هجرة ابيه معه ، خلافا لما ورد فى اسفار العهد القديم ، كما انها لاتشير باى شكل الى ايمان أبيه به وانما ذكر اسم ابن اخيه لوط بالنص ، ولو كان ابوه قد امن به لورد ذكره فى الاية نظرا لاهمية هذا الحدث و لقربه - نسبا - اليه عليه السلام ، فينال بذلك شرف الهجرة مع ابنه ابراهيم الخليل . كما يلاحظ ان هذه الايات الكريمة اشارت الى ان هجرته كانت " الى الارض التى باركنا فيها للعالمين " ولم يرد ذكر " حاران " ، أو " كنعان " بالاسم باى حال من الاحوال[١] .

وقد جاء أن تلك الأرض (التى باركنا فيها للعالمين) هى أرض الشام فكانت هى مهبط الوحى لفترة طويلة من الزمن ومبعث الرسل من نسل ابراهيم وفيها الأرض المقدسة وثالث الحرمين ، وفيها بركة الخصب والرزق ، الى جانب بركة الوحى والنبوة جيلا بعد جيل ، وروى أن الارض (التى باركنا فيها للعالمين) هى مكة المكرمة حيث يقول الله تعالى فى سورة آل عمران (اية ٩٦) :

" ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين " .

فى حين زعم أيضا أنها حران " حاران " كما قيل أنها أرض مصر[٢] .

وهكذا فان الآيات القرآنية الكريمة تؤكد هجرة ابراهيم عليه السلام ، وتركه لقومه وعشيرته ووطنه ، ونرجح أن هجرته هذه كانت من " حاران " وليست من " أور الكلدانيين " وذلك لان الادلة تدعم هذا الراى الذى ذهب الى أن " حاران " كانت هى الموطن الأصلى لابراهيم عليه السلام[٣] ، وليس هناك

---

(١) محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية - ص ١٣٣ .

(٢) سيد قطب : المرجع السابق - ص ٢٣٨٨ ، الثعلبى : المرجع السابق ، ص ٦٩ . القرطبى : المرجع السابق ، ص ٤٣٤٥ ، ابن كثير قصص الانبياء : ج١ - ص ٢١٣ ، تفسير ابن كثير : ج٣ - ص ١٨٤ - ١٨٥ ، النسفى : مدارك التنزيل وحقائق التاويل ، ج٣ ، بيروت ، ص ٨٤ .

(٣) حول هذا الراى والادلة راجع : محمد بيومى مهران : اسرائيل ، ج ١ - ص ٦٦-٧١ .

اى صلة لهذه الهجرة بمدينة " او رالكلدانيين " الواقعة فى منطقة الفرات الاسفل ، ولما لمتذكرالآيات القرآنية الكريمة مكان تلك الهجرة بالاسم وانما أشارت بانها الى(الارض التى باركنا فيها للعالمين) لذلك أصبح تحديد هذه الارض موضع خلاف بين العلماء والمفسرين،ودارت اراؤهم حول كونها مكة المكرمة او بيت المقدس او مصر ولكن من المستبعد انها كانت " حران " (حاران)، ومن المحتمل ان ابراهيم - عليه السلام - خرج من حاران موطنه الأول الى بيت المقدس (فى أرض كنعان)،وذهب الى أرض مصر ، كما ذهب الى مكة المكرمة (الحجاز) وعاد الى كنعان مرة أخرى[1] .

هذا ولم تشر أسفار العهد القديم بالنص الى الاسباب الحقيقية لهجرة ابراهيم من موطنه الاصلى و أرض آبائه . وقد رأى بعض العلماء والباحثين أن هجرته من " اور " الى أرض كنعان ترجع لاسباب سياسية . ففى بداية الالف الثانية قبل الميلاد شهدت منطقة جنوب بلاد الرافدين اضطرابا وصراعا سياسيا وحضاريا بين حكومات المدن السومرية والاكدية والعناصر العيلامية من " سوسة " بعيلام ، والاموريون من سورية والتى وفدت الى هذه المنطقة خلال هذه الفترة واصبح هذا سببا مباشرا لهجرة ابراهيم عليه السلام ، وجماعته الى "حران " ومنها الى فلسطين (أرض كنعان)[2] .

كذلك ترجع هجرته عليه السلام - فى نظر بعض العلماء والباحثين - الى أسباب اقتصادية ، فقد فقدت مدينة " أور " فى زمن ابراهيم شهرتها كمركز تجارى هام وطغت عليها مدينة "بابل " ونافستها فى هذا المجال مما أدى الى كساد النواحى التجارية فيها فتخربت موانئها وتأثر اقتصادها ،

---

(١) المرجع السابق - ص ٨٧.
(٢) رشيد الناضورى : المدخل فى التطور التاريخى للفكر الدينى - بيروت ١٩٦٩م - ص ١٧٣-١٧٤.

وأصبحت الحياة فيها صعبة وغيرمستقرة ، فادى ذلك الىهجرة اهلها ورحلوا تجاه الشمال وقد رحل ابراهيم من " اور " الى حاران " بسبب تدهور الحالة الاقتصادية فيها (١) .

وتذكر تعليقات ابنجدون (Abingdon)، التى اشترك فى تاليفها نحو سبعين عالما من علماء التاريخ الدينىوالتوراني/ان اسباب هجرة ابراهيم من مدينة " اور " ربما تعود الى الاضطرابات السياسية فى جنوب العراق والتى جاءت بسبب سيطرة القبائل العيلامية - خلال نهاية الالف الثالث قبل الميلاد - على المدن العراقية ، وقد ادى ذلك الى تدهور الاحوال المعيشية والتجارية فى مدينة " اور " (٢) .

ومما لاشك فيه ان الاسباب السياسية والاقتصادية مسالةمهمة وعنصر رئيسى فىحدوث هجرات بشرية ، ولكن بالنسبة لهجرة الخليل ابراهيم عليه السلام فان هذه الاسباب السياسية والاقتصادية ، لايمكن قبولها واعتمادها لسبب هام لايقبل المناقشة وهو ان هجرة الانبياء لاتكون الا فى سبيل نشر دعوة التوحيد ، وهى بوحى من الله عز وجل ، فانظر الى قوله تعالى " فامن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى انه هو العزيز الحكيم "(٣) . فالضمير فى قوله تعالى " وقال انى مهاجر " يحتمل انه يعود الى لوط ومن المحتمل ايضا انه يعود الى ابراهيم(٤) ، وعلى اى منهما يعود الضمير فان الهجرة عندها لم تكن طلبا للنجاة او الهجرة الى ارض او كسب او تجارة وانما الهجرة الى الله تقربا اليه وملتجئا الى حماه ، هجرة بالقلب والعقيدة ، هجرة للاخلاص فى العبادة ، بعيدا عن

---

(١) حبيب سعيد: المرجع السابق - ص ٨٠

(٢) عباس محمود العقاد : المرجع السابق - ص ٦٢

(٣) سورة العنكبوت : آية ٢٦

(٤) تفسير ابن كثير : ج ٣ ، ص ٤١٠ .

موطن الكفر والضلال [1]، هذا فضلا عن ان هجرة ابراهيم عليه السلام ، كانت - كما ذكرنا فى السابق - من " حاران " وليست من مدينة " أور ".

وعلى هذا فان هجرة ابراهيم عليه السلام ، لم تكن لاسباب سياسية أو اقتصادية وانما كانت لاسباب دينية؛ كانت هجرة نبى يريد ان يبشر بدعوة التوحيد ، فى مكان آخر ، غير هذه الارض التى لم تتقبل دعوته لتلك العقيدة قبولا حسنا [2]، ولهذا هاجر ابراهيم عليه السلام بوحى من الله تاركا أهله ووطنه فى سبيل نشر عقيدة التوحيد شانه فى ذلك شان الانبياء ، عليهم السلام.

ومن المعلوم ان ابراهيم عليه السلام قد نشأ وترعرع فى بيئة وثنية انتشر فيها الشرك وعبادة الاصنام والاوثان والكواكب وقد اعطاه الله الرشد والحقيقة العظمى ، فعرف بصائب رأيه وثاقب فكره ان الله واحد وهو المسيطر والمهيمن على هذا الكون وعقد العزم على ان يخلص قومه من هذه الاباطيل وتحريرهم من الوطنية وعبادة الاصنام حتى يصلوا الى الحقيقة التى يجب أن ينشدها كل انسان على وجه الأرض ، ألا وهى عبادة الله وحده الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. ولما كان والده فى مقدمة عابدى الأصنام والأوثان فانه رأى من واجبه أن يخصه بالنصيحة ويحذره من الشرك . وقد بدأ ابراهيم دعوته مع أبيه بلهجة كلها أدب واحترام ووقار مبينا له بالبرهان العقلى بطلان عبادة الاصنام ، وناصحا له بان يحذو حذوه ويسلك معه الطريق الصحيح ، فيبتعد عن طريق الضلالة التى تؤدى به الى عذاب الله ، وقد رفض أبوه دعوته واستنكر نصيحته ، وهدده بالرجم ، كما طلب من ابنه ابراهيم ان يرحل عنه فما كان من الخليل

---

(١) سيد قطب : المرجع السابق - ص ٢٧٣٢.
(٢) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ٨.

عليه السلام ، أمام اصرار ابيه على الاستمرار فى طريق الشرك والضلال الا آن يطلب له المغفرة ، وقرر ابراهيم ان يحطم تلك الاصنام التى يعبدها قومه حتى يثبت لهم بالبرهان العملى انها لاتضر ولاتنفع ، ولاتستطيع آن تلحق الاذى بمن يصيبها بضرر ، ولما كان يوم عيد كبير عند قومه ، وقد خرجوا فيه جميعا الى خارج المدينة ،قام ابراهيم وحطم تلك الاصنام وبرهن لهم بالحجة القوية ،على بطلان مايعتقدون وأنهم فى ضلال مبين ، ولما غلبهم بالحجة والبرهان العقلى ،ولم تبق لهم حجة او شبه حجة يكابرون بها ، عمدوا الى القوة والقوة فى النار ليحترق ولكن الله سبحانه وتعالى حفظه بحفظه ولم تحرق منه النار الا الوثاق . وتقص علينا الايات القرآنية الكريمة قصة ابراهيم مع آبيه ومع قومه فيقول الله تعالى :

" واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا . اذ قال لابيه يأبت لم تبعد مالايسمع ولايبصر ولايغنى عنك شيئا ، يا أبت انى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا ، يا أبت لاتعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ، يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا ، قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرنى مليا ، قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا ، واعتزلكم وماتدعون من دون الله وادعو ربى عسى ألا آكون بدعاء ربي شقيا (١) " .

---

(١) سورة مريم : اية ٤١-٤٨ ، القرطبى : المرجع السابق - ص ٤١٤٩-٤١٥٢ ، تفسير ابن كثير - ج٣ - ص ١٢٢-١٢٤ ، سيد قطب : المرجع السابق : ص ٢٣١١-٢٣١٣ - تفسير النسفى - ج ٣ - ص ٣٦-٣٧ .

ويقول تعالى :

" ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ،
اذ قال لابيه وقومه ماهذه التماثيل التى انتم لها عاكفون،
قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ، قال لقد كنتم أنتموآباؤكم
فى ضلال مبين ،قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ،
قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن وانا على ذلك
من الشاهدين ، وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين ،
فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون ، قالوا من
فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين ، قالوا سمعنا فتى يذكرهم
يقال له ابراهيم ،قالوا فاتوا به على أعين الناس لعلهم
يشهدون ، قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ، قال
بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم ان كانوا ينطقون ، فرجعوا
الى أنفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون . ثم نكسوا على
رؤوسهم لقدعلمت ماهؤلاء ينطقون ، قال أفتعبدون من دون الله
مالاينفعكم ولايضركم ، أف لكم ولما تعبدون من دون الله
افلا تعقلون ، قالوا احرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين،
قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم ، وارادوا به كيدا
فجعلناهم الاخسرين ، ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا
فيها للعالمين " (١) .

ولما ضاقت الحياة بابراهيم مع هؤلاء القوم الوثنيين الجاحدين، وفقدالامل من ايمانهم بدعوته الىعقيدة التوحيد ، قرر الهجرة وترك عشيرته ووطنه " وقال إنى ذاهب الى ربى سيهدين "(٢) . وكان ابن اخيه لوط هو الذى

---

(١) سورة الانبياء : اية ٥١-٧١ ، تفسير ابن كثير - ج٣ - ص ١٨١-١٨٥ ، سيد قطب : المرجع السابق - ص ٢٣٨٤-٢٣٨٨ .

(٢) الصافات : اية ٩٩ ، تفسير ابن كثير : ج٤ - ص ١٤ ، سيد قطب : المرجع السابق - ص ٢٩٩٤.

آمن بدعوته ويشير الله عز وجل الى ذلك بقوله : " فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم "(١) .

ومن المؤكد ان هجرة ابراهيم عليه السلام كانت لاسباب دينية تتصل اتصالا وثيقا بدعوة التوحيد التي حمل لواءها ابو الانبياء ابراهيم الخليل عليه السلام ، خصوصا أن " حاران " كانت أثناء هذه الهجرة - حوالي عام ١٨٦٥ ق.م. - وطوال القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد من المدن المزدهرة حيث تقع على طريق التجارة القادمة اليها من الشرق والغرب ، أضف الى ذلك ان الخليل كان يقيم أماكن العبادة لله العلي القدير في الاماكن التي نزل فيها ، مما يدل على ان الاسباب الدينية كانت وراء هجرته عليه السلام (٢) ، بل هي سبب هذه الهجرة .

...

---

(١) سورة العنكبوت : اية ٢٦.

(٢) محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية - ص ١٢٣.

رحلة ابراهيم ، عليه السلام ، الى مصـــر :

أقام ابراهيم فى آرض كنعان فترة من الزمن لانعرف مداها ، ثم رحل منها الىمصر ، وترجع أسفار العهد القديم سبب رحلته الى مصر للقحط والمجاعة والجدب الذى شمل ارض كنعان(١)، فىالوقت الذى كانت احوال وادىالنيل تتميز بالاستقرار والرخاء والازدهار فى ظل المملكة الموحدة القوية تحت حكم الاسرة الثانية عشرة (١٩٩١ - ١٧٧٨ق ٠م ٠) حيث تمكنت مصر فىهذا العصر من بسط نفوذها السياسى على سورية ، كما فرضت سيطرتها على بلاد كنعان وقد توطدتالعلاقات التجاريةبين مصر والاقطار المجاورة بشكل قوى ، فارتبطت مصر تجاريا مع جنوب شبه الجزيرة العربية وسورية ،وكانت بلاد كنعان هى حلقة الوصلبينمصروكلهذه الاقطار،فاحتلت مصر بذلك مركزا هاما فىالنواحىالاقتصادية والسياسية لانها كانت ممرا دوليا على الطريق التجارى الرئيسى للعالمالقديم ، لذلك فان ذهاب ابراهيم ، عليه السلام ، الىمصر كان امرا طبيعيا نظرا للروابط المتينة والصلات الوثيقة التى كانت تربط الكنعانيين بمصر ،فارض مصركانت هى الممول الطبيعى الذى يتجه اليه الكنعانيون فى حالات المحن والقحط للاكتيال منها(٢) .

---

(١) التكوين ١٢/١٠ وكذا : Josephus Flavius: Complete Works; trans. by William Whiston, New Edition, London, 1981,(Antiquitie of the Jews BK. I,ch. VIII, 1.)

(٢) احمد سوسه : المرجع السابق - ص ٥٢٢-٥٢٣ ٠

وهكذا تشير اسفار العهد القديم الى ان رحلة ابراهيم الى مصر كانت بسبب المجاعة والقحط الذى حل بارض كنعان ، ومن الطبيعى فان الصورة التى تتبادر الى الاذهان عن حالة ابراهيم أنه خرج من أرض كنعان فقيرا يبحث عن الطعام والرزق فى ارض النيل العامرة بالخيرات والثمرات ولكن هذه الصورة سرعان ماتغيرها احاديث " المشنا "(١) التى تصور لنا مقدرة ابراهيم المالية؛ على عكس ماورد فى نصوص اسفار العهد القديم ، فتروى ان ابراهيم كان قادرا على ان يؤدى الضريبة التى كانت تفرضها مصر على القادمين الى اراضيها وهى مايعادل ثقل انسان من الذهب ، وتدل هذه الرواية عن مقدار المال الذى كان فى حوزة ابراهيم عليه السلام عندما خرج من ارض كنعان قاصدا ارض مصر وهذا يتعارض مع ماجاء فى اسفار العهد القديم بان ابراهيم جاء الى مصر هربا من الجوع والجدب الذى حل بارض كنعان فكيف يكون ذلك وهو القادر ماديا على دفع الضريبة على حدود مصر بمقدار ضخم من الذهب ؟ وعليه فان رواية " المشنا " تضعف ماجاء فى نصوص اسفار العهد القديم بل حتى تنقضها ،ومن البديهى - طبقا لذلك - ان يكون هناك سبب آخر غير القحط والمجاعة لدفع ابراهيم الى الهجرة الى أرض مصر (٢).

على أن هناك رأيا وهو الصحيح ، على وجه اليقين ، يذهب الى أن هجرته - عليه السلام - الى مصر لم تكن بسبب المجاعة والقحط الذى حل بارض

---

(١) المشنا : يتكون التلمود من المشنا والجمارا ،والمشنا هى المتن ، الجمارا هى التفسير،وجميعها ليست كتبا سماوية (لمزيد من التفاصيل حول هذا انظر العقاد : المرجع السابق - ص ٣٦-٣٨ ؛ محمد بيومى مهران : اسرائيل - جـ٣ ص ٣٩٧ - ٤١٨) .

(٢) احمد عبد الحميد يوسف : مصر فى القرآن والسنة - القاهرة ١٩٧٣ م ، ص ٢٤-٢٥ ، محمد بيومى مهران : اسرائيل - جـ ١ - ص ١٠٣ .

كنعان بل كانت لهدف دينى وهو مناقشة ومناظرة رجال الدين فى مصر حتى يعرف ماعندهم من علم فى موضوع العقيدة ، وحتى يدلهم الى الطريق الصحيح ، ولم يقض ابراهيم وقته فى ارض مصر فى التجارة وجمع الماشية والاموال ـ كما تصوره نصوص العهد القديم ـ بل كان فى الاصلاح بين الناس وارشادهم الى طريق الحق والى العقيدة الصحيحة باسلوب مقنع ومؤثر على سامعيه •

ويرجح العلماء والباحثون قدوم ابراهيم الخليل الى ارض مصر فى فترة حكم الاسرة الثانية عشر (١٩٩١-١٧٧٨ق •م•) والتى تعتبر فترة حكمها من آزهى عصور الدولة الوسطى ، فسياسة الحكام الداخلية اتسمت بمنح الحريات للافراد والمساواة بين الناس ، وكانت هناك حكومة مركزية قوية ، كذلك ازدهرت فى فترة حكم الاسرة الثانية عشر النواحى العمرانية والفنية كما قامت فى عصر هذه الاسرة علاقات ودية بين مصر والدول المجاورة فى الشام والعراق وبحر ايجة ، وقد ارتبطت معهم بصلات تجارية ، واصبحت مصر دولة غنية وقوية ، وقد عم فى هذه الفترة السلام ارض مصر ، واصبح للانسان وللاخلاق شان عظيم ، واصبح القوم فى مصر يؤمنون بمبادىء جديدة ومعان جليلة غلبت فيها الروح على المادة واصبحت السعادة فى صالح الاعمال وفيما يكتسب المرء من فضائل فاشادت الاقلام بالعدالة والنظام وبشرت بان الخلود لاتسوغه وجاهة وثراء وانما سبيله اجتناب الاثام وفعل الخيرات وهى بهذا قد ارهصت بما علم الانبياء ، وأعدت الناس لما يبعثون به من رسالة ودين ، بل نطقت ببعض مابثته الانبياء بلفظة ومعناه (١) • وهذا يدل بوضوح ان ارض النيل كانت فى فترة حكم الاسرة الثانية عشر ارضا خصبة وقابلة لبذر بذور دعوة ابى الانبياء ومبادئه السامية (٢) •

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ـ ص ١٧٣-١٩٠ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ـ ص ٩٨ ـ ١٠٠ ، احمد عبد الحميد يوسف : المرجع السابق ـ ص ٣٦•

(٢) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ـ ص ١٠٠•

هذا الى ان الفترة التى سبقت عصر الاسرة الثانية عشرة انما كانت فترة فوضى سياسية وانهيار اقتصادى ، فقدعمت الفوضى ارجاء الدولة وساد جو القتال والحروب بين الناس حتى وصل الامر الي القتال بين افراد الاسرة الواحدة ، لذلك فانه من غير الممكن ان يكون قدوم ابراهيم الى مصر فى غير عصر الاسرة الثانية عشر ، لانه من غير الممكن نشر دعوة التوحيد فى مثل هذا الجو المضطرب (١)، وعليه فان الراى الذى ذهب الى انه جاء اليها فى عصر الاسرة الثانية عشر يجد قبولا ،حيث ان الاحوال المواتية التي كانت خليقة بان تجذب ابراهيم عليه السلام وتغريه بالقدوم اليها والاقامة فيها قد تهيأت واستقرت فى عهد هذه الاسرة ، وهى لم تتهيأ قبلها و لا استمرت طويلا بعدها (٢) .

وأيا كان الامر فلقد أمضى ابراهيم عليه السلام فى مصر فترة من الزمن لاندرى مداها على وجه التحقيق ، ثم رحل عنها وقد أنعم الله عليه بالوفير من المال والماشية ، وكذلك الامر بالنسبة لرفيق رحلته ابن اخيه لوط عليه السلام فضاقت المراعى بماشيتهما ورعاتهما ، فاقترح الخليل علي ابن أخيه لوط أن يستقل كل منهما من منطقة خاصة ، فسكن ابراهيم الخليل فى أرض كنعان وسكن لوط فى سدوم وعمورة فى دائرة الاردن (٣) .

---

(١) المرجع السابق — ص ١٠٢ .

(٢) أحمد عبد الحميد يوسف : المرجع السابق — ص ٢٤.

(٣) التكوين ١٣: ١-١٢.

- زوجات ابراهيم عليه السلام :

تذكر أسفار العهد القديم انه كان لابراهيم ثلاث زوجات وهن السيدة " سارة " والسيدة " هاجر " و "قطورة " [(١)] ، وقد رزق ،عليه السلام ،من " قطورة " بست من الابناء ، زمران و يقشان ومدان ومديان ويشبان وشوحا [(٢)] ، فيحين راى المؤرخون العرب أن ابراهيم الخليل تزوج من " سارة " و " هاجر " ، و " قطورة " او (قنطورة) وكذلك " حجورة " (دعتها بعض المصادر العربية باسم حجونى بنت ارهير)،وقد ذكر المؤرخون العرب أنه رزق من الاخيرة بخمس من الاولاد ، كيسان ، شورج، اميم ، لوطان ، ونافس [(٣)] ، والذى يهمنا من هؤلاء هى اولى زوجاته السيدة " سارة " التى انجبت له على الكبر " اسحاق " ، والسيدة " هاجر" التي أنجبت له ولده البكر " اسماعيل " وقد شكر ابراهيم ربه الذى استجاب لدعائه ، حيث يقول الله تعالى " الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربى لسميع الدعاء "[(٤)] .

وتتفق جميع المصادر على أن أولى زوجاته ، عليه السلام ،كانت السيدة " سارة " ولكن تختلف الاراء حول قرابتها من الخليل ابراهيم عليه السلام ، فاسفار العهد القديم تذكر أنها كانت أخته ابنة أبيه ليست شقيقته وقد تزوج منها لتصبح أولى زوجاته [(٥)] . فى حين اختلف المؤرخون

---

(١) التكوين ١١:٢١ ، ٢/١٦ ، ١/٢٥.
(٢) التكوين ١:٢٥-٢.
(٣) تاريخ الطبرى : جا - ص ٢٤٤ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، الكامل فى التاريخ ، جا ص ٧٠ ، الطبقات الكبرى : جا ص ٤٦-٤٨ ، ابن كثير : قصص الانبياء جا ص ١٩٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، تاريخ ابن خلدون - ج٢ ، ص ٣٩ ، ٤٣ ، المسعودى : المرجع السابق - ص ٥٨ ، محمد حسنى عبد الحميد : المرجع السابق - ص ١٦٠.
(٤) سورة ابراهيم : اية ٣٩ ، تفسير ابن كثير - ج٢ - ص ٥٤١.
(٥) التكوين : ١٢:٢٠.

العرب فى ذلك فمنهم من رأى ان سارة هى ابنة أخيه " هاران " ومنهم من راى انها ابنة عمه واخرون رأوا أنها ابنة ملك " حاران " ومنهم من راى انها اميرة بدوية لان اسم " سارة " انما يعنى "اميرة " فى العبرية (١) .

ولقد ورد فى الحديث الصحيح مايثبت خطأ ماذكرته اسفار العهد القديم من ان سارة كانت اخت ابراهيم حقيقة فعن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لم يكذب ابراهيم النبى عليه السلام قط الا ثلاث كذبات اثنتان فى ذات الله : قوله : قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا ، وواحدة فى شان سارة فانه قدم ارض جبار ومعه سارة وكانت احسن الناس فقال لها : ان هذا الجبار ان يعلم انك امراتى يغلبنى عليك فان سالك فاخبريه انك اختى فانك اختى فى الاسلام فانى لا أعلم فى الارض مسلما غيرك وغيرى فلما دخل ارضه راها بعض اهل الجبار فاتاه فقال لقد قدم ارضك امراة لاينبغى لها ان تكون الا لك فارسل اليها فاتى بها فقام ابراهيم عليه السلام الى الصلاة فلما دخلت عليه لم يتمالك ان بسط يده اليها فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها ادعى الله ان يطلق يدى ولا اضرك ففعلت فعاد فقبضت اشد من القبضتين الاوليين فقال ادعى الله ان يطلق يدى فلك الله ان لا اضرك ففعلت فاطلقت يده فدعا الذى جاءبها فقال له انك انما اتيتنى بشيطان ولم تاتينى بانسان فاخرجها من ارضى واعطها هاجر " قال " فاقبلت تمشى فلما راها ابراهيم عليه السلام انصرف فقال لها مهيم فقالت خيرا كف الله يد الفاجر واخدم خادما " قال أبوهريرة فتلك امكم يابنى ماء السماء" (٢)

---

(١) تاريخ الطبرى - ص ٢٤٤ ، ٣١١ ، قصص الانبياء - ص ١٩٢ ، تاريخ ابن خلدون : ص ٣٩ ، الكامل فى التاريخ ص ٥٧ ، ابو الفداء : المرجع السابق ج ١ ص ١٣ ، المعارف - ص ٣١ ، الثعلبى : المرجع السابق ص ٦٩.

(٢) صحيح البخارى - ج٤ - ص ١٧١ ، صحيح مسلم - ج٤ - ص ١٨٤٠-١٨٤١.

هذا الحديث وما حواه من قصة سارة يدل بصريح العبارة على ان سارة لم تكن آخت ابراهيم عليه السلام حقيقة ، ونعلم ان ماورد فى الاحاديث الصحيحة لايمكن الطعن فيه بل هو الثابت والمقبول ، لان الاحاديث الصحيحة اهم مصدر نعتمد عليه بعد القرآن الكريم فى التحقيق من الاحداث التاريخية وعليه فان الاحاديث تثبت بدون ادنى شك على ان سارة لم تكن اخت ابراهيم عليه السلام .

واما ماذكر بان سارة هى ابنة اخيه " هاران " فهو راى مرفوض وان من ادعى ان تزويج بنت الاخ كان مشروعا فى تلك الفترة ليس له اى دليل ولو فرض ان هذا كان مشروعا فى وقت فان الأنبياء لاتتعاطاه[١] . والمرجح والمشهور ان ساره هى ابنة عمه " هاران " الذى تنسب اليه مدينة " حاران " [٢] .

كانت سارة امرأة عقيما لاتلد . ولكن الله رزق ابراهيم على الكبر ولدا منها سمى "اسحق " وفى ذلك يقول الله تعالى :

"ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ ، فلما راى ايديهم لاتصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لاتخف انا ارسلنا الى قوم لوط ، وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت ياويلتى آألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب ، قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد" [٣] .

---

(١) ابن كثير : قصص الانبياء ، ج١ - ص ٢١٤ .

(٢) وهذا غير جائز في جميع الشرائع السماوية حتى اليهودية التى تبيح زواج بنت الاخت دون بنت الاخ .

(٣) سورة هود : آية ٦٩-٧٣ ، تفسير ابن كثير ج ٢ ، ص ٤٥١-٤٥٢ .

وشكر ابراهيم عليه السلام ربه الذى استجاب لدعائه " الحمد لله الذي وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربى لسميع الدعاء "(١) وقد ماتت السيدة "سارة "وهى ابنة مائة وسبع وعشرين سنة (٢) .

وتتفق جميع المصادر كذلك على ان السيدة " هاجر "، رضى الله عنها، كانت الزوجة الثانية للخليل ابراهيم وأم ولده " اسماعيل " وكانت السيدة " سارة " كما أشرنا آنفا امرأة عقيما لاتلد ، وقد كان يحزنها ان ترى زوجها وحيدا وليس له ولد ، وقد شعرت بما يجول فى خاطر ابراهيم ورغبته فى ان يكون له ولد من الصالحين ، وقد دعا ابراهيم ربه بذلك " رب هب لى من الصالحين "(٣) ، وكانت قد اصبحت هى على حال لايرجى ان تاتى بعده بوليد ، فلقد بلغت من الكبر عتيا ، لذلك اشارت على زوجها ان يتزوج من " هاجر " المصرية لعل الله يرزقه منها بغلام تشرق به حياتهما فاستجاب ابراهيم لرأى السيدة سارة وتزوج السيدة " هاجر " فبشره الله بغلام حليم " فبشرناه بغلام حليم "(٤)، وانجبت له غلاما زكيا هو "اسماعيل" والذى كان من نسله رسول هذه الأمة وخاتم الانبياء والمرسلين محمد بن عبدالله ، صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، واليه يعود نسب العرب جميعا فقد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال : " كل العرب من ولد اسماعيل ابن ابراهيم عليهما السلام "(٥) .

---

(١) سورة ابراهيم : اية ٣٩.

(٢) تاريخ الطبرى : ج١ ص ٢٤٩.

(٣) سورة الصافات: اية ١٠٠ ، تفسير ابن كثير ج٤ ص ١٤ ، سيد قطب : المرجع السابق ص ٢٩٩٤.

(٤) سورة الصافات: اية ١٠١ ، تفسير ابن كثير ص ١٤. سيد قطب : المرجع السابق .

(٥) الطبقات الكبرى : ج١ ـ ص ٥١. قارن : تفسير النسفى : ج٣ ـ ص ١١٢-١١٣.

تذكر اسفار العهد القديم ان " هاجر " كانت جارية مصرية للسيدة سارة ، وانها قد وهبتها الى زوجها ابراهيم للدخول عليها على امل أن يرزقه الله منها بولد ، فدخل ابراهيم على هاجر فانت منه بغلام سماه " اسماعيل " (١) . وهناك رأى يميل الى انها ربما كانت امرأة مصرية من الطبقة الوسطى ولكنها لم تكن جارية مصرية ، كما ورد في اسفار العهد القديم ، لانه من المستبعد ان يتزوج ابو الانبياء ، عليه السلام ، من الطبقة الدنيا ، كما انه من المستبعد ان تكون اميرة مصرية ،وذلك لان التقاليد في مصر في تلك الفترة من التاريخ لاتسمح للامراء ان يزوجوا بناتهم من الاجانب ولكنه من المحتمل ان " هاجر " كانت ابنة احد كبار رجال الدين المصريين ، على اساس انهم هم الطبقة التى من المتوقع ان يكثر اتصال ابراهيم بهم ، وهى الطبقة الاكثر ملائمة لان يتزوج منها ابراهيم عليه السلام (٢)، ويؤكد الحديث الشريف على ان ام اسماعيل ، عليه السلام ، كانت امرأة مصرية ، فعن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انكم ستفتحتون مصر وهى ارض يسمى فيها القيراط فاذا فتحتموها فاحسنوا الى اهلها فان لهم ذمة ورحما " او قال " ذمة وصهرا " (٣) .

فاما الذمة ، فان " مارية " ام ابراهيم ، ولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، انما كانت امرأة صعيدية من قرية " حفن " فى مقابل مدينة الروضة عبر النهر بمحافظة المنيا ، وتعرف الان باسم " الشيخ عبادة " نسبة الي الصحابى الجليل عبادة بن الصامت ، اول من بنى بها مسجدا

(١) التكوين ١٦:١-١٥.

(٢) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ١٨٢-١٨٣.

(٣) صحيح مسلم - ص ١٩٧٠ (كتاب الفضائل باب وصية النبى صلى الله عليه وسلم باهل مصر).

وأما الرحم فان ام العرب العدنانية " هاجر " زوج ابراهيم وام اسماعيل عليهما السلام كانتمصرية كذلك .(١)

وتجمع المصادر العربية على أن السيدة " هاجر "كانت جارية منحها لها ملك مصر عندماهاجر ابراهيم ومعه سارة من ارض كنعان الى هناك (٢)،ومن المحتمل ان المؤرخين العرب قد استندوا فى ذلك على رواية اسفار العهد القديم حول قصة عقم سارة وتزويجها لابراهيم من جاريتها هاجر وولادة اسماعيل ولكن ماذكرته اسفار العهد القديم يلمح فيه تحيز وتعصب بنى اسرائيل لتميز " سارة " وابنها اسحاق ونسله دون " هاجر " وابنها اسماعيل ونسله، فبنى اسرائيل جهدوا دائما وابدا ان يثبتوا لانفسهم ماليس لغيرهم من ذرية ابراهيم على وجه العموم ومن لده اسماعيل على وجه الخصوص فهم وان كانوا يتساوون معهم فىالانتساب الىابراهيمعليه السلام الا انهم يمتازون عنهم ، فهم أبناء سارة الحرة وأولئك ابناء هاجر الجارية ، ويلاحظ ان نغمة تعصب بنى اسرائيل تكاد تسودجميع روايات اسفار العهد القديم ولكنها فى موضوع " هاجر " تعنى شيئا اكثرمن التعصب تعنى انهم وحدهم ورثة ابراهيم دون بقية ذريته الاخرين فامهم ساره الحرة افضلمن هاجر الجارية ام العرب (٣) .

---

(١) انظر: الكندى : فضائل مصر — القاهرة ١٩٧١ ص٢٧—٢٨ ، محمد بيومي مهران : مصر — الكتاب الاول — الاسكندرية ١٩٨٢ م ص ١٩.

(٢) الكامل فىالتاريخ : ج٢ ص ٥٨ ، تاريخالطبرى : ج١ ص٢٤٧، المقدس : المرجع السابق : ص٥٣ ، تاريخ ابن خلدون — ج٢ ص ٣٩—٤٠ ،قصص الانبياء ج١ ص٢١٧ ، الطبقاتالكبرى ج١ ص٤٨—٤٩ ، المسعودى : المرجع السابق ج١ ص ٥٧ ، الثعلبى : المرجعالسابق ، ص ٧٠.

(٣) محمد بيومى مهران : اسرائيل — ج١ ، ص ١٧٦—١٧٨.

رزق ابراهيم ، عليه السلام ، بولده اسماعيل وهو في السادسة والثمانين من عمره [١]، واذا اتفق على ان ابراهيم تدعاش في الفترة مابين (١٩٤٠ - ١٧٦٥ ق ٠م ٠) فعندها تكون ولادة اسماعيل عليه السلام في عام ١٨٥٤ ق ٠م [٢]، وقد ولد عليه السلام في أرض كنعان ولكن ابراهيم اسكنه وأمه هاجر في مكة حيث كبر وترعرع هناك ٠

فغيرة السيدة " سارة " من ضرتها السيدة " هاجر " وابنها "اسماعيل" ليست من خوارق العادات أو شواذ الامر ، بل هي من الامور العادية التي تحدث في كل بيت تتعدد فيه الزوجات ايا كان هذا البيت[٣] ٠ ولكن هذه الغيرة ليست هي السبب الحقيقي لرحلة ابراهيم بولده وزوجه الى مكة وانما كان ذلك امتثالا لامر الله سبحانه وتعالى بدليل قول السيدة هاجر لابراهيم عليه السلام عندما تركها ووليدها بوادي مكة : أ آلله أمرك بهذا ، قال نعم ، قالت : اذاً لايضيعنا ٠

وأما رواية اسفار العهد القديم فانها تعلل ابعاد " هاجر "وابنها اسماعيل يعود الى ان سارة رات ابن هاجر المصرية يمزح في يوم حفل فطام اخيه اسحاق ، فقالت لابراهيم " اطرد هذه الجارية وابنها لان ابن هذه الجارية لايرث مع ابني اسحاق "[٤] ولكن هذا العذر لابعاد سارة لضرتها هاجر وابنها اسماعيل غير مقبول لأن الادلة تؤكد غير ماجاء في رواية اسفار العهد القديم ٠ ففي الحديث الذي ذكره البخاري في صحيحه من ان اسماعيل كان رضيعا حين ابعد هو وأمه الى مكة [٥] ، ومن المحال ان يكون من رضيع مزح ولا غيره ، وانما هي غيرتها من ان يكون لابراهيم ولد من غيرها تراه معها

---

(١) التكوين ١٦:١٦٠

(٢) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ١٠٨٠

(٣) محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية ص ١٥٦-١٥٧٠

(٤) التكوين ٢١:٨-١٠٠

(٥) صحيح البخاري : ج٤ - ص ١٣٧٠

فى البيت ، ولكن تحريف اليهود لكتابهم اشهر من نار على علم (١) هذا فضلا عن ان ابعاد هاجر وابنها اسماعيل الى الحجاز كان قبل ولادة اسحاق فاسفار العهد القديم تذكر ان ابراهيم كان " ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اسماعيل لابراهيم "(٢) . وكان ابراهيم ابن مئة سنة حين ولد له اسحاق ابنه "(٣) وعليه فان اسماعيل ولد قبل اسحاق باكثر من اربعة عشر عاما . واستنادا لما جاء فى الحديث بصحيح البخارى - الذى هو اوثق المصادر بعد القران الكريم - فان هذا الابعاد كان قد تم قبل ولادة اسحاق بحوالى اربعة عشر عاما . وبذلك فان رواية اسفار العهد القديم فى تعليل ابعاد هاجر وابنها مرفوضة .

...

رحلة ابراهيم الى الحجاز واسكان اسماعيل فى مكة :

بعد ان رزق الله سبحانه وتعالى ابراهيم باسماعيل من زوجته " هاجر" انتعشت نفسه بهذا الغلام الذى رزق به وهو على كبر من السن حيث قارب التسعين من عمره ، وقد اضفى على حياته البهجة والسرور ، عندها بدأت آثار الحسرة والغيرة تدب فى قلب زوجته الاولى السيدة " سارة " وسيطر عليها الحزن والالم وحرمت الهدوء والراحة فاصبحت لاتطيق رؤية " هاجر " ولاتحتمل النظر الى اسماعيل . فلم تجد دواء لعلتها سوى ان تطلب من ابراهيم

---

(١) عبد الوهاب النجار: المرجع السابق ص١٠٤ .

(٢) التكوين ١٦:١٦.

(٣) التكوين ٢١:٥.

ان يبعدهما عن دارها وعن عينيها فاستجاب الله لتلك الرغبة - وذلك لحكمة يريدها سبحانه وتعالى - واوصى ابراهيم ان ينفذ طلبها ويستجيب الى رجائها فاخذ ابراهيم زوجته " هاجر " وابنه اسماعيل وذهب بهما الى مكة ثم تركهما فى ذلك المكان المقفر مع جراب فيه تمر ، وسقاء فيه ماء وكان اسماعيل يومئذ رضيعا (١) .

وتدل ظواهر الامور ، وليس حقيقتها ، كما يريد بعض المؤرخين ان السبب المباشر لرحلة ابراهيم ، عليه السلام ، الى الحجاز واصطحابه زوجته وابنه لاسكانهم هناك يعود الى غيرة السيدة " سارة " من ضرتها وابن ضرتها وهذا امر طبيعى ، لان الغيرة بين النساء من الصق الصفات بهن ، فليست هناك امراة - كائنة من كانت - تقبل راضية ان تشاركها فى حب زوجها ضرة لها خصوصا اذا كانت هذه الضرة فى ريعان الشباب ، بينما هى على ابواب الشيخوخة ، وان الضرة هذه قد اعطته الولد ، وهى عقيم لا تلد ، مرفوضة لكونها تتعارض مع صحة ماحدث ،ذلك لان قيام الخليل عليه السلام برحلته الى الحجاز، ومعه هاجر واسماعيل ، انما كان امتثالا لامر الله ورغبة فى نشر الايمان فى بيئة جديدة ، ولو كان الامر هو مجرد ابعاد هاجر وولدها اسماعيل عن سارة لكان اولى بابراهيم - وهو الرحيم والحنون على ولده وزوجته - ان ياخذهما الى مصر حيث تستقر زوجته عند اهلها ، ويطمئن على ولده عند خؤولته ، بدل من ان يقذف بهما هناك فى صحراء جرداء لاماء فيها ولازرع ، فالخليل عليه السلام لم يكن يفعل مافعل بأمر من نفسه او بامر من سارة - كما يحلو للسطحيين من المؤرخين - وانما كان يفعل ذلك كله بامر من رب ابراهيم تمهيدا لاعظم مهمة خلدت ذكر ابراهيم وهدت اقواما الى الايمان بالواحد

---

(١) التكوين ٢١:٩-١٤ ، تاريخ الطبرى ص ٢٥٣-٢٥٤ ، الكامل في التاريخ : ص ٥٩ ، قصص الانبياء - ص ٢٢٢ ، تاريخ ابن خلدون : ص ٤٠ ، الثعلبي : المرجع السابق - ص ٧١ .

القهار ، ونعنى بذلك اول بيت وضع للناس ، بيت الله الحرام وليعيش اسماعيل هناك حتى يخرج من نسله أشرف الاولين والاخرين ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحتى تنشأ هناك خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وهكذا فان هجرة ابى الانبياء بولده اسماعيل وامه انما كانت لامر أراده الله وليست انتقاما من سارة التى ارادت ان يذهب الخليل بهما الى مكان سحيق لاتعرف عنهم شيئا ثم يعود اليها ابراهيم وحده ، لذلك يتجه البعض الى ان هجرة الخليل بولده وزوجته الى الارض المقدسة فى مكة انما كانت بعد أن أمر الله ابراهيم ببناء البيت الحرام (1) .

ورحلة ابراهيم بزوجته هاجر وابنه اسماعيل لم تفصل فى القرآن الكريم ولم يشر اليها سوى الدعاء الذى جاء على لسان ابراهيم عليه السلام ، ولكن الحديث الشريف تحدث عن هذا الموضوع فيروى الامام البخارى فى صحيحه عن ابن عباس ان هاجر سالت ابراهيم عندما جاء بها وبابنها اسماعيل عليهما السلام وهى ترضعه فوضعها عند البيت عند دوحة ،فوق زمزم فى اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء ، ثم قفى منطلقا فتبعته ام اسماعيل وقالت : يا ابراهيم ، اين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انس و لا شيء ، فقالت ذلك مرارا وابراهيم لايلتفت اليها فقالت له : الله امرك بهذا ، قال: نعم. قالت : اذا لا يضيعنا . ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا ابتعد عن زوجته وولده قليلا وقف يدعو بهذه الدعوات :

---

(1) تفسير الطبرى - جـ٣ - ص ٦٨-٦٩ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٨٥-١٨٦.

" ربنا انى أسكنت من ذريتى بوادى غيرذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون " (١) .

وهكذا يبدو واضحا ان ابراهيم عليه السلام اقدم على رحلته الى الحجاز بزوجته وولده اسماعيل امتثالا لامر الله ورغبة فى نشر الايمان بالله فى بيئة جديدة وفى مناخ جديد ثم ليبنى هناك هو وولده اسماعيل البيت الحرام ، بعد ان قام بنشر دعوة التوحيد من قبل فى العراق وسورية ومصر ثم ليربط ابنه وبكره اسماعيل بما ارتبط هو به من قبل ، فابراهيم يعود فى نسبه الاول الى العرب العاربة والتى هاجرت من الجزيرة العربية وابراهيم قد ولد ونشأ فى العراق وابراهيم هاجر الى الشام ثم الى مصر ، ومن مصر عاد الى فلسطين ثانية ، ثم من فلسطين الى الحجاز ومن الحجاز الى فلسطين . واما اسماعيل فقد كان نصف مصرى ، نصف عراقى ، واسماعيل ولد فى الشام وعاش فى الحجاز بالجزيرة العربية ، وتزوج من يمنيه - او مصرية فيما تروى اسفار العهد القديم (٢) وتخريجا من هذا فان اسماعيل رمز العروبة فى العراق ، ولعروبة مصر ، ولعروبة الشام ، ولعروبة الجزيرة العربية (٣) .

---

(١) سورة ابراهيم : اية ٣٧ - صحيح البخارى : ج٤ ص ١٧٢-١٧٣ ، تفسير الطبرى : ج١٣ ص ٢٢٩-٢٣٣ ، تاريخ الطقبرى : ج١ ص ٢٥٢ ، الكامل فى التاريخ ص٥٩ ، تفسير ابن كثير ج٢ ص ٥٤١ ، قصص الانبياء ص ٢٢٢-٢٢٣ ، تاريخ ابن خلدون : ص ٤٠ ، تاريخ ايعقوبى : ج١ ص ٢٥ ، المقدسي: المرجع السابق ج٣ ص ٦٠. الديار بكرى : المرجع السابق ص ١٠٦، روح المعانى ج١٣ ، ص ٢٣٦ ، التفسير الكبير ج١٩- ص ١٣٩ ، الفاسي : شفاء الغرام - ج ٢ ص ٥ ومابعدها ، الازرقى : اخبار مكة وماجاء فيه من الاثار - تحقيق رشدى الصالح ملحس : بيروت - ١٩٦٥ - ص ٥٤.

(٢) تكوين ٢١:٢١.

(٣) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ١٥٩ ، اسرائيل : ج١ ص ١٢٢.

وتتحدث المصادر الاسلامية عن رحلة الخليل هذه واسكانه لزوجته وابنه فى مكة بشيء من التفصيل مثبتة حدوثها مؤكدة اخبارها ولكن من المدهش ان نجد بعض المستشرقين ينكرون حدوث هذه الرحلة واعتبروها مسالة مبالغ فى اخبارها وبعيدة عن الحقيقة فهم يستغربون طواف ابراهيم بتلك المساحات الشاسعة ليتجه نحو الجزيرة العربية بل ان البعض منهم يرى ان هذه الرحلة ابتدعها اليهود قبل ظهور الاسلام بعدة اجيال لكى يحسن العرب معاملتهم وييسروا لهم تجارتهم فى بلاد العرب وقد وصل الامر ببعض هؤلاء المستشرقين الحاقدين على الدين الاسلامى الى الادعاء بان محمدا صلى الله عليه وسلم هو الذى اخترع قصة قدوم ابراهيم واسماعيل الى مكة وبناء الكعبة حتى يصبح هذا الدين - الاسلام - متصلا بابراهيم. والواقع أن آراء هؤلاء المستشرقين لاتصمد امام النقد العلمى عند مناقشتها ولاتقف فى وجه الحجج والادلة العلمية الثابتة فتنهار فى اول مواجهة ولعل من الاهمية ان نشير الى أن هدف هؤلاء المستشرقين من ذلك هو تعصبهم نحو دين معين وانكارهم لغيره فاسلوب بحثهم لهذا الموضوع بعيد عن النزاهة لفرض البحث العلمى من اجل الوصول الى الحقيقة فقد اتبعوا الكذب والادعاء والافتراء فى طريقة بحثهم لاثبات وجهات نظرهم ولعل الدافع الى اتباعهم لهذا الاسلوب هو حقدهم وعداءهم للدين الاسلامى ، وكرههم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهم اشد الناس عداوة للذين آمنوا (١) .

..

(١) مزيدا من التفاصيل عن اراء المستشرقين والردود علي تلك الاراء :راجع محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ١٠٤-١٢٦ ، دراسات تاريخية ص ١٣٨-١٥٦.

- قصة الذبيح من ولد ابراهيم عليه السلام :

هناك رأيان مختلفان عن الذبيح من ولدى ابراهيم عليه السلام ، فالرأى الاول يذهب الى أن الذبيح هو اسحاق ، فى حين يذهب الرأى الثاني الى أن الذبيح هو اسماعيل . وهكذا نجد ان هناك اختلافا حول اسم الذبيح من ولدى ابراهيم ، فاليهود والنصارى ذهبوا الى انه اسحاق بينما ذهب المسلمون الى أنه اسماعيل. ويعتمد اليهود والنصارى فى رأيهم هذا على أسفار العهد القديم والعهد الجديد المحرفة ، فى الوقت الذى نجد ان العلماء المسلمين قد اعتمدوا فى رأيهم هذا على المصدر الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، اعتمدوا على أوثق المصادر وهو القرآن الكريم .

يعتقد أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ان الذبيح كان اسحاق ولم يكن اسماعيل وذلك استنادا على ماورد فى نصوص اسفار العهد القديم التى تصور لنا كيف ان الله امتحن ابراهيم وطلب منه ان يأخذ ابنه الذى يحبه اسحاق ويذبحه فى محرقة على احد الجبال فى ارض الموريا وقد نفذ ابراهيم امر ربه وهم بذبح ابنه الذى يحبه ولكن الرب فداه بكبش بعد ان قال له ملاك الرب : " لاتمد يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئا لانى الان علمت انك خائف الله فلم تمسك ابنك ووحيدك عنى " (١) ، وكذلك استنادا الى ماجاء فى اسفار العهد الجديد من أنه " بالايمان قدم ابراهيم اسحق وهو مجرب ، قدم الذى قبل المواعيد وحيده الذى قيل له انه باسحق يدعى لك نسل ، اذ احسب ان الله قادر على الاقامة من الاموات ايضا" (٢) وهكذا يستند اليهود والنصارى على ماورد فى اشفار العهد القديم واسفار العهد الجديد (٣) لاثبات دعواهم بان الذبيح من ولدى ابراهيم كان اسحاق عليهما السلام .

---

(١) التكوين ٢٢:١-١٤.

(٢) الرسالة الى العبرانيين ١١:١٧-١٩ قارن:
Josephus: The Antiquinties of the Jews (BK.ch. XII, 1-4), Poland The Talmud (ch.III, pp. 52-58)

(٣) يتكون مايسمى بالكتاب المقدس (Holy Bible) عند (=)

والواقع ان الرأى الاول مردود لان الروايات التى استند عليها أصحاب هذا الرأى تنهار أمام الادلة المقنعة والتى تخالف ما ذكر ،فاسفار العهد القديم تؤكد أن الذبيح كان ابن ابراهيم الوحيد " خذ ابنك وحيدك "(١) ، " فلم تمسك ابنك وحيدك " (٢) وهذا وصف ينطبق على اسماعيل وحده ، لا ن اسحاق لم يكن وحيد ابراهيم فى يوم من الايام ،فاسحاق ولد بعد اسماعيل بأربع عشرة سنة ، فوجود اسماعيل قبل اسحاق ينفى عن الاخير كونه ابن ابراهيم الوحيد ، بل ان العكس هو الصحيح ، فاسماعيل كان وحيدا خلال الاربعة عشر عاما الاولى من ولادته ، وعليه فان وصف الذبيح بانه كان الولد الوحيد لابراهيم انما ينطبق على اسماعيل دون غيره (٣) .

(=) المسيحيين من اسفار العهد القديم (Old Testaments) واسفار العهد الجديد (New Testaments) واسفار العهد القديم هى الكتاب المقدس عند اليهود والذى يطلق عليه تجاوزا اسم التوراة (Torah) . اما اسفار العهد الجديد فهى الجزء المسيحى من الكتاب المقدس . وقد اطلقت هاتين التسميتين العهد القديم والعهد الجديد عليهما فى العصور المسيحية للتفرقة والتمييز بين ما اعتمده اليهود من اسفار وهى العهد القديم وبين ما اعتمده المسيحيون من إسفار وهى العهد الجديد ونحن لانعتبر هذه الاسفار كتبا مقدسة وانما نعتبرها مصادر تاريخية قديمة قابلة للنقد والرفض شانها فى ذلك شان المصادر التاريخية القديمة (حول مزيد من التفاصيل عن التوراة انظر : محمد بيومى مهران : اسرائيل جـ٣ - ص ١-٣٧٩ .

(١) التكوين ٢/٢٢ .

(٢) التكوين ١٢:٢٢ .

(٣) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - جـ١ - ص ١٣٧-١٣٨ ، عبد الوهاب النجار : المرجع السابق ص ١٠٣ .

وحين تقرأ قول الله تعالى :

" وقال اني ذاهب الى ربى سيهدين ، رب هب لى من الصالحين ، فبشرناه بغلام حليم، فلما بلغ معه السعي قال يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين، فلما أسلما وتله للجبين ،وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ، ان هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا عليه فى الاخرين ، سلام على ابراهيم ، كذلك نجزى المحسنين ، وانه من عبادنا المؤمنين ، وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين ،وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين "(١) .

فانه بلا شك نلاحظ ان الضمير فى " عليه "يعود الى الذبيح ، فالايتان بالبشرى باسحاق بعد ذكر القصة صريح فى ان اسحاق غير الغلام الذى ابتلى الله ابراهيم بذبحه ، وعودة الضمير الى الغلام الذبيح وذكر اسم اسحاق معه صريحا يقتض التغاير بين الذبيح واسحاق . ومعنى " تله " صرعه والقاه على عنقه وخده ، وعلى ذلك فان لفظ اسحاق - كما تذكر رواية اسفار العهد القديم - حشر حشرا فى غضون هذه الرواية من قبل اليهود وذلك حرصا منهم على ان يكون ابوهم هو الذبيح الذى جاد بنفسه فى طاعة ربه وهو فى حالة صغرة (٢) فالقرآن الكريم ، كانه ينص على ان الذبيح هو اسماعيل لانه ذكر قصة الذبيح ثم قال بعده " وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين " ويعنى جعل كلمة " نبيا "

---

(١) سورة الصافات : اية ٩٩-١١٣.

(٢) عبد الوهاب النجار : المرجع السابق - ص ١٠٢ ، ابن تيمية : مجموع فتاوى ابن تيمية ج٤ الرياض - ١٣٨٢ - ص ٣٣١-٣٣٢.

حال من اسحاق فيكون التبشير به تبشيرا بنبوءته لا بولادته ولفظة اسحاق مقحمة ومفتراة لانه ليس هو الوحيد ولا البكر وانما هو اسماعيل ، وقد قام اليهود بتحريف هذه الحقائق لانهم يحسدون العرب ابناء اسماعيل وحرصا منهم على ان يجروا هذا الشرف اليهم [1]، وتحريف اليهود لاسفار العهد القديم امر معلوم وكثير الوقوع وما تحريفهم فى هذه المسالة الا جزء من هذا الكثير .

وتختلف قصة الذبيح عند اليهود عنها عند المسلمين وهذا الاختلاف له جانب هام يفوق فى اهميته جانب البحث التاريخى الذى يراد به معرفة اسم الذبيح من ولدى ابراهيم لانه اختلاف يتعلق به - من وجهة نظرهم - اختيار الشعب الموعود ، كما يتعلق به الحذف والاثبات فى سيرة ابراهيم ليتصل بذرية اسحاق وينقطع عن ذرية اسماعيل، أو ليثبت من سيرته كل مايتعلق باسرائيل وينقطع منها كل مايتعلق بالعرب، وأن هذا النزاع قد بدا قديما قبل تدوين نسخ التوراة التى كتبت فى بابل اى قبل الميلاد بعدة قرون[2] اى فى القرن السادس قبل الميلاد واثناء السبى البابلى . وعلى هذا الاساس يتبين ان دعوى اليهود بان الذبيح كان اسحاق ، ماهى الا رغبتهم ومحاولتهم اغتصاب شرف عرف لاسماعيل - جد العرب - وليس لاسحاق .

ولقد واجه فقهاء المسيحية مشكلة وهى كيف يؤمر ابراهيم بذبح ابنه اسحاق وهو ابنه الموعود الذى يخرج من نسله شعب الله المختار طبقا لما ورد فى اسفار العهد القديم : " باسحاق يدعى لك نسل " [3] ويكون

---

(١) ابن كثير : قصص الانبياء - ج ١ ص ٢٣٢-٢٣٣.
(٢) عباس محمود العقاد : المرجع السابق - ص ٨٦-٨٧.
(٣) التكوين ٢١:١٢.

" كنجوم السماء وكالرمل على شاطئ البحر "(1) وارتضى فقهاء المسيحية للخروج من هذه المشكلة وهو ماورد فى أسفار العهد الجديد : " ان ابراهيم بالايمان قدم اسحاق .... وحيده .... الذى قيل له انه باسحاق يدعى لك نسل ، اذ حسب ان الله قادر على الاقامة من الاموات أيضا "(2) ، وحل المشكلة على هذا الوجه جديد فى المسيحية لم ينظر اليه احبار اليهود الذين اعتبروا ان التضحية قائمة على تسليم ابراهيم بموت اسحاق ، وانه أطاع الله ولم يطع قلبه ، ولم يحفل بحنانه على ابنه الموعود (3) .

وكذلك يعتقد أهل الكتاب أن الذبيح هو اسحاق بحجة انه كان قد ولد بطريقة خارقة للطبيعة ، وانه قد اعطى اسما قبل ان تحمل به امه (4) ، ولاندرى مامقصدهم بالولادة الخارقة للطبيعة ؟ فاذا كان قصدهم ان اسحاق ولد لابراهيم وهو شيخ بلغ المائة من عمره وامرأته عجوز فى التسعين من عمرها كما تروى اسفار العهد القديم (5) ، فان هذا ينطبق على اسماعيل أيضا لان اسماعيل ولد لابراهيم وهو فى السادسة والثمانين من عمره (6) ، والقرآن الكريم يؤكد ان الله قد رزق ابراهيم باسماعيل واسحاق وهو كبير فى السن : " الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربى لسميع الدعاء " (7) ، بل اننا نجد آن اسفار العهد القديم تروى ان ابراهيم

---

(1) التكوين ٢٢:١٧.
(2) الرسالة الى العبرانيين ١١:١٧-١٩.
(3) عباس محمود العقاد : المرجع السابق ص ٨٧.
(4) حبيب سعيد : المرجع السابق - ص ٩٣.
(5) التكوين ١٧:١٧.
(6) التكوين ١٦:١٦.
(7) سورة ابراهيم : آية ٣٩.

قد تزوج من " قطورة " الكنعانية وهو فى السابعة والثلاثين بعد المائة ورزق منها بستة بنين [١] ، هذا فضلا عن ان قصة ولادة اسحاق - كما جاءت فى اسفار العهد القديم - ليست فريدة فى احداثها لان ولادة " يحي ابن زكريا " عليهما السلام ، ماهى الا تكرار لولادة اسحاق وكذا اسماعيل وذلك بان " زكريا " كان قد بلغ من الكبر عتيا وكانت امراته عاقرا ، فسال الله ان يهب له غلاما زكيا فرزقه الله بغلام اسمه "يحي" والى هذا يشير القران الكريم فى قوله تعالى :

" ذكر رحمة ربك عبده زكريا • اذ نادى ربه نداء خفيا ،
قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الراس شيبا ولم اكن
بدعائك رب شقيا • وانى خفت الموالى من ورائى وكانت
امراتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا • يرثنى ويرث ال يعقوب
واجعله رب رضيا ، يازكريا انا نبشرك بغلم اسمه يحي لم
نجعل له من قبل سميا ، قال رب انى يكون لى غلام وكانت
امرآتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ، قال كذلك
قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا "[٢] .

ويعرف " يحي " عليه السلام - عند المسيحيين بيوحنا المعمدان وقد وردت قصة ولادته فى اسفار العهد الجديد [٣] • ثم ان هناك ولادة عيسى عليه السلام بدون آب ، وكذلك آدم عليه السلام من غير آب ولا أم • وفى هذا يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى :

" ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون "[٤]

---

(١) التكوين ٢٣ : ١-٢ ، ٢٥ : ١-٤ •
(٢) سورة مريم : اية ٢-٩ •
(٣) لوقا : ١ : ٥-١٤ •
(٤) سورة ال عمران : آية ٥٩ •

ولا أظن ان هناك ولادةخارقة للطبيعة اكثر مما فى هذه الحالة الاخيرة [١] .

واما حجتهم بان اسحاق قد أعطى اسما قبل أن يولد فان الرد على ذلك هو بان اسماعيل قد أعطى اسما من قبل أن يولد وذلك طبقا لما ورد فى اسفار العهد القديم [٢] ، واذا كان ذلك كرامة لاسحاق - وهذا مانعتقده - فهو كرامة لاسماعيل ايضا ، بل ان اسماعيل سبق اسحاق فى هذه الكرامة ، اذ اعطى اسمه قبله حتى آن اسفار العهد القديم نفسها تتحدث عن البشارة باسماعيل قبل أن تتحدث عن البشارة باسحاق [٣] ، هذا فضلا عن ان اسفار العهد الجديد تذكر ان يحي (يوحنا) وكذلك عيسى (يسوع) قد اعطيا اسميهما قبل ان يولدا ، " ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا" [٤] ، " ولما تمت ثمانية ايام ليختنوا الصبي سمى يسوع كما تسمى من الملاك قبل ان حبل به فى البطن " [٥] ، " فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع " [٦] ، والى هذا يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى :

" فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحي مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين " [٧] .

" يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحي لم نجعل له من قبل سميا " [٨] .

---

(١) محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية - ص ١٦٤-١٦٥ ، اسرائيل - جا - ص ١٤٠-١٤٤.

(٢) التكوين ١١/١٦.

(٣) التكوين ١٨/١٦.

(٤) لوقا ١٣:١.

(٥) لوقا ٢١:٢ .

(٦) متى ١ : ٢١ .

(٧) سورة ال عمران : اية ٣٩ .

(٨) سورة مريم : اية ٧.

"اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والاخرة ومن المقربين"(١)

وهكذا نجد ان هذه الحجة بان اسحاق قد اعطى اسماقبل أن يولد مردوده لان هذا الحدث كان قد تكرر مع غير اسحاق ، ودليل ذلك ماورد في أسفار العهد القديم واسفار العهد الجديد - الذى استندوا عليه - من نصوص تؤكد تكرار هذا الحدث (٢).

ويذهب الراى الثانى حول الذبيح من ولدى ابراهيم عليه السلام الى ان الذبيح كان اسماعيل عليه السلام ، وهذا الراى يمثل وجهة النظر الاسلامية بصفة عامة . وتروى المصادر الاسلامية قصة الذبيح اسماعيل وذلك بان ابراهيم ترك ولده اسماعيل فى مكة ولكنه لم ينسه او يغفل عنه بل كان يزوره من حين الى آخر ، وقد نشأ اسماعيل وترعرع واصبح فى سن يستطيع معها ان يسعى ويعمل . وفى احدى هذه الزيارات راى ابراهيم فى منامه ان الله يامره بذبح ولده هذا ، ولما كانت رؤيا الانبياء حق لانها بمثابة الوحى من الله والامر المباشر ، ففى الحديث عن ابن عباس مرفوعا " رؤيا الانبياء وحى "(٣) لذلك عزم ابراهيم على تنفيذ امر الله ولم يتردد او يثنه عن عزمه كون اسماعيل ابنه الوحيد . وقد رزقه الله به وهو على كبر وشيخوخة وصمم عليه السلام على انجاز ما امر به مستسلما وطائعا لحكم الله وعرض هذا الامر على ولده ليمتحن ايمانه ومقدار استجابته وطاعته وليكون ذلك اطيب لقلبه واهون عليه من ان يذبحه بالقوة والقهر، فكان جوا باسماعيل مثالا للولد الحليم المطيع المؤمن حيث قال لابيه

---

(١) سورة ال عمران : اية ٤٥.

(٢) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ١٤٥-١٤٦. دراسات تاريخية - ص ١٦٦.

(٣) ابن كثير : المرجع السابق ص ٢٣٠ .

افعل ما آمرك الله به وستجدنى ان شاء الله من الصابرين والمطيعين لمشيئة الله وحكمه ، انها أعظم واكمل صورة من صور العبودية لله ، انه الاسلام بعينه ، انه الايمان القوى بالله ، ايمان لايزعزعه اى شىء من الاب ومن ابنه ، الاب يؤمر فيسارع الى تنفيذ امر ربه ، والابن يستشار فيلبى ويطيع ويسلم لامر الله ، فلما استسلما لقضاء الله وقدره وعزما على تنفيذ هذا الامر ، وشرع ابراهيم فى ذبح ابنه ، ومرر السكين على رقبته يريد ذبحه ، ولكن الله شاء ان يسلب السكين خاصية القطع فلم تقطع رقبة اسماعيل وعندها جاءه النداء الالهى بان يكف عن ذبح ابنه لانه قد حصل المقصود من الاختبار والابتلاء ووجد فيه الطاعة والامتثال لاوامر الله وصدق ايمانه فكان عليه السلام من الفائزين حيث افتدى الله اسماعيل بذبح عظيم . والى هذا يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى : " وقال انى

ذاهب الى ربى سيهدين ، رب هب لى من الصالحين
فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعى قال يابني
انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى . قال يا ابت
افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين . فلما اسلما
وتله للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا
انا كذلك نجزى المحسنين ، ان هذا لهو البلاء المبين ،
وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا عليه فى الاخرين ، سلام على
ابراهيم ، كذلك نجزى المحسنين ، انه من عبادنا
المؤمنين "(١) .

---

(١) سورة الصافات: اية ٩٩-١١١ ، تفسير ابن كثير ج٤ ص ١٤-١٩ ، تفسير القرطبى ص ٥٥٤٣-٥٥٥٨ ، تفسير النسفى ، ج٤ ص ٢٤-٢٧ ، سيد قطب : المرجع السابق - ص ٢٩٩٤-٢٩٩٧ ، تاريخ الطبرى ج١ ص ٢٦٣-٢٧٨ ، قصص الانبياء ج١ ص ٢٢٩-٢٣١ ، الكامل فى التاريخ ص ٦٤ ، الثعلبي : المرجع السابق ص ٨٢-٨٣ ، تاريخ ابن خلدون ج٢ ص ٤٢ .

ويعتمد العلماء المسلمون لاثبات وجهة نظرهم بان الذبيح كان اسماعيل عليه السلام على حجج وبراهين معظمها مستقى من نصوص الايات القرانية والحديث الشريف ومن ذلك ان قصة الذبيح فى سورة الصافات [١] تدل على ان الذبيح هو اسماعيل ، اذ يقول تعالى " فبشرناه بغلام حليم " وقد انطوت هذه البشارة على ثلاث امور وهى ان الولد غلام ذكر، وعلى انه يبلغ الحلم وعلى ان يكون حليما ، فاى حلم اعظم من ان يعرض عليه ابوه الذبح فيجيبه "ستجدنى ان شاء الله من الصابرين " ثم ان قصة الذبيح لم تذكر فى القرآن الكريم الا فى هذه السورة ، ومن سائر المواضع تذكر البشارة باسحاق خاصة كما فى سورة هود [٢] والحجر [٣] والذاريات [٤] ، ولم يذكر انه الذبيح ثم ذكر البشارتين جميعا - البشارة بالذبح والبشارة باسحاق بعده - كان هذا من الادلة على ان اسحاق ليس هو الذبيح ، ويؤيد ذلك ذكر هبه الله لابراهيم اسحاق ويعقوب حيث يقول تعالى : " ووهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا من الصالحين " [٥] " ويقول " ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب واتيناه اجره فى الدنيا وانه فى الاخرة لمن الصالحين" [٦] ويقول : " وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا " [٧] ولم يذكر الله سبحانه وتعالى شيئا عن الذبيح ، هذا فضلا عن انه سبحانه وتعالى ذكر فى البشارة فى سورة الصافات الذبيح بانه غلام حليم . وحين ذكر البشارة باسحاق ذكر البشارة بغلام عليم فى موضع اخر ، والتخصيص لابد له من حكمة ،

---

(١) سورة الصافات : اية ٩٩-١١٢ .
(٢) سورة هود اية ٧١-٧٣.
(٣) سورة الحجر : اية ٥٣-٥٥ .
(٤) سورة الذاريات : اية ٢٨-٢٩.
(٥) سورة الانبياء : اية ٧٢.
(٦) سورة العنكبوت : اية ٢٧.
(٧) سورة مريم : اية ٤٩.

وهذا مما يقوى اقتران الوصفين والحلم هنا مناسب للصبر الذى هو خلق الذبيح ، ثم ان البشارة باسحاق كانت معجزة لان العجوز (سارة) عقيم، وقد سبق ان البشارة باسحاق فى حالة الكبر وانها كانت مشتركة بين ابراهيم وامراته سارة فى حين ان البشارة بالذبيح فقد كانت لابراهيم عليه السلام وامتحانا له دون الام المبشرة به (١) .

ومن العلماء المسلمين من ذهب الى ان الذى امر الله ابراهيم بذبحه هو ابنه اسماعيل وليس اسحاق ، وحجتهم فى ذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من ولدى ابراهيم قال : " وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين "(٢)، ويقول " فبشرناه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب "(٣)، فالبشارة لابراهيم بابن وابن ابن، فلم يكن يأمره بذبح اسحاق وله فيه من الله عز وجل ماوعده وبشره ، فالذى أمر بذبحه هو اسماعيل ، وفى رواية عن ابن عباس انه قال ان الذبيح اسماعيل ، وقال زعمت اليهود انه اسحاق كذبت اليهود (٤)، هذا فضلا عن ان الله وصف اسماعيل بالصبر دون اسحاق ، فى قوله تعالى " واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين "(٥) وهو صبره على الذبح، كما وصفه بصدق الوعد فى قوله تعالى " انه كان صادق الوعد "(٦) لانه وعد اباه بان يصبر على الذبح فاوفى بوعده (٧) ، وهذه صفات انطبقت على اسماعيل دون اخيه اسحاق .

---

(١) ابن تيمية : المرجع السابق ، ص ٣٣١-٣٣٥ .
(٢) سورة الصافات : اية ١١٢ .
(٣) سورة هود / اية ٧١ .
(٤) الكامل فى التاريخ جا ص ٦٣ ، تاريخ الطبرى - جا ص ٢٦٨ .
(٥) سورة الانبياء : اية ٨٥ .
(٦) سورة مريم : اية ٥٤ .
(٧) تفسير القرطبى : ص ٥٥٤٥ ، ابن تيمية : المرجع السابق ص ٤+٣ .

أضف الى ذلك أن البشارة لابراهيم بمولود جاءت مرتين ، الاولى في قوله تعالى " رب هب لي من الصالحين ، فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعي قال يابني اني ارى في المنام اني اذبحك "(١) وفي هذه الاية قاطعة على أن المبشر به هو الذبيح ، والثانية في قوله تعالى "وامراته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب "(٢) وفي هذه الاية انما المبشر به هو اسحاق ولم تكن بدعوة من ابراهيم فهو شيخ كبير، وامرأته عجوز ، وكان ذلك في فلسطين لما قدمت الملائكة اليه بسبب قوم لوط ، وهو في آخر عمره ، في حين كانت البشارة الاولى قد وقعت لما انتقل من العراق الى الشام عندما كان سنه لايستغرب فيه الولد ، ولذلك سال الله ان يهبه غلاما زكيا ، وعليه فهما بشارتان في وقتين مختلفين بغلامين مختلفين ، احدهما بغير سؤال وهو اسحاق بصريح الايات القرانية والاخر بسؤال والذي ارتبط بقصة الذبيح وهو اسماعيل عليه السلام (٣). هذا علاوة على ان البشارة باسحاق انما كانت مقرونة بولادة يعقوب من اسحاق فلا يتناسب مع الامر بذبحه وهو مراهقا (٤) . وتفيد الاية الكريمة : " رب هب لي من الصالحين " انه دعاء من ابراهيم قبل أن يرزقه الله باي من أبنائه ، لانه لو كان له ولد ماطلب الولد الواحد ، فكلمة " من " في هذه الاية للتبعيض واقل البعضية الواحد ، ومن ثم فان قوله تعالى " من الصالحين " لاتفيد الا طلب الواحد، وبهذا فالدعاء كان في وقت لم يكن

---

(١) سورة الصافات : اية ١٠١-١٠٢ .

(٢) سورة هود : اية ٧١ .

(٣) السيوطي : الاكليل في استنباط التنزيل - القاهرة -١٣٧٣هـ - ص ١٨٣ ، ابن تيمية : المرجع السابق ج٤ ص ٣٣٢-٣٣٣ ، محمد بيومي مهران: المرجع السابق ص ٤ط١-١٧٥ ، اسرائيل - ص ٥٦-١٥٧ ،

(٤) روح المعاني - ج٢٣ - ص ١٣٣-١٣٤ ، الديار بكري : المرجع السابق، ص ١٠٨ .

لابراهيم فيه أى ذرية .ومن المعروف ان هناك اجماعا بينعلماء المسلمين ـ فضلاعما ورد فى كتب اليهود والنصارىعلىان اسماعيل كان هو الولد البكر لابراهيم ، ومن ثم فان الدعاء انما يراد به اسماعيل حيث ان رؤيا البشرى ثم رؤيا الذبح انما جاءت بعد ذلك فان الذبيح هو اسماعيل(١) .

ولعلمماتجدر الاشارة اليه ان بعضا منالعلماء المسلمين راى ان الذى امر ابراهيمعليه السلام بذبحه انما كان اسحاق وهو في نظرهم الراى الارجح (٢) . ومن قال من اهل السلف بان الذبيح هو اسحاق انما اخذوه من كعب الاحبار (وهو من مسلمة اهل الكتاب)،وصحف اهل الكتاب وليس فى ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك لاجله ظاهر الكتاب العزيز، ولايفهم هذا من القران الكريم،بل المفهوم بل المنطوق بل النص عند التامل على انه اسماعيل (٣)،وذكر ان كعب الأحبار لما اسلم فىالدولة العمرية جعل يحدث عمر رضى الله عنه عن كتبه قديما فربما استمع لهعمر رضىالله عنه فترخص الناس فى استماع ماعنده ونقلوا ماعنده عنه غثها وسمينها وليس لهذ ه الامة ـ والله اعلم ـ حاجة الى حرف واحد مما عنده (٤) فكعب الاحبار كان قد لعب دورا كبيرا فى نشر الكثير من هذه الاسرائيليات .

---

(١) التفسير الكبير ـ ج ٢٦ ، ص ١٥٤.

(٢) جول هذا الراى وماورد فيهمن روايات اسلامية انظر: تاريخ الطبرى ـ ج ١ ص ٢٦٤-٢٦٧ ، ص ٢٧٠-٢٧١ ، تفسير الطبرى ج ١٢ ص ٨٦ ، تفسير ابن كثير ج٤ ص ١٧ ، البداية والنهاية جا ص ١٥٩-١٦٠ الكامل فىالتاريخ جا ص ٦٢-٦٣ ، الثعلبى : المرجع السابق ـ ص ٨٠-٨١، المعارف ص ٣٥-٣٦ ، تاريخابن خلدون : المرجع السابق ص ٤٢ ، تفسير القرطبى، ص ٥٥٤٤-٥٥٤٥ .

(٣) البداية والنهايةجا ص ٥٩ ، قصص الانبياء ص ٢٣٣.

(٤) تفسير ابن كثير ـ ج ٤ ـ ص ١٧.

وهكذا يدل القرآن الكريم على ان الذبيح هو اسماعيل عليه السلام وهو القول الصواب عند الصحابة والتابعين ومن بعدهم . واما القول بانه اسحاق فباطل وهو من تحريف اليهود وكذبهم لانهم يحسدون بني اسماعيل على هذا الشرف ، وارادوا ان يكون لهم وان يسوقوه اليهم ويختاروه لانفسهم دون العرب (١) ، فهناك رواية تذهب الى ان الخليفة الاموى عمر بن عبد العزيز سال رجلا من علماء اليهود كان قد اسلم وحسن اسلامه اى ابنى ابراهيم امر بذبحه ؟ فقال اسماعيل والله يا امير المؤمنين وان اليهود لتعلم بذلك ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون اباكم الذى كان من امر الله فيه ، والفضل الذى ذكره منه لصبره لما امر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحاق لا ن اسحاق ابوهم (٢) ، وعليه فان الراى القائل بان الذبيح هو اسماعيل هو الراى الصواب والمعتمد وذلك بظاهر النصوص القرانية ومن رأى أن الذبيح هو اسحاق فهذا الرأى مردود وباطل لانه يخالف ظاهر النصوص القرانية ، ومن ادعى انه اسحاق فقد اعتمد على روايات اسرائيلية ، وكتابهم فيه تحريف ،فان عندهم فى كتابهم ان الله آمر ابراهيم آن يذبح ابنه وبكره ، واسماعيل هو البكر ، وانما حملهم على هذا حسد العرب ، فان اسماعيل ابو العرب الذين يسكنون الحجاز الذين منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واسحاق والد يعقوب - وهو اسرائيل - الذى ينتسبون اليه فارادوا ان يجروا هذا الشرف اليهم فحرفوا كلام الله وزادوا فيه وهم قوم بهت ولم يقروا بان الفضل بيد الله يؤ تيه من يشاء (٣) .

---

(١) ابن القيم : زاد المعاد فى هدى خير العباد ، جا ، القاهرة ١٩٥٠ - ص ١٥-١٧ .

(٢) تاريخ الطبرى : جا - ص ٢٧٠ ، الكامل فى التاريخ - ص ٦٣-٦٤ ، ابن كثير : قصص الانبياء - ص ٢٣٦ ، البداية والنهاية جا ص ١٦٠ ، الثعلبى : المرجع السابق - ص ٨٠-٨١ .

(٣) قصص الانبياء : ص ٢٣٢-٢٣٣ .

ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وبناء الكعبة المشرفة :

ترك ابراهيم ابنه اسماعيل ومعه أمه هاجر بوادى غير ذى زرع - مكة المكرمة - ، وشب اسماعيل وكبر فى مكة ، وكان الخليل ابراهيم يزور ولده اسماعيل من حين الى آخر ، وفى احدى هذه الزيارات صدر الامر من الله تعالى ببناء بيت الله الحرام ورفع قواعده ، فصدع ابراهيم لهذا الامر وسارع اسماعيل الى تلبية أمر الله تعالى وبنيا الكعبة المشرفة [١]، وفي ذلك يقول الله تعالى :

" واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم "[٢] .

ويشير القران الكريم هنا الى ان بناء الكعبة المشرفة قام به الخليل ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام .

وقد اختلف المؤرخون حول تحديد اول من بنى الكعبة [٣] المشرفة ، ويحلو لبعضهم ان يذكروا بعض الروايات التى تدور حول تاريخ بنائها فيرجعونه الى فترة تمتد الي ماقبل عهد ابراهيم واسماعيل بالاف السنين ، بل ان بعض المؤرخين القدامى نسب بناء الكعبة الى الملائكة وقبل ان يبرأ الارض

---

(١) ورد فى ذلك رواية لابن عباس واخرجها البخارى فى صحيحه . انظر صحيح البخارى - ج ٤ ص ١٧٢-١٧٣.

(٢) سورة البقرة : اية ١٢٧.

(٣) تسمى الكعبة لتكعيبها وهو تدويرها وتسمى بالبيت العتيق ، والبيت الحرام ، وتسمى ايضا البنية الفنية ، يقال لا ورب هذه البنية ماكان كذا وكذا . ويقال لها بنية ابراهيم . وتسمى بالقبلة لانها تستقبل وكلما يستقبل فهو قبلة ، وتسمى لحمساء ،وكانوا ينتسبون اليها فيقال لهم الحمس ، وتسمى البيت المعمور.
(انظر الازرقى : المرجع السابق ص ٦٦ ، وانظر ابراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين - ج ١ - ص ٢٦٢).

نفسها، ومنهم من نسب بناءها الى آدم نفسه ، كما نسب بناءها الى شيث بن آدم [١] ، ويشك ابن كثير فى هذه الروايات لان غالب من يذكرها انما ياخذها من كتب اهل الكتاب وهى ممالايمكن تصديقها ولا تكذيبها ولايعتمد عليها بمجردها [٢]، وهي روايات مردودة لانها لاتستند الى مصدر اصلى قديم ، فجميع الشواهد تؤكد ان وادى مكة ، قبل نزوح ابراهيم واسماعيل كان غير ذى زرع، ولايسكن فيه احد لعدم توفر وسائل وسبل الحياة فيه [٣] .

والرأى الأرجح هو ان بناء الكعبة المشرفة يرجع الى الخليل ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام دون غيرهما من العالمين، ويدعم هذا الراى أدلة قوية . فمن ذلك قول الله تعالى :

" واذ جعلنا البيت مثابة للناس وآمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم ان طهر بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود ، واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الاخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره

---

(١) حول هذا الموضوع بالتفصيل انظر : مسالك الابصار فى الممالك والامصار جـ١ ـ القاهرة ـ ١٩٢٤م ـ ص ٩٣-٩٤ ، الديار بكرى : المرجع السابق: ص ١٠٠-١٠٤ ، ١٣٣ ، القلقشندى : نهاية الارب ـ جـ١ ـ ص ٢٢٨-٢٣٠ ، معجم البلدان جـ٤ ص ٤٦٣ ـ٤٦٥ ، الازرقى : المرجع السابق ص ٣٢-٥٣ ، تفسير المنار ـ جـ١ ـ ص ٤٦٦ ، الثعلبى : المرجع السابق ص ٧٥-٧٧ ، الفاسى : المرجع السابق ـ جـ١ ـ ص ١٤٧-١٥٢ ، العقد الثمين فى تاريخ البلد الامين ـ جـ١ ـ القاهرة ١٩٥٩ ص ٤٧ ، حسن عبد الله باسلامه : تاريخ الكعبة المعظمة ـ جدة ١٩٨٢ ـ ص ١٩-٤٤ ، على حسني الخربوطلى : تاريخ الكعبة ـ بيروت ١٩٧٦ ـ ص ١١-١٤.

(٢) تفسير ابن كثير ـ جـ١ ـ ص ١٧٣ـ قصص الانبياء جـ ١ ـ ص ٢٤٣.

(٣) محمد حسنى الخربوطلى : المرجع السابق ـ ص ١١.

الىعذاب النار وبئس المصير . واذ يرفع ابراهيم
القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع
العليم "(١) .

ويقول تعالى :

" ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين،
فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا
ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر
فان الله غني عن العالمين "(٢) .

ويقول تعالى :

" واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بى شيئا
وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود "(٣) .

ولم يجىء فيخبرصحيح عن المعصوم - صلى اللهعليه وسلم - ان البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام ، ومن تمسك فى هذا بقوله مكان البيت فليس بناهض ولا ظاهر ، لان المراد مكانه المقدر فى علم الله المقرر في قدرته ، المعظم عند الانبياء موضعه من لدن آدم الى زمان ابراهيم واسماعيل عليهما السلام (٤) ، وعليه فبناء ابراهيم وولده اسماعيل للكعبة المشرفة أمر ثابت ويمكن الجزم به لانه جاء القران الكريم به بنص الايات . واما بناء الملائكة وآدم وشيث بن آدم فهو غير ثابت وصحيح لعدم توفر اى دليل على ذلك من القرآن الكريم والسنة .

---

(١) سورة البقرة : اية ١٢٥-١٢٧ ، تفسير ابن كثير جا ص ١٦٨-١٧٦ .
(٢) سورة ال عمران : اية ٩٦-٩٧ ، تفسر ابن كثير جا ص ٣٨٣-٣٨٥ .
(٣) سورة الحج : اية ٢٦ ، تفسير ابن كثير ج٣ ص ٢١٥-٢١٦ .
(٤) ابن كثير : البداية والنهاية جا ص ١٦٣ ، قصص الانبياء ص ٢٤٣ ، محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية ص ١٨٤-١٨٥ .

والكعبة المشرفة أول بيت وضع فى الارض لعموم الناس للبركة والهدى ، وهو أول بيت بنى لعبادة الله ، وقد قال الله عز وجل: " ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين "(١) . وفي حديث لابى ذر الغفارى – رضي الله عنه – وقد قال: " قلت يارسول الله اى مسجد وضع فى الارض أول ؟ قال : المسجد الحرام قال قلت ثم اى ؟ قال المسجد الاقصى . قلت كم كان بينهما ؟ قال اربعون سنة . ثم اينما ادركت الصلاة بعد فصله فان الفضل فيه "(٢) ، لهذا فلاخلاف بين المفسرين والمحدثين والمؤرخين المسلمين على ان الكعبة المعظمة أول بيت وضع للناس ليعبدوا الله جل جلاله (٣) .

وعندما امر الله ابراهيم – عليه السلام – ان يبنى الكعبة المشرفة فانه دله وعرفه بالموضع الذى يبنى عليه هذا البيت وقد نص القرآن الكريم على ذلك فى قوله تعالى " واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لاتشرك بي شيئا وطهر بيتى للطائفين والركع السجود "(٤)، فالاية الكريمة تعنى ان الله ارشد ابراهيم ودله واراه الموضع الذى يبنى عليه البيت كما وطأ مكان البيت ، واذن له فى بنائه (٥) ، فاختيار الموضع لبناء الكعبة المشرفة كان ايضا بامر من الله عز وجل ووحى منه سبحانه وتعالى وقد خلد القرآن الكريم بناء الكعبة المشرفة فى قوله تعالى : " ان أول بيت وضع للناس

---

(١) سورة ال عمران : اية ٩٦.

(٢) صحيح البخارى – ج٤ ص ١٧٧.

(٣) تفسير ابن كثير: ج١ ص ٣٨٣. قصص الانبياء ص ٢٤٣. تفسير الطبرى : ج ٧ ص ١٩–٢٦ ، روح المعانى ج٤ ص ٤ ، تفسير القرطبى : ص ١٣٧٩–١٣٨١ ، تفسير المنار : ج٤ ص ٦–٧ ، تفسير البحر المحيط ج٣ ص ٥–٧ ، التفسير الكبير ج٨ ص ١٤١–١٤٥ ، سيد قطب : المرجع السابق ص ٤٣٤ – الازرقى: المرجع السابق ص ٧٥–٧٦ ، حسين عبد الله باسلامة : المرجع السابق – ص ٦–١٤.

(٤) سورة الحج : اية ٢٦.

(٥) تفسير ابن كثير : ج٣ ص ٢١٥ ، قصص الانبياء ص ٢٤٢ ، تفسير الطبرى – ج ١٧ ص ١٠٥ ، تفسير القرطبى – ص ٤٤٢٨.

للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين "(١) .

وقد اختلفت آراء المؤرخين حول كيفية بناء الكعبة المشرفة وقد روى ان ابراهيم كان يبنى الكعبة بحجارة بعضها فوق بعض وكان اسماعيل يساعده فى البناء ويناوله الحجارة ولما ارتفع البناء استخدم الحجر الذى يعرف بمقام ابراهيم - ليكمل عليه البناء وعندما اوشك على الانتهاء طلب ابراهيم من ابنه اسماعيل ان ياتيه بحجر حسن كى يضعه على الركن ليكون للناس علما فذهب اسماعيل يلتمس لابيه حجرا ، واتاه به ، فوجده قد ركب الحجر الاسود فى مكانه ، وعندما سال اسماعيل والده ابراهيم - عليهما السلام - عن الذى احضر له ذلك الحجر ، اجابه انه جبريل الذى احضره من السماء(٢) ، وقد وضعه ابراهيم عليه السلام فى ركن الكعبة الشرقى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اخر نبى وضعه بيده الكريمة فى مكانه عندما جددت قريش بناء الكعبة المشرفة قبل البعثة النبوية الشريفة بسنوات خمس .

وقد اتم ابراهيم واسماعيل عليهما السلام بناء الكعبة المشرفة وقد بلغ ارتفاعها الى السماء تسعة اذرع وطوله من الشمال الى الجنوب مما يلى الجهة الشرقية اثنان وثلاثون ذراعا ومن الشمال الى الجنوب مما يلي الجهة الغربية ايضا احدى وثلاثون ذراعا ، ومن الشرق الى الغرب مما يلي الجهة الجنوبية اى من الحجر الاسود الى الركن اليمانى عشرون ذراعا ، ومن الشرق الى الغرب ايضا مما يلى الجهة الشمالية اى جهة حجر اسماعيل اثنان وعشرون ذراعا ، وجعل له بابين ملاصقين للأرض احدهما من الجهة

---

(١) سورة ال عمران : اية ٩٦ .

(٢) تاريخ الطبرى : ج١ ص ٢٥٠-٢٦٢ ، تفسير الطبرى - ج٣ ، ص ٦٦-٧٠ ، ابن كثير : قصص الانبياء ص ٢٤١-٢٤٦ ، البداية والنهاية ج١ ص ١٥٦ ، ٦٣ ، ١٦٦ ، الكامل فى التاريخ : ج١ ، ص ٦٠-٦١ ، الازرقي : المرجع السابق - ص ٥٨-٦٥ ، المسعودى : المرجع السابق - ج ٢ ، ص ٢٢ ، تاريخ اليعقوبى : ج ١ ص ٢٧ ، الثعلبى : المرجع السابق ص ٧٧ ، الديار بكرى : المرجع السابق ص ١١٣ .

الجهة الشرقية مما يلى الحجر الاسود والثانى من الجهة الغربية مما يلي الركن اليمانى على سمت الباب الشرقى ، وحفر فى داخله بئرا يكون خزانة له ، ولم يجعل لها سقفا ولا وضع على بابيه ابوابا تفتح وتغلق (١).

وبعد ان فرغ ابراهيم واسماعيل من بناء الكعبة المشرفة امر الله عز وجل نبيه وخليله ابراهيم ان يؤذن فى الناس بالحج كما ورد فى الاية الكريمة " وآذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق "(٢) ، ويدعوهم الى هذا البيت ، بيت الله الحرام ، ووعد الله أن يلبى الناس دعوة ابراهيم ، فيتقاطروا على البيت من كل فج رجالا يسعون على اقدامهم ، وركوبا (على كل ضامر) جهده السير فضمر من الجهد والجوع وما يزال وعد الله يتحقق منذ ابراهيم الى اليوم والغد ، وماتزال افئدة الناس تهوى الى بيت الله الحرام ، وترف الى رؤيته والطواف به ، الغنى القادر الذى يجد وسيلة الركوب المختلفة تنقله ، والفقير الذى لايجد الا قدميه ، وعشرات الالوف من هؤلاء يتقاطرون من فجاج الارض البعيدة تلبية لدعوة الله التى آذن بها ابراهيم عليه السلام ، منذ الاف السنين(٣) .

ذهب بعض المؤرخين الى أن اسماعيل كان فى العشرين من عمره (٤) ، وقال البعض الاخر انه كان فى الثلاثين من عمره يوم امر الله ابراهيم ببناء الكعبة المشرفة (٥) ، فاذا صح ذلك فان بناء الكعبة المشرفة عندها يكون

---

(١) حسين باسلامه : المرجع السابق - ص ٤٤ .

(٢) سورة الحج : اية ٢٧ ، تفسير ابن كثير ج٣ ص ٢١٦ ، تفسير الطبرى : ج ١٧ ص ١٠٥ ، تفسير القرطبى - ص ٤٤٢٨.

(٣) سيد قطب : المرجع السابق - ص ٢٤١٨.

(٤) الازرقى : المرجع السابق - ص ٦٤.

(٥) المسعودى : المرجع السابق ج ٢- ص ٢٢ ، الطبقات الكبرى : ج١ - ص ٥٢ الفاسى : المرجع السابق ج٢ - ص١٣ ، على حسنى الخربوطلى : المرجع السابق - ص ١٩.

فى حوالى سنة ١٨٢٤ ق٠م٠ ، على أساس ان اسماعيل قد ولد فى عام ١٨٥٤ ق ٠م٠ لان ابراهيم عليه السلام كان فى السادسة والثمانين من عمره عندما ولد اسماعيل ، وان ابراهيم قد عاش فى الفترة مابين عامي ١٩٤٠-١٧٦٥ ق٠م٠ وانه قد عاش الى ان بلغ مائة وسبع وثلاثين سنة (١) ،فانه على ذلك يكون اسماعيل قد انتقل الى الرفيق الاعلى فى حوالى عام ١٧١٧ق٠م٠ (٢) ويتفق المؤرخون العرب على انه مات فى مكة ودفن بالحجر (حجر اسماعيل) الذى بجوار الكعبة المشرفة هو وأمه هاجر عليهما السلام (٣) ٠

وظلت الكعبة المشرفة بعد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام حرما آمنا يقدسه العرب ، فهو بيت الله الحرام الذى بناه جدهم ابراهيم وابنه اسماعيل بامر من الله سبحانه وتعالى ث م امتد تقديس العرب للكعبة المشرفة الى تقديس مكة وماجاورها من المناطق ، ولم تقتصر قداسة البيت الحرام على المكيين فقط بل امتدت الى سائر العرب فى جميع أرجاء شبه الجزيرة العربية ، فكانوا يحجون الى البيت الحرام فى مواسم

---

(١) تاريخ الطبرى : ج ١ - ص ٣١٤ ، الكامل فى التاريخ : ج ١ - ص ٧١، قصص الانبياء : ج ١ ص ٣٠٧ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ١٩٥ ، اسرائيل - ج ٢ - ص ١٧٧-٢٠٢٠

(٢) محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية - ص ١٩٥ ، اسرائيل: ج ٢ - ص ١٧٧-٢٠٢ ٠

(٣) تاريخ الطبرى : ج١ - ص ٣١٤ ، الطبقات الكبرى : ج١ - ص ٥٢ ، قصص الانبياء - ص ٣٠٧ ، سيرة ابن هشام : ج١ - ص ٦ ، الكامل فى التاريخ ، ج١ - ص ٧١ ، تاريخ ابن خلدون : ج ٢ ، ص ٤٤ ، الازرقى : المرجع السابق - ص ٣١٢ ٠

معينة من السنة ، ويمضى حين من الدهر ، ويؤول أمر الكعبة الى جرهم ، وهم من العرب البائدة ،ولكن " العماليق " وهم من العرب البائدة أيضا ، نازعوهم فى أمر البيت ، ونشب صراع بينهما حتى كانت الغلبة للعماليقوبعدها استعادت جرهم نفوذهامن جديد وبقى الامر فيها قرابة قرنين من الزمان - وربما ثلاثة قرون - عاد بعدها امر البيت الحرام الى " بنى اسماعيل " وبعد حروب دارت بين قبائل " اياد" القحطانية و " مضر " العدنانية ،انتهت بانتصار " مضر " رحلت " اياد " عن مكة ثم انتزعته " خزاعة " القحطانية من " مضر " وبقى الامر فى " خزاعة " حتى ايام " عمرو بن لحى الخزاعى " الذىأدخل عبادة الاوثان الى مكة ووضع الاصنام فى الكعبة ، وظلت خزاعة تتولى شؤون الكعبة حتى برزت قبيلة " قريش" واستطاعت بقيادة " قصى بن كلاب " الجد الرابع لرسول الله صلى الله عليهوسلم ، أن تنتزع السيادة وأمر الكعبة من " خزاعة " وأصبحت مكة فى عهد قريش مركزالحياة الدينية عند جميع العرب تقصده القبائل العربيةمن انحاء الجزيرة العربية للحج والتبرك (١) .

...

(١) محمد بيومى مهران : تاريخ العرب - ص ٣٩١-٤٢٩ ، دراسات تاريخية : ص ١٩٧-٢١٠ ، على حسنى الخربطولى : المرجع السابق - ص ٢٦-٣٦ .

الدعوة الحنيفيــــة :

الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام ، والحنيف هو المستقيـــم في كل شيء ، وأصل لفظة " حنيف " و " حنفاء " و " احناف " ماخوذة مـــن " حنف " وتعني مال ، وحنفالقدمين ميل كل واحد منهما نحو الاخــــرى ، والحنيف في اللغة الميل عن الضلال الى الاستقامة ، او الميل الـــــي الاستقامة عن الضلال ولايسمى المائل حنيفيا الا اذا كان الميل عن الجـــادة المعبدة وفي الاساس من مال عن دين أعوج، فالحنيف المسلم على دين ابراهيـم ، والحنيف المسلم الذي يحنف عن الاديان ويميل الى الحق ، والذي يستقبـــل قبلة البيت الحرام على ملة ابراهيم ، وهو الذي يميل عن الاديان المكروهـــة الى الحق وهو دين ابراهيم عليه السلام ، فكل من اسلم ولم ينحرف عـــنه في شيء فهو حنيف ، وابراهيم - عليه السلام - حنف الى دين اللـــــه وهو الاسلام [1] ، والمتبع لملة ابراهيم واستقامته على هديه ومنهاجه ، وأما الضال عن ملته بسائر اسماء الملل فقيل " يهودي ونصراني ومجوسي وغير ذلك من صنوف الملل فهو حنيف [2]، "وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا ، قل بل ملة ابراهيم حنيفا وماكان من المشركين "[3] اي اتبـــع ملة ابراهيم الذي لانزاع في هداه ولا في هديه فهي الملة الحنيفيـــــة القائمة الجادة بلا انحراف ولا زيغ ، العريقة في التوحيد والاخلاص بلا وثنية ولاشرك [4] .

---

(١) ابن منظور : المرجع السابق - ج٩ ، ص ٥٦-٥٨ ، الزبيدي : المرجع السابق ج ٦ - ص ٧٧ ، تفسير الطبري : ج٣ - ص ١٠٤ - تفسيـــر ابن كثير : ج١ ص ١٨٦ ،تفسير القرطبي : ص ٥٢٤ ، التفسر الكبير : ج٤ ص ٨١ ، تفسير المنار ج١ ص ٣٩٥ ،روح المعاني ج١ ص ٣٩٣-٣٩٤.

(٢) تفسير الطبري :ص ١٠٨.

(٣) سورة البقرة اية ١٣٥.

(٤) تفسر المنار ج١ ص ٣٩٥.

وروى الامام البخاري فى صحيحه ان زيد بن عمرو بن نفيل خرج الى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقى عالما من اليهود فسأله عن دينهم فقال انى لعلى أن أدين دينكم فاخبرونى ، فقال أنك لاتكون على ديننا حتى تاخذ نصيبك من غضب الله ، قال زيد وما افر الا من غضب الله تعالى ، ولا احمل من غضب الله شيئا ابدا وأنىّ استطيعه ، فهل تدلنى على غيره قال ما اعلمه الا ان يكون حنيفا ، قال زيد وما الحنيف ؟ قال دين ابراهيم عليه السلام ، لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ، ولايعبد الا الله ،فخرج زيد فلقى عالما من النصارى فذكر مثله قال لن تكون على ديننا حتى تاخذ نصيبك من لعنة الله ، قال ما افر الا من لعنة الله ، ولا احمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئا ابدا ، وانى استطيع ، فهل تدلنى على غيره قال ما اعلمه الا ان يكون حنيفا ، قال وما الحنيف ؟ قال دين ابراهيم ، لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولايعبد الا الله ، فلما راى زيد قولهم فى ابراهيم عليه السلام خرج فلما برز رفع يديه فقال اللهم انى أشهد انى على دين ابراهيم (١).

ولقد ورد فى القران الكريم كلمة "حنيفا "عشرة مرات :

" وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وماكان من المشركين "(٢) .

" ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وماكان من المشركين "(٣) .

" قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وماكان من المشركين" (٤)

---

(١) صحيح البخاري - ج ٥ - ص ٥٠-٥١.

(٢) سورة البقرة اية ١٣٥.

(٣) سورة آل عمران : اية ٩٧.

(٤) سورة ال عمران : اية ٩٥.

" ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا "(١) .

" انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين "(٢) .

" قل انني هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وماكان من المشركين "(٣) .

" وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولاتكن من المشركين "(٤) .

" ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين"(٥)

" فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله الذى فطر الناس عليها "(٦) .

كما ورد فيه ايضا لفظة " حنفاء " مرتين :

" حنفاء لله غير مشركين به "(٧) .

" وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء "(٨) .

وهذه الايات الكريمة تنص صراحة على ان ابراهيم لم يكن يهوديا ولانصرانيا وانما كان من الحنفاء ، وكانت ملة ابراهيم تقوم على عبادة الله وعدم الاشراك به ، وهى عقيدة التوحيد ، وهذه حقيقة معني الاسلام ومفهومه عند جميع أنبياء الله عز وجل ، فالاسلام هو أن يستسلم الانسان لله وحده ، فيعبد الله ولايشرك به شيئا ويتوكل عليه وحده ، ويخافه ويرجوه وحده ولايستكبر عن عبادته .

---

(١) سورة النساء : اية ١٢٥ .
(٢) سورة الانعام : اية ٧٩ .
(٣) سورة الانعام : اية ١٦١ .
(٤) سورة يونس : اية ١٠٥ .
(٥) سورة النحل : اية ١٢٠ .
(٦) سورة النحل : اية ١٢٢ .
(٧) سورة الروم : آية ٣٠ .
(٨) سورة الحج : اية ٣١
(٩) سورة البينة : اية ٥ .

والذى يفهم من القرآن الكريم هو ان الحنفاء هم اولئك الذين رفضوا عبادة الاصنام ، فلم يكونوا من المشركين ، بل كانوا يدينون بالتوحيد الخالص ، ولم يكونوا يهودا ولا نصارى : " ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما ، وماكان من المشركين"(١) وابراهيم هو قدوتهم • ومن الملاحظ ان لفظة " مسلم " استعملت فى مرادف ، ومعنى لفظة " الحنيف " وان ابراهيم هو ابو المسلمين ، وقد وصف الاسلام بانه دين الله الحنيف ، والدين الحنيف ، وان الشريعة الاسلامية هي الحنيفية السمحة ، وذلك تمييزا لها عن الرهبانية المتعصبة(٢).

ويلخص بعض المفسرين آراء العلماء فى الحنيفية عند تفسير الاية الكريمة " وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا ، قل بل ملة ابراهيم حنيفا وماكان من المشركين "(٣) فذهبوا الى ان فى الحنيفية اربعة اقوال : احدهما انها حج البيت ، وثانيهما انها اتباع الحق ، وثالثها انها اتباع ابراهيم فيما اتى به من الشريعة التى صار بها اماما للناس بعده ، من الحج والختان ، وغير ذلك من شرائع الاسلام ، والرابع انها الخلاص لله وحده والاقرار بالربوبية والاذعان للعبودية (٤) " •

وكان ابراهيم قد قضى عمره - عليه السلام - يدعو الى عقيدة التوحيد وعبادة الله وحده ، وكافح وجاهد فى سبيل هذا الدين الحنيف والذى فطر الله الخلق عليه ، وهذا الدين الحنيف هو الاسلام ،والحنيفية هى ملة الاسلام ، ففى الحديث ان الرسول صلى الله عليه وسلم سئل عن

---

(١) سورة ال عمران : اية ٦٧•
(٢) جواد على : المرجع السابق - ج٦ - ص ٤٥٥-٤٥٦•
(٣) سورة البقرة : اية ١٣٥•
(٤) الفخر الرازى : التفسير الكبير ، ج٤ ص ٨٠-٨١•

اى الاديان احب اليك فقال: " الحنيفية السمحة "[١]، وقال صلى الله عليه وسلم " بعثت بالحنيفية السمحة السهلة "[٢]، فالاسلام هو دين الفطرة والفطرة هى الحنيفية • ويشير القران الكريم الى ذلك فى قوله تعالى : " فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لايعلمون "[٣]، ولكنه طرأ على دين ابراهيم الحنيف - عليه السلام - بعض الاديان الفاسدة ولعبت ايدى الوثنية بهذا الدين ، وتحول الناس عن فطرتهم التى فطرهم الله عليها واخذوا فى تقديس وعبادة الاوثان والاصنام وانحرفوا عن عقيدة التوحيد ، وظلت البشرية تتخبط بين الديانات السماوية المحرفة، والوثنية المضلة حتى جاء من رفع علم النبوة ناصعة فى جبين الدهر، ذلكم هو سيد الاولين والاخرين ، محمد بن عبد الله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذى بعثه الله الى الناس كافة ليعلمهم الكتاب والحكمة ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس ، فكان صلى الله عليه وسلم هو الذى ختم الله به أنبياءه ورسله ، وقد اختاره الله من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهم السلام ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : " انا دعوة ابى ابراهيم ، وبشارة عيسى بى ، ورؤيا آمى التى رآت "[٤] ، ويقول الله سبحانه وتعالى مخاطبا رسوله محمدا - صلى الله عليه وسلم " ثم اوحينا اليك

---

(١) الزبيدى : المرجع السابق - ج ٦ - ص ٧٨٠

(٢) نفس المرجع السابق ، ابن منظور : المرجع السابق - ص ٥٨٠

(٣) سورة الروم : اية ٣٠• تفسير ابن كثير - ج٣ - ص ٤٣٢٠

(٤) سيرة ابن هشام : ج ١ - ص ١٧٥ ، تفسير الطبرى : ج ٣ ،ص ٨٢ - ٨٣ ، تفسير ابن كثير - ج٣ - ص ١٨٤ ، الطبقات الكبرى - ج١ - ص ١٤٩٠

أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وماكان من المشركين " (١) . فالاسلام ليس هو اسما اطلقه محمد صلى الله عليه وسلم على دينه ، وليس هو أول من استحدث هذا الاسم لدينه وأطلقه على اتباعه ، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك مخاطبا العرب الذين آمنوا برسالة محمد واعتنقوا الاسلام في قوله تعالى " وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل " (٢) .

...

(١) سورة النحل : اية ١٢٣ ، تفسير ابن كثير : ج٢ ، ص ٥٩١ ، سيد قطب : المرجع السابق - ص ٢٢٠١ .

(٢) سورة الحج : آية ٧٨ ، تفسير ابن كثير : ج٣ ، ص ٢٣٦ ، سيد قطب : المرجع السابق - ص ٢٤٤٦ .

الفصل الرابع

الفصل الرابـــــع

الرسالات السماوية فى فلسطينوالجزيرة العربيـــة

- وظائف الرســل .
- وحدة الهدف من دعوة الرسـل .
- بعثة الرسل الى فلسطين والجزيرة العربية .
- أنبياء من فلسطيـــن .
  - لوط عليه السلام .
  - اسماعيل عليه السلام .
  - يعقوب عليه السلام .
  - ايوب عليه السلام .
  - داود عليه السلام .
  - سليمان عليه السلام .
    - بناء سليمان المسجد الاقصى .
    - قصة سليمان وملكة سبأ .
  - الياس عليه السلام .
  - اليسع عليه السلام .
  - زكريا ويحي عليه السلام .
  - المسيح عيسى بن مريم عليه السلام .
- أنبياء من الجـزيرة العربية .
  - هود عليه السلام .
    - قصة عاد قوم هود فى القرآن الكريم .
    - موطن قوم عاد .
    - مبالغات عن عاد قوم هود .

- صالح عليه السلام :
  - قصة ثمود قوم صالح فى القران الكريم .
  - اصل الثموديين .
  - ثمود فى الكتابات القديمة .
  - ثمود فى كتابات الرحالة اليونان والرومان .
  - ثمود فى الكتابات العربية .
  - عصر قوم صالح عليه السلام .
- شعيب عليه السلام
  - قصة مدين قوم شعيب فى القران الكريم .
  - شعيب عليه السلام .
  - موطن قوم مدين .
  - عصر قوم مدين .

الرسالات السماوية فى فلسطين والجزيرة العربيـــة

(١) وظائف الرســـل :

بين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بوضوح وجلاء وظائف الرسل عليهم السلام ، ومهماتهم ، ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد أوكل الـــى الأنبياء أهم الواجبات ، وأقدس المهمات ، وأشرف الغايات والتى مـــن أهمها :

(أولا) : أنهم الدعاة البررة الى عبادة الله الواحـــد القهار ، وهذه فى الحقيقة هى الوظيفة الاساسية ، بل هى المهمة الكبـرى التى بعث من اجلها الرسل الكرام ، وهى تعريف الخلق بالخالق ، جـــل وعلا ، وتخصيص العبادة له دون سواه [١] ، كما قال جل ثناؤه : " ولقــد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت "[٢]، وقـــال تعالى :" وما أرسلنا قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنـــا فاعبدون "[٣]، وقال تعالى : " ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقـــوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم "[٤]، وقال تعالى : " والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من الـــه غيره ، ان انتم الا مفترون "[٥]. وقال تعالى : " والى ثمود أخاهـــم

---

(١) انظر : محمد بيومى مهران : النبوة والانبياء عند بنى اسرائيـــل – الاسكندرية ١٩٧٨م ، ص ٧٧–٨١ ، محمد على الصابونى : النبـــوة والانبياء ، بيروت ١٩٨٠ م ص ٢٣–٢٥ ، عمر سليمان الاشقر : الرســل والرسالات ، الكويت ١٩٨٥م ، ص ٤٣–٥٤.

(٢) سورة النحل : اية ٣٦. وانظر : تفسير الطبرى – ج١٤ – ص ١٠٣ ، تفسير الفخر الرازى ج٢٠ ص ٢٦–٢٧ ، تفسير ابى السعود ج٣ – ص ٣٦٠–٣٦١ .

(٣) سورة الانبياء : اية ٢٥ ، وانظر كذلك من سورة هود : الايات ٢٥ ، ٥٠ ، ٦١ ، ٨٤ ، تفسير الطبرى : ج١٥ ص ٢٩٣–٢٩٤ ، تفسير روح المعانـــي ج ١٢ ص ٣٥ – ٣٧ ، ٧٧–٨٠ ، ٨٨–٨٩ ، ١١٤–١١٥ ، ج ١٧ ص ٣١–٣٢ .

(٤) سورة الاعراف : اية ٥٩. وانظر تفسير ابن كثير : ج٣ ص ٤٢٧–٤٢٨ وتفسير القرطبى ص ٢٦٦٨–٢٦٧٠ (ط. الشعب) .

(٥) سورة هود : اية ٥٠

صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره "(١). وقال تعالى : " وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون "(٢) .

(ثانيا) : انارة الطريق أمام الناس ، وهدايتهم الى سواء السبيل ، قال تعالى : " يا أيها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا "(٣) . وهكذا كان كل رسول يدعو قومه الى الصراط المستقيم ، ويبينه ويهديهم اليه ، فضلا عن مقاومة الانحراف الحادث فى عهده ومصره ، وهكذا انكر هود على قومه الاستعلاء فى الارض والتجبر فيها ، وأنكر صالح على قومه الافساد فى الارض ، واتباع المفسدين ، وحارب لوط جريمة اللواط التى استشرت فى قومه وقاوم شعيب فى قومه جريمة التطفيف فى المكيال والميزان(٤) .

(ثالثا) : أن من رحمة الله على عباده أن يرسل اليهم الرسل قبل أن يقع عليهم عقابه ، ومن ثم لاتكون للعاصين منهم حجة على الله بعد الرسل ، قال تعالى : " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا "(٥) وقال تعالى : " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل "(٦) وقال تعالى : " ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى "(٧) ، ومن ثم ففى يوم القيامة عندما يجمع الله الأولين والآخرين يأتى الله لكل أمة برسولها

---

(١) سورة الاعراف : آية ٧٣.
(٢) سورة العنكبوت : اية ١٦.
(٣) سورك الاحزاب : آية ٤٥-٤٦.
(٤) عمر سليمان الاشقر : المرجع السابق — ص ٥١.
(٥) سورة الاسراء : آية ١٥.
(٦) سورة النساء : آية ١٦٥.
(٧) سورة طه : آية ١٣٤.

ليشهد عليها بانه بلغها رسالة ربه ، وأقام عليها الحجة . قال تعالـي : " فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا. يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ، ولايكتمون الله حديثا "(١) .

(رابعا) : أن الرسل سفراء الله الى عباده وحملة وحيه ،فهم الذين يقومون بتبليغ أوامر الله تعالى ونواهيه الىعباده . قال تعالى: " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لمتفعل فما بلغت رسالته "(٢)، وقال تعالى: " الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولايخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا "(٣) .

(خامسا) : تذكير الناس ،كل الناس ، بيوم الدين " يوم لاينفع مال ولا بنون ، الا من أتىالله بقلب سليم "(٤)، ذلكان من مهمة الانبياء التبشير والانذار ، قال تعالى: " وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين "(٥)، مبشرين المؤمنين بالحياة الطيبة ، ومنذرين العصاة بعذاب الله فى الآخرة(٦) .

(سادسا) : أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، هم الاسوة الحسنة للناس جميعا . قال تعالى : " لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر اللهكثيرا "(٧) . وقال تعالـي :

---

(١) سورة النساء : اية ٤١-٤٢.
(٢) سورة المائدة : آية ٦٧.
(٣) سورة الأحزاب : آية ٣٩.
(٤) سورة الشعراء : جاية ٨٨-٨٩.
(٥) سورة الكهف : آية ٥٦.
(٦) انظر : سورة النحل : اية ٩٧ ، طه : اية ١٢٣ ، النور : اية ٥٥ ، النساء : اية ١٣-١٤ ، الواقعة : اية ١٥ ، ٣٨، ٤١-٤٥ ، ٥١-٥٦ .
(٧) سورة الأحزاب : آية ٢١ .

" قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه "(١) . وقال تعالى : " لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر ، ومن يتول فان الله هو الغني الحميد "(٢)، وقال تعالى: " أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده "(٣). وقال تعالى: " وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين "(٤) . وذلك لان الرسل صفوة من خليقته وخيرته من عباده،(٥) طهرهم وزكاهم وعلمهم ماشاء أن يعلمهم ، ثم أرسلهم الى الناس ليأخذوهم بأسباب لهداية وينأوا بهم عن الضلالة . لذلك من الواجب على المسلم أن يؤمن بالشرائع التى من قبل مالم يرد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماينسخه .

---

(١) سورة الممتحنة : آية ٤.

(٢) سورة الممتحنة : آية ٦.

(٣) سورة الأنعام: آية ٩٠ .

(٤) سورة الأنبياء: آية ٧٣ .

(٥) وتصديقا لهذا فلقد جاء فى الحديث الشريف الذى رواه مسلم والترمذى انه صلى الله عليه وسلم قال : " ان الله اصطفي كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفي من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم ، فأنا خيار من خيار منخيار " .
وفى مسند الامام احمد وسنن الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : " انا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ، ان الله تعالى خلق الخلق فجعلنى فى خيرهم ، ثم جعلهم فرقتين فجعلني فى خيرهم فرقة ، ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتا فجعلنى فى خيرهم بيتا ، فانا خيركم بيتا وخيركم نفسا " . (انظر صحيح مسلم : ج٤ ص ١٧٨٢ . المواهب للقسطلانى ج ١ ص ١٣ ، وبن كثير : السيرة النبوية : ج ١ ص ١٩١ ، عبدالحليم محمود : دلائل النبوة ومعجزات الرسول : القاهرة - ١٩٧٣ ص ٦٨ ، احمد حسن الباقورى : مع القرآن ، القاهرة - ١٩٧٠- ص ٢١).

ومن هنا فقد أوجب الله للرسل العصمة الكاملة لتصح بهم القدوة ، وتقوم بهم الحجة ، فلا يكون من احدهم عمل ينال من كرامته او يقدح فى عدالته او يحط من منزلته العلية بين ذوى المروءات والعقول الراجحة [1]، ذلك أمر ضرورى ، اذ لو لم يكن ذلك كذلك ، لما كانوا أهلا لهذا الاختصاص الالهى الذى يفوق كل اختصاص ، اختصاصهم بوحيه والكشف لهم عن أسرار علمه ، ولو لم تسلم أبدانهم من المنفرات لكان انزعاج النفس لمرآهم حجة للمنكر فى انكار دعواهم ، ولو كذبوا أو خافوا أو قبحت سيرتهم ، لضعفت الثقة فيهم ، ولكانوا مضلين لامرشدين ، فتذهب الحكمة من بعثهم والامر كذلك لو ادركهم السهو أو النسيان فيما عهد اليهم بتبليغه من العقائد والاحكام [2] .

(سابعا) : سياسة الامة المسلمة ، ذلك أن الذين يستجيبون للرسل يكونون جماعة وأمة ، وبالتالى يحتاجون الى من يسوسهم ويقودهم ويدبر أمورهم ، والرسل يقومون بهذه المهمة فى حالحياتهم ، فهم يحكمون بين الناس بحكم الله . قال تعالى :" فاحكم بينهم بما أنزل الله "[3] وقال تعالى : " ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق "[4] . وفى الحديث الذى رواه البخاري ومسلم واحمد وابن ماجة

---

(١) كمال أحمد عون : اليهود من كتبهم المقدسة . القاهرة ١٩٧٠م- ص ١٠٦.

(٢) محمد عبده : رسالة التوحيد - القاهرة ١٩٦٩م ص ٧٧.

(٣) سورة المائدة : آية ٤٨.

(٤) سورة ص : اية ٢٦ .

عن النبى صلى الله عليه وسلم " كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء ، كلما هلك نبى قام نبى " ومن ثم فقد اوجب الله طاعتهم . قال تعالى : " من يطع الرسول فقد أطاع الله "(١) .

(٢) وحدة الهدف فى دعوة الرسل :

لاريب فى أن دين الله واحد فى الاولين والاخرين ، لايختلف الا فى صوره ومظاهره ، وأما روحه وحقيقته وهو ماطلوب به الناس أجمعون على ألسن جميع الانبياء والمرسلين ، فلا يتغير ، وهو الايمان بالله الواحد الاحد ، والاخلاص له فى العبادة ، وأن يتعاون الناس فى معاشهم على البر والتقوى ، وألا يتعاونوا على الاثم والعدوان ، هذا هو دين الله الذى أرسل فى كل أمة ، ولكل قوم على مدى الدهور والازمان ، ولاريب كذلك فى أن هذا الدين هو الاسلام (٢) ، وصدق ربنا جل وعلا حيث يقول: " ان الدين عند الله الاسلام "(٣) . و قال تعالى: " ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الاخرة من الخاسرين "(٤) . والاسلام فى لغة القرآن ليس اسما لدين خاص وانما هو اسم للدين المشترك الذى هتف به كل

---

(١) سورة النساء : اية ٨٠ .

(٢) الاسلام : هو دين الله فى الاولين والاخرين . وهو الطاعة والامتثال . (تفسير الطبرى : ج ٢ ص ٥١٠-٥١١) . ويقول الامام ابن تيمية : الاسلام هو أن يستسلم الانسان لله ، لا لغيره ، فيعبد الله ولايشرك به شيئا ويتوكل على الله وحده ، ويرجوه ويخافه وحده ، ويحب الله المحبة التامة ، لايحب مخلوقا كحبه لله ، بل يحب لله ويبغض لله ويوالى لله ، ويعادى لله ، فمن استكبر عن عبادة الله لم يكن مسلما ، ومن يعبد مع الله غيره لم يكن مسلما . (ابن تيمية : كتاب النبوات — القاهرة — ١٣٤٦ هـ — ص ٨٧-٨٨) .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٩.

(٤) سورة آل عمران : آية ٨٥ .

الأنبياء ، وانتسب اليه كل أتباع الأنبياء [1] ، ومن ثم فان الاسلام دين عام يدور فى القرآن على ألسنة الانبياء وأتباعهم منذ أقدم العصور التاريخية الىعصر البعثة المحمدية [2] .

وهكذا أخبر القرآن فى مواضع كثيرة أن الانبياء جميعا انما كان دينهم الاسلام ، كما فى سور : البقرة وآل عمران والمائدة والأعراف ويونس ويوسف والانبياء والحج والنمل والقصص والشورى وغيرها [3] . وهكذا يبدو واضحا ان دين الله واحد منذ الازل الى مبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم الدين " ان الدين عند الله الاسلام " فالدين منذ القدم هو دين الاسلام " هو سماكم المسلمين من قبل " من قبل مبعث محمد ،ومن قبل مبعث ابراهيم . وقد سمى الله منذ الازل " مسلما " كل من اعتنق أسس هذه الديانة ، ديانة الله ، وسار على مضامينها من اسلام الوجه لله والانقياد والتوكل عليه ، وتسليم الامر لمدبر الامر ومصرف الكون . ومن هذا يتضح أن وصف الاسلام ليس منصبا على كل من آمن بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم فى عهد محمد او من بعده فحسب ، بل هو وصف ولقب أطلقه الله من

---

(١) محمد الراوى : الدعوة الاسلامية دعوة عالمية - بيروت ١٧٩١م - ص ١٥٠
(٢) محمود الشرقاوى :الانبياء فى القرآن الكريم ص ٥-٦٧٠
(٣) انظر : سورة البقرة : اية ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ال عمران : اية ٥١ - ٥٣ ، ٦٤-٦٧ ، ٨٣-٨٥ ، المائدة : اية ٣ ، ٤٤ ، ١١١ ، الاعراف : آية ١٢٦ ، يونس : آية ٧٢ ، ٨٤ ، ٩٠ ، يوسف : اية ١٠١ الانبياء : آية ١٠٨ ، الحج: آية ٧٨ ، النمل : آية ٣١ ، ٣٨ ، ٤٢، القصص : اية ٥٢ ، الزمر : آية ١٢ ، فصلت : آية ٣٣ ، الشورى: اية ١٣ . وانظر : محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٣٤ - ١٣٥ ، محمد عبدالله دراز : الدين : الدين : بحوث ممهدة لدراسة الاديان - القاهرة - ١٩٦٩م - ص ١٨٣. ، مناع القطان :الاسلام شريعة الله الخالدة الى البشر كافة - الرياض- ١٩٧٤م ص ١١-٤٠ ، تفسير المنار : ج ١-ص ٦٧ ، ٤٧٧.

قبل على كل من آمن برسوله الذى بعث فى زمنه ، ولكلمن وحد ربه وأسلم وجهه وقلبه وأمره كله لله ربالعالمين ، والمسلم فى عرف القرآن هو كلمن وحد الله وامن برسوله من الازلحتى اليوم . ومن هذا يتضح أن محمدا صلىالله علين وسلم لم يأت بدين جديد مستقل ، وانما جاء ليصلح دين الله مما طرأ اليه من مغالاة وزيادة وجهالة وليهدىالامم القادمة على الطريق الى الدين الاول الذى أرسل الله به سائر الرسل بما جعله دينا للناس كافة الى يوم الدين (١) .

وفىهذا يقول رسول الله صلى اللهعليهوسلم فيما اخرجه الامام احمد والبخارى ومسلمعن ابى هريرة " مثلى فىالنبيينكمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها وأجملها وتركفيها موضع لبنة لم يضعها ، فجعل الناس يطوفون بالبنيانويعجبون منه ويقولون : لو تم موضع هذه اللبنة ، فانا في النبيين موضع تلكاللبنة "(٢) . وفى رواية للبخارى : " مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فحسنه وجمله الا موضع لبنة فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولن : هلا وضعت هذه اللبنة . فانا اللبنة وأنا خاتم النبيين " (٣) .

و من ثم فان نبوة محمد صلى الله عليهوسلم هى الحلقة الاخيرة فى سلسلة النبوات ، لانالهدف واحد ، والعقيدة واحدة ، فالانبياء

---

(١) محمود بن الشريف : الاديان فىالقرآن - جدة - ١٩٧٩م - ص ٣٠-٣٣ .
(٢) الحديث : اخرجه ايضا الامام احمد والبخارى ومسلم والترمذى عن جابر بن عبدالله . واخرجه الامام احمد ومسلم عن ابى سعيد الخدرى .
(٣) صحيح البخارى : كتا بالمناقب ، باب خاتم النبيين - ج ٤ - ص ٢٢٦ .

صلوات الله وسلامه عليهم ، دينهم واحد وان تنوعت شرائعهم[1]؛ وقد ثبت في الصحيح عن ابى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إنا معشر الأنبياء ديننا واحد "[2] . قال تعالى :

---

(1) مجموعة فتاوى ابن تيمية : الرياض – ١٣٨١ – ج١ ص٣٥٧.

(2) روى الحديث الشريف بعدة روايات . فرواية فى البخارى ومسلم واحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال : أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والاخرة ، والانبياء اخوة من علات ، امهاتهم شتى ودينهم واحد " . وفى رواية اخرى للبخارى : " انا اولى الناس بعيسى بن مريم ، والانبياء اولاد علات ليس بينى وبينه نبى " . وفى رواية ثالثة : " نحن معاشر الانبياء اخوة لعلات ديننا واحد " يعني بذلك التوحيد الذى بعث الله به كل رسول ارسله وضمه كل كتاب أنزله ، وأبناء العلات ابناء الضرائر يكون ابوهم رجلا واحدا وأمهاتهم متعددات ، فكذلك الرسل ربهم الذى ارسلهم الواحد ، ورسالاتهم متعددة بتعدد اممهم ، اى ان الدين واحد ، وهو عبادة الله وحده لاشريك له ، وان تنوعت الشرائع التى هى بمنزلة الامهات ، والمقصود كما يقول ابن كثير : ان الشرائع وان تنوعت فى اوقاتها الا ان الجميع آمرة بعبادة الله وحده لاشريك له ، وهو دين الاسلام الذى شرعه الله لجميع الانبياء وهو الدين الذى لايقبل الله غيره يوم القيامة . كما قال تعالى : " ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه " ويقول الامام محمد عبده : ان القرآن قد صرح بما لايحتمل الريبة بان دين الله فى جميع الازمان وعلى السن جميع الانبياء واحد . ويقول الاستاذ الشاذلي واما الشرائع فمختلفة فى الاوامر والنواهى فقد يكون الشئ في هذه الشريعة حراما ثم يحل فى الاخرى وبالعكس ، وخفيفا فيزداد في الشدة فى هذه دون هذه ، لما له تعالى من الحجة الدافعة والحكمة البالغة ، قال سعيد بن أبى عروبة عن قتادة : " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا " يقول : سبيلا وسنة . والسنن مختلفة هى فى التوراة شريعة وفى الانجيل شريعة وفى الفرقان شريعة ، يحل الله فيها مايشاء ويحرم مايشاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه والدين الذى لايقبل الله غيره هو التوحيد والاخلاص لله تعالي الذى جاءت به جميع الرسل (انظر : محمد عبده : المرجع السابق ص ١٦٣ ، عبدالله شحاته : تفسير سورة الاسراء ، القاهرة ١٩٧٥ ص ١٠ (=)

" وان هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاتقون " (١) وقال تعالى : " شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم اليه ، الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب " (٢) .

ومن هنا كان طلب القران الكريم الايمان بكل الرسل ، كما طلب كذلك الايمان بما أنزل عليهم ، وكان الايمان بالبعض دون البعض الاخر خروجا عن دين الله وهديه (٣) . يقول سبحانه وتعالى: " والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجرهم وكان الله غفورا رحيما " (٤). ويقول تعالى : " آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير "(٥). وقال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا (٦) " . وقال تعالى : " قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لانفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون "(٧) .

(=) الباقورى : المرجع السابق – ص ١٣٩. عبد المجيد الشاذلى : حد الاسلام وحقيقة الايمان – جامعة ام القرى – مكة المكرمة ص ١٠٠ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٥-٦ . مختصر تفسير ابن كثير : ج١ ص ٤٥٩، البداية ولنهاية ج ١ ص ١٥٣-١٥٤.

(١) سورة المؤمنون : اية ٥٢ وانظر تفسير القرطبى : ص ٤٥٢٠-٤٥٢١.

(٢) سورة الشورى : اية ١٣.

(٣) محمد ابوزهرة : العقيدة الاسلامية كماجاء بها القران الكريم. القاهرة – ١٩٦٩م ص ٨٥-٨٦. تفسير المنار : ج١٠ ص ١٨٢-١٨٣، خالد محمد خالد: كما تحدث القران – القاهرة – ١٩٧٠ م – ص ١٩٩-١٢٢.

(٤) سورة النساء : آية ١٥٢.

(٥) سورة البقرة آية ٢٨٥ .

(٦) سورة النساء : آية ١٣٦.

(٧) سورة البقرة: آية ١٣٦.

وانطلاقا من كلهذا فان القرآن الكريم انما يعلمنا ان كل رسول يرسل وكل كتاب ينزل انما قد جاء مصدقا ومؤكدا لما قبله ، فالانجيل مصدق ومؤكد للتوراة [1] والقرآن مصدق ومؤكد ومصدق للتوراة والانجيل ولكل مابين يديه من الكتب [2] يقول سبحانه وتعالى: " وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور مصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين، وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون ، وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن ليبلوكم فى ما آتاكم فاستبقوا الخيرات الىالله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون "[3] .

ويقول المسيح عليه السلام ، كما جاء فىالعهد الجديد :" لاتظنوا أنى جئت لانقض الناموس والانبياء ماجئت لانقض بل لاكمل ، فانىالحق أقول لكم الى ان تزول السماء والارض ولايزول حرف واحد أونقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل "[4] .

---

(١) من البدهى اننا نعنى هنا التوراة والانجيل اللذين انزلهما الله على رسوليه موسى وعيسى عليهما السلام ، وليستوراة اليهود واناجيل النصارى المتداولة اليوم . (انظر التوراة الحالية: محمد بيومى مهران : اسرائيل - الكتاب الثالث - الاسكندرية ١٩٧٩ - ص ١ -٣٧٩) .

(٢) محمدعبدالله دراز : المرجع السابق - ص ١٨٥، محمد ابوزهرة :المرجع السابق ص ٨٥-٨٦؛

(٣) سورة المائدة : اية ٤٦-٤٨.

(٤) انجيلمتى ٥/١٧-١٨.

ولاريب فى ان هذا التصديق لايعنى ان الكتب المتأخرة انما هى مجرد تجديد للمتقدمة وتذكيرها ، فلاتبديل فيها معنى ولاتغير حكما بل هى تزيد على ماقبلها وتضيف وتنسخ وتثبت ، فقد جاء فى الانجيل بتبديل بعض احكام التوراة ، كما جاء القرآن بتبديل بعض أحكام الانجيل ولكن يجب ان يفهم ان هذا وذاك لم يكن من المتاخر نقضا للمتقدم ولا انكسارا لحكمة احكامه فى ابانها ، وانما كان وقوفا عند وقتها المناسب واجلها المقدر[1] ، ومن هنا كان قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف " انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق " وفى رواية الامام مالك فى الموطأ " ان الله بعثنى لاتمم مكارم الاخلاق " .

وهكذا فان الله تعالى بمقتضى حكمته فى رسالاته انما جعل كل نبي يبشر بمن يجئ من بعده ، فالتوراة بشرت بالمسيح وبمحمد عليهما الصلاة واتم التسليم ، والمسيح بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم . يقول تعالى: " واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد . فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين "[2] .

---

(١) انظر : سورة العمران : اية ٥٠ ، الاعراف : اية ١٥٧ ، محمد عبدالله دراز : المرجع السابق ص ١٨٥-١٨٦.

(٢) سورة الصف : اية ٦ . ومن بشارات التوراة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (انظر : سفر التثنية ١٨/١٥، ١٨ ، ٣/٢٣ ، اشعياء ٦٠/١-٧ ، ٤٢/١٠-١٢ ،حبقوق ٣/٣-٤) وعن بشارة الانجيل (انظر : متى ٧/٢١-٢٣ ، ١٥/٨-٩ ، ٢٣/٤٢-٤٣) ثم انظر : ابراهيم خليل احمد : محمد فى التوراة والانجيل والقرآن : الطبعة الخامسة - القاهرة - ١٩٨٣م ص ٣٣-٩٥ ، بشرى زخارى ميخائيل : محمد رسول الله - هكذا بشرت به الاناجيل - القاهرة ١٩٧٢م - ابن كثير : السيرة النبوية - جا ص ٢٨٦-٣٤٠ (القاهرة ١٩٦٤م).

ومن المعروف أن أحمد اسم من أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد جاء في الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم " والذى نفسي بيده لايسمع بى احد من هذه الامة يهودى او نصرانى ولايؤمن الا دخل النار "(١) . وفى بعض الاحاديث " لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما الا اتباعى " (٢) . وقف النبى صلى الله عليه وسلم مرة على "مدراس" اليهود فى المدينة المنورة فقال: يامعشر يهود اسلموا! فوالذى لا اله الا هو لتعلمون انى رسول الله اليكم ، فقالوا : قد بلغت يا ابا القاسم قال : ذلك أريد "(٣) . فالذى يقطع به فى كتاب الله وسنة رسول ومن حيث المعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بشرت بـه الانبياء قبله ، واتباع الانبياء يعلمون ذلك ،ولكن اكثرهم يكتمونه ويخفونه (٤) .

هذا وقد أخذ الله الميثاق على كل نبى ، اذا جاءه رسول مصدق لما معه أن يؤمن به وينصره (٥) ، يقول تعالى : واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلك اصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين(٦) " قال على وابن عباس رضى الله عنهما : مابعث الله نبيا من

---

(١) صحيح مسلم ج١ ص ٣٦٧ .

(٢) مختصر تفسير ابن كثر ج١ ص ٢٩٦ .

(٣) ابن كثير : شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضله وخصائصه - القاهرة ١٩٦٧ ص ٣٣٩ . ثم قارن : ابن الجوزى : الوفا باحوال المصطفى ج١ - القاهرة ، ١٩٦٦م ص ٣٦-٣٧ ، عماد الدين خليل: دراسة فى السيرة - بيروت ١٩٧٤ م - ص ٣١٩-٣٢٢ .

(٤) ابن كثير : المرجع السابق ص ٣٣٩ . ابن الجوزى: المرجع السابق ص٣٧.

(٥) محمد عبد الله دراز: المرجع السابق ص ١٨٥.

(٦) سورة ال عمران : اية ٨١.وانظر تفسير المنار ج٣ ص ٢٨٧-٢٩٠ ، تفسير ابن كثير ج٢ ص ٥٥-٥٧ ، تفسير الطبرى : ج٦ ص ٥٥٠-٥٦١.

الأنبياء الا آخذ عليه الميثاق ، لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه . وقال الحسن البصري وقتادة : اخذ الله ميثاق النبيين ان يصدق بعضهم بعضا وهذا لايضاد ماقاله علي وابن عباس ولاينفيه بل يستلزمه ويقتضيه (١) .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صور الرسالات السماوية في جملتها باحسن تصوير في قوله صلى الله عليه وسلم " مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فاحسنه وجمله الا موضع لبنة فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ، فانا اللبنة وأنا خاتم النبيين " (٢) .

وقريب من هذا مايراه بعض الباحثين من أن صلاة المصطفى صلى الله عليه وسلم بالأنبياء ليلة أن أسري به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى انما تدل فيما تدل عليه من حكمة الى وحدة الرسالات والنبوات ، وانها جميعا من عند الله ، وان الانبياء والمرسلين انما أرسلوا من أجل هداية الناس ، ودعوتهم الى التوحيد (٣) .

وبدهي أن ذلك كذلك ، لان دين جميع الانبياء واحد في التوحيد وروح العبادة وتزكية النفس بالاعمال التي تقوم الملكات وتهذب الاخلاق ، وهكذا فالانبياء عموما دعاة الى توحيد الله وهداة الى الفضائل ومكارم الاخلاق فان الديانات السماوية تلتقي على فكرة التوحيد وحسن السلوك ، وان

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير : جـ١ ص ٢٩٦ .
(٢) صحيح البخاري : جـ٤ ص ٢٢٦ .
(٣) عبد الله شحاته : المرجع السابق ص ٨ . وانظر عماد الدين خليل : المرجع السابق ص ١١٥-١١٦ .

اختلفت وسائل تهذيب هذا السلوك من نبى لاخر ومن ديانة لاخرى ،وهكذا رأينا من الانبياء من حارب رذائل معينة انتشرت بين قومه كتطفيف الكيل الذى حاربه شعيب وكالانحراف الجنسى الذى وقف امامه لوط بكل اصرار وحزم (١) .

وهنا علينا ان نلاحظ ان هناك فرقا بين الدين فى ثباته وعدم تبدله بتبدل الانبياء وبين تبدل الشرائع وتغيرها بتبدل الانبياء وتغيرهم بل ينبغي أن يكون هذا الفرق واضحا فى الذهن سائغا فى الفهم وهو كذلك فيما يقرر القرآن الكريم . فاما من ناحية العقل والفكر فان الدين اى دين ، انما هو قائم على أصول ثلاثة :

اولها : الايمان بان لهذا الكون الها خالقا مدبرا ومحيط العلم بالغ القدرة ، لايعزب عن علمه شئ ولايعجزه شئ .

وثانى الاصول : الدعوة الى العمل الصالح الذى يشيع على الانسانية الامن والسلام .

وثالث الاصول : ان الله لم يخلق الناس عبثا ولن يتركهم سدى ، وانهم لابد راجعون اليه ومحاسبون بين يديه ومجازون على ماعملوا ان خيرا فخيرا وان شرا فشر .

هذا مايتصل بالدين فى عدم قبوله التغيير والتبديل واما مايتصل بالشرائع حيث هى مجموعة قوانين تنظم السلوك فى المجتمع فانها قابلة للتغيير والتبديل بمقتضى تغير البيئات واختلاف المصالح وقد اشار الى ذلك القرآن الكريم والحديث الشريف (٢) .

---

(١) ابو الحسن الماوردى : اعلام النبوة : القاهرة ١٩٧١ - ص ٢٢ ، عبد الله شحاته : المرجع السابق ص ٨-٩ .

(٢) مجموعة فتاوى ابن تيمية جـ ١ ص ٣٥٧ . وانظر الباقورى : المرجع السابق ص ١٣٧-١٣٩ ، خالد محمد خالد : المرجع السابق - ص ١١٥ ، عبد الله شحاته : المرجع السابق - ص ١٠ .

بقيت الاشارةهنا الى ان النبوة فضليسبغه الله على من يشـــاء من عباده وهبة ربانية يمنحها الله لمن يريد من خلقه ، وهى لاتدرك بالجـد والتعب ولا تنال بكثرة الطاعة والعبادة ولا يتوصل اليها بحسب ولا نسـب وانماهى بمحض الفضل الالهى ، فالله يختص برحمته من يشاء ، وهى تاتى الـى النبى منحة ربانية ، وعلى غير توقع منه ، فهى اذن اصطفاء واختيار مـن الله سبحانه وتعالى لبعض خلقه (١) . وصدق الله العظيم حيث يقـول: " الله أعلم حيث يجعل رسالته "(٢) .

والله سبحانه وتعالى انما يختص بهذه الرحمة العظيمة ، والمنقبـة الكريمة ، من كان اهلا لها بما اهله جل شانه من سلامة الفطرة وعلو الهمـة تزكية النفس ، وطهارة القلب ، وحب الخير والحق ، وكان أذكياء العـرب فى الجاهلية ، على شركهم بالله تعالى ، يعلمون ان الصادقين ومحبى الحـق وفاعلى الخير من الفضلاء ، اهل لكرامته تعالى وعنايته ، كما يفهم من استنباط أم المؤمنين خديجة فى حديث ام المؤمنين عائشة رض الله عنهما فى بـدء الوحى فانه صلى الله عليه وسلم لما قال لخديجة : " لقد خشيت على نفسـى" قالت له : "كلا فوالله لايخزيك الله ابدا ، انك لتصل الرحم وتصدق الحديـث وتحمل الكل وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق " (٣)

---

(١) تفسير المنار : ج٨ ص ٣٣-٣٤ ، محمد على الصابونى : المرجع السابـق ص ٨ .

(٢) سورة الانعام : اية ١٢٤. وانظر : تفسير روح المعانى ج٨ ص ٢١-٢٣ ، تفسير المنار ج ٨ ص ٣٢-٣٥ ، تفسير ابن كثير ج٣ ص ٣٢٣-٣٢٦.

(٣) صحيح مسلم ج١ ص ٣٧٩-٣٨٠. وانظر : ابن كثير : السيرة النبويـة ج ١ـص ٢٩٤-٢٩٥. ، تفسير المنار ج ٨ ص ٣٤ ، عبد الحليم محمـود : المرجع السابق ص ٣٥٤.

هذا ويفرق العلماء بين النبى والرسول اعتمادا على عدة أمور منهاماورد فى كتاب الله من عطف النبى على الرسول كمافى قوله تعالى: " وما ارسلنا من قبلكمن رسول ولا نبىالا اذا تمنى القى الشيطان فى أمنيته "(١) . ومنها وصف الله بعض رسله بالنبوة والرسالةمما يدل على ان الرسالة امر زائد علىالنبوة كقوله تعالى : " واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا "(٢) وكقوله تعالى : " واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادقالوعد وكان رسولا نبيا "(٣) ومنها ماورواه الامام احمد فى مسنده عن النبى صلىاللهعليهوسلم انه قال : " ان عدة الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبى وعدة الرسل ثلاثمائة وبضعة عشر رسولا " .

وقد اختلفالعلماء فىتعريفالنبى والرسولوالفرق بينهمافذهب فريق منهم الى أن النبى هو من أوحىاليه بشرع ، سواء امر بتبليغه او لم يؤمر والرسولهو من اوحىاليه بشرع وأمر بتبليغه (٤)، قالتعالى : " وما آرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى " الاية . ويرىالامام ابن تيمية ان الله فى قوله " من رسول ولا نبى " قد ذكر ارسالا يعم النوعين وقد خص احدهما بانه رسول ، فان هذا هو الرسولالمطلقالذى أمر بتبليغ رسالته الى من خالف الله ، كنوح عليه السلام . والذى ثبت فىالصحيح انه اول رسول بعث الى آهل الارض وقد كان قبله أنبياء كشيث وادريسوقبلهما ادم كان نبيا مكلما(٥) .

---

(١) سورة الحج : اية ٥٢ .
(٢) سورةمريم : اية ٥١.
(٣) سورة مريم : اية ٥٤.
(٤) تفسير القرطبى ص ٤٤٧٢ ، الامام الطحاوى : شرحالعقيدة الطحاوية – بيروت ١٩٧١ م ص ١٦٧ ، الديار بكرى : تاريخ الخميس ص ٧ ، محمود الشرقاوى : المرجعالسابق ص ٩ .
(٥) ابنتيمية : كتاب النبوات ص ١٧٣.

على ان العقل، فيما يرى الشرقاوى ، لايستسيغ ان يوحى الله العلى القدير الى نبى بشرع ثم لايامره بتبليغه لان الشرع امانة وعلم واداء واجب وكتمان العلم نقص ورذيلة (١) ، ثم ان الله لاينزل وحيه ليكتم ويدفن فى صدر واحد من الناس ، ثم يموت هذا العلم بموته ، هذا فضلا عن الحديث الشريف الذى رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى والذى يقول فيه صلى الله عليه وسلم : " عرضت على الامم فرأيت النبى ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبى وليس معه احد " فدل هذا على أن الانبياء مامورون بالبلاغ ، وانهم يتفاوتون فى مدى الاستجابة لهم (٢) .

وذهب فريق منهم الى أن الرسول من أوحى اليه بشرع وأنزل عليه كتاب كابراهيم وموسى وداود وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم إجمعين ، والنبى هو من اوحى اليه بشرع ولم ينزل عليه كتاب كاسماعيل وشعيب ويونس ولوط وزكريا وغيرهم من الانبياء . وهذا التعريف لايستقيم ايضا لان الله سبحانه وتعالى قد وصف بعض الانبياء الذين لم تنزل عليهم كتب بالرسالة (٣) ، فقال عن اسماعيل عليه السلام " واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا "(٤) . وقال تعالى عن لوط عليه السلام " وان لوطا لمن المرسلين " (٥) ، وقال تعالى عن يونس :" وان يونس لمن المرسلين"(٦).

---

(١) محمود الشرقاوى : المرجع السابق ص ٩-١٠.

(٢) عمر سليمان الاشقر : المرجع السابق ص ١٤-١٥.

(٣) محمود الشرقاوى : المرجع السابق ص ١٠ .

(٤) سورة مريم : اية ٥٤.

(٥) سورة الصافات : آية ١٣٣.

(٦) سورة الصافات: آية ١٣٩.

وهناك وجه ثالث للنظر يذهب الى ان الرسول انما هو من بعثه الله بشرع جديد يدعو الناس اليه . اما النبى الذى ليس برسول فهو من بعث لتقرير شرع سابق كانبياء بنى اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام (١)، وهذه القاعدة تنسجم مع التعريف الاول فقط للرسول والنبى .

غير ان ابن تيمية يرد على القول الثالث ، فيرى انه ليس من شرط الرسول ان ياتى بشريعة جديدة ، فان يوسف كان رسولا وكان على ملة ابراهيم ، وداود وسليمان كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة (٢). قال تعالى: عن مؤمن آل فرعون: " ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا "(٣) .

هذا ويذهب فريق رابع من العلماء الى ان الرسول انما يختلف عن النبى لا ن اختلاف الاسماء انما يدل على اختلاف المسميات والرسول اعلى منزلة من النبى ولذلك سميت الملائكة رسلا ولم يسموا انبياء . هذا وقد اختلف من قال بهذا فى الفرق بينهما على ثلاثة اقاويل :

الاول : ان الرسول هو الذى تنزل عليه الملائكة بالوحى ، والنبي هو الذى يوحى اليه فى نومه .

والثانى : ان الرسول هو المبعوث الى امة ، والنبى هو المحدث الذى لايبعث الى امة .

والثالث : ان الرسول هو المبتدىء بوضع الشرائع والاحكام، والنبي هو الذى يحفظ شريعة غيره (٤) . وهذا القول يتفق مع القول الثالث الذى رد عليه ابن تيمية .

---

(١) تفسير البيضاوى :جـ٢ ص ٩٥-٩٦ ، تفسير القرطبى ص ٤٤٧٢ ، الطحاوى: المرجع السابق ص ١٦٧ ،عبد الحليم محمود / فى رحاب الانبياء والرسل: القاهرة ١٩٧٧م - ص ٤٢ ، تفسير المنار: جـ٥ ص ١٩٤-١٩٥ .

(٢) ابن تيمية : المرجع السابق - ص ١٧٣.

(٣) سورة غافر: اية ١٣٤ .

(٤) ابو الحسن الماوردى : المرجع السابق ص ٣٨.

ويرى الطحاوى ان الرسول اخص من النبى ، وان الرسالة اعم من جهة نفسها فالنبوة جزء من الرسالة ، اذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها ، بخلاف الرسل فانهم لايتناولون الانبياء وغيرهم بل الامر بالعكس فالرسالة اعم من جهة نفسها واخص من جهة اهلها [(١)] .

وأما عدد الانبياء والرسل فقد ذكر من قبل حديثا حول هذا الموضوع وانهم ١٢٤ الف نبى و ٣٠٠ وبضعة عشر رسولا وورد فى القرآن الكريم اسماء خمسة وعشرين منهم [(٢)]، ونعلم كذلك أنه مامن أمة الا وجاءها رسول من عند الله العلى القدير ، فلقد اقتضت حكمة الله تعالى فى الامم ، قبل هذه الامة ان يرسل فى كل منها نذيرا ، ولم يرسل رسولا للبشرية كلها الا محمدا صلى الله عليه وسلم واقتضى عدله الا يعذب أحد من الخلق الا بعد أن تقوم عليه الحجة [(٣)] قال تعالى: " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " [(٤)] . وقد كان هذا هو السبب فى كثرة الأنبياء والرسل فى تاريخ البشرية كثرة هائلة قال تعالى: " وان من أمة الا خلا فيها نذير " [(٥)] وقال تعالى : " وكم أرسلنا من نبى فى الاولين " [(٦)] وقال تعالى : " منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك " [(٧)] وقال تعالى : " ورسلا قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك " [(٨)] .

---

(١) الطحاوى : المرجع السابق - ص ١٦٧.

(٢) هو ادم وادريس ونوح وهود وصالح وابراهيم ولوط واسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف وايوب وشعيب وموسى وهارون ويونس وداود وسليمان والياس واليسع وزكريا ويحي وعيسى ، وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين ومحمد صلى الله عليه وسلم . وفى حديث ابى ذر منهم اربعة من العرب : هود وصالح وشعيب ومحمد صلى الله عليه وسلم . (انظر تفسير ابن كثير - ج٢ - ص٤٢٤ - تفسير البيضاوى ج٢ ص ٣١٢.

(٣) عمر الاشقر : المرجع السابق ص ١٧.

(٤) سورة الاسراء : اية ١٥.

(٥) سورة فاطر اية ٢٤.

(٦) سورة الزخرف اية ٦ .

(٧) سورة غافر : اية ٧٨.

(٨) سورة النساء اية ١٦٤.

ولقد اختلف العلماء على عدد الانبياء والرسل عليهم السلام ، فمن قائل انهم مائة الف واربعة وعشرون الفا ، ومن قائل انهم ثمانية الاف منهم اربعة الاف من بنى اسرائيل ، واربعة الاف من سائر الناس ، ومن قائل انهم اربعة الاف ، ومن قائل انهم ثلاثة الاف ، وان الرسل من الانبياء ثلاثمائة وثلاثة عشر ، أولهم آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم [1] . والحقيقة ان الدليل الوحيد الذى يصلح ان يكون دليلا على عددهم هو حديث ابى ذر المشهور والذى رواه الامام احمد فى مسنده وجاء فيه أن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه دخل المسجد النبوى الشريف فاذا الرسول صلى الله عليه وسلم جالس وحده فسأله عن أشياء كثيرة ، ثم سأله كم الأنبياء؟ قال : مائة الف وأربعة وعشرون ، قال : قلت يارسول الله كم الرسل من ذلك ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر ، جم غفير ، كثير طيب ، قال: قلت : فمن كان أولهم ؟ قال : آدم . قلت . أنبى مرسل : قال نعم ، خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه وسواه قبيلا "[2]" أما الباقى فهى تخمين لأن عدد الانبياء والرسل أمر لايعرف الا توقيفا نظرا لكثرة عددهم وتفرقهم فى الأمصار المختلفة وتتابعهم منذ ان خلق الله الأرض ومن عليها الى بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) تفسير ابن كثير - جـ٢ - ص ٤٢٢-٤٢٨ ، تفسير القرطبى - ٢٠١٤-٢٠١٥- ، تفسير المنار جـ٧ ص ٥٠٠-٥٠٧ ، تفسير روح المعانى - جـ٢٤ ص ٨٨-٨٩ ، الهيثمى : مجمع الزوائد جـ٨ ص ٢١٠ ، المعارف ص ٢٦ ، ابو الحسن الماوردى : المرجع السابق ص ٥٢ ،

(٢) تفسير ابن كثير : جـ٢ ص ٤٢٢-٤٢٦ ، مسند الامام أحمد ، جـ٥ ص ٢٦٥-٢٦٦، تفسير روح المعانى جـ٢٤ ص ٨٨، مجمع الزوائد جـ٨ ص ٢١، مشكاة المصابيح جـ٣ ص ١٢٢ .

(٣) بعثة الرسل الى فلسطين والجزيرة العربية :

ليس هناك من ريب في ان فلسطين والجزيرة العربية انما تحتلان مكانة فريدة في تاريخ النبوة والانبياء ، فلئن كان موسى كليم الله قد ولد في مصر ، ونشأ في القصر الملكي المصري ، ثم تلقى وحي ربه وبلغ رسالاته في ارض مصر [١] ، فقد قضى موسى جزءا من حياته قبل بعثته في الجزيرة العربية في أرض مدين ـ صهرا لشعيب ،وأن المسيح بن مريم ، كلمة الله وروحه ولد في بيت لحم وربي في الناصرة من أرض كنعان ، ثم شهدت فلسطين كل معجزات المسيح التي منحها اياه ربه الكريم ، ففيها علمه ربه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وفيها بعث رسولا الى بني اسرائيل [٢] .

هذا فضلا عن أن الله تعالى ، شاءت ارادته ان تخص فلسطين بالعديد من الانبياء والمرسلين ،ابتداءا من أبيهم ابراهيم حتى عيسى بن مريم ، عليهم السلام ، كما ان في فلسطين اولى القبلتين [٣] وثالث الحرمين الشريفين [٤] ، ومسرى النبي الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم وصدق الله العظيم حيث يقول : " سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله " [٥] .

---

(١) انظر سورة الاعراف اية ١٠٣-١٣٧ ، يونس : اية ٧٥-٩٢ ، الشعراء : اية ١٠-٦٨ ، القصص : اية ٣-٢١ ، ٢٩-٤٠ .

(٢) سورة آل عمران : اية ٤٨-٥٠.

(٣) انظر سورة البقرة اية ١٤٢-١٤٤. صحيح البخارى : ج٦ ص ٢٥-٢٧، صحيح مسلم ج٢ ص ١٦٢ ،مسند الامام احمد ج٥ ص ١٤٦-١٤٧ مجمع الزوائد : ج٢ ص ١٣.

(٤) انظر صحيح مسلم ج٣ ص ٥٤١ (دار الشعب ـ القاهرة ١٩٧٢) : الزركشي: اعلام الساجد باحكام المساجد ص ٢٨٧.

(٥) سورة الاسراء : أية ١ ، وانظر : تفسير القرطبى ص ٣٨١٩-٣٨٢٨.تفسير ابن كثير ج٥ ص ١٣٥-١٣٧ . صحيح البخارى ج٥ ص ٦٦-٦٩. ج٦ ص ١٤٠ ،صحيح مسلم ج ١ ص ٣٨٧-٤٠٢ ، فتح البارى ج٧ ص ١٥٩-١٧٣.

واما الجزيرة العربية فلا ريب فى ان مكانتها تفوق مكانة اية بقعة من بقاع الارض ، ففى مكة المكرمة أقدس بقاع الدنيا ، بنى ابراهيم واسماعيل عليهما السلام الكعبة المشرفة ،بيتا لله تعالى ، ليكون رمزا للحقيقة الكبرى فى الوجود ، حقيقة التوحيد ، توحيد التوجه الى الله الواحد الأحد (١) ، وقد خلد الله تعالى بناء الكعبة حيث يقول تعالى : " ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين • فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا "(٢) . فى هذه الايات الكريمة اشارة الى أن الحج الى البيت على المستطيع انما هو فرض الهى قديم ، فهو أول بيت وضع للناس فيه الهدى وفيه البركة ، وفيه الخير الكثير ، وهو من بناء ابراهيم بما فيه من علامات هى مقام ابراهيم ، وان من دخله كان آمنا ، ويلفت النظر هنا كلمة " الناس" فانها انما تدل على ان الحج انما كان على الناس كافة ، كما تدل كلمة " العالمين " على ان البيت الحرام ، انما هو هداية للبشرية جمعاء(٣) ،وهكذا ما أن فرغ ابراهيم من بناء البيت حتى أمره ربه أن يؤذن فى الناس بالحج ، قال تعالى: " وأذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق " (٤) .

وفى مكة المكرمة أسكن ابراهيم ، بأمر الله ، ولده اسماعيل وهاجر عليهم السلام ، تمهيدا لأعظم مهمة خلدت ذكر ابراهيم ، وهدت أقواما الى الايمان بالله الواحد القهار ، أعنى أول بيت وضع للناس ، بيت الله الحرام

---

(١) محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القران الكريم ج١ ص ١٩٤-١٩٥.

(٢) سورة ال عمران : اية ٩٦-٩٧.

(٣) تفسير ابن كثير ج٤ ص ٦٣١-٦٤٧، احمد ابراهيم الشريف : مكة والمدينة فى الجاهلية ، وعصر الرسول - القاهرة - ١٩٦٥- ص ١٧٣ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ١٩٦ ، تفسير المنار ج ٤ ص ٦-١١.

(٤) سورة الحج : آية ٢٧.

وليعيش اسماعيل هناك حتى يخرج من أولاده اشرف الاولين والاخرين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحتى تنشأ خير آمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ومن ثم فان ابراهيم عليه السلام ما ان ترك هاجر واسماعيل عند دوحة فوق زمزم حتى قفل راجعا ، فنادته هاجر : يا ابراهيم الى من تكلنا ، فيقول : الى الله ، فتقول له : انطلق فانه لايضيعنا ، وينطلق ابراهيم حتى اذا ماكان عند الثنية حيث لايرونه ، استقبل بوجهه البيت ، ثم دعى بهذه الدعوات [1]: " ربنا انى أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون" [٢] .

هذا وقد دعا ابراهيم لاهل الحرم بدعوتين توجه بهما الى ربه احداهما : " واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات "[٣]، والثانية: " ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم" [٤] .

وقد استجاب الله لابراهيم فجعل البيت مثابة للناس وأمنا ، ثم كان من ذريته النبى محمد رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، وكانت قريش هى القبيلة التى ولد فيها محمد، صلى الله عليه وسلم وانبعث منها محمد صلى الله عليه وسلم، وكان اختيار هذا النبى على سنة الله فى اصطفائه رسله وانبيائه من اكرم البيوت ، وأشرف الظهور ، وأطهر البطون ، وأبعدها عن الدنايا وألصقها بمكارم الاخلاق [٥]، كما قال الله تعالى : " ان الله اصطفى آدم ونوحا

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٨٦-١٨٨.
(٢) سورة ابراهيم اية ٣٧.
(٣) سورة البقرة : اية ١٢٦.
(٤) سورة البقرة : اية ١٢٩.
(٥) احمد حسن الباقورى : المرجع السابق ص ٣٠٩-٣١٠ .

وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم "(١)، وقال تعالى : "الله أعلم حيث يجعل رسالته "(٢) .

وقد بين سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المعنى بقوله الشريف : " ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم ، فانا خيار من خيار "(٣) .

وهكذا كانت الحجاز مهد خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومهبط الوحى ومنزل القرآن ، تتجه اليه ملايين قلوب المسلمين ووجوههم كل يوم فى صلاتهم خمس مرات (٤)، يقول الله تعالى : " قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره "(٥) . ويقول تعالى: " ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ، ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا فلا تخشوهم واخشونى ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون "(٦) .

وفى مكة المكرمة ، دون غيرها ، يتم الحج ،ركن الاسلام الخامس ،ومن ثم فهذان ركنان من اركان الاسلام ، (الصلاة والحج) لايصح الاول الا بالاتجاه الى الكعبة فى مكة ، ولايصح الثانى الا فى مكة وما جاورها

---

(١) سورة العمران / آية ٣٣-٣٤ .
(٢) سورة الانعام : آية ١٢٤.
(٣) الحديث رواه مسلم ج٤ ص١٧٨٢ والترمذى ، وانظر : المواهب للقسطلانى ج ١ ص١٣ ، ابن كثير : السيرة النبوية ج١ ص ١٩١ ،عبد الحليم محمود : دلائل النبوة ومعجزات الرسول ص ٦٨ .
(٤) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ١١٥.
(٥) سورة البقرة : اية ١٤٤.
(٦) سورة البقرة : اية ١٤٩-١٥٠.

(عرفة - مزدلفة - منى) ومنذ السنة الثامنة للهجرة (٦٣٠م) اصبحت مكة مدينة الاسلام المقدسة يحج الى كعبتها كل عام الاف مؤلفة من المسلمين يقصدونها لاداء فريضة الحج والطواف حول كعبتها المشرفة والصلاة في البيت الحرام حيث الصلاة فيه بمائة الف صلاة في غيره من المساجد ، غير المسجد النبوى الشريف • وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : " صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا فى المسجد الحرام"(١) وفضل المسجد الحرام فضل مائة الف صلاة •

وفى الحجاز كذلك المدينة المنورة ، دار الهجرة التى نصرت الاسلام، وأعزت كلمة المسلمين ، فصارت كهفا لاولياء الله وعباده الصالحين ومعقلا وحصنا منيعا للمسلمين ، ودار هدى للعالمين ، ومن ثم فقد استحقت التكريم الدائم ، ثم شاءت ارادة الله الكريم المنان ان يجعل ثانى الحرمين الشريفين فى المدينة ، وان يخصها بميزة لاتتطاول اليها واحدة من مدن الدنيا ، حيث شرفت بان تضم فى ثراها جثمان سيد الاولين والآخرين ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكما يقول الامام مالك : انه لايعرف قبر نبى على وجه الارض غير قبر محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن كان قبر محمد صلى الله عليه وسلم عندهم ، فينبغى ان يعرف فضلهم على غيرهم " ، ومن ثم فقد كانت المدينة المنورة ، ومازالت وستظل ابد الدهر ان شاء الله عزيزة على المسلمين ، وكانت قلوب المؤمنين ، ومازالت وستظل ابد الدهر ان شاء الله ، فى كل أنحاء الدنيا تنبض بحب المدينة ، وتهفو الى زيارتها ، تتعبد الى الله فى مسجدها النبوى الشريف ، وتنعم بالصلاة فى الروضة الشريفة وتشرف بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يرث الله الارض ومن عليها •

لقد عرفت الجزيرة العربية فى تاريخها الطويل انواعا من الرسالات ولم تكن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وحدها هى التى بدات فيها ،

---

(١) صحيح مسلم : ج٢ - ص ١٠١٢-١٠١٣ •

فكان هود في الاحقاف ، وكان صالح في ثمود ، وكان شعيب في مدين ، وكان موسى الذي نادى ربه بجانب الطور الايمن على تخوم الجزيرة العربية ، ومن قبل كان ابراهيم الذي بنى البيت ، واسماعيل الذي ساعده في بنائه ثم رعاه من بعده ، فهذه الجزيرة بامتدادها انما كانت مهبط الوحي منذ القدم ولها عهد بالرسالات تتابعت فيها على مر العصور (1) .

وسنتحدث الان عن بعض الانبياء والرسل الذين بعثوا في فلسطين والجزيرة العربية .

....

(1) انظر : محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم ، ص ١٥ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠، عطيه صقر : الدين العالمي ومنهج الدعوة اليه . القاهرة ١٩٧٠م ص ١٤٣.

أنبياء من فلسطين

(١) لوط عليه السلام :

كان لوط بن هاران ابن أخي ابراهيم عليهما السلام ، وقد آمن به وهاجر معه من اور الكلدانيين[1] الى كنعان ، قال تعالى : " فامن لوط وقال انى مهاجر الى ربى انه هو العزيز الحكيم "[2] . وقد جاءت قصته فى عدة سور من القرآن الكريم ، كما فى الاعراف وهود والحجر والشعراء والنمل وغيرها . وقد ذكرت مفصلة فى بعض السور ومجملة فى البعض الآخر[3] .

وقد بعث الله لوطا الى أهل سدوم وعمورة فى أطراف شرق الأردن، وكان قومهما من أفجر الناس وأكفرهم وأخبثهم طوية ، وأقبحهم سيرة ، يقطعون السبيل ، ويأتون فى ناديهم المنكر ، ولايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون ، ومن ثم فقد قضى نبى الله ايامه يدعو الى مكافحة جريمة نكراء لم يسبقهم اليها احد من العالمين ، واعنى بها جريمة "اللواط" فقد كان القوم يعملون السيئات الكثيرة ، وأفظع الفاحشة وانكرها فى الفطرة البشرية ، والشرائع الالهية ، وهى اتيان الرجال شهوة دون النساء ومجاهرتهم بها فى أنديتهم ، كانها من الفضائل ، يتسابقون اليها ويتبارون فيها[4] .

---

(١) انظر عن "اور الكلدانيين " الفصل الثالث من هذه الدراسة . وانظر: اسرائيل : الكتاب الاول ــ الاسكندرية ١٣٧٨م ص ٦١-٧٢ .

(٢) سورة العنكبوت : اية ٢٦.

(٣) وردت قصة لوط فى سورة الاعراف (٨٠-٨٤) وهود (٧٤-٨٣) والحجر: (٥٧-٧٧) والشعراء (١٦٠-١٧٥) والنمل (٥٤-٥٩) والعنكبوت (٢٨-٣٥) والقمر (٣٣-٣٩) والتحريم (١٠) وانظر القصة فى : تاريخ الطبرى جا ص ٢٩٢-٣٠٧ ، ابن الاثير : الكامل جا ص ١١٨-١٢٢ ، ابن كثير: البداية والنهاية جا ص ١٧٥-١٨٣ ، عبدالوهاب النجار: قصص الانبياء ص ١١٢-١١٨ ، الثعالبى : قصص الانبياء ص ١٠٣ ومابعدها.

(٤) انظر: محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ١٨٢-١٨٥.

ولما دعاهم لوط عليه السلام الى اللهتعالى ، ونهاهم عن فعل تلك الفاحشة النكراء كانجواب قومه أن هددوه باخراجه منالقرية وقالوا: " لئن لم تنته يالوط لتكونن منالمخرجين " ومن ثم فقد اعلنالنبي الكريم براءته من القوم الفاسقين ، ودعا الله ان ينجيهواهله مما يعملون فنجاه الله وأهله اجمعين ، الا امرأته فقد كانت على دين قومها وكانت تخونهوتدلهم على أضيافه ، فكانت من الغابرين(١)

ولنقرآ هذه الايات الكريمات :

" ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا ، وقال هذا يوم عصيب / وجاء قومه يهرعون اليه ، ومنقبل كانوا يعملون السيئات ،قال ياقوم هؤلاء بناتى هن اطهر لكم فاتقوا الله ولاتخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد ، قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق ، وانك لتعلممانريد ، قال لو ان لى بكم قوة

---

(١) يجب الاشارة الى انالمراد بالخيانةهنا وفىاية التحريم (١٠) والتي تشير الىان امراتى نوح ولوط قد خانتاهما ، ان المراد : الخيانة فىالدين حيث لم تؤمنا بالله وليست الخيانة بمعنى الفاحشة ذلك لانساء الانبياء معصومات عن الوقوع فىالفاحشة لحرمة الانبياء وعدم الاساءة الى سمعتهم، وقد روى الضحاك من ابن عباس : مابغت امراة نبى قط ، انماكانت خيانتهما فى الدين ، وقال ابن كثير: فخانتاهما اى فى الدين ، فلم تتبعاهما وليسالمراد انهما كانتا على فاحشة ، حاشا وكلا ، فان الله تعالى لايقدر على نبى ان تبغي امرأته • ومن قال خلاف هذا فقد اخطأ خطأ كبيرا • (مختصر تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٥٢٥• ، البداية والنهاية جا ص ١٨٢)•

أو آوى الى ركن شديد . قالوا يالوط انا رسل ربك لـــــن
يصلوا اليك فاسرباهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكـــــم
أحد ، الا امرأتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبـــح
أليس الصبح بقريب ، فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها
وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربـــــك
وماهي من الظالمين ببعيد" (١)

وهكذا كان هلاك القوم الظالمين الذين اضافوا الى السجل الانسانيـــــة صفحة ملطخة بالعار والخلق المشين ، وصاروا مثلا يضرب لكل من يفعل فعلتهـــم الى يوم الدين (٢) .

حينما نتتبع الايات الكريمة التى وردت عن لوط عليه السلام وماكـــان يسود قومه من عادات قبيحة ، فاننا نلاحظ ان الكتاب العزيز قد ركز علـــي البحث فيها فى جميع السور اكثر مما ركز على تقوى الله وعبادته وهذا يخالـــف دعوات الانبياء قبله وبعده ، ذلك لان التركيز فى دعواتهم انما جاء :

أولا : على تقوى الله وعبادته .

وثانيا : على محاربة العادات المنكرة المتفشية بينهم . واما التركيز فى دعوة لوط فكان محاربة تلك العادة الشاذة التى كان يرتكبها قومـــه مخالفين بذلك كل النواميس الطبيعية والآداب الاجتماعية فضلا عما فيها مـــن

---

(١) سورة هود : آية ٧٧-٨٣ (وانظر سورة الحجر اية ٦١-٧٧ ، الشعـــراء اية ١٦٠-١٧٥ ، النمل : اية ٥٤-٥٨ ، العنكبوت : اية ٢٨-٣٥ ، القمـــر: اية ٣٣-٣٩ ، تفسير المنار : ج ١٢ ص ١١٠-١١٦ ، تفسير الطبـــري: ج ١٥ ص ٤٠٧-٤٤٣ ، تفسير ابن كثير: ج٤ ص ٢٦٧-٢٧٢، ٤٥٩-٤٦٢ ،ج ٨ ص ٤٥٥-٤٥٦) .

(٢) محمد خليل هراس : دعوة التوحيد - بيروت ١٩٨٦م ص ١٣٩ .

ازهاق لمظهر الرجولية وجوهرها ، ولما يترتب على تفشيها من الارتكاس في حمأة الخنوثة ، وفى ذلك مافيه من تهديد للجنس البشري بالوبال والنكال ، ومن ثم فقد حارب الاسلام اللواط ، وفرض على مرتكبيه أقصى وأقسى العقوبات [1]، فلقد ورد عن النبى صلي الله عليه وسلم انه قال : " من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به [2] " وروى الامام أحمد انه صلى الله عليه وسلم قال : " لعن الله من عمل عمل قوم لوط - وردده ثلاثا " .

ان تحديد عصر لوط على وجه التقريب ليس أمرا صعبا ، واذا وضعنا فى اعتبارنا أن القرآن الكريم قد نص على ان قوم لوط كانوا معاصرين لابي الانبياء ابراهيم عليه السلام [3]، وقد سبق ان حددنا عصره بالفترة مابين ١٩٤٠ - ١٧٦٥ ق.م. ، وعليه نستطيع أن نقول بأن عصر لوط هو القرن التاسع عشر قبل الميلاد أو القرن الثامن عشر قبل الميلاد أو مابينهما .

بقيت الاشارة الى أن توراة اليهود المتداولة اليوم [4] انما تنسب الى النبى الكريم ، وهو الذى قضى أيام دعوته فى محاربة الجرائم الجنسية أنه - وحاشاه ان يفعل ذلك - قد اقام مع ابنتيه فى مغارة بعد هلاك قريتى سدوم وعمورة وأن الكبرى رأت أن أباها قد شاخ ، وليس من رجل غيره يدخل عليهما ، كعادة اهل الارض ، ومن ثم فقد اقترحت ان يسقياه خمرا ، وان تضطجعا معه فتنجبا منه ، وتمت المؤامرة وزنى لوط ، وحاشاه ان يفعل ذلك ، بابنتيه الواحدة بعد الاخرى فى ليلتين متتاليتين ثم حملت البنتان

---

(١) محمد الطيب النجار : تاريخ الانبياء - الرياض ١٩٨٣ ص ١١٧-١٢٤.

(٢) الحديث اخرجه الخمسة الا النسائى .

(٣) انظر : سورة الحجر : اية ٥١-٧٧، العنكبوت : اية ٢٦-٣٥ ، الذاريات: اية ٢٤-٣٧ .

(٤) انظر عن موقف التوراة من الانبياء : محمد بيومى مهران : اسرائيل الكتاب الثالث - الاسكندرية ١٩٧٩ ص ١٦٢-٢١٨ وكذا انظر : سفر التكوين (اصحاحات ١٢، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٧ ، ٣٤ ، ٣٨) وصموئيل اول وثان وغيرها .

من أبيهما ، والعياذ بالله ، وانجبتا الكبرى " مؤاب " وهو ابو المؤابين والصغرى " عمون " وهو ابو العمونيين(١) .

وهكذا لم يستطع العقل اليهودى ان يقدم صورة للنبى الكريم سوى صورة الرجل الذى يسكر بيد احدى ابنتيه فى ليلة وبيد الاخرى فى ليلة ثانية ، ثم يفقد وعيه حتى يقترف مع الواحدة تلو الاخرى اشنع جريمة يمكن أن يرتكبها الرجل الحر مع آية امرأة فضلا عن ان تكون هذه المرأة ابنته ومن صلبه ، ثم لا يقف أمر هذه الطغمة الباغية من يهود عند هذا الحد وانما يجعلون للجريمة ثمرة ، وهى شعبا مؤاب وبنى عمون ، وهكذا لعبت اصابع التحريف فى التوراة ، فدست طغمة باغية من يهود نصوصا فى التوراة تقدح فى الانبياء وتبطل عصمتهم ، ومن ثم فقد بعدت نسبة هذه النصوص المنكرة عن موسى عليه السلام فضلا عن آن تكون من لدن على قدير(٢)

هذا وقد اعترض العلامة " ابن حزم " على هذه الروايات واثبت بطلانها بأدلة :

أولا : ماجاء على لسان ابنة لوط الكبرى من عدم وجود رجل يدخل عليهما ، من ان هذا ليس بصحيح • ثم يتساءل : هل انقطع نسل ولد آدم حتى لم يبق فى الارض واحد يضاجعهما ؟ علما بان بين مغارة لوط وبين سكنى ابراهيم الخليل قرابة ثلاثة أميال •

ثانيا : كيف يضاجع لوط عليه السلام ابنتيه الواحدة بعد الاخرى فان قيل انما قد حدث وهو مخمور فكيف وقد راهما حاملتين ثم قد ولدتا ثم وهما تربيان اولاد الزنا ؟؟

---

(١) انظر : محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ١٨٢-١٨٥•

(٢) ابن حزم : الفصل فى الملل والاهواء والنحل - جا - القاهرة ١٩٦٤م ص ١٠٦•

ثالثا : اطلاقهم على الله سبحانه وتعالى انه قد نسب اولاد ذنيك الزنيمين فرخا الزنا الى ولادة لوط عليه السلام ، وحتى ورثهما بلدين (مؤاب وعمون بشرق الاردن) كما ورث بنى اسرائيل وبنى عيسو ، ابنى اسحاق سواء بسواء ، تعالى الله عن هذا علوا كبيرا [١] .

٢ - اسحاق عليه السلام :

ورد اسم اسحاق فى القرآن الكريم مقرونا غالبا بابيه ابراهيم عليهما السلام ، مما يدل على ان ابراهيم قد عاش حتى كبر اسحاق وبلغ مبلغ الرجال [٢] ، هذا وقد وردت البشارة باسحاق فى عدة سور من القرآن الكريم [٣] وأرجح الآراء أن رسالة اسحاق عليه السلام انما كانت الى الكنعانيين سكان فلسطين فى نفس المنطقة التى عاش فيها ابو الانبياء ابراهيم الخليل فكانت رسالة اسحاق الى هؤلاء الاقوام الذين عاش بينهم عليه السلام ، ومن نسل اسحاق جاء انبياء بنى اسرائيل ، ذلك لان النبوة انما كانت فى ذرية ابراهيم من ولديه اسماعيل واسحاق [٤] ، كما قال تعالى " وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب " [٥] .

---

(١) ابن حزم : الفصل فى الملل والاهواء والنحل - جا - القاهرة - ١٩٦٤ ص ١٠٦ .

(٢) سبق ان اشرنا من قبل أن ابراهيم الخليل عاش فى الفترة (١٩٤٠-١٧٦٥ق.م) وان اسحاق عاش فى الفترة (١٨٤٠-١٦٦٠ق.م) وان يعقوب عاش فى الفترة (١٧٨٠ -١٦٣٣ ق.م) .

(٣) انظر : سورة هود (٦٩-٧٢) والحجر (٥١-٥٦) والذاريات (٢٤-٣٠) والصافات (١١٢-١١٣) .

(٤) محمد على الصابونى : المرجع السابق ص ٢٤٤-٢٤٥ .

(٥) سورة العنكبوت : اية ٢٧ .

٣ - يعقوب عليه السلام :

جاءت البشارة بيعقوب مع البشارة بابيه اسحاق . قال تعالى : " فبشرناه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب "(١) وقال تعالى: " ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا "(٢) وقال تعالى : " ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين "(٣) .

ويعقوب عليه السلام هو اسرائيل الذى ينتسب اليه ذلك الشعب الذىعرف فى التاريخ باسم بنى اسرائيل أو شعب اسرائيل وقد جاء اسم اسرائيل فىالقرآن مرتين فى سورتى آل عمران ومريم(٤)، الى جانب الاسم الشائع " بنو اسرائيل " والذى تكرر فىالقرآن احدى وأربعين مرة (٥).

ولقد جرى يعقوب على سنة ابويه ابراهيمواسحاق عليهم السلام في التمسك باهداب التوحيد ، وتوصية بنيه على الثبات عليه ، قال تعالي: " أم كنتم شهداءاذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى ، قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيمواسماعيلواسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون)(٦) .

---

(١) سورةهود : اية ٧١ .
(٢) سورة الانعام :آية ٨٤.
(٣) سورةالانبياء : اية ٧٢.
(٤) سورة ال عمران : اية ٩٣ ، مريم : اية ٥٨ ، وانظرعن الاراء التي دارت حول لقب اسرائيل (محمد بيومى مهران : المرجع السابق١:١٩٩ - ٢٠٥) .
(٥) انظر : سورة البقرة (٤٠ ، ٤٢ ، ٨٣ ، ١٢٢ ، ٢١١ ، ٢٤٦) العمران : (٤٩-٩٣) المائدة (١٢ ، ٣٢ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ١١٠ الاعراف ١٠٥، ١٣٤، ١٣٧ ، ١٣٨) يونس (٩٠ ٩٣) الاسراء (٢ ، ٤ ، ١٠١ ، ١٠٤) ، طه (٤٧ ، ٨٠ ، ٩٤) الشعراء (١٧ ، ٢٢ ، ٥٩ ، ١٩٧) النمل (٧٦)السجدة : (٢٣) غافر(٥٣) الزخرف (٥٩) الدخان (٣٠) الجاثية (١٦) الاحقاف (١٠) الصف (٦ ، ١٤) .
(٦) سورة البقرة : آية ١٣٣.

وكان يعقوب عليه السلام يمثل حلقة من حلقات الكفاح فى سبيل التوحيد كما كان ابا لهذا الشعب الذى لعب دورا كبيرا على مسرح الحياة ، وتقلبت عليه اطوار عديدة ، تارجح فيها بين الوثنية والتوحيد ، وبعثت فيه كثرة كاثرة من الأنبياء والرسل الذين كانوا حراسا أمناء على عهد الله وعلى توجيه هذا الشعب العنيد لحمايته من الشطط والضلال والانحراف (١) .

ومن عجب ان يعقوب ، ابو الاسباط ، نبى الله الكريم ، سليل الانبياء والذى جاء من نسله كثير من الانبياء ، يعقوب عليه السلام انما تقدمه لنا توراة اليهود المتداولة اليوم فى صورة لاتتفق ومقام النبوة ، من ذلك تلك الرواية التوراتية التى ينال فيها يعقوب حق البكورية من اخيه التوأم عيسو ، مقابل صحفه من عدس(٢) ، ومنها تلك الرواية الاخرى (٣)، والتى نرى فيها اسحاق عليه السلام ، يكبر فى العمر ، وتكل عيناه عن النظر ، ويطلب من ولده الاكبر عيسو (العيص) ان يصطاد صيدا لياكل منه ، حتى يباركه قبل ان يموت ، فيذهب عيسو الى الصيد ، وتنتهز اسهما " رفقة " الفرصة فتلبس يعقوب لباس أخيه ثم تعطيه خبزا ولحم صيد فيقدمه لأبيه على أنه عيسو ، ومن ثم يسبغ اسحاق بركته على يعقوب ، على انه عيسو ، وكأن نبي الله الكريم لايستطيع حتى ان يميز بين ابنائه ، وان ذهبت التوراة الى ان عينيه قد كلتا عن النظر ، تقول التوراة : ان يعقوب عاد بالطعام الذى صنعته أمه فقال : انا عيسو بكرك قد فعلت كما كلمتنى ، قم اجلس ، وكل من صيدى لكى تباركنى نفسك " وحين ساله اسحاق عن عودته المبكرة من الصيد وهو يعتقد انه عيسو قال يعقوب " ان الرب إلهك قد يسر لى " فقام اسحاق

---

(١) محمد خليل هراس : المرجع السابق ص ١٤٢-١٤٣.
(٢) تكوين ٢٥/ ٢٧-٣٤ .
(٣) تكوين ٢٧/ ١-٤٥ .

" فشم رائحة ثيابه وباركه " ثم دعا له " فليعطك الله من ندى السماء، ومن دسم الارض وكثر حنطة وخمر ، ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل ، كن سيدا لاخوتك ، وليسجد لك بنو امك ، ليكن لاعنوك ملعونين ، ومباركوك مباركين "(١) .

هذا وقد بين العلامة ابن حزم فى نقد لاذع وتحليل رائع مافى هذه النصوص التوراتية من اكاذيب وخرافات ومتناقضات ، قال : وفى هذا الفصل فضائح واكذوبات واشياء تشبه الخرافات ، فاول ذلك ، اطلاقهم على نبى الله يعقوب عليه السلام ، انه خدع اباه وغشه ، وهذا مبعد عمن فيه خير من ابناء الناس مع الكفار والاعداء ، فكيف من نبى مع ابيه ، وهو نبى ايضا ،هذه سوءات مضاعفات ، وثانية وهى اخبار يهود ان بركة يعقوب انما كانت مسروقة بغش وخديعة وتخابث ، وحاشا للانبياء عليهم السلام ، من هذا ، ولعمرى انها بطريقة اليهود ، فما تلقى منهم الا الخبيث الخادع ، والا الشاذ وثالثة ، وهى اخبارهم أن الله تعالى اجرى حكمه واعطى نعمته عن طريق الغش والخديعة ،وحاشا لله من هذا ، ورابعة وهى انه لايشك أحد فى ان اسحاق حين بارك ، اذ بارك يعقوب حين خدعه كما زعم النذل الذى كتب لهم هذا الهوس ، انما قصد بتلك البركة عيسو ، فاى منفعة للخديعة هاهنا لو كان لهم عقل .

واما وجوه الكذب فى القضية فكثيرة جدا ، من ذلك نسبتهم الكذب الى يعقوب عليه السلام ، وهو نبى الله تعالى ورسوله فى اربعة مواضع ، اولها وثانيها قوله لابيه اسحاق : انا ابنك عيسو وبكرك فهاتان كذبتان فى نسق، لانه لم يكن ابنه عيسو ، ولاكان بكره ، وثالثها ورابعها : قوله لابيه :صنعت

---

(١) تكوين ٢٧/١٨-٢٩ . وانظر : محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ج ٣ ص ١٨٧-١٩٣ .

جميع ماقلت لي فاجلس وكل من صيدي ، فهاتان كذبتان في نسق كذلك ، لأنه لم يكن قال له شيئا ولا أطعمه من صيده ٠

هذا فضلا عن كذبات اخرى ، وهى بطلان بركة اسحاق اذ قال ليعقوب : تستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل ، كن سيدا لاخوتك وليسجد لك بنو امك، فهذه كذبات متواليات ،فوالله ماخدمت الامم يعقوب ولا بنيه بعده ولاخضعت لهم الشعوب ولاكانوا موالى اخوانهم ولاسجد لهم ولا له بنو أمه ، بل ان بني اسرائيل هم الذين خدموا الامم فى كل بلد ، وخضعوا للشعوب قديما وحديثا فى ايام دولتهم وبعدها(١) ٠

هذا ومن المعروف ان يعقوب عليه السلام انما توفى فى مصر ، ذلك آن يوسف الصديق عليه السلام بعد ان اصبح عزيز مصر ، استدعى اباه واخوته واهلهم اجمعين للاقامة معه فى ارض الكنانة وربما كان ذلك فى النصف الاول من عهد الهكسوس (١٧٢٥-١٥٧٥ ق٠م) وقد اشار القران الكريم الى وصول يعقوب الى مصر فى قوله تعالى " فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا ، وقال يا آبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد آحسن بى اذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتي ان ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم "(٢) ٠

---

(١) ابن حزم : المرجع السابق ، ص ١٠٩-١١٠٠

(٢) سورة يوسف : اية ٩٩-١٠٠ وانظر عن قصة يوسف فى القران : : سورة يوسف تفسير الفخر الرازى ج ١٧ ص ٨٣-٢٢٩ ، تفسير الطبرى ج ١٥ ص ٥٤٧-٥٨٦، ج ١٦ ص ١-٣١٥ ، تفسير ابى السعود : ج٣ ص ٧٧ -١٤٣ ، مختصر تفسير ابن كثير ج٢ ص ٢٣٩-٢٦٧٠ الدر المنثور : ج٤ ص ٢-٤٢ ، محمد رشيد رضا : تفسير سورة يوسف - القاهرة ١٩٣٦م ٠

٤ — أيوب عليه السلام :

وردت قصة أيوب عليه السلام في القرآن في سورتي الانبياء (٨٣— ٨٤) و ص (٤١—٤٤) ، كما أشير اليه في سورتي النساء والانعام ، هذا وقد اقترن ذكر ايوب بالصبر ، لانه كان أشد الانبياء صبرا ، فلقد ابتلي عليه السلام بلاء شديدا في أهله وبدنه وماله ،ولكنه كان مثالا للعبودية الحقة لله تعالى فصبر على ذلك حتى أصبح يضرب به المثل في الصبر على الاذى فيقال : " صبرا كصبر أيوب " وقد أثنى الله تبارك وتعالى عليه بقوله " انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب "(١) .

ويتحدث ابن كثير(٢) عما كان يملكه أيوب من المزارع والحدائق وماكان له من أموال ومواشي وأنعام يضيق بها الحصر والتعداد فضلا عن نعمة القوة والصحة الى جانب زوجة صالحة حسنة الخلق ، والخلق ومع ذلك لم تبطره هذه النعم الكثيرة بل ادى كل مايلزم من شكر للمنعم ، وعرفان لفضله ، ثم شاء الله ولا راد لمشيئته أن تتغير الاحوال فصوح الزهر وجف الضرع ونقصت الاموال وزال الثراء العريض وهاجم الفقر الشديد والمرض القاسي العنيد النبي الكريم فما وهن لما اصيب به من البلاء ، وما ضعف ولا استكان وانما قابل ذلك كله بالصبر الجميل والايمان الكامل حتى ضرب في هذا المجال اروع المثل وعدا صبره وايمانه حديث القرون والاجيال .
وقد أثار القرآن الكريم الى محنة ايوب وكيف أنه لجأ الى الله طالبا كشف الضر عنه وراجيا رحمته فاستجاب له ربه فكشف عنه الضر ، وأبدله خيرا مما فقد منه ، يقول الله تعالى " وأيوب اذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له فكشفنا مابه من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين "(٣) .

---

(١) سورة ص : اية ٤٤ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١ — ص ٢٢٠—٢٢٥ .

(٣) سورة الأنبياء : اية ٨٣—٨٤.

هذا ويشير القرآن الكريم الى أن أيوب انما هو من ذرية ابراهيم الخليل ، قال تعالى : " ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين "(١)، ومن ثم فقد ذهب كثير من العلماء الى أنه من سلالة العيص (عيسو) بن اسحاق بن ابراهيم عليهما السلام ، وأن أمه فيما يرى ابن عساكر بنت لوط عليه السلام ، وان ذهبت آراء الى أنه رجل من الروم ، وذهب آخرون الى أن أباه كان ممن آمن بابراهيم عليه السلام ، والصحيح فيما يرى ابن كثير ، أنه من سلالة العيص بن اسحاق ، وامراته قيل اسمها " ليا " بنت يعقوب ، وقيل رحمة بنت افرايم وقيل منشا بنت يوسف بن يعقوب ، وهذا أشهر(٢) .

ومن المعروف أن لايوب عليه السلام سفر فى العهد القديم اختلف الباحثون فيه ، ومن ثم فقد اختلفوا فى صاحبه ايوب عليه السلام ، ذلك ان بعضا من شراح التوراة القدامى نسبه الى موسى عليه السلام ، غير ان جمهرة شراح التوراة انما يذهبون الى أن النبى ايوب انما هو اقدم تاريخيا من موسى عليه السلام ويحددون له تاريخا حوالى عام ١٥٢٠ ق ٠م٠(٣) فى حين ان البعض يجعل من عام ٢٣٠٠ ق٠م٠ تاريخا للنبى ايوب معتمدين فى ذلك الى ان السفر لم يشر بكلمة واحدة الى خروج بنى اسرائيل من مصر والذى تحدد بانه كان حوالى عام ١٢١٦ ق ٠ م٠(٤) .

غير أن هناك وجها ثالثا للنظر ، يذهب الى أن أيوب انما كان يعيش على أيام يعقوب (١٧٨٠-١٦٣٣ ق٠م) وانه تزوج من ابنته " دينة "(٥) بدليل قول الكاتب فى مستهل السفر " رجل فى ارض عوص "(٦) فضلا عن الاشارة اليه فى سفر حزقيال(٧) .

---

(١) سورة الانعام اية ٨٤٠

(٢) ابن كثير : المرجع السابق ص ٢٢١ ٠ وتقول اساطير اليهود أن اسم امرأة أيوب "دينه"

(٣) باروخ سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة ترجمة حسن حنفى - القاهرة ١٩٧١م - ص ٣١٥ ٠

(٤) انظر عن الآراء التى دارت حول تاريخ الخروج (محمد بيومى مهران: اسرائيل - ج ١ ص ٢٨١-٤٥٥ ٠) ٠

(٥) باروخ سبينوزا : المرجع السابق ص ٣١٥ ، قابن ابن كثير جا ص ٢٢١ ٠

(٦) ايوب ١: ١ ٠

(٧) حزقيال ١٤: ١٤" ولو كان فيها هؤلاء الرجال الثلاثة نوح ودانيال وايوب فانهم انما مخلصون انفسهم ببرهم ٠٠"٠

وهناك وجه رابع للنظر ، يذهب الى أن سفر أيوب انما قد ترجم الى العبرية من لغة اخرى ، بل ان الترجمة السبعينية للعهد القديم والتي تمت فى الاسكندرية على ايام بطليموس الثانى (٢٨٤ - ٢٤٦ ق.م)[١] تنص صراحة على أن سفر ايوب مترجم عن الارامية ، ومن ثم فقد اتجه البعض الى اعتبار النبى الكريم عربيا وليس اسرائيليا وأن سفره هذا ماهو الا ترجمة لأصل عربى مفقود.[٢]

وكان " فرانسو فولتير "أول من نادى فى العصر الحديث بان ايوب وسفره أقدم من التوراة وان العبرانيين قد اخذوه من العرب وترجموه الى لغتهم ، ويستدل على ذلك بكثير من الادلة ، منها ان كلمة " الشيطان " التي ترددت كثيرا فى السفر ، كلمة كلدانية وليست عبرية[٣] . ومنها ماذكره الباحثون عن ترديد كلمة " الجمال " عند الحديث عن ثروة ايوب وانه من المعروف أن لحوم الابل محرمة عند اليهود ، كما انها لم تذكر بين ثرواتهم ، بل ان اسم ايوب نفسه لامثيل له فى أسماء العبريين[٤] ، ومنها ماجاء فى السفر أن أيوب " رجل من أرض عوص " وأرض عوص هذه ، وان اختلف الباحثون فى مكانها فالراجح عندهم انها فى بلاد العرب او فى مناطق يسكنها اقوام ينتمون الى العرب او من المهاجرين الى الجزيرة العربية ، ومن ثم فقد راوا انها فى نجد او عمان،

---

(١) انظر الترجمة السبعينية والاراء التى دارت حولها (محمد بيومى مهران: اسرائيل - الكتاب الثالث - ص ١٠٧-١١٢) .

(٢) Unger M.F. Unger's Bible Dictionary, Chicago,1970,p.593, Montgomery, J.A., Arabia and the Bible,p.172, Foster,F.A., AJSL, 1932,p.31.

(٣) Voltaire, F.M.A., Dictionnaire Philosophique, Paris,1945 p.257-260.

(٤) حسن ظاظا: الفكر الدينى الاسرائيلى - القاهرة - ١٩٧١ ص ٥٥-٥٦ .

او فى الجزء الشمالى الغربىمن الجزيرة العربية، فى شمال غربى المدينة المنورة، او فى بلاد الشام • وبعبارة اخرى فهى اما فى الجزيرة العربية او فى بادية الشام[1]، ولعل تحديدها ببادية الشام هو الارجح[2].

على ان هناك فريقا من الباحثين يذهب الى أن آيوب كان مصريا وذلك بدليل الاثر الثقافى المصرى الذى يطالعنا من ثنايا هذا السفر في مواضع كثيرة فضلا عن ذكره للاهرام والمقابر التى يبنيها الملوك لانفسهم[3].

وعلى الجملة ، وكما يقول الاستاذ العقاد ، يبدو سفر أيوب غريبا فى وضعه وموضوعه بين اسفار العهد القديم ، ولم يكن من عادة بني اسرائيل ان يجمعوا كتبا لغير أنبيائهم المتحدثين عن ميثاقهم وميعادهم ولكنهم جمعوا هذا السفر مع الاسفار المشهورة لانهم وجدوه فى بقاع فلسطين الجنوبية ، محفوظا بتذاكره الرواه وحسبه بعضهم من كلام موسي وبعضهم من كلام سليمان ، ولاعجب ان ايشيع هذا الكتاب العجيب حيث تسامع به الناس فانه عزاء للمتعزين ، وعبرة صالحة للمعتبرين ، ولاتزال قصة أيوب منظومة شائعة يتغنى بها شعراء اللغة الدارجة فى مصر والشام[4] .

---

(١) جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام - جا - بيروت: ١٩٦٩ م ص ٦٣١ ، قاموس الكتاب المقدس ج ١ ص ١٤٨ (بيروت ١٩٦٤) وكذا :
Hastings, Dictionary , P.200, 469.

(٢) نحن نميل الى أن ايوب من بادية الشام وليس من الجزيرة العربية فقد جاء فى حديث ابى ذر فى ذكر الانبياء والمرسلين " منهم اربعة من العرب : هود وصالح وشعيب ونبيك يا ابا ذر " • (ابن كثير : البداية والنهاية ج ١ ص ١٢٠)•

(٣) فؤاد حسنين : التوراة الهيروغليفية - القاهرة ١٩٦٨ ص ١٤٥ ، حبيب سعيد : المدخل الى الكتاب المقدس ص ١٥٣•

(٤) عباس محمود العقاد : ابراهيم ابو الانبياء - ص ١٦٢•

٥ - داود عليه السلام :

يحدثنا التاريخ أنه في النصف الثاني من القرن الحادي عشر قبل الميلاد (وربما حوالي عام ١٠٥٠ ق٠م٠) وفي اخريات عصر القضاة في بني اسرائيل كان الفلسطينيون قد سيطروا تماما على بني اسرائيل واستولوا على تابوت العهد(1)، بعد موقعة افيق ، ومن ثم فقد ذهب رؤساء بني اسرائيل الى نبيهم صموئيل يطلبون اليه ان يختار لهم ملكا يقاتلون معه عدوهم ، فحذرهم نبيهم من ان السوابق التاريخية تفيد انهم ليس لهم صبر على القتال ، ولا شجاعة يقفون بها امام أعدائهم ومع ذلك فقد اعلمهم ان الله تعالى قد اختار لهم طالوت/(شاءول) ملكا ، ولما رفضوا هذا الاختيار الالهي اخبرهم نبيهم أن آية ملكه أن يستعيد التابوت من أعدائهم الفلسطينيين فضلا عن أن الله قد أنعم عليه بمؤهلات الملك ومعرفة سياسة الحروب فزاده بسطة في العلم والجسم(٢)، والى هذا يشير القرآن الكريم في قوله تعالى " ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا ومالنا الا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين ٠ وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال ، قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي من يشاء والله واسع عليم ، وقال لهم نبيه أن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين "(٣) .

---

(١) انظر عن " تابوت العهد " (محمد بيومي مهران : اسرائيل ج ٤ - الاسكندرية ١٩٧٩م ص ١٢٤-١٣٢٠

(٢) عن عهد شاءول وحروبه انظر : محمد بيومي مهران : الكتاب الثاني - الاسكندرية ١٩٧٨م ص ٦٦٨-٦٩٢٠

(٣) سورة البقرة اية ٢٤٦-٢٤٨ واظنر: تفسير الطبري جه ص ٢٩١-٣٣٨ ، تفسير روح المعاني ج٢ ص ١٦٦-١٦٨، تفسير الفخر الرازي ج٦ ص ١٨١-١٩٣ ، تفسر الطبرسي ج٣ ص ٢٧٥-٢٨٤ ، تفسر المنار ج٢ ص ٣٧٢-٣٨٧ ، تفسير القرطبي ص ١٠٥١-١٠٥٨ ، تفسير ابن كثير ج١ ص ٤٤٣-٤٤٦٠

وهكذا تم اختيار شاؤول ملكا وبدأ يعد العدة لقتال أعداء قومه من الفلسطينيين وجهز جيشا بالغ المؤرخون فيتقديره كثيرا وكذا المفسرون وبعد امتحان عسير لم ينجح فيه الا اقل القليل[1]، فلقد ذهب بعض المفسرين الى ان عدد جنود طالوت انما كانوا ثمانين الف مقاتل بقى على العهد منهم ثلاثمائة وبضعة عشر نفرا، او ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا[2]، عدة اهل بدر ، روى البراء بن عازب قال : كنا نتحدث ان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الذين كانوا معه يوم بدر ثلاثمائة وبضعة عشر على عدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر وماجاوزه معه الا مؤمن[3] .

ولقد دارت رحى الحرب بين بنى اسرائيل واعدائهم وكادت الهزيمة تحيق بهم لولا نصر الله ثم شجاعة داود عليه السلام الذى قتل جالوت قائد الفلسطينيين قال تعالى: " فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت ، وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء "[4] .

وما ان يمضى حين من الدهر حتى يقتل طالوت وولداه فى معركة جبل جليوع (حوالى عام ١٠٠٠ ق ٠م)[5]، ويصبح داود عليه السلام ملكا على اسرائيل ، واما متى كانت سنوات حكم داود فذلك موضع خلاف بين المؤرخين ، فهناك من يجعلها فى الفترة (١٠١٠-٩٥٥ ق٠م٠)[6]،ومن يجعلها

---

(١) انظر: سورة البقرة : اية ٢٤٩٠

(٢) انظر : تفسير الكشاف جا ص ٢٩٤-٢٩٦ ، تفسير القرطبى ص ١٠٦٢ - ١٠٦٣ ، تفسير ابن كثير جا ص ٤٤٦-٤٤٧ ، تفسير الطبرى جه ص ٣٣٩ ، ٣٤٦-٣٤٧ ، تاريخ الطبرى ج ١ ص ٢٤٢-٢٤٣ ٠

(٣) مختصر تفسير ابن كثير جا ص ٢٢٥ ، وانظر صحيح البخارى جه ص ٢٢٨ ، مسند الامام احمد ج٤ ص ٢٩٠٠

(٤) سورة البقرة : آية ٢٥١٠

(٥) اختلف المؤرخون فى فترة حكم طالوت فهى فى الفترة (١٠٢٠-١٠٠٠ق٠م) او (١٠٣٠-١٠٠٤) ق٠م٠) او (١٠٢٥-١٠١٣ ق٠م٠) او (١٠٠٠-٩٨٥ق٠م) انظر : محمد بيومى مهران : اسرائيل - ج ٢ ص ٦٧٣-٦٧٤ ٠

(٦) انظر: Roux, Ancient Iraqe, P.454.

فى الفترة (١٠٠٤-٩٦٢ ق٠م)[١] ومن يجعلها فى الفترة (٩٨٥ - ٩٦٣ ق٠م)[٢] ومن يجعلها فى الفترة (١٠١٢-٩٧٢ ق٠م) [٣] ومن يجعلها فى الفترة (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق ٠م) [٤].

وتمضى الايام بداود عليه السلام وهو ملك لبنى اسرائيل حتى جاءته النبوة[٥]، حين بلغ سن الكمال ، أربعين سنة[٦]، وانزل عليه الزبور،

---

(١) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين جا ص٣٠٢ (بيروت ١٩٥٨)

(٢) Historical Atlas of the Holy Land ,New York, 1959, p.81.

(٣) Epstein I., Judaism, London, 1970, p.35.

(٤) Albiright, W.F., The Biblical Period from Abraham to Ezra , New York , 1963, p. 120-122.

(٥) هناك فروق بين النبوة والملك ، منها ان النبوة لاتكون بالارث فولد النبى لايكون نبيا بطريق الارث عن ابيه بل هى بمحض الفضل الالهى والاصطفاء الربانى ومنها ان النبوة لاتعطى لكافر ابداً، وانما تعطى لمؤمن فحسب بخلاف الملك فقد يعطى لغير المؤمن ، ومنها ان النبوة خاصة بالرجال ولاتكون للنساء لقوله تعالى" وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم " (غير ان ابن حزم يرى ان هذه الاية الكريمة خاصة بالرسل دون الانبياء ومن ثم فلم يدع احد ان الله تعالى قد ارسل امرأة ، واما النبوة وهى لفظة ماخوذة من الانباء وهو الاعلام ، فمن أعلمه الله عز وجل بما يكون قبل ان يكون، أو أوحى اليه منبئا بامر ما ، فهو نبى بلا شك ، فامرها مختلف ، وقد جاء فى القرآن بان الله قد أرسل ملائكته الى نساء فاخبروهن بوحى حق من الله تعالى كما حدث مع ام اسحاق وام موسي وام المسيح عليهم السلام) ومنها ان النبوة مجالها الدعوة الي الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح والملك يتعارض مع هذه الدعوة لانه مظهر من مظاهر العظمة الدنيوية التى جاء بالتزهيد عنها الانبياء عليهم السلام ولكن قد يجمع الله النبوة والملك لرجل واحد كما حدث مع داود وسليمان عليهما السلام٠ انظر (محمد على الصابونى :المرجع السابق ، ص ١٠-١١ ، ابن حزم: المرجع السابق - جه ص٨٧ ، البداية والنهاية : جا ص ٢٣٩، محمد بيومى مهران : النبوة والانبياء عند بنى اسرائيل - الاسكندرية - ١٩٧٨ ص ٧١-٧٧ ٠

(٦) يجمع العلماء ، او يكادون على أن النبوة لاتكون الا بعد بلوغ سن (=)

فيه مواعظ واذكار ، وآتاه الله الحكمة وفصل الخطاب • وهكذا أسس داود وكذا ولده سليمان من بعده ، مملكة للتوحيد وسط عالم مشرك، ولم يجتمع الملك والنبوة لاحد قبلهما من بنى اسرائيل • وقد ذكرت قصتهما فى كثيرمن سور القرآن الكريم مطولة أحيانا ومختصرة أحيانا آخرى ، فهى فى كل من الانبياء (٧٨-٨٢) والنمل (١٥-٤٤) وسبأ (١٠ - ١٤) و ص (١٧-١٦) على شئ من التفصيل ، وأحيانا يذكران معا ، واحيانا يفرد أحدهما عن الاخر ، ففى سورة البقرة يحكى الله تعالى أن داود كان فى جيش طالوت ، وانه قتل جالوت ، وأن الله آتاه الكتاب والحكمة وعلمه مما يشاء كما رأينا من قبل، وفى سورة النساء (١٦٣-١٦٤) والانعام (٨٤) يذكران معا على انهما من الانبياء الذين أوحى الله اليهم وانهما من نسل ابراهيم ، عليه الصلاة والسلام •

وقد خص الله تعالى نبيه داود عليه السلام بكثير من المعجزات نذكر بعضها فيما يلى :

أولا: تسخير الجبال معه يسبحن بكرة وعشيا • قال تعالى:
" انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق "(١) •

ثانيا : ترجيع الطير معه كلما قرأ الزبور " والطير محشورة كل له أواب (٢)• وقال تعالى " وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير

(=) الاربعين ، وهو سن الرشد للنبوة والرسالة • وقد ابطل ابن قيم الجوزية ماذهب اليه البعض من ان عيسى بعث وهو فى الثلاثين من عمره • واما قوله تعالى عن يحي عليه السلام " وآتيناه الحكم صبيا " فالمراد الفهم والفقه فى الدين كما فسره ابن عباس ، وهو غير الحكمة المفسرة بالنبوة ، كما آية البقرة (٢٥١) وسنعود للموضوع ثانية عند الحديث عن يحيي وعيسى (زاد المعاد جا ص ٢١ ، عويد المطرفى : داود وسليمان فى القران والسنة - مكة المكرمة ١٩٧٩م - ص ٣٣ (رسالة دكتوراة) •

(١) سورة ص : آية ١٨•

(٢) سورة ص: اية ١٩•

وكنا فاعلين "(١) . ويقول المفسرون عن هذه الاية ان الله تعالى وهب داود من الصوت مالم يهبه آحد ، حتى انه كان اذا ترنم بقراءة كتابه يقف الطير فى الهواء يرجع بترجيعه ، ويسبح بتسبيحه ، وكذا الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشيا ، وروى ابن كثير ان النبى صلى الله عليه وسلم مر على ابى موسى الاشعرى وهو يتلو القرآن من الليل وكان له صوت طيب جدا ، فوقف واستمع لقراءته وقال : لقد اوتى هذا مزمارا من مزامير آل داود ، قال يارسول الله لو علمت أنك تستمع لحبرته لكتحبيرا "(٢).

ثالثا : الانة الحديد له ، فكان بين يديه كالعجين ، قال تعالى " وألنّا له الحديد"(٣) ، روى ابن كثير عن الحسن البصرى وقتادة والاعمش : كان الله قد آلان الحديد لداود حتى كان يفتله بيديه ، لايحتاج الى نار ولا مطرقة ، قال قتادة : فكان أول من عمل الدروع من زرد ، وانما كانت قبل ذلك من صفائح ، وفى سياق الاية التى ابتدأها الله تعالى بقوله : " ولقد آتينا داود منا فضلا ، ثم ذكر فى آخرها " وألنا له الحديد " مايشعر بأن الله تعالى قد آلان له الحديد تفضلا منه وكرما ، وآية من الآيات التى يمنحها الله لانبيائه ، ولو أن الانة الحديد بالنار كما يقع للناس جميعا ، لما ذكرها الله فى سياق الامتنان على داود ولما جعلها الله نعمة يختص بها ، وقد يقال : انه أول من اهتدى الى أثر النار فى الانة الحديد ولم يكن ذلك معروفا قبل داود ، فكان هذا من نعم الله على داود اولا ، ثم من سنن الطبيعة بعد ذلك ، ولكننا ، كما يقول الدكتور النجار ، لانذهب لمثل هذا المذهب مادام فضل الله على أنبيائه بالمعجزات الخارقة امرا مقررا

---

(١) سورة الأنبياء : اية ٧٩ .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥١٧ ، البداية والنهاية ج ٢ ص ١١ .

(٣) سورة سبأ : آية ١٠ ، وكانت الحقبة المحيطة بعام ١٠٠٠ ق.م هي حقبة الانتقال من العصر البرونزى الى عصر الحديد.

لهم وواجبا فى حقهم (1)، هذا وقد كشف " سيرفلندرز بترى" فى " جمـــة " عن مصاهر للحديد
وكذا فىعصيون جابر/، ترجع الى ايام داود وسليمان ، ويبدو ان داود قــــد استولى عليها من الادوميين بعد هزيمته اياهم (٢) .

رابعا : قوىاللهملكه وجعله منصورا علىاعدائه مهابا فى قومــــه . قالتعالى " وشددنا ملكه "(٣) ويذهب بعضالمفسرين فى معنى الاية الكريمة ان الله قواه وجعله منصوراعلى جميع اعدائه ومناوئيه فكان لايقوم له معـــارض الا غلبه ، قال مجاهد : كان اشد اهل الدنيا سلطانا . وقال السدى : كـــان يحرسه كل يوم اربعة الاف (٤)، ويحدثنا التاريخ ان اللهتعالى كتبله النصر المبينعلى الفلسطينيين ، أقوى أعدائه ، وأكثرهم أهمية ، كما كتب لـــه نجاحا بعيدالمدى فى طردهم من المناطق الاسرائيلية بل انه انما وصل الـــي كلمدنهم (غزة وعسقلان واشدود وعقرون وجت) (٥) كما كتب لهنصرا مؤزراعلـــي ممالك مؤاب وعمون وادوم والاراميين (٦) .

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٢٢ ، البداية والنهاية ج٢ ص١٠ ، محمد الطيب النجار : تاريخ الانبياء فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية — الرياض ١٩٨٣م ص ٢٣٤-٢٣٥.

(٢) Albright, Arch. of Palestine p. 127 .

وكذا: Keller W., The Bible As History, London,1967, P. 198-199.

(٣) سورة ص : اية ٢٠ .

(٤) مختصر تفسير ابن كثير ج٣ ص ١٩٩.

(٥) اشدود وتسمى حاليا اسدود وتقع على مبعدة ١٨ ميلا الى الشمــــال الشرقى من غزة ، وأما عقرون : فتقع على مبعدة ١٢ ميلا الىالجنــوب من يافا ، ويظن ان " تل عراق المنشية " الحالى هو موقع مدينــة " جت " القديمة وتقع على مبعدة ستة اميال ونصف الميل الى الغـــرب من بيت جيرين .

(٦) انظر التفصيلات عن مملكة داود عليه السلام (محمد بيومى مهران : اسرائيل — الكتاب الثانى — ص ٦٩٤-٧٤٣).

ومنها (خامسا) : أن الله تعالى آتاه الحكمة وفصل الخطاب والحكمة في اغلب كتب التفسير النبوة [1] . واما فصل الخطاب فهو الحكم في القضايا التي تقع بين الناس في عهده . وقد بين الله تعالى ذلك في قوله جل شناؤه : " يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق "[2] وقال مجاهد والسدي هي اصابة القضاء وفهم ذلك ، وقال مجاهد ايضا : هي الفصل في الكلام وفي الحكم ، وهذا يشتمل كل ذلك وهو المراد ، وقد اختار ابن جرير ، وعن ابي موسى : اول من قال : " اما بعد " داود عليه السلام ، وهو فصل الخطاب، وكذا قال الشعبي : فصل الخطاب : أما بعد[3] .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى تلك الايات الكريمة التي ثار جدل طويل حول تفسيرها وهي قوله تعالى: " وهل آتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لاتخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ، ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب ، قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب ، فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب "[4] .

---

(١) انظر : تفسير روح المعاني ج٢ ص ١٧٣ ، تفسير ابن كثير ج١ ص ٣٠٣ ، تفسير ابي السعود ج١ ص ١٨٦ ، فتح القدير للشوكاني ج١ ص ٢٦٦ ، زاد المسير لابن الجوزي ج١ ص ٣٠٠ ، الراغب الاصفهاني : المفردات في غريب القرآن ص ١٢٨ .

(٢) سورة : ص : اية ٢٦.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير ج٣ ص ٢٠٠ ، عون بن عياد بن عايد المطرفي: داود وسليمان عليهما السلام في القران الكريم والسنة . مكة المكرمة ١٩٧٩م - ص ٥٠ (رسالة دكتوراه).

(٤) سورة ص : اية ٢١-٢٥.

وتفسير الايات الكريمة أن رجلين يمتلك أحدهما تسعا وتسعين نعجة، ويمتلك الاخر نعجة واحدة، وقد نازعه فيها صاحب التسع والتسعين . وقد دخل الخصمان على داود من غير المدخل المعتاد، فقد دخلا عليه من فوق الجدران وهى طريقة توحى فى اعراف الناس بشر يقع من وراء هذا التسور، كما أن دخولهما كان فى غير وقت جلوسه للحكم، وانما فى وقت خلوته الى نفسه، واعتزاله مجتمعه وأمته فى هذا اليوم، ارضاء لرغبة نفسه فى حبه لعبادة ربه، روى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن الحسن البصرى قال: ان داود عليه السلام جزأ الدهر اربعة اجزاء، يوما لنسائه، ويوما للعبادة، ويوما للقضاء بين بنى اسرائيل، ويوما لبنى اسرائيل، وروى نحوه عن السدى فيما اخرجه الحاكم فى المستدرك والطبرى فى التفسير(1) .

ومن ثم فقد فزع داود من الخصمين، ظنا منه انهما يريدان اغتياله او يريدان به شرا، فلما ظهر انهما انما جاءا فى خصومة ليحكم بينهما فيها، استغفر ربه من هذا الظن وخر ساجدا، منيبا الى الله تعالى، فغفر الله له ذلك الظن، لانه ماكان ينبغى من مثله، وكما هو معلوم، حسنات الابرار سيئات المقربين، وربما كان استغفاره لان انقطاعه للعبادة يوما كاملا عن أمته، واختلاءه بنفسه ذلك اليوم كله يؤدى حتما الى تركه النظر فى ذلك اليوم فى أمر رعيته وأمته التى استودعه الله عز وجل رعاية مصالحها فجاءه مثال من حاجتها اليه فى كل وقت ليقوم باصلاح ذات بينها واقرار التراحم والتآخى بين أفرادها حتى يكونوا على هدى من ربهم كما يدل على ذلك قول الخصمين له . واهدنا الى سواء الصراط، ثم بين الله تعالى لداود عليه السلام مهمته فى هذه الحياة الدنيا باعتباره ملكا على بنى اسرائيل، ونبيا مرسلا، اذ الملك يقتضى خلافته لله تعالى فى الارض بالنظر فى

---

(1) انظر : تفسير الطبرى ج٢٣ ص١٤٧-١٤٨، تفسير الدر المنثور ج ٥ ص ٣٠١ المستدرك للحاكم ج٢ ص ٥٨٦، عويد المطرفى : المرجع السابق ص ٥٢-٥٣ .

مصالح رعيته ، والحكم بينهم بالعدل وفصل قضاياهم بما يرفع الظلم والبغى عن ضعفائهم ، اذا حاوله كبراؤهم واقوياؤهم ، وذلك لايتم على الوجه المطلوب الا اذا وضع نفسه قريبا منهم فى كل آن . فقال تعالى: " يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب " فاخبره بانه جعله خليفة فى الارض ، وامره بالحكم بين الناس والفصل فى قضاياهم بالحق والنبوة تقود الملك وتحرسه عن ان تندبه مطالب الدنيا عن سبيل الحق والعدل ، وتسلك به مسالك الطهر والتزام الهدى[1] .

على ان رواية اخرى تذهب الى ان الخطأ الذى وقع من داود انه سمع أحد الخصمين وهو صاحب النعجة الواحدة ولم يسمع حجة الخصم الاخر وهو صاحب التسع والتسعين نعجة وتسرع من اجل ذلك فى الحكم دون ان يمعن النظر ويرى حجة الخصم الاخر ومن اجل ذلك استغفر ربه من هذا الخطأ الذى وقع فيه نتيجة السهو ، ومن الطبيعى ان هذا الخطأ لايتنافى مع العصمة [٢] .

على آن بعض المفسرين قد آسرفوا على أنفسهم ، فذهبوا الى ان هذين الخصمين اللذين تسوروا المحراب على داود عليه السلام ، انما هما ملكان بعثهما الله عز وجل اليه لينتبه الى خطئه فى محاولة ضم زوجة اوريا اليه ، وعنده اكثر من تسع وتسعين امراة ، وهكذا يسقط هؤلاء المفسرون فى هذه الحماقة جريا وراء اسرائيليات باطلة ناسين مافى هذا الصنيع من الصاق تهمة شنيعة برسول كريم ، حيث تابعوا توراة اليهود المتداولة اليوم حين تصور داود[٣] النبى الاواب الذى آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب ، وهو يتمشى فوق سطح قصره

---

(١) عويد المطرفى : المرجع السابق ص ٥٣-٥٤.
(٢) محمد الطيب النجار : المرجع السابق ص ٣٩.
(٣) صموئيل الثانى: ١١ / ١-٢٧ ، ١٢ / ١-٢٥.

فيرى امرأة رائعة الجمال ، وهيتستحم ، فيسأل عنها بعضا من بطانته ، وسرعان ماياتيه الجواب ، أنها " بتشبع " امرأة " أوريا الحثي " ويرسل اليها رسولا ياتيه بها فيقضي معها بعضالوقت ، ينال منها وطره ، وهي مطهرةمن طمثها وسرعان ما تحمل المرأة من فورهسا وحين تتاكد من حملها تخبره بالامر فيرسل الىزوجها يستدعيه من ميدان القتال حتي اذا ماظهر الحمل عليهاظن الناسانه من زوجها ، غير ان اوريا يابى ان يدخل علىامراته ويصر علىالعودة الىميدان القتال ، ومن ثم يامر داود بان يوضع اوريا فيوجه العدو وان يرجع جنوده من ورائه فيضرب ويموت وياخذ داود زوجته ، ويرسل الرب " ناثان " الىداود فيضرب له مثلا برجل يملك نعجة واحدةواخر يملك غنما وبقرا كثيرا ، ثمجاء للغنى ضيف ، فأخذ نعجة الرجلالفقير ، وهيأ منها طعامالضيفه فحكم داود بان يقتل الرجل الفاعل ذلك ويرد النعجة اربعة اضعاف فقال ناثان للنبي داود : انت هو الرجل(١) .

وهكذا تنتهي رواية العهد القديم المكذوبةعند هذا الحد المحزن فهل كان النبي الاواب كذلك ؟ وهل هذا الاتهام ينسجم مع ماهو معروف عن داود عليهالسلام من خلق كريم منذ حداثةسنة ؟ وهل من البر ان يخون الانسان ، اي انسان ،رجالا فياعراضهم في وقت تدور فيه رحى الحرب ، انه التناقض اذن وهو لحن يميزاليهودعنسائر البشر ، ولاباس علىالذين يقتلون الانبياء بغير حق ان يدمروا سمعة من لم يقتلوهم ايضا بغيرحق ، وكم منحوادث رهيبة تسجلها التوراةمن هذاالنوع دونتعقيب عليها مع ان احداثها تدور في بيوت الانبياء .

واذا ماعدنا الى نفس السفر الذي روى القصة المكذوبة (صموئيل الثاني) لرايناه يروى على لسان داود عليه السلام " يكافئني الرب حسب

---

(١) محمد بيومي مهران : اسرائيل -الكتابالثالث - ص ٢٠٣-٢٠٥.

برى ، حسب طهارة يدى ، يرد على لانىحفظت طرق الرب ، ولم اعصى الهي لان جميع احكامه امامى وفرائضه لا احيدعنها واكون كاملا لديه ، واتحفظ من اثمى فيرد الرب على كبرى وكطهارتىامام عينيه "(١) .

هذا فضلا عن نصوص اخرى من التوراة نفسها تصفه بالاستقامة فىعيني الرب وانه الاسوة الحسنة (٢) وتصفه بالعدل ، من ذلك قول التوراة : " وملك داود على جميع اسرائيل وكان داود يجرى قضاء وعدلا لكل شعبه "(٣) وتصفه بان الرب كان معه حيث توجه (٤) لانه كان يسير امام الرب بامانة وبر واستقامة ، وانه كان يحفظ فرائضه ووصاياه ويسلك طريقه (٥) ،وانه كان الناقل لشريعة الرب لشعبه اسرائيل (٦) .

كما ان التوراة تشير بوضوح الى ان الرب قد اصطفى من شعبه اسرائيل سبط يهوذا ومن سبط يهوذا بيت داود ، ثم اصطفى من بيت داود ، داود نفسه ، ومن اولاد داود ولده سليمان (٧) هذا فضلا عن انداود انما هو صاحب المزامير المشهورة فىالتوراة ، كما انه ياتى عند الاسرائيليين فى مرتبة النبوة ، بعد ابراهيم وموسى عليهما السلام (٨) .

---

(١) صموئيل ثان ٢٢ / ٢١-٢٥.
(٢) انظر : ملوك اول ١١ / ٣٨ ، ٢٥ / ٣ ، ملوك ثان ١٨ / ٣،هوشع ٣ ٥ .
(٣) صموئيل ثان ٨ / ١٥.
(٤) ملوك أول ٣ / ٣-٦.
(٥) ملوك أول ٣ / ١٤.
(٦) اشعياء ٥٥ / ٣-٦.
(٧) اخبار أيام الأول ٢٨ / ٤-٥
(٨) انظرعن القصة كلها (محمد بيومىمهران : المرجع السابق ص ٢٠٢-٢١٠).

وأما فى القرآن الكريم فقد وصف داود عليه السلام بانه " نعم العبد انه آوب "(١) ، " وآتاه الله الملك والحكمة وعلما مما يشاء "(٢) وآتينا داود زبورا "(٣) ، " ولقد آتينا داود وسليمان علما ، وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثيرمن عباده المؤمنين "(٤) ، " ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال اوبى معه والطير وألنا له ألحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا انى بما تعملون بصير "(٥)

وبناء على ذلك فالقصة التوراتية وما جاء فيها عن علاقة داود عليه السلام بزوجة اوريا الحثى لا يتصورصدور وقائعها من رجل عادى ذى خلق ، فضلا عن نبى كريم ، ومن هنا فقد اخطا بعض المفسرين خطأ كبيرا اذ فسروا ماجاء فى سورة ص عن داود والخصمين اللذين اختصما اليه على النحو الذى جاء فى التوراة (٦) ، مع ان الايات التى ذكرت فيها القصة فى القران لاتدل على شىء من ذلك ، ومن هنا فقد ختمت هذه الايات الكريمة بقوله تعالى " وان له عندنا لزلفى وحسن مآب "(٧) .

وبدهى انه لايمكن ان تكون الزلفى وحسن المآب للزناة القتلة ، ومن هنا رأينا السدى ، يروى عن الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال : " لو سمعت رجلا يذكر ان داود عليه السلام قارف من تلك المراة محرما لجلدته ستين ومائة ، لان حد قاذف الناس ثمانون وحد قاذف الانبياء ستون ومائة " . بل ان ابن العربى يرى ان من قال ان نبيا زنى فقد كفر(٨) ، كما انكر هذه التهمة الكذوب كثير من المفسرين كابن كثير والسيوطى والقرطبى والبيضاوى

---

(١) سورة ص : اية ٣٠ .

(٢) سورة البقرة : اية ٢٥١.

(٣) سور النساء : اية ١٦٣.

(٤) سورة النمل آية ١٥.

(٥) سورة سبا : آية ١٠-١١ وانظر سوة ص : اية ١٧-٢٠.

(٦) انظر تفسر مقاتل : ٣ / ١٢٦٦-١٢٦٨ .

(٧) سورة ص اية ٢٥.

(٨) تفسير القرطبى ص ٥٦٢٥-٥٦٢٦ (دار الشعب - القاهرة ١٩٧٠) ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٠٩-٢١٠.

والقاسمي والفخر الرازى ،وابن حزم ،وابو حيان وغيرهم [١] .

٦ - سليمان عليه السلام :

جاءذكر سليمان عليه السلام فى ست عشرة اية : (فىالبقرة (١٠٢) والنساء (١٦٣) والانعام (٨٤) والانبياء (٧٨-٨٢) والنمل (١٥-٤٤) وسبا (١٢-١٤) و ص : (٣٠-٤٠) وهو أحد أنبياء بنى اسرائيل شانه فى ذلك شان آبيه داود عليهما السلام ، فلقد كان سليمان ،كما كان أبوه داود ، عليهما السلام ، نبيا ملكا ، فقد جمع اللهتعالى لكل منهما النبوةوالملك ، واعطاه خيرىالدنيا والاخرة ، فكان نبيا ملكا ، قالتعالى: " وورث سليمان داود " ، قال ابن كثير: اى ورثه فىالنبوة والملك ، وليس المراد ورثه فىالمال لانه كان له بنون غيره ، وفىالحديث الشريف " نحن معاشر الانبياء لانورث ماتركناه صدقة". فاخبر الصادقالمعصوم صلىاللهعليه وسلم ان الانبياء لاتورث اموالهمعنهم ، بل تكون اموالهم صدقة للفقراء [٢]، وقال قتادة فى قولهتعالى وورث سليمان داود ، ورثنبوته وملكه وعلمه[٣] ، وهذهالثلاثة هى المذكورة فى حق داود عليه السلام ،فىاية البقرة (٢٥١) " وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء" ويدخل فى هذا ايضا ما اخبر اللهتعالى به فى سورة النمل (١٥) مما اكرم الله به هذين النبيين الكريمين من عظيم المنح وجزيل الفضل فى قوله تعالى: (ولقد اتينا داودوسليمان علما) وهذا يشتمل على ما شرفهما الله به من النبوة والرسالة وما يسر لكل منهما من علوم الدنيا والاخرة[٤] .

---

(١) تفسير ابنكثير جـ٧ ص ٥١-٥٤ ، تفسر القرطبى جـ١٥ ص ١٦٦ ، تفسيرالبيضاوى جـ ٢ ص ١٠٧-١١٠ ، تفسير الفخر الرازى جـ٢٦ ص ١٨٨-١٨٩ تفسر البحرالمحيط جـ ٧ ص ٣٩٣ ، الاكليل للسيوطى ص ١٨٥ ، ابن حزم : المرجع السابق ص ٦٤ .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٦٦٧-٦٦٨ ، البداية والنهاية جـ٢ ص ١٨.

(٣) تفسير الدر المنثور جـ٥ ص ١٠٣.

(٤) عويد المطرفى : المرجعالسابق ص ٦٤.

هذا ويتفق المؤرخون على ان سليمان عليه السلام ، حكم فى القرن العاشر قبل الميلاد ، ولكنهم يختلفون فى تحديد فترة حكمه من هذا القرن العاشر(١) ، فهناك من يرى انها فى الفترة (٩٧٤ - ٩٣٢ ق٠م)(٢) ، ومن يرى انها فىالفترة (٩٧٣ - ٩٣٦ ق٠م٠)(٣) ، ومن يرى انها فى الفترة (٩٧٠ - ٩٣٣ ق٠م)(٤) ، ومن يرى انها فىالفترة (٩٦٣ - ٩٢٣ ق٠م)(٥) ، ومن يرى انها الفترة من (٩٦١ - ٩٢٣ ق٠م٠)(٦) ، ومن يرى أنها فىالفترة من (٩٧١ - ٩٣١ ق٠م٠)(٧) ، ومن يرى انها فى الفترة من (٩٦٠٠ ٩٢٢ ق٠م)(٨) ومن يرى انها فى الفترة (٩٦٣ - ٩٢٩ ق٠م)(٩) ٠

ويرى ابن الاثير أن سليمان عليه السلام قد تولىالملك وهو مازال في الثانيةعشرة ، اوالثالثةعشرة ، اى فى حداثة سنه ، ومع ذلك فقد كان من ذوى الفطنة والذكاء ، وحسن التدبير والسياسة وقد اعطاه الله الحكمة وحسن القضاء منذ الصغر ، وقد ذكر القرآن الكريم طرفا من ذلكالنبوغ والذكاء الذى كان عند سليمان وذلك فىالفتوىالتىعرضت علي أبيه فأفتى فيها كل منهما بوجه يختلفعن الاخر ، وكانت فتوى سليمان أضمن للحق وأقرب

---

(١) محمدبيومى مهران : المرجع السابق ج٢ ص ٨٤٥-٨٤٦ ٠

(٢) فضلو حورانى : العرب والملاحة فى المحيط الهندى - ترجمة السيد يعقوب بكر - القاهرة ١٩٥٨م ص ٣٤٠

(٣) حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم - ص ٨٤٠

(٤) فيليب حتى : المرجع السابق ص ٢٠٥ ٠

(٥) نفس المرجعالسابق ٠

(٦) سبتينو موسكاتى : المرجع السابق ص ١٤٣ وكذا :
Heaton E.W., The Old Testament Prophets, London,p.172

(٧) Epstein, op.cit., p.36.

(٨) Historical Atlas of the Holy Land p.81.

(٩) Albright , The Biblical Period, p.120-122.

الى الصواب ، كما قال تعالى : " وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ، ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما " فقوله تعالى " ففهمناها سليمان " يدل على ان ما افتي به سليمان كان هو الصواب ، وقوله " وكلا آتينا حكما وعلما " يدل على ان داود وسليمان كانا على جانب عظيم من الحكمة والعلم (١)، وقال ابوحيان:والظاهر أن كلا من داود وسليمان حكم بما ظهر له ، وهو متوجه عنده ، فحكمهما باجتهاد وهو قول الجمهور(٢) .

وخلاصة القصة ، كما يقدمها اصحاب التفسير ، ان زرعا دخلت فيه غنم لقوم ليلا فاكلته وافسدته ، فجاء المتخاصمون لداود وعنده سليمان وقصوا عليه القصة فحكم داود بالغنم لصاحب الزرع عوضا عن حرثه الذى آتلفته الغنم ليلا ،فقال سليمان : غير هذا أرفق ، تدفع الغنم الى أهل الحرث فينتفعون بألبانها واولادها واشعارها ، وتدفع الحرث الى اهل الغنم يقومون باصلاحه حتى يعود كما كان ، ثم يترادان بعد ذلك فيعود لاهل الغنم غنمهم ، ولاهل الحرث حرثهم ، فقال دداود: قد اصبت القضاء ماقضيت ، ثم امضى حكم سليمان لما فيه من حفظ اصول المال لصاحبيهما(٣) .

وقريب من هذه القصة التى جاءت فى القرآن الكريم مارواه الامام أحمد عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " بينما امراتان معهما ابنان لهما ، اذ جاء الذئب فاخذ أحد الابنين فتحاكما الى داود فقضى للكبرى

---

(١) سورة الأنبياء : اية ٧٨-٧٩ ، محمد على الصابونى : المرجع السابق ص ٢٨٢.

(٢) تفسير البحر المحيط ج ٦ ص ٣٣٠ .

(٣) عويد المطرفى : المرجع السابق ص ١٢٣ ، محمد على الصابونى :المرجع السابق ص ٢٨٣ ، تفسير الطبرى ج١٧ ص ٥٢ ، ثم قارن مختصر تفسير ابن كثير ج٢ ص ٥١٦ (حيث يروى ابن ابى حاتم عن مسروق ، كما روى كذلك عن ابن مسعود ان الحرث الذى نفشت فيه الغنم كان كرما فلم تدع فيه ورقة ولا عنقود من عنب الا اكلته) .

فخرجتنا فدعاها سليمان فقال : هاتوا السكين اشقه بينكما . فقالت الصغرى : يرحمك الله هو ابنها لاتشقه ، فقضى به للصغرى"(١) .

ولعل من اهم معجزات سليمان عليه السلام :

(أولا) : ان الله تعالى علمه منطق الطير وسائر لغات الحيوان فكان يفهم عنها مالايفهمه سائر الناس ، وربما تحدث معها كما كان الامر مع الهدهد والنمل او فى غيرهما . روى ابن عساكر قال : مر سليمان بعصفور يدور حول عصفورة فقال لاصحابه : اتدرون مايقول : قالوا وما يقول يانبى الله ، قال يخطبها الى نفسه ، ويقول : تزوجينى اسكنك اى غرف دمشق شئت ، قال سليمان : وغرف دمشق مبنية بالحجر لايسكنها أحد ، ولكن كل خاطب كاذب (٢) . قال تعالى : " وورث سليمان داود ،وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء ان هذا لهو الفضل المبين"(٣) . وقال تعالى" حتى اذا اتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون . فتبسم ضاحكا من قولها "(٤)، ولاشك أن فهمه عليه السلام لكلام العصفور والنملة والهدهد اعجاز الله عز وجل خصه به اظهارا لما اكرمه به من شرف النبوة والرسالة (٥) .

(ثانيا) كان جنده مؤلفا من الانس والجن والطير ، وقد نظم لهم اعمالهم ورتب لهم شئونهم فاذا خرج خرجوا معه فى موكب حافل يحيط به الجند والخدم من كل جانب ، فالانس والجن يسيرون معه ، والطير تظلله باجنحتها من الحر(٦) قال تعالى " وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون"(٧)

(١) الحديث اخرجه ايضا البخارى ومسلم فى صحيحيهما وبوب له النسائى فى كتاب القضاء .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج٢ ص ١٨ .
(٣) سورة النمل : اية ١٦ .
(٤) سورة النمل: آية ١٧ .
(٥) عويد المطرفى : المرجع السابق ص ٦٨ .
(٦) محمد على الصابونى : المرجع السابق ص ٢٨٨ .
(٧) سورة النمل: اية ١٧ .

(ثالثا) : تسخير الريح له . قال تعالى : "ولسليمان الريح غدوها ورواحها شهر "[1] . وقال تعالى: " فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء حيث أصاب "[2] وقال تعالى : " ولسليمان الريح عاصفة تجرى بامره الى الارض التى باركنا فيها وكنا بكل شئ عالمين . ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهمحافظين"[3] وهكذا كان من معجزات سليمان عليه السلام تسخير الريح ، تحمل جنوده ومامعهم من الاثقال ، وتقوم بأداء مايريده منها مماسخر الله له فيه ، وهى اجرى بامره الى الارض التى بارك الله فيها معجزة قاهرة ، اكرمه الله بها واجراها على يديه اظهارا لنبوته وتاييدا لرسالته ، وفى قوله تعالى : " ومن الشياطين من يغوصون له " هو أيضا معجزة ، ذلك لان التحكم فىجماعات الشياطين واستخدامهم فىالغوص وعمل الاعمال التى دون الغوص ، وحفظ الله تعالى لهم ليكونوا تحت امره عليه السلام ، خاصة انما هو امر ظاهر فى الاعجاز[4] .

(رابعا): أن الله سخر له الجن ومردة الشياطين يعملون لهالاعمال التى يعجز عنه البشر كبناء الصروح الضخمة والقصور العالية والقدور الراسيات والجفان التى تشبه الاحواض . كما قالتعالى: " ومن الجن منيعمل بين يديه باذن ربه ، ومن يزغ منهم عنامرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون مايشاء من محاريب وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور "[5] ، كما جعل الله له سلطة على جميع الشياطين يسخر من يشاء منهم فىالاعمال الشاقة ويقيدمن يشاء فى الاغلال ليكف شرهم عن الناس كما قال تعالى : " والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين فىالاصفاد"[6].

---

(١) سورة سبأ : اية ١٢
(٢) سورة ص: اية ٣٦.
(٣) سورة الانبياء : آية ٨١-٨٢.
(٤) عويد المطرفى : المرجع السابق ص ٧٧-٧٨ .
(٥) سورة سبأ : اية ١٢-١٣
(٦) سورة ص: آية ٣٧-٣٨ .

ولم يكن هذا التسخير لاحد من الانبياء ، غير سليمان عليه السلام ، وذلك غاية العظمة ونهاية الملك والسلطان لملوك الدنيا ، فلم ينل احد من الملوك ما ناله سليمان عليه السلام ، نبي الله ورسوله . روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ان عفريتا من الجن تفلت علي البارحة ليقطع علي صلاتي ، فامكنني الله منه فاردت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم ، فذكرت دعوة اخي سليمان " رب اغفر لي وهب لي ملكا لاينبغي لاحد من بعدي فرددته خاسئا" (١) . ولعلل من الاهمية بمكان الاشارة هنا الى انه كان في أستطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يربط العفريت كما هو واضح من لفظ الحديث ، ولكنه صلى الله عليه وسلم أبى أن يفعل ذلك تحقيقا لدعوة اخيه سليمان عليه السلام (٢) .

(خامسا) أسال الله تعالى لسليمان عين القطر . قال تعالى :"واسلنا له عين القطر "(٣) وهذه من خصوصيات سليمان ، كما كانت الانة الحديد من

---

(١) انظر : صحيح البخاري ج٤ ص١٩٧ ، صحيح مسلم ج١ ص ٣٨٤ وانظر رواية اخرى للحديث الشريف لمسلم عن أبي الدرداء وثالثة للامام احمد عن ابي سعيد الخدري (مختصر تفسير ابن كثير ٣/٢٠٣-٢٠٤) .

(٢) عويد المطرفي : المرجع السابق ص١١٦.

(٣) سورة سبا : اية ١٢ والقطر هو النحاس . واسالته : اذابته حتى يكون كالماء ليستطاع صبه في قوالب خاصة تنشا منها الصناعات التي يريدها سليمان من الات الحرب وغيرها وللنحاس خاصية فهذا تدل على انه اقوى من الحديد بدليل قوله تعالى (آتوني افرغ عليه قطرا) اذ لو لم يكن اقوى من الحديد لما احتاج الى تقوية الحديد ، وامساكه بافراغ القطر عليه .
عويد المطرفي : المرجع السابق - ص٨١.

خصوصيات أبيه داود عليهما السلام ، فهو اذن من المحتمل للاعجاز او هو من قبيل العلم الذى آتاه الله تعالى عبده سليمان [١]، وهذا مانميل اليه ونرجحه .

هذا وقد اثبتت الحفريات الاثرية ان مدينة عصيون جابر انما كانت ميناء ومركزا صناعيا فى دولة سليمان ، وقد اكتشفتها بعثة امريكية برياسة نلسون جلوك ، فيموقع " تل الخليفة " الحالى على بعد ٥٠٠ مترا من ساحل البحر ، على الطرف الشمالى من خليج العقبة ، علىمقربة من ميناء " ايلات " الحالى فى منتصف الطريق بين مدينة العقبة والطرف الشرقي لخليج العقبة وأم " الرشراش " على الطرف الغربى [٢]، ويذهب بعض الباحثين الى أن المدينة عرفت بعد ذلك باسم "برنيسا" (Berenice) [٣].

وكان اختيارموقع عصيون جابر ، اختياراموفقا ، فى مكان لم يسكن من قبل ، بين تلال ادوم من الشرق ، وتلال فلسطين من الغرب ، حيث يمكن الإفادة الى اقصى الحدود من الريح التى تهب من الشمال حيث تبلغ غاية سرعتها فى وسط

---

(١) عويد المطرفى : المرجع السابق ص ٨١ .

(٢) انظر : محمد بيومى مهران : اسرائيل - الكتاب الثانى ص ٧٩٢-٧٩٤ ،
وكذا Hornell J., Antiquity, 21, 1947, p.66.
وكذا Glueck N., The Other Side of The Jorden, New Hoven , 1940, p.50-133.
وكذا Kenyon K.M., Archacology in The Holy Land, London 1970, p.257.
Alberight, The Archaelogy of Palestine, p.44,127-128.

(٣) Hastings J.A. Dictionary of the Bible, Edinhurgh, 1936, p.253.

وادي العربة ، وذلك للانتفاع بها في تأجيج النار اللازمة للتكرير ، كما أن المنطقة الواقعة بين البحر الميت وخليج العقبة غنية بالنحاس والحديد (١) ونقرأ في العهد القديم عن " أرض حجارتها حديد ومن جبالها تحفر نحاسا "(٢)، ومن هنا كانت عصيون جابر، بجانب وادي عربة والنقب ،مركزا كبيرا لصهر النحاس والحديد في عهد سليمان عليه السلام ، حتى ذهب بعض الباحثين المحدثين أن سليمان عليه السلام كان من اعظم مصدّري النحاس في العالم القديم (٣) ،مما يدل على أن مخزونات النحاس قد استخرجت وصهرت في عهد سليمان عليه السلام بدرجة كبيرة .

وعلى أية حال فانه لم يعثر حتى الآن ، في أي مكان آخر في العالم القديم على مايضاهي معامل تنقية النحاس في عصيون جابر ،ولعل افغل هذه المعامل من جهة الاعداد والبناء ماوجد في الطبقة (ط) التي تحوي مخلفات اقدم للفترات الخمسة الرئيسية لعمران هذا الموقع (٤) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة هنا الى أن هناك بعض آيات من كتاب الله تتصل بسليمان عليه السلام ، أخطأ بعض المفسرين في تفسيرها منها قوله تعالى: " ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب ، اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها على فطفق مسحا بالسوق والاعناق "(٥) ، فلقد جاء في تفسير ابن كثير :

---

(١) Eissfeldt, in CAH, II, Part 2, Cambridge, 1975, p.594.

وكذا Finegan J. Light from the Ancient Past, Princeton, 1969, p.181.

(٢) تثنية ج ٨: ص ١٠ .

(٣) Albiright W.F. Archaeology and the Religion of Israel p. 133F.

وكذا Gleuck op.cit., p.89F .& NGM, 85, 1844, 233-256.

(٤) Albright, Archoeology of Palestine p.127.

Keller. Op.cit., p.198-199.

(٥) سورة ص: آية ٣٠-٣٣ .

ذكر غير واحد من السلف والمفسرين ، أنه اشتغل بعرضها ، اى الصافنات الجياد ، حتى فات وقت صلاة العصر والذى يقطع به انه لم يتركها عمدا ، بل نسيانا كما شغل النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب . ويحتمل انه كان سائغا فى ملتهم تاخير الصلاة لعذر الغزو والقتال ، والاول اقرب لانه قال بعده " ردوها على فطفق مسحا بالسوق والاعناق " . عن الحسن البصرى قال: قال سليمان لا والله لا تشغلينى عن عبادة ربى آخر ما عليك ثم امر بها فعقرت . وقال السدى : ضرب اعناقها وعراقيبها بالسيوف ، ولهذا عوضه الله عز وجل ماهو خير منها وهو الريح التى تجرى بامره رخاء حيث اصاب ، غدوها شهر ورواحها شهر فهذا اسرع وخير من الخيل (1) .

وهكذا يوصم سليمان عليه السلام بانه تلهى عن ذكر الله ويوصم كذلك بانه قتل الخيول البريئة المعدة للجهاد دون سبب او مسوغ معقول(٢) ومن ثم فقد رد حذاق العلماء هذا القول بانه عقوبة لما لا يستحق العقوبة وبانه افساد للمال فى غير منفعة للمسلمين (٣) .

وقد روى الطبرى عن ابن عباس كما روى القرطبى عنه وعن قتادة والحسن والزهرى وابن كيسان ان المراد بمسح سوق الخيل واعناقها فى هذه الاية الكريمة هو مسح جبالها وكشفا للغبار عنها . وقال الطبرى : وهو اشبه بتاويل الاية ، لان نبى الله لم يكن ليعذب حيوانا بالعرقبة ، ويهلك مالا من ماله لغير سبب ، سوى انه اشتغل (كما تزعم الاسرائيليات) عن صلاته بالنظر اليها ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر اليها . وقد اطال الفخر الرازى فى تفسيره فى رد هذه القصص

---

(١) انظر : مختصر تفسير ابن كثير ج٣ ص ٢٠٢-٢٠٣ .
(٢) محمد الطيب النجار : المرجع السابق ص ٤٠ .
(٣) عويد المطرفى : المرجع السابق - ص ١٠٨ .

الفاسدة ، وانتهى الى ان لفظ الاية الكريمة يدل على شئ من تلك الاقوال الفاسدة التى ذكرت خاصة وقد قامت الادلة على عصمة الانبياء عليهم السلام [١] .

هذا فضلا عن ان حب الخيل انما هو من سنن الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم . روى النسائى وابوداود واحمد عن ابى وهب الجشمى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : "ارتبطوا الخيل وامسحوا بنواصيها واكفالها" [٢] ، وروى البخارى ومسلم وأصحاب السنن ومالك واحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: " الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة " [٣] وروى الطحاوى فى مشكل الاثار بسنده عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة ، واهلها معانون عليها وامسحوا نواصيها وادعوا لها بالبركة " [٤] وجاء فى العهد القديم أن سليمان كان شغوفا بالخيل [٥] وانه كان يقول: "الفرس معدة ليوم الحرب " ، وان " كانت النصرة من الرب " [٦] .

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ج٢٣ ص١٥٦ ، تفسير القرطبى ج١٥ ص١٩٦-١٩٧ ، تفسير الفخر الرازى ج٢٦ ص٢٠٦-٢٠٨ ، عويد المطرفى : المرجع السابق ص١٠٦-١٠٩ .

(٢) سنن النسائى ج٦ ص٢١٨ ، سنن ابى داود ج٣ ص ٢٤ ، مسند الامام احمد ج٤ ص ٣٤٥ .

(٣) صحيح البخارى ج٤ ص ٣٤ ، صحيح مسلم ج ٣ ص ٤٩٣ ، سنن الدارمى ج٢ ص ٢١٢ سنن ابن ماجه ج٢ ص ٤٧ . سنن ابى داود ج٣ ص ٢٢ ، سنن الترمذى ج ٤ ص ٢٠٢، سنن النسائى ج ٦ ص ٢١٥ ، موطا مالك ص ٢٧٩ . مسند الامام احمد ج٦ ص ٢٨٢ عويد المطرفى : المرجع السابق ص ١٠٧ .

(٤) مشكل الاثار ج١ ص١٣٥ (حيدر اباد ١٣٣٣هـ) .

(٥) ملوك اول ١٠ / ٢٦-٢٩ ، اخبار أيام ثان ١ / ١٤-١٧ .

(٦) سفر الأمثال ٢١/٣١ .

هذا وقد أثبتت الحفريات الاثرية أن سليمان عليه السلام قد أقام حظائر للخيل فى أماكن متعددة من مملكته وقد ألقت بعثات الحفائر الامريكية فى مدينة " مجدو "(١) القديمة الضوء على هذه الحظائر فلقد عثر المكتشفون هناك على بقايا من أجزاء كبيرة من اسطبلات الخيول والتى كانت دائما تنتظم حول فناء دائرى مبلط بملاط من الحجر الجيرى ويخترق وسط كل اسطبل ممر عرضه عشرة اقدام وقد رصفت بصخور خشنة ليحول دون انزلاق الخيل ، وقد وضعت على كل جانب وراء نتوءات الاحجار مرابط فسيحة عرض كل منها عشرة اقدام ومايزال الكثير من هذه الاسطبلات محتفظا بمعالف طعام الخيل كما لاتزال كذلك اجزاء من معدات السقى ظاهرة .

ومما يثير الانتباه فخامة تلك الاسطبلات حتى بالنسبة لظروف الحياة الحاضرة والعناية الشديدة التى بذلت بوفرة فى المبانى والخدمات والتى يمكن الحكم عن طريقها بان الخيول انما كانت مرغوبا فيها فى تلك الايام ، وعندما تم الكشف عن المبنى باكمله قدر بعض الباحثين لكل اسطبل ٤٥٠ حصانا ولكل حظيرة ١٥٠ عربة (٢) ، هذا وقد اكتشفت حظائر لهذه الاسطبلات فى بيت شان وحاضور وتعنك (٣) واورشليم (القدس) (٤) .

---

(١) مجدو : وهى تل المتسلم الحالية تقع الى الغرب قليلا من بحيرة طبرية وعلى مبعدة ٢٠ ميلا جنوب شرق حيفا فى المنطقة الجنوبية من سلسلة الجبال التى تنتهى بجبل الكرمل فى الشمال (انظر : محمد بيومى مهران : اخناتون : الاسكندرية ١٩٧٩م ص ٢٢ .)
وكذا Unger, op.cit.,pp. 709-710.

(٢) Albright, op.cit., p. 124 ,
وكذا Watzinger, C., Denkmaler Palestines, I, Leipzeg, 1933. p.67f, Keller, op.cit .,p.195

(٣) تعنك (تاعاناخ) وتقع على مبعدة ٨ كيلا الى الجنوب الشرقى من مجدو على الطرف الجنوبى لسهل يزرعيل .

(٤) القدس (اورشليم) : يظن كثير من الناس ان اسم اورشليم اسم عبرى والحقيقة ان الامر ليس كذلك تماما ، ذلك لان اقدم النقوش التى ورد ليها اسم المدينة هو نقش مصرى يرجع الى أخريات القرن ١٩ ق.م. وربما الى ايام سنوسرت الثالث من الاسرة ١٢ حيث ذكرت تحت اسم "اورساليمو " ثم (=)

واما تاريخ تلك الاسطبلات فان الدراسات الحديثة فى تاريخ مدينة مجدو انما تضع الطبقة الرابعة التى وجدت بها هذه الاسطبلات فى عهد الملك النبى سليمان عليه السلام ، وأن بقايا تلك المبانى المشهورة ففيها أكثر من دليل مؤكد على

(=) جاءت على ايام الاسرة ١٢/ (القرن ١٨ق٠م٠) تحت اسم "اورشاميم" وفى ايام العمارنة جاء اسمها فى رسالة من اميرها " عبدي خيبا " الى اخناتون (القرن ١٣) تحت اسم "اورسالم" ثم استقل بها اليبوسيون وسموها " يبوس " وفى عهد داود عليه السلام (القرن ١٠ ق٠م) اطلق عليها اسم " مدينة داود " ربما لان الاسم القديم كان غريبا على اذان العبرانيين وربما وهو الارجح ، لان فيه تخلدا لاسم اله وثنى ثم اطلق عليها العبرانيون بعد ذلك اسم " يوروشالايم" او "اورشالم " باضافة لاحقة عبرية كى تصبح عبرية النطق ٠ ثم دعيت فى النقوش الاثورية " اورساليمو " وفى النقوش اليونانية الرومانية " هيروسوليما " هذا وقد اطلق عليها كذلك عدة أسماء شانها فى ذلك شان المدن الهامة فى تاريخ العالم مثل مدينة العدل ومدينة الله ومدينة الحق والمدينة المقدسة والقدس ٠ واما اسماؤها العربية فهى بيت المقدس والقدس الشريف والقدس ٠ وفى القرن الخامس ق٠م٠ اطلق عليها هيرودوت اسم " قديتس " وهو فيما يرى الباحثون اسم القدس محرفا فى اليونانية عن النطق الارامى " قديشتا " واما اسم اورشليم فارجح الاراء انه يكون من "اور" بمعنى مدينة او موضع ومن " شالم " وهو اله وثنى لسكان فلسطين الاصليين هو "اله السلام" أو أن "اور" بمعنى الميراث فتكون اورشليم بمعنى " ميراث السلام " وذلك قبل وصول العبرانيين اليها ٠ وفى عام ١٣٥م احتل الرومان المدينة وفي عهد هدريان ثم هدموها تماما وبنى هدريان فوقها مدينة جديدة تحمل اسمه "ايليا كابيتو ليا " وحول معبدها الى معبد للاله الرومانى الوثنى " خوبيتر "واستمرت كذلك تحمل هذا الاسم الى عام ١٥ هـ حيث افتتح المسلمون المدينة التى كانت تحمل اسم " ايليا " فقط بعد ان اصبح اسم اورشليم لفظا تاريخيا ثم سرعان ما عاد اليها تحت ظلال الاسلام اسم القدس ٠ وهكذا يبدو واضحا ان اسم اورشليم انما هو تحريف لاسمها الاول وقيل العبرانيين بالاف السنين اورسالم بمعنى مدينة اله السلام (انظر : محمد بيومى مهران : اسرائيل — الكتاب الثانى ص ٨١٢—٨٦٦) ، حسن ظاظا : القدس / مدينة الله ام مدينة داود — الاسكندرية — ١٩٧٠م

وكذا : Macalister, R,A,S,, The Topography of Jeruslem, CAH, III, 1965.

آنها ترجع الىعهد سليمان عليه السلام [١] .

واماقوله تعالى " ولقد فتنا سليمان والقينا علىكرسيه جسدا ثم اناب"[٢] فلقد روى بعضالمفسرين والمحدثينعدة روايات عن فتنة سليمان وعن الجسد الـــذى القىعلى كرسيه تقدح فىالنبوة وتتنافى مع عصمة الانبياء التى عرفت من الديـــن بالضرورة اجماعا كما انها تحط منمقام الاصطفاء الالهى للنبوة والرسالة وكلهـا قصص باطلة وفاسدةعقلا نقلا[٣] .

ولعلمن اغرب وانكر تلكالروايات مارواه ابنابىحاتم من ان سليمــــــــان عليه السلام اراد ان يدخلالخلاء فاعطى الجرادةخاتمه وكانت احبنسائه اليه فجاءها الشيطان بصورة سليمان فقال لها : هاتى خاتمى فظنته سليمان فاعطته اياه فلما لبسه دانت له الانس والجنوالشياطين[٤] .

هذاوقد اظهر زيف هذه الاساطير حذاقالعلماء ونبهاؤهم كابن كثير وابــن العربىوابن حزم وابىحيان والزمخشرى وغيرهم[٥] ،ومن ثم يذهبالعلماء المحققون

---

(١) انظر Fingan, ,op.cit.,p.181, Albright, op.cit.,p.124
وكذا Engberg, R.M, in BA, 4, 1941, p.12f.

وكذا Wright, G.E., BA, 13, 1950, p.44, AJA, 1944, p. 546-550.

(٢) سورة ص : اية ٣٤ .
(٣) عويد المطرفى : المرجع السابق ص ١١٦.
(٤) مختصر تفسير ابنكثير جـ٣ ص ٢٠٣ (هامش/٢).
(٥) انظر : تفسير ابنكثير جـ٤ ص ٣٦ . تفسير البحر المحيط جـ٧ ص ٣٩٧، تفسير الكشاف جـ٣ ص ٣٧٥ . ، ابنالعربى : تحكام القران - فاس ١٣٧٦ جـ٤ ص ١٦٣٨، ابن حزم : المرجع السابق جـ٣ ص ٢٠ ، محمد محمد ابوشهبة :الاسرائيليـــات والموضوعات فى كتب التفسير - القاهرة ١٣٩٣ هـ ص٢٨٩ .

الى ان المراد بالفتنة فى قول سليمان عليه السلام يتصل بالخيل اتصالا قريبا فيما اخرجه البخارى عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال سليمان بن داود عليهما السلام : لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين (١) كلهن ياتى بفارس يجاهد فى سبيل الله فقال له صاحبه : قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق رجل ، والذى نفس محمد بيده لو قال: ان شاء الله لجاهدوا فى سبيله فرسانا اجمعون "(٢) . والمراد " بشق رجل " تفسره رواية اخرى عند البخارى ايضا فى كتاب الانبياء بلفظ " الا واحدا ساقطا احد شقيه "(٣) اى مشلولا فاقدا لكثير من مظاهر الرجولة (٤) .

ولما راى سليمان عليه السلام حرمانه مما تمنى من الولد للجهاد بهم فى سبيل الله لانه لم يقل ان شاء الله علم انه ابتلى فاسرع الى الانابة الى الله تعالى والرجوع اليه بالتوبة من عدم استثنائه فى طلبه واستعانته بمشيئة الله تعالى ثم استغفر ربه متذللا خاشعا راجيا عفوه ومغفرته وفضله فقال" رب اغفر لى وهب لى ملكا لاينبغى لاحد من بعدى " (٥) ليستعين بذلك الملك على الجهاد فى سبيل الله ناشرا لدين الله مقيما لاحكام شرعه فيحقق به من النصر على اعدائه اكثر مما كان يؤمله فيما فاته من المائة الولد.

---

(١) كانت زوجات سليمان يبلغن المائة او اقل كما جاء فى روايات الحديث المتعددة عند البخارى (انظر صحيح البخارى ج٤ ص ٢٧ ، ١٩٧ ، ج ٧ ص ٥٠ ، ج ٨ ص ١٦٢ ، ١٨٢ ، ج ٩ ص ١٦٩) ثم قارن ذلك برواية التوراة التى جعلت سليمان زوجا لالف امراة " سبع مائة من النساء والسيدات وثلاث مائة من السرارى " ومن كل الجنسيات (ملوك اول ١١ /١-٤) ، محمد بيومى مهران: اسرائيل - الكتاب الثالث ص ٢١٢-٢١٨).

(٢) صحيح البخارى ج٤ ص ٢٧.

(٣) صحيح البخارى ج٤ ص ١٩٧.

(٤) عويد المطرفى : المرجع السابق ص ١١٢-١١٣ .

(٥) سورة ص : اية ٣٥.

ويبدو من سياق الايات ان الزيادة التى اوتيهاسليمان عليه السلام فى ملكه المعبر عنها بقوله " ملكا لاينبغى لاحد من بعدى " هى ايتاؤه بعض المعجزات التى لمتكن لغيره من الانبياء عليهم السلام بدليل التعقيب عليه بقوله تعالى " فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء حيث اصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرينمقرنين فىالاصفاد"(١) ، المتضمن استجابة الله تعالى لدعائه مفتتحا بالفاءالدالة على الربط والتعقيب والترتيب (٢) وهذا مانميل اليه ونرجحه (٣) .

---

(١) سورة ص : اية ٣٦-٣٧.

(٢) عويد المطرفى : المرجع السابق ص ١١٤-١١٥.

(٣) من الغريب ان تنافس المصادر العربية المصادر الهيودية فىالحديث عن اتساع مملكة اسرائيل ، بلانها فىاغلبالاحايين انما تزعم لهذه الدولة مالم تزعمه المصاردر اليهودية ومن ثم نرىالمؤرخين المسلمين يذهبون الىان دولة سليمان انما وصلت الى اليمن بل ان الخيال ذهب بالبعض الىان يجعل عاصمة سليمان بعيدا فىايران حيث اتخذ من"اصطخر " التى ينسبونالبه او الجنة امر بنائها مقرا لحكمه ، وليت الذين ذهب بهم الخيال الىهذ الحد يعرفون ان مدينة اصطخر لم يبدا الفرس فى بنائها الا فىعام ٢٥٠ ق.م. فاذا تذكرنا ان سليمان حكم فىالفترة (٩٦٠-٩٢٢ق.م) لتبين لنا ان اصطخر انمابدىء فى بنائها بعد وفاة النبى الكريم بحوالىاربعة قورن .والحق اننى لا آدرى لمتربط المصادر العربية بينهذا الملك الواسع وبيننبوة سليمان عليه السلام وكان مكانة النبي الكريم لاتكون الا بسلطان يفوق كلسلطان حتى ذهبالبعض الى ان يجعلوا من سليمان واحدا من اربعة (نمرود وبختنصر وذو القرنين وسليمان)ملكوا الدنيا باسرها . بل ان سليمان فيما يقولون " كان لايسمع بملك فىناحية من الارض الا اتاه حتى يذله " ، ان سليمان عليه السلام لم يكن جبارا فىالارض وانما كان نبيا رسولا ارسلهالله هاديا ومبشرا ونذيرا ونسوا كذلك ان النبوة اشرف وأفضلمن ملك الدنياومافيها وان جمع الله لسليمان كما جمع لابيه داود بينالملك والنبوة .(انظر : تاريخ الطبرى ج١ ص ٢٣٣-٢٣٤ ، الكامل لابنالاثير ج١ ص ٩٤ ،ابنكثير : البداية والنهاية ج١ ص ١٤٨. تاريخ الطبرى ج١ ص ٤٨٧ ،دائرة المعارف الاسلامية ج٣ ص ٤٥٨-٥٦٩ (دار الشعب - القاهرة ١٩٧٠) معجم البلدان ج١ ص ٢١١ ، (بيروت ١٩٥٥) علىامام عطيه : الصهيونية العالمية وارضلميعاد ص ٧١-٧٢(=)

انواحدا من خلفاء سليمان لم يستطع الحفاظ على مملكته كما كانت على ايامه ، فما ان ينتقل النبى الكريم الىجواريه (حوالى عام ٩٢٢ ق٠م)راضيا مرضيا عنه من ربه ولو كرهت يهود ، حتىتفشى الشقاق القبلى القديم بين بنى اسرائيل ومن ثم فقدانقسمت دولة سليمان الى دويلتين الواحدة فىالشمال وتدعى اسرائيل وعليها " يربعام " من سبط افرايم وتضم عشرة اسباط والاخرى وتدعى يهوذا وعليها " رجعام " بن سليمان " وتضم سبط يهوذا وبنياميين، ثم سرعان ماخضعتالدويلتان لمصر ، واصبحتا جزءا من الامبراطورية المصرية كما كانت قبل قيامملكة طالوت ثم داود وسليمانعليهما السلام ، ثم انتهت الامور باستيلاء الاشوريين على اسرائيل فى عام ٧٢٢ ق٠م على ايام سرجون الثاني واستيلاء البابليين الكلدانيين على يهوذا عام ٥٨٦ ق٠م على ايام بنوخد نصر(١).

- بناء سليمان المسجد الأقصى :

روى النسائى بسنده عن عبدالله بنعمرو بنالعاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان سليمان بن داود عليهما السلام لما بنى بيتالمقدس سال الله عز وجل خلالا ثلاثة ، سألالله عز وجل حكما يصادف حكمه فاوتيه ، وسأل الله عز وجل ملكا لاينبغى لاحد من بعده فاوتيه ، وسأل اللهعز وجل حين فرغ من بناء المسجد ان لاياتيه احد لاينهزه الا الصلاة فيه ان يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه "(٢) .

(=) احمد فخرى : دراسات فىتاريخ الشرق القديم - القاهرة - ١٩٦٣ ص ٢٢٩ ، ارثر كريستنس : ايران فىعهد الساسانيين : ترجمةيحي الخشاب - القاهرة ١٩٥٧م ص ٨٠٠ ثم انظر محمد بيومى مهران :اسرائيل - الكتاب الثانى ص ٧٩٦- ٨٠٦ ثم قارن : Noth, M., The History of Israel, London, 1965, p.250, 256, Roth, C., A Short History of the Jewish people, London, 1969, p.23.

(١) انظر التفصيلات: محمد بيومىمهران : المرجع السابق ص ٨٦٩-٩٥٦، ٩٩٧-١٠٠٤.

(٢) سنن النسائى : جـ٢ ص ٣٤.

وروى البخاري ومسلم عن ابى ذر، قال: قلت يارسول الله اى مسجد وضع فى الارض أول . قال: المسجد الحرام ، قلت ثم اى ، قال: المسجد الاقصي قلت : كم كان بينهما . قال : اربعون سنة . ثم اينما ادركتك الصلاة بعد فصلة فان الفضل فيه " (١) . وفى رواية عن ابى ذر ايضا قال : قلت يارسول الله اى مسجد وضع فى الارض اول. قال: المسجد الحرام. ثم قلت اى ،قال: المسجد الاقصى . قلت : كم بينهما قال: اربعون سنة . واينما ادركتك الصلاة فصل فهو مسجد "(٢)

وقد آثار هذان الحديثان الشريفان جدلا على اساس ان ابراهيم عليه السلام هو بانى آلبيت الحرام ، وان سليمان عليه السلام هو بانى المسجد الاقصى وبينهما مايقع من الف عام ومن ثم فقد ذهب ابوجعفر الطحاوى بان الوضع غير البناء والسؤال عن مدة مابين وضعهما لا عن مدة مابين بنائهما فيحتمل ان يكون واضع المسجد الاقصى بعض الانبياء قبل داود وسليمان ثم بنياه بعد ذلك (٣) .

وقريب من هذا ماذهب اليه ابن الجوزى والقرطبى بانه ليس المراد أن ابراهيم عليه السلام هو الذى أسس بناء الكعبة المشرفة ، ولا ان سليمان عليه السلام هو الذى أسس بناء بيت المقدس وانما جددا ماكان قد أسسه غيرهما (٤) ،كماذهب برهان الدين الزركشى الى أن سليمان عليه السلام انما كان له من المسجد الاقصي تجديده لا تأسيسه (٥) .

---

(١) صحيح البخارى جـ٤ ص ١٧٧. صحيح مسلم جـ١ ص ٣٧٠.

(٢) صحيح مسلم جـ٢ ص ١٥٣-١٥٤ (دار الشعب - القاهرة ١٩٧١) مسند الامام احمد جـ٥ ص ١٥٠-١٦٧ ،تفسير الطبرى جـ٧ ص ٢٢.تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٦٣ ، تفسير القرطبى ص ١٣٧٩ (دار الشعب) تفسير المنار جـ٤ ص ٦-٧. القاهرة ١٩٧٣ .

(٣) صحيح مسلم جـ٢ ص ١٥٣ هامش ٢.

(٤) فتح البارى جـ٦ ص ٤٠٨ ، تفسير القرطبى جـ٤ ص ١٣٨.

(٥) الزركشى: اعلام الساجد بأحكام المساجد ص ٣٠.

ويذهب صاحب تفسير المنار[1] الى أن هذا التفسير ضعيف لانه سماه بيتا ولو جعل المكان مسجدا ولم يبن فيه لما سمى بيتا بل مسجدا او قبله ثم ان ذلك مبنى على القول بان ابراهيم هو الذى بنى أول مسجد للعبادة فى أرض بيت المقدس وذلك معقول وان لم يكن عندنا نص صريح .

هذا ويذهب ابن قيم الجوزية الى ان الذى أسس بيت المقدس هو يعقوب ، وان سليمان كان مجددا له والى هذا ذهب ابن كثير ثم يقول ابن كثير فى البداية والنهاية : وعند اهل الكتاب ان يعقوب عليه السلام هو الذى أسس المسجد الاقصى[2] وهو مسجد ايليا بيت المقدس ، شرفه الله ، وهذا متجه ويشهد له ما ذكرناه من الحديث (حديث ابى ذر) فعلى هذا يكون بناء يعقوب وهو اسرائيل عليه السلام بعد بناء الخليل وابنه اسماعيل المسجد الحرام باربعين سنة سواء[3] ، كما ذهب الى نفس الراى الزركشى فى اعلام الساجد [4] والحميرى فى الروض المعطار[5] هذا فضلا عن ان البعض قد ربط المسجد الاقصى ، والمسجد الحرام بالملائكة

---

(١) تفسير المنار ج٤ ص ٠٧ القاهرة ١٩٧٣م .

(٢) يذهب اهل الكتاب ، كما جاء فى العهد القديم الى ان داود اول من فكر فى بناء المسجد الاقصى حيث اشترى مكانه من رجل يبوسى يدعى " ارنان" ، او ارونا او ارونه) وكان الرجل قد اتخذه جرنا (اوبيدر) وكان الرجل اليبوسى قد عرض على داود ان ياخذ المكان بلا مقابل فرفض داود واشتراه منه ، وكذا بقرا ليقدمه محرقة للرب بخمسين شاقلا من الفضة (صموئيل ثان ٢٤ : ١٨-٢٥) ومن عجب ان بعض الروايات العربية التى تنسب الى ابن كعب تذهب الى صاحب المكان غلام اسرائيلى وان داود اراد ان يغتصبه منه فنهاه ربه عن ذلك فاشتراه بتسعة قناطير من الذهب (وفاء الوفا باخبار دار المصطفى ج١ ص ٣٤٣ القاهرة ١٣٢٦هـ) والثمن جد مغالا فيه بل ان رواية التوراة كما راينا جعلته هو والبقر بخمسين شاقلا من الفضة (صموئيل ثان ٢٤/٢٤) وعلى اية حال ورغم ان رواية العهد القديم تذهب الى ان داود منع من بناء البيت لان ذلك من نصيب ولده سليمان فانها قد سجلت معاونة داود الفعالة لولده سليمان فى اقامة البيت وذلك بتجهيز المواد اللازمة للبناء فضلا عن كميات من الذهب والفضة النحاس والحديد وغيرها (اخبار أيام أول ٢٢ / ١-١٩) .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج١ ص ١٦٢ .

(٤) الزركشى : المرجع السابق ص ٣٠.

(٥) الحميرى : الروض المعطار فى خبر الاقطار - تحقيق احسان عباس - بيروت - ١٩٧٥م ص ٥٥٦.

والبعض الاخر ربطه بآدم ، بل ان فريقا ثالثا ربطه بسام بن نوح عليه السلام [١].

ويذهب الدكتور عويد المطرفى الى ان اقرب الروايات للعقل ان الذى بنى المسجد الاقصى تأسيسا انما هو سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام بعد فراغه من بناء الكعبة المشرفة ، ورجوعه الى مستقره بالشام [٢]، كما استظهر ذلك ابوحيان فى تفسيره لقوله تعالى " ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين " [٣] من ان ابراهيم عليه السلام كما وضع الكعبة وضع بيت المقدس [٤].

ويذهب الدكتور مهران حدسا الى ان ابراهيم عليه السلام هو الذى وضع الاسس للمسجد الاقصى على اساس ان رواية مسلم انما تتحدث عن اول مسجد وليس اول بيت وهى العقبة التى احتج بها صاحب تفسير المنار، وعلى أساس أن ابراهيم عليه السلام طبقا لرواية العهد القديم [٥] انما قد زار القدس وانه اقام الكثير من المحاريب فى فلسطين وخاصة فى شكيم وبيت ايل وبلوطات ممرا، عند حبرون،ومن ثم فليس هناك مايمنع من ان يكون قد فعل الشئ نفسه فى القدس ، هذا فضلا عن انه اذا كان صحيحا ماذهبنا اليه فى هذه الدراسة من ان ابراهيم عليه السلام كان يعيش فى الفترة (١٩٤٠-١٧٦٥ق٠م) وانه قد بنى الكعبة البيت الحرام حوالى عام ١٨٢٤ قبل الميلاد ، ومن ثم يصبح بناؤه او وضعه لاسس المسجد الاقصى بعد ذلك باربعين عاما اى حوالى عام ١٧٨٤م قبل الميلاد امرا مقبولا ،وقبل ان يولد يعقوب عليه السلام

---

(١) مجير الدين الحنبلى : الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل -النجف ١٣٨٨ هـ جا ص ٨٠ ، فتح البارى ج٦ ص ٤٠٩ ، الزركشى : المرجع السابق ص ٣٠ ٠

(٢) عويد المطرفى :المرجع السابق ص ١٤٩٠

(٣) سورة آلعمران : آية ٩٦٠

(٤) تفسير البحر المحيط ج٣ ص ٦٠

(٥) سفر التكوين : ١٢ / ٦-٩ ، ١٤ / ١٩-٢٠٠

بأربع سنوات ، ذلك انه طبقا لماجاء فى هذه الدراسة ، وكما أشار العهد القديم[1]، فان الخليل عليه السلام قد رزق بولده اسحاق وقد اكمل المائة من العمر (بعدان رزق باسماعيل وهوفى السادسة والثمانين) وقد عاش اسحاق ١٨٠ عاما ومن ثم فهو قد عاش فى الفترة (١٨٤٠-١٦٦٠ ق٠م) وان يعقوب قد عاش فى الفترة (١٧٨٠ - ١٦٣٣ق٠م) على أساس انه ولد لابيه اسحاق وهو فى الستين من عمره ، وانه عاش ١٤٧ سنة وان الاسرائيليين قد دخلوا مصر فى عام ١٦٥٠ ق٠م حين كان يعقوب فى الثلاثين بعد المائة من عمره [2] .

وعلى أية حال فان المسجد الذى بناه سليمان تدمر تماما اثناء غزوة " نبوخذ نصر " للقدس عام ٥٨٦ ق٠م ونهب الغزاة القدس واشعلوا فيها النيران واحرقوا القصر الملكى والمسجد وهكذا ضاع كل أثر للمسجد (الهيكل) ومعه البقية الباقية من التابوت الذى كفت الروايات عن ذكره بعد نقله لمعبد سليمان ، ولم يستطع القوم اعادة البناء الا عام ٥١٥ ق٠م٠ على ايام الملك الفارسى دارا الاول ثم دمر هذا المعبد عام ٧٠م على يد القائد الرومانى تيتوس واضرمت النار فى المدينة وهدم المعبد ، وضاعت اثاره تماما حتى ان الناس قد نسوا فيما بعد ، اذا كان المعبد كان على التل الشرقى او الغربى من مدينة القدس ٠

وفى عام ١٣٥م استولى الرومان على اورشليم (القدس) ثم هدمها الامبراطور الرومانى " هدريان " (١١٧-١٣٨م) تماما وبنى فوقها مدينة جديدة تحت اسم " ايليا كابيتولينا " وابدل المعبد القديم بمعبد لاله الرومان الوثنى "جو بتر " ثم قام الرومان بمذبحة نهائية ختمت مصير اليهود فى فلسطين كدولة وكقومية وانتهت بذلك علاقة اليهود بفلسطين سياسيا وسكانيا [3] .

---

(١) سفر التكوين ١٧/١٧ ، ٢٥/٢٦ ، ٣٥/٢٨ ، ٤٧/٩ ، ٢٨٠

(٢) انظر: محمد بيومى مهران: اسرائيل - الكتاب الاول - ص ٨٠-٨٢ دراسات تاريخية من القران الكريم جـ١ ص ١٩٤-١٩٥٠

(٣) انظر: محمد بيومى مهران : اسرائيل - الكتاب الثانى ص٩٩٧-١٠٠٤، ١١٥٠-١١٥٤ ١١٥٦-١١٥٨ وكذا :
Noth, op.cit., p.451-454, Keller, op.cit.,p.380-384.

قصة سليمان وملكة سبأ :

ذكرت قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ فى التوراة[١] والانجيل[٢] والقرآن العظيم[٣] ، وان اختلفت الكتب الثلاثة فى سردها للقصة تبعا للغرض من السرد نفسه ، غير أنها جميعا لم تذكر اسم ملكة سبأ او الارض التى كانت تقيم فيها الا اذا اردنا بكلمة " سبأ " هنا تلك الدولة التى قامت فى الركن الجنوبي الغربى من شبه الجزيرة العربية .

ويذهب فريق من الباحثين ان هذه القصة لايمكن فهمها جيدا الا اذا قدرنا ان السبئيين انما كانوا يقطنون شمال بلاد العرب[٤]، وأصحاب هذا الرأى يذهبون الى أن السبئيين انما ترجع أصولهم الاولى الى شمال بلاد العرب ، فى بلاد الجوف، أو قريبا منها وليس الى جنوبها[٥] .

---

(١) ملوك اول ١/١٠-١٣ ، اخبار ايام ثان ١/٩-٩ .

(٢) متى ٤٢/١٢.

(٣) سورة النمل: اية ٢٠-٤٤ .

(٤) انظر عن السبئيين والاراء التى دارت حول موطنهم الاصلى . (محمد بيومي مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم - الرياض ١٩٧٧م ص ٢٦٥-٢٧٠) .

(٥) يرى بعض الباحثين ان بداية عصر مملكة سبا كان حوالى عام ٧٥٠ ق.م ويرى اخرون انه كان حوالى عام ٨٠٠ ق.م. ويرى فريق ثالث انه كان فى القرن التاسع ق.م. بينما يرى فريق رابع ، وهذا مانميل اليه ونرجحه ، انه كان فى القرن العاشر ، وربما قبله بقرن . انظر محمد بيومى مهران: المرجع السابق ص ٢٧١-٢٧٣ ، جواد على : المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٦٩ . وكذا :

Grohmann, A., Arabien, Munchen, 1963, p.122, BASOR, 137, 1955, p.38, Bowen, R.L. and Albright, W.F., Archaeological Discoveries in South Arabia, Baltimore, 1958, p.37.

وان هذه الملكة التى زارت سليمان عليه السلام لم تكن ملكة مملكة سبـــــا الشهيرة فى اليمن وانما كانت ملكة على مملكة صغيرة فى اعالى شبه الجزيـــرة العربية كان سكانها من السبئيين القاطنين فى الشمال ، او هى ملكة علــى الحكومات المحلية فى منطقـــة معان والعلا ، والتى ورثها السبئيون عــن المعينيين ، ويستدلون على ذلك بادلة :

اولا : العثور على اسماء ملكات عربيات مثل زبيبة وشمس ويتعـــي (1) (ياتى) وتلخونو (تعلخونو) وتاربو (تبوءه) (2) وباثلة (بايلو) وغيرهـن فى النصوص الاشورية فى حين ان العلماء لم يعثروا حتى الان على اسم آيـــة ملكة فى النصوص العربية الجنوبية (3) ، غير ان هذا السبب فى حاجة الى تدعيـم ، ذلك لان هؤلاء الملكات اللائى ذكرن آنفا من فترة متاخرة زمنيا عن عصر سليمـان، عليه السلام ، كما ان عدم العثور حتى الان فى اليمن على اسماء ملكات لايعنـي بالضرورة عدم وجود ملكات فى تاريخ سبأ ، كما انه من المعروف انه لم تجـر هناك حفريات كافية وقد تكشف لنا الارض فى اليمن عن ملكات وملكات ، فعلـم ذلك عند ربى .

ثانيا : صعوبة تصور زيارة ملكة عربية من الجنوب لسليمان وتعجبهـا من بلاطه وحاشيته وعظمة ملكه ، مع ان بلاط اورشليم يجب الا يكون شيئا بالقياس

---

(1) Abbot, N.Pre-Islamic Queens, AJSL, 58,1941,p.4
Musil, A., The Northern Hegaz , New York, 1962,p.477.
Openheim, ANET, 1966, p.288.

(2) Luckenbill , Ancient Records.., II,1927,p.518.
Musil, A, Arabia Deserta New York, 1938, p.480,
ANET,1966, p.211.

(3) محمد بيومى مهران : اسرائيل - الكتاب الثانى ص ٧٦٤-٧٦٥.

الى بلاط ملوك سبأ ، ومن ثم يجب الا تكون هذه الملكة - فى نظر هذه الجماعة من علماء التوراة وبعض العلماء المحدثين[1] ، الا ملكة على مملكة عربية صغيرة لم تكن بعيدة عن عاصمة دولة سليمان فى فلسطين فقد تكون فى جبل شمر وتقع بين الحافة الجنوبية للنفوذ الكبير وبين وادى الرمة وتتكون من سلسلتى جبال اجا وسلمى ، وقد تكون فى نجد او فى الحجاز[2].

ربما فى هذا الرأى بعض من صواب ، بان ملكة سبا كانت ملكة شمالية ورغم ان هناك بعض الباحثين ممن يرى فى تعجب ملكة سبأ ودهشتها البالغة من العظمة والفخامة والرفاهية فى بلاط سليمان ، مما أثار دهشتها امرا غير حقيقى[3] ، فاننا لانوافق الموافقين والمخالفين فيما عقدوه من مقارنة بين بلاط سليمان وبلاط ملكة سبأ ، لان المقارنة لاتصح هنا بحال من الاحوال ، ذلك لان البلاط الاول انما يمثل فيما نرى معجزة نبى اكثر منه صورة لعظمة ملك ، فالحديث هنا عن سليمان النبى لا الملك ، والذى يقرأ الايات الكريمة التى تحدثت عن القصة ، كما جاءت فى سورة النمل ، والتى سوف نوردها هنا بنصها كاملا فيما بعد ، ليعرف تماما ان الملك سليمان ماكان فى استطاعته ، مثلا ، ان يفعل بعرشها مافعل ، وانما الذى يستطيع ذلك انما هو سليمان النبى ، ذلك لان ماحدث انما كان معجزة النبى الكريم سليمان عليه السلام ، وكان الهدف منها ان تعلم تلك الملكة " أ تهتدى أم تكون من الذين لايهتدون" [4] ، وصدق الله

---

(١) انظر هذه الاراء :
Noth, op.ciy., p.206, Roth, op.cit., p.21-23 Malamat, A., JENS, 22, 1963, No:48-9, 13-16, Wells, H.G., A Short History of the World, London, 1965, p.76-77, Lods, A., Israel, from its Beginnings to the Middle of the Eight Contury, London, 1962, p.368-376, Breasted, History of Egypt, p.529.

(٢) جواد على جا ص ٦٣٦-جـ٢ ص ٢٦٢ ، عبدالفتاح شحاته : تاريخ الامة العربية قبل ظهور الاسلام - جـ٢ ص ٨٣-٨٩.
وكذا Montgomery, op.cit., p.181, Dussaud, R., Les
وكذا Arabes en Syria avant L'Islam, Paris, 1907, p.10
وكذا Dhorm, E., RB, p.105.

(٣) Eissfeldt, op.cit., p.601.

(٤) سورة النمل: اية ٤١.

العظيم حيث يقول على لسان سليمان عليه السلام " فلما راه مستقرا عنـــده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ، ومن شكر فانما يشكرلنفســه ومن كفر فان ربىغنى كريم "(١) • ولنقرأ هذه الايات الكريمة والتى تتحدث عـن القصة كلها • يقول سبحانهوتعالى :

" وتفقد الطير فقالمالى لا أرى الهدهد ام كان من الغائبين • لاعذبنـه عذابا شديدا او لاذبحنه او ليأتينى بسلطان مبين • فمكث غير بعيد فقـال احطت بما لمتحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين • انىوجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم • وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون اللـه وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهملايهتدون • ألا يسجدوا للـه الذى يخرج الخبء فىالسموات والارض ويعلم ماتخفون وماتعلنون • اللـه لا إله الا هو رب العرش العظيم • قال سننظر أصدقت ام كنت من الكاذبين • اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم ثمتول عنهم فانظر ماذا يرجعون • قالت يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم ، انه من سليمانوانه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تعلو على واتونى مسلمين • قالت يا أيها الملأافتونى فى أمرى ماكنت قاطعـة امرا حتى تشهدون • قالوا نحن اولو قوة واولو بأس شديد والامر اليك فانظـرى ماذا تامرين • قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلهـا أذلة وكذلك يفعلون • وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلـون• فلما جاء سليمان قال أتمدوننى بمالفمـا آتانىاللهخير مما آتاكم بل انتـم بهديتكم تفرحون • ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لاقبللهمبها ولنخرجنهم منهـا أذلة وهم صاغرون • قال يا أيها الملأ ايكم ياتينى بعرشها قبل ان ياتونـى مسلمين • قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أنتقوم من مقامك وانى عليـه لقوى أمين • قال الذىعنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليـك طرفك ، فلما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفـر،

---

(١) سورة النمل : اية ٤٠•

ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم • قال نكروا لهـا عرشها ننظر أتهتدى ام تكون من الذين لا يهتدون • فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو ، وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين • وصدها ماكانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين • قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب انى ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين" [(١)] .

ولعلنا نستطيع من خلال الايات الكريمة السابقة من سورة النمل أن نضيف الى حجج المنادين بان ملكة سبأ هذه ربما كانت ملكة عربية شمالية اكثر منها جنوبية ، ان الذى يفهم صراحة من القصة القرآنية ان سليمان عليه السلام لم يكن يعرف عن هذه الملكة شيئا سواء من ناحية دولتها او ديانتها ، ومن هنا فانه يقول للهدهد بعد ان اعلمه خبرها " سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين، وليس من المقبول ان يكون سليمان وهو ملك عظيم كما هو نبى كريم لايعرف شيئا عن مملكة سبأ المشهورة فى اليمن، بخاصة وان هناك علاقات تجارية بين سبأ وفلسطين كما ان فلسطين مقر دولة سليمان انما كانت تقع فى نهاية طريق القوافل التى كان السبئيون يقومون بها او يشرفون عليها ، هذا فضلا عن أن "عصيون جابر " نقطة بداية اسطول سليمان التجارى محطة هامة فى طريق القوافل التجارية القادمة من جنوب شبه الجزيرة العربية الى وادى عربة ، وشرق الاردن ، حتى سورية وهو طريق ذو أهمية خاصة للملك سليمان [(٢)] .

---

(١) سورة النمل اية ٢٠-٤٤ ، وانظر : تفسير القرطبي ج١٣ ص ١٨٦-٢١٣ ، تفسير روح المعاني ج١٩ ص ١٨٢-٢١٠ ، تفسير ابى السعود ج٤ ص ١٢٧-١٣٤ ، تفسير الطبرى ج١٩ ص ١٤٣-١٧٠ ، تفسير ابن كثير : ج٣ ص ٣٦٠-٣٦٦، تفسير الطبرسى ج١٩ ص ٢٠٨-٢٣٠ ، فى ظلال القرآن ج١٩ ص ٢٦٣١-٢٦٤٣ ، تفسير الكشاف ج٣ ص ١٤٢-١٥١ ، تفسير البيضاوى ج٢ ص ١٧٢-١٧٨ ، تفسير الفخر الرازى ج٢٤ ص ١٨٨-٢٠٠ ، تفسير الدر المنثور ج٥ ص ١٠٤-١١٢ ، ابن كثير البداية والنهاية ج٢ ص ١٨-٢٤ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ١ ص ٢٣٤-٢٣٨، تاريخ الطبرى ج١ ص ٤٨٩-٤٩٥.

(٢) Eissfeldt, op.cit., p.593.

ومن المعروف ان كل نبي من الانبياء السابقين للبعثة المحمدية ، ومنهم سليمان عليه السلام ، انما أرسل الى قومه خاصة (١) وان سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وحده الذى ارسل الى الناس كافة بشيرا ونذيرا (٢) قال تعالى : " قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا " وهكذا اختتم الله برسالة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم رسالات الانبياء جميعا فاتم بذلك رحمته على العالمين وهداهم سواء السبيل " وما أرسلناك الا رحمة للعالمين " وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول فى الحديث الشريف الذى رواه مسلم فى صحيحه عن ابى هريرة : " فضلت على الانبياء بست : اعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لى الغنائم ، وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا ، وارسلت الى الخلق كافة وختم بى النبيون " وفى رواية فى الصحيحين " وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة " (٣) ، وطبقا لهذا فان سليمان ، كغيره من الانبياء ارسل الى قومه من بنى اسرائيل خاصة ، ومن ثم فربما كانت دعوته لهذه الملكة وقومها فى قوله تعالى " الا تعلوا على وأتونى مسلمين " على انها كانت فى مجاورات فلسطين فى شمال الجزيرة العربية وليس فى جنوبها فى اليمن حيث دولة سبأ المشهورة .

غير أن من المعروف أن العرب الشماليين انما كانوا يعبدون الاصنام بينما سادت عبادة الكواكب عند العرب الجنوبيين وخاصة عبادة ذلك الثالوث المكون من القمر والشمس والزهرة ، وقد عبدت الشمس بصفة خاصة فى ممالك سبأ

---

(١) انظر مثلا : سورة هود : اية ٢٥-٣٠ ، ٤٩-٥٢ ، ٦١-٦٤ ، ٧٠-٧٨ ، ٨٤-٩٧ .

(٢) انظر عن عالمية الدعوة المحمدية : سورة النساء اية ٧٩ ، ابراهيم : اية ١ ، ٥٢ ، الحج : اية ٤٩ ، الفرقان : اية ١ ، الاحزاب اية ٤٠ ، سبا : اية ٢٨ ، ص : اية ٨٧ ، وانظر كتب التفسير وكتب الحديث ، فتاوى الامام ابن تيمية ج٤ ص ٢٠٣-٢٠٨ ، ج١١ ص ١٦٩-١٧٠ ، ج١٩ ص ٩-١٢ ، ص ١٠١-١٠٣ (الرياض : ١٣٨٢ هـ) مناع القطان : الاسلام شريعة الله الخالدة الى البشر كافة — الرياض ١٩٧٤ ، العقاد : الاسلام دعوة عالمية — القاهرة ١٩٧٠ ، عطية صقر : الدين العالمى ومنهج الدعوة اليه — القاهرة ١٩٧٠م .

(٣) مختصر تفسير ابن كثير ج٣ ص ١٣١ .

وحضرموت وقتبان ، والقرآن الكريم صريح فى ان ملكة سبأ هذه وقومها انما كانوا يسجدون للشمس من دون الله . يقول الله تعالى: " وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله " ومن ثم فتلك عقبة كئود تقف دون قبولنا للراى القائل ان ملكة سبأ التى زارت سليمان عليه السلام انما كانت ملكة عربية شمالية وليست جنوبية وتعكس القضية تماما [1] . كما ان وصف الملكة بانها " اوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم يجعلها يقينا ملكة جنوبية وليست شمالية [2] .

ان الروايات العربية انما تذهب الى ان ملكة سبأ هذه انما كانت تسمى " بلقيس " أو كما يقول اهل الانساب " بلقمة أو " يلقمة " وأن احد الاسمين [3]، وربما كانت " يلقمة " فيما يرى احمد فخرى ، نتيجة خطأ فى النقل عن الاخر . وربما كان اسم الاله الوثنى "الموقاة " (بمعنى ايل قوى اى الله قوى) يدخل فى تركيبه ، واما اسم " بلقيس " والذى تكرر ذكره فى كتب المؤرخين المسلمين فلم يرد على الاطلاق بين الاسماء السبئية على الاقل حتى الان . وهناك احتمال بان الاسم منقول عن العبرية التى نقلته عن اليونانية ومعناه " أمة " أو " جارية " [4] .

والرأى عند حسن ظاظا ان اسم هذه الملكة لم يكن يقينا " بلقيس " وربما كانت هذه صفة تنطق فى العبرية وفى الاشورية " يلجش " او " فلجش " ومعناها العشيقة او الزوجة غير الشرعية والراجح ان ملكة سبأ وسمت بذلك من الشعب العبرى الذى لم يكن يستريح الى مثل هذه الصلات بين ملوكه والنساء الاجنبيات [5] .

---

(١) انظر : محمد بيومى مهران : الديانة العربية القديمة - الاسكندرية ١٩٧٨ ص ١٩ ، ٢٢-٢٤ ، ٣٥ - ٤٨.

(٢) انظر سورة النمل: اية ٢٣وكذا ٣٣ . لان هذا الوصف فى الايتين لايمكن ان ينطبق الا على ملكة سبا المشهورة وليس على مملكة صغيرة فى شمال الجزيرة العربية .

(٣) تاريخ الطبرى جا ص ٤٨٩-٤٩٥ ، ابن الاثير: الكامل جا ص ٢٣٠-٢٣٨ ، ابن كثير: البداية والنهاية ج٢ ص ٢٠-٢٤.

(٤) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٧٣ .

(٥) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ١٣٣.

وأيا كان اسم هذه الملكة العربية [1] التى زارت سليمان عليه السلام ، وأيا كان السبب فى تسميتها بهذا الاسم أو ذاك ، كما ورد فى المصادر العربية والعبرية واليونانية والحبشية ، فان اسفار العهد القديم تذهب الى ان ملكة سبأ انما كانت تهدف من وراء زيارتها هذه الى البحث عن حكمة سليمان وامتحانه وان الملكة العربية حين تاكدت من حكمته وعظمة ملكه سرعان ما قدست السه اسرائيل الذى جعل سليمان ملكا تجرى على يديه الحكمة وفصل الخطاب ، ثم دعت

(1) يذهب المؤرخ اليهودى يوسف بن متى (Flavius Josephos) (٣٧-٩٨م) الى ان ملكة سبأ هذه انما هى ملكة اثيوبية زاعما أن سبأ (Saba) هى عاصمة الاحباش وان اسم هذه الملكة هو " منكليس " (Mankalis) (EI., P. 720) واما الروايات الحبشية نفسها فتذهب الى ان منيلك " اول ملوك اثيوبيا فى القرن (١٠ق٠م) انما هو ابن بطلة الشمس " بلقيس " (اومكيدة او مقيدة) وبطل القمر سليمان الحكيم ومن ثم فقد حمل ملوك الحبشة من بين القابهم لقب "اسد يهوذا " او (الاسد الخارج من صلب يهوذا) حتى نهاية دولتهم فى ١٣٩٥/٣/٩ هـ (انظر الحيمى الحسن بن احمد : سيرة الحبشة - القاهرة ١٩٥٨م ٠ وكذا : Budge, E.A., A History of Ethiopia, I, London, 1928, p.193.

على ان الامر بهذه الصورة جد مضلل ، فمملكة اكسوم قامت فى القرن الاول ، وليس العاشر ق٠م٠ كما أن ملكة سبأ ملكة عربية ، تحكم دولة عربية فى جنوب الجزيرة العربية او حتى فى شمالها ومن ثم فلاشك ان تلك اسطورة نشات بعد هجرة اليهود الى الحبشة فيما بين القرنين السادس والاول قبل الميلاد حتى ان " ليتمان " قرا فى نقوش الملك الحبشى " عيزانا " عبارة " ملك صهيون " ورغم ان عيزانا قد اعتلى العرش عام ٣٢٥ م وكان قد اعتنق النصرانية ، فربما كانت هناك حركة تبشر باليهودية وربما بالنصرانية أو بمذهب يجمع بينهما (Kammerer, A., Essai Sur L'Histoire Antique d'Abyssinie, Paris, 1926, p.68.

وانني لا أميل الى أن ملكة سبا حبشية وليست عربية وهذا يرجع الى انتشار روايات التوراة المضطربة عن اصل السبئيين كما انها كانت متاثرة بالراى الذى ينادى بأن مملكة اكسوم نفسها أقامها العرب الجنوبيون (انظر محمد بيومى مهران - اسرائيل - الكتاب الثانى ص ٧٦٨-٧٧٠)٠

اله اسرائيل ان يثبت عرشه الى الابد ثم انتهى الامر بان تبادل الملكان الهدايا [1] .

وبدهى ان الامر لم يكن ابدا بهذه الصورة التى قدمتها اسفار العهد القديم او التى جنح اليها بعض الباحثين فى العصر الحديث من ان زيارة ملكة سبأ لسليمان عليه السلام انما كانت لتوثيق العلاقات التجارية بين الدولتين، كما ان زيارة ملكة سبأ لسليمان عليه السلام لم تكن امرا مستحيلا أو تصرفا غير مقبول كما يجنح الى ذلك بعض الباحثين [2] .

والحق كل الحق ، ان القصة كلها انما تتصل بدعوة النبى سليمان، عليه السلام ، كما جاءت فى القرآن الكريم ، واذا ماقرأنا الايات (٢٠-٣١ من سورة النمل) رأينا ان سليمان عليه السلام قد تفقد الطير يوما فلم يجد الهدهد ، فعد ذلك جريمة اقترفها لانه غادر بدون اذن منه ، وهدده بالذبح او التعذيب ، ان لم يات بعذر مقبول يبرر به سبب غيابه ، فلما جاء الهدهد اخبر سليمان انه كان فى سبأ وان هناك ملكة تحكم القوم وانها اوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم ، لكنها وقومها وثنيون يعبدون الشمس ويسجدون لها من دون الله ومن ثم فقد اراد النبى الكريم ان يختبر صدق الهدهد فى دعواه وفى نفس الوقت ان يدعو هؤلاء المنحرفين عن عبادة الله الوحد القهار ومن ثم فقد ارسل الهدهد بكتاب الى هذه الملكة يدعوها وقومها الى الاسلام والاستسلام .

وتجمع الملكة العربية الملأمن قومها وتعرض عليهم الامر " يا ايها الملأ انى القى الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلو على واتونى مسلمين "[3] ، ثم تطلب اليهم الرأى والمشورة فى هذه الأزمة " يا ايها الملأ افتونى ماكنت قاطعة امرا حتى تشهدون "[4] وسرعان مايأتيها

---

(١) ملوك أول ١ / ١-١٣ .

(٢) انظر : محمد عزة دروزة : تاريخ بنى اسرائيل من اسفارهم - بيروت ١٩٦٩ ص ١٦٢-١٦٣ . وكذا Albright, op.cit., p.124, Hastings, op.cit., p.843, Eissfedt, op.cit., p.593, Keller, op.cit., p.213-215 , Kenyon, K.M., PEFQ, 95, 1953, p.7f.

(٣) سورة النمل : آية ٣٠-٣١ .

(٤) سورة النمل: آية ٣٢ .

من المؤتمرين الجواب " نحن اولو قوة واولو بأس شديد والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين "(١) . وليس من شك فى أن هذه الآيات الكريمة انما تدل بوضوح على انها صاحبة السلطان الفعلى فى مملكتها بعكس ماذهب اليه بعض الباحثين (٢) ،كما تدل أيضا على أدب جم تحلت به الملكة العربية حيث يبدو ذلك واضحا فى وصفها لكتاب سليمان عليه السلام "يا ايها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم " كما ان طلبها الرأى والمشورة من اشراف قومها وزعمائهم يدل على انها لاتقرر برايها وحدها فى امور الدولة خاصة فى أمر يتعلق بمصالح الأمة وديانتها .

ثم تبدأ الملكة باللجوء الى اعمال الحيلة والتدبير فتضع النبى الكريم موضع الاختبار لتصل الى راى تطمئن اليه بشانه وهل هو من الهداة المرشدين أم من الطغاة الطامعين ومن ثم فانها تبعث برسل من عندها الى صاحب هذه الرسالة التى يطلب منها وكذا قومها " الا تعلوا على واتونى مسلمين " يحملون الهدايا الثمينة كما انها فى الوقت نفسه انما طلبت من رسلها أن يقفوا على قوة سليمان وملكه ثم يعودوا اليها بتقرير واف عن حقيقة امر سليمان ومدى مقدرته فى اكتشاف مكيدتها وهل يمكنه ان يهدد امنها وامن قومها ان لم تخضع لامره ، وذلك لتكون على بينة من امرها قال قتادة : ماكان اعقلها فى اسلامها وشركها ، علمت ان الهدية تقع موقعا من الناس . وقال ابن عباس : قالت لقومها ان قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه وان لم يقبلها فهو نبى فاتبعوه (٣) . وجاءت الرسل الى سليمان عليه السلام بالهدايا فرفضها واعلم رسل الملكة ان ما اتاه الله من الملك والنبوة والرسالة ، وماجعل له فيهما من ثواب عظيم ومقام كريم

---

(١) سورة النمل: آية ٣٣ .

(٢) Eissfeldt, op.cit., p.593.

وكذا Albright, op.cit., p.124.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير ٦٧١/٢ .

انما هو خير من هداياهم بل من كلما آتاهم الله ثم توعدهم بان يرسل اليهم وفي بلادهم نفسها جنود لاقبل لهم بها وليخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون . والى هذا يشير القران الكريم في قوله تعالى : " فلما جاء سليمان قال اتمدونني بمال فما آتن الله خيرا مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون . ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون"(1).

وهنا تتأكد الملكة العربية انها امام واحد من المصطفين الاخيار يطلب لها ولقومها الهداية الى سواء السبيل ، وليس رجلا غرته قوته ، فاراد ان يجعل من دولتها جزءا من مملكته فتقرر الذهاب بنفسها الي النبي الكريم.

ويستعد سليمان لاستقبال الملكة بأمر يخرج عن قدرة سليمان الملك ولكنه يتصل بمعجزات سليمان النبي الرسول ، امر يخرج عن قدرة البشر العاديين ويدخل في عداد معجزات تلك الصفوة المختارة من انبياء الله ورسله الكرام البررة والى هذا يشير القرآن الكريم في قول الله تعالى " قال يا ايها الملأ ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين . قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين . قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك . فلما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم"(2) .

هذا ويختلف علماء المسلمين في هذا الذي عنده علم من الكتاب والذي قال: " انا اتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك " فقيل هو من الملائكة وقيل رجل من بني آدم اسمه بلخيا وقيل الخضر عليه السلام وقال ابن عباس هو " اصف " كاتب سليمان عليه السلام وكذا روى عن يزيد بن رومان انه " آصف بن برخياء" وكان صديقا يعلم الاسم الاعظم الذي اذا دعي الله به أجاب واذا سئل به أعطى وذهب

---

(1) سورة النمل: اية ٣٦-٣٧.
(2) سورة النمل: اية ٣٩-٤٠.

ابن‌عطية وأبوحيان الى‌آن هذا القول الأخير هو قول الجمهور . وعده الشوكاني قول أكثر المفسرين (١). كما آن هناك من قال آنه جبريل (٢) .

على انه‌هناك من يذهب الى‌انه النبى‌الكريم نفسه ، سليمان عليه السلام (٣) ويذهب عويد المطرفى (٤) الى آن سليمان قال ذلك ليظهر معجزة‌من الله عز وجل تجرى على يديه ،توثيقا لايمان جموعه بنبوته ورسالته ويكون الخطاب كما قال ابن عطيه على‌هذا التاويل للعفريت لما قال : انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك " كان سليمان استبطأ ذلك فقال له على جهة تحقيره " انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك " ليبين للعفريت انه يتاتى له من سرعة الاتيان بالعرش مالايتهيا للعفريت (٥)، وقد ايد القرطبى ابن‌عطيه وقال ان النحاس قال بذلك فى‌معانى‌القران‌وهو قول حسن ان شاء‌الله .وان القائلين بانقوله " أنا آتيك به قبل آن يرتد اليك طرفك " من قول سليمان عليه السلام انما اشتدلوا على ذلك بماجاء فى هذه‌الاية نفسها من قوله فيها اظهارا لفضل الله تعالى عليه " هذا من فضل ربى "(٦) .

---

(١) مختصر تفسير ابن‌كثير ج٢ ص ٦٧٢ ، تفسير الطبرى ج١٩ ص ١٦٢ - ١٦٣ ، تفسير القرطبى ج ١٣ ص ٢٠٥-٢٠٦ ، تفسر الكشاف ج٣ ص ١٤٩ ، تفسير البحر المحيط ج٧ ص ٧٦ ، فتح القدير للشوكانى ج٤ ص ١٣٩.

(٢) ابن‌كثير : البداية والنهاية ج٢ ص ٢٣.

(٣) تفسر الكشاف ج٣ ص ١٤٩ ، تفسير القرطبى ج١٣ ص ٢٠٥ .

(٤) عويد المطرفى : المرجع السابق ص ٧٥-٧٦.

(٥) تفسير الفخر الرازى ج٢٤ ص١٩٧ ، تفسير القرطبى ج١٣ ص ٢٠٥ .

(٦) تفسير القرطبى ج١٣ ص ٢٠٥ (دار الكاتب العربى- القاهرة ١٩٦٧م).

هذا وقد ذهب الامام الفخر الرازى فى التفسير الكبير الى هذا الرأى نفسه وايده بأدلة :

أولا : ان لفظة " الذى " موضوعة فى اللغة للاشارة الى شخص معين عند محاولة تعريفه بقصة معلومة ، وأن الشخص المعروف بان عنده علم من الكتاب انما هو سليمان عليه السلام ، فوجب انصرافه اليه ، واقصى مافى الباب ان يقال : كان آصف كذلك ايضا ولكنا نقول ان سليمان عليه السلام ، كان اعرف بالكتابة منه لانه النبى ومن ثم فصرف هذا اللفظ الى سليمان أولى .

ثانيا : أن احضار العرش فى تلك الساعة درجة عالية ، فلو حصلت لاصف ، دون سليمان لاقتضى ذلك تفضيل آصف على سليمان وهذا غير جائز .

ثالثا : أن سليمان لو افتقر فى ذلك الى آصف ، لاقتضى ذلك قصور حال سليمان فى أعين الخلق .

رابعا : ان سليمان عليه السلام قال " هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر " وظاهرة يقتضى ان يكون ذلك المعجز قد اظهره الله تعالى بدعاء سليمان عليه السلام[(١)] .

وعلى أى حال فلقد تمت المعجزة ورأى سليمان النبى عرش ملكة سبأ مستقرا بين يديه ، فأمر ان ينكر لها معالم هذا العرش ليمتحن بها قوة ملاحظتها وانتباهها ، فلما جاءت فوجئت بسليمان يعرض عليها عرشها ، وقيل لها : أهكذا عرشك ؟ فاجابت : كانه هو . وهذا من فطنتها وعزارة فهمها لانها استبعدت ان يكون عرشها ، لانها خلفته وراءها بارض اليمن ولم تكن تعلم ان احدا يقدر على هذا الصنع العجيب ، ثم كانت فى انتظارها مفاجأة اخرى ذلك أن سليمان انما قد امر ان يقام لها صرح من قوارير (زجاج) تجرى تحته المياه حتى يحسبه من لا يعرف أمره أنه ماء .[(٢)]

---

(١) تفسير الفخر الرازى : جـ٢٤ ص١٩٧-١٩٨.

(٢) محمد على الصابونى : المرجع السابق ص ٢٩٣-٢٩٤.

وهكذا ما ان جاءت الملكة حتى وجدت امامها مفاجأتين ، الواحدة عرشها والاخرى ذلك الصرح الزجاجي الذى تجرى المياه من تحته . والى هذا يشير القرآن لكريم فى قوله تعالى : " فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو، وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين . وصدها ماكانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين . قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب انى ظلمت انفسى واسلمت مع سليمان لله رب العالمين"(١) .

وهكذا رأت الملكة العربية كل مايبعد عنها اية ريبة فى أنها أمام نبى الله الكريم ، سيدنا سليمان عليه السلام ، وليس كما كانت تظن بادىء ذى بدء أنها امام ملك يطمع فى دولتها او يبغى الاستيلاء عليها ثم يجعل من اعزة قومها أذلة ، فتصرفت سيدة سبأ تصرفا تفخر به المرأة العربية على طوال العصور تصرفا لم يقدر عليه من قبل ملك العراق مع الخليل عليه السلام ، او فرعون مصر مع الكليم ، كما لم يقدر عليه من بعد جبابرة قريش وطواغيت ثقيف وغيرهم من بعض رجالات العرب مع المصطفى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الاولين والاخرين او قل هى رحمة الله التى تداركت هذه السيدة الكريمة وارادت لها الهداية والرشاد ومن ثم فقد انتهت الامر كله كما راينا بقولها " رب انى ظلمت نفسى واسلمت مع سليمان لله رب العالمين".

هذه عجالة نلخص بها قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ كما جاء فى القرآن الكريم غير ان بعض المفسرين والمؤرخين عالجوا هذه القصة الواضحة بطريقة عجيبة فاضافوا اليها ماشاء لهم الخيال ان يضيفوا فذهب بعضهم الى أن بلقيس انما هى " بلقمة " ابنة " ليشرح بن الحارث بن صيفى بن يشجب

---

(١) سورة النمل : آية ٤٢-٤٤.

ابن يعرب بن قحطان "[١] وذهب آخرون الى أنها " بلقيس " (تلقمة او بلقمة) بنت السيرح وهو الهدهاد بن شرحبيل وانها حكمت اليمن مائة وعشرين سنة [٢]

ومن عجب ان بعض الاخباريين يذهب به الخيال الى أن أم بلقيس هذه انما كانت " جنية " بنت مالك الجن واسمها " رواحة " بنت السكر او بلقمة بنت عمر ابن عمير الجنى ، وذهب آخرون الى أن والد " بلقيس " كان من اكابر الملوك وكان يابى ان يتزوج من اهل اليمن فيقال انه تزوج بامرأة من الجن اسمها " ريحانة " بنت السكن فولدت له هذه المرأة واسمها تلقمة ويقال لها بلقيس[٣]، وأما كيف وصل ابو بلقيس الى الجن وخطب ابنة ملكهم فانهم انما يقدمون روايات من ذلك النوع من الاساطير والتى لا ادرى علم الله من اين اتى بها أصحابها؟ على أن أسوأ ما فى الامر وأشده خطورة ان يحاول بعض الرواة ان يعطوا لرواياتهم هذه سندا من شرعية او نصيبا من صواب ، فينسبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق أبى هريرة [٤] ، احاديث تؤكد مزاعمهم هذه[٥].

---

(١) تاريخ الطبرى ج١ ص ٤٨٩ ، ابن الاثير : الكامل ج١ ص ٢٣٠ ، الثعلبي قصص الانبياء المسمى عرائس المجالس ص ٢٧٨ (ط الحلبى) .

(٢) ابن الاثير : الكامل ج١ ص ٢٣١ ، تاريخ اليعقوبى ج١ ص ٥٨ (بيروت ١٩٦٠ م) الثعلبى : المرجع السابق ص ٢٩٠ .

(٣) تفسير القرطبى ص ٤٨٩٨-٤٨٢٧ ، (ط الشعب) ، الثعلبى : المرجع السابق ص ٢٧٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٢ ص ٢١ ، قصص الانبياء ج٢ ص ٢٩٠-٢٩١

(٤) من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم " كان احد ابوى بلقيس جنيا " وهو حديث غريب وفى سنده ضعف (ابن كثير : البداية والنهاية ج١ ص ٢١) .

(٥) ابن الاثير : الكامل ج١ ص ٢٣١-٢٣٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٢ ص ٢١ الثعلبى : المرجع السابق ص ٢٧٨ .

ثم لايقتصر الاخباريون على ذلك وانما يقدمون كل دنيء عن القوم [١] فالملك السبئي يعتدى على الاعراض ولاتفوته عروس الا ويفتضها قبل زوجها ، وبلقيس ، وهي ابنة عمه فيما يزعمون لاتنجو من هذا الاذلال ، الا أن تثور على قومها مؤنبة اياهم على قبولهم هذا الصغار ، وتلك الدناءة فتقول " اما فيكم من يانف لكريمته وكرائم عشيرته " ثم تعد له من وراء ستار رجلان يقتلانه في اللحظة التي يهم بها [٢] .

---

(١) من العجيب ان المصادر العربية تسرف كثيرا فى ذكر الجرائم الجنسية فى تاريخ العرب القديم رغم ان هذه الجرائم لاتتعارض مع المنطق والتاريخ فحسب ، ولكنها تتعارض كذلك مع العادات والتقاليد العربية التي يعترف بها الاعداء قبل الاصدقاء ، والمخالفون قبل الموافقين ، فضلا عن الحاقدين والمتشككين فى كل خلة عربية كريمة ومع ذلك فقد تكررت هذه الجرائم فى مراجع لها من القيمة مالها عند الناس ، بصورة او باخرى . وفى مواضع مختلفة من الجزيرة العربية تكررت فى طسم وجديس ، وتكررت نفسها بين العرب واليهود فى المدينة وتكررت فى اليمن مع بلقيس ومع عتودة مولى ابرهة الحبشى .
(انظر : تاريخ الطبرى جا ص ٦٢٩ –٦٣٢ ، جـ٢ ص ١٢٨–١٢٩ ، ابن الاثير : الكامل جا ص ٣٥٠–٣٥٤ ، ٢٣٢ – ٢٣٣ ، ٤٣٢–٤٣٣ ، ٦٥٦ – ٦٥٨ ، مروج الذهب جـ٢ ص ١١١–١١٩ ، تاريخ ابن خلدون جـ٢ ص ٢٤–٢٥ ، ٢٨٧ – ٢٨٩ المقدسى البدء والتاريخ جا ص ١٧٩–١٨٠ ، جـ٣ ص ٢٨–٢٩ ، ياقوت : جـ٢ ص ٢٤٢ ، جـ٥ ص ٨٤–٨٧ ، وفاء الوفا جا ص ١١٥ ، ١٢٦ – ١٢٩ ، الاغانى جـ ١٩ ص ٩٦–٩٧ ، عبد الفتاح شحاته : المرجع السابق ص ٢٨٦ – ٢٩٢ ، ثم انظر مناقشة هذه الاكاذيب (محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ص ١٦٩ – ١٧٣ ، ٣٧٦ – ٣٧٧ ، ٤٦١ – ٤٧٥) .

(٢) الديار بكرى : تاريخ الخميس . القاهرة ١٣٠٢ هـ ص ٢٧٦ ، ابن الاثير : المرجع السابق ص ٢٣٢ – ٢٣٣ .

ويبلغ الخيال بمؤرخينا أشده حين يزعمون أن " بقليس " انما كانت عريفة الملك اذ كان لها اثنا عشر الف قيل تحت يد كل قيل مائة الف مقاتل مع كل مقاتل سبعون الف جيش في كل جيش سبعون الف مبارز، ليس فيهم الا ابناء خمس وعشرون سنة . وقد صدق " ابن الاثير " حيث يقول " وما اظن الساعة راوي هذا الكذب الفاحش عرف الحساب حتى يعرف مقدار جهله ، ولو عرف العدد المذكور لاقصر عن اقدامه على هذا القول السخيف ، فان اهل الارض لايبلغون جميعهم شبابهم وشيوخهم وصبيانهم ونساؤهم هذا العدد (١) .

ومن عجب فان الاخباريين انما يجعلون امر بلقيس كله بيد سليمان عليه السلام حتى في الامور الشخصية فهي حين ترفض الزواج من احد رعاياها بزوجها سليمان من " ذي تبع " ملك همدان بحجة ان ذلك لايكون في الاسلام وكان الملوك فيما قبل عصر سليمان وكذا بعده ماكانوا يتزوجون من غير اندادلهم وكان التاريخ لايعرف زواجا بين الامراء وغير الامراء ، ومع ذلك فان سليمان لم يزوجها بواحد من رعاياها او حتى من عظماء قومها وانما زوجها من ملك همدان الذي لايعرف التاريخ عنه شيئا . وليت الذين كتبوا ذلك كله كانوا يعرفون ان قبيلة همدان لم تصبح لها المكانة الاولى بين قبائل اليمن ولم يحمل شيوخها لقب " ملك " متحدين بذلك سلطة ملوك سبأ الشرعيين (٢) ، الامنذ ايام " نصر يهامن" (نصر يهنعم) وشقيقه " صدق يهب " حوالي عام ٢٠٠ ق.م (٣) وان بلقيس وقد عاصرت الملك سليمان (٩٦٠-٩٢٢ ق.م) انما كانت تعيش في القرن العاشر قبل الميلاد ، اي قبل ظهور ملوك همدان بما يقرب من سبعة قرون ونصف القرن . وعلى اي حال

---

(١) نفس المرجع السابق جا ص ٢٣٣-٢٣٤.

(٢) Jamme, A., Sabaean Inscriptions from Mahram Bilquis, p. 278.

(٣) Philby , op.cit., p.142.

فانهناك رواية اخبارية تذهب الى أن الزواج الذى ارتضته بلقيس انما كان من سليمان نفسه . ثم اضافت رواية اخرى ان سليمان انما جعل الجن تحت امرتها وعلى رأسهم " زوبعة " امير جن اليمن[1] .

...

(٧) الياس عليه السلام :

ذكر الياس عليه السلام فى القران الكريم ثلاث مرات فى اية من سورة الانعام وفى ايتين من الصافات[2] اولاهما ذكر فيه لفظ " الياس " والثانية ذكر فيها لفظ " الياسين " قال تعالى " سلام على الياسين " قال ابن كثير: اى الياس . والعرب تلحق النون فى اسماء كثيرة وتبدلها من غيرها كما تقول اسماعيل و اسماعين . واسرائيل واسرائين والياس والياسين وهى لغة بنى آسد[3] .

يمكن القول - ولكن بحذر شديد - ان الياس النبى عليه السلام الذى جاء ذكره فى القرآن هو " ايليا " الذى ذكره العهد القديم ، معتمدين فى ذلك على قصة هذا النبى الكريم كما جاءت فى التوراة ، فقصته فى التوراة تشير الى عبادة " بعل " فى اسرائيل على ايام الملك اخاب (٨٦٩ - ٨٥٠ ق.م.) وزوجته

---

(١) تاريخ الطبرى جا ص ٤٩٤-٤٩٥ ، (القاهرة ١٩٦٧) ابن الاثير : الكامل جا ص ٢٣٧ ، الثعلبى : المرجع السابق ص ٢٦٩-٢٧٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٢ ص ٢٤ ، ابن دريد : الاشتقاق ج٢ ص ٣١١ (القاهرة ١٩٥٨) ، تفسير القرطبى ص ٤٩٢٦ (دار الشعب - القاهرة ١٩٧٠م) .

(٢) سورة الانعام : اية ٨٥ ، الصافات: اية ١٢٣-١٣٢ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج١ ص ٣٣٩ ، مختصر تفسير ابن كثير ج٣ ص ١٩٠ .

الصورية [1] ، ثم معارضة ايليا العنيفة لهذه الوثنية الصورية ودعوته الى عبادة الله (يهود) رب اسرائيل [2] . فحين ذكر القران الكريم الياس عليه السلام في سورتين الواحدة في سورة الانعام حيث يقول سبحانه وتعالى (وزكريا ويحيي وعيسى والياس كل من الصالحين) [3] والثانية سورة الصافات حيث يقول سبحانه وتعالى " وان الياس لمن المرسلين . اذ قال لقومه الا تتقون. اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين . الله ربكم ورب آبائكم الاولين .فكذبوه فانهم لمحضرون . الا عباد الله المخلصين . وتركنا عليه في الاخرين . سلام على ال ياسين انا كذلك نجزي المحسنين . انه من عبادنا المؤمنين " [4] .

---

(١) كان اخاب ملك اسرائيل قد تزوج من "ايزابيل" ابنة "ايثبعل" ملك صور والتي كانت ذا شخصية قوية ومن ثم فقد سيطرت على زوجها تماما وقد اثار هذا الزواج معارضة شديدة في اسرائيل تزعمها "ايليا" ذلك لان ايزابيل لم تات لاسرائيل بافكار الحكم المطلق الغريبة عن العبرانيين وتصورهم عن الملكية فحسب وانما حاولت احلال الهة الفينقيين محل عبادة الله في اسرائيل ثم اخذت تمارس عبادتها الصورية في معبد انشىء خاصة لهذا الغرض في السامرة (ملوك اول ١٦ / ٣٠-٣٤ ، ج. كونتنو: الحضارة الفينيقية ص ٧٤) هذا وليس صحيحا ماذهبت اليه بعض المراجع العربية من ان هذه الملكة الصورية ايزابيل (اربيل كما يدعونها) ابنة ملك سبأ وانها قد تزوجت بعد اخاب (لاجب او اجب كما يدعونه) سبعة من ملوك اسرائيل وقتلتهم بالاغتيال وأنها ولدت سبعين ولدا وكانت معمرة وانها هي التي قتلت يحيي بن زكريا عليهما السلام (الماوردى: اعلام النبوة ص ٥٢ ، الثعلبي : قصص الانبياء ص ٢٢٤) في حين ذكر العهد القديم قتلها مع اخاب في السامره . ولست ادرى من ابن جاءوا بكل هذا ، ثم ان الفرق بين عهدها وعهد يحي عليه السلام انما يقرب من ثمانية قرون ونصف القرن كما ان من تسببت في قتل يحيى عليه السلام هي " هيروديا " وابنتها سالومى كما سنفصل ذلك في حينه .
(انظر محمد بيومى مهران : اسرائيل - الكتاب الثاني ص ٩١٠-٩١١-٩١٦) .

(٢) ملوك أول ١٦ / ٢٩-٣٣ .

(٣) سورة الأنعام اية ٨٥ ، وانظر تفسير المنار جـ٧ ص ٤٨٧-٤٩٠ ،تفسير الطبرى جـ١١ ص ٥٠٨-٥١٠ .

(٤) سورة الصافات: اية ١٢٣-١٣٢ وانظر تفسير البيضاوى جـ٢ ص ٢٩٩ ، تفسير روح المعانى ٢٣ص ١٣٨-١٤٢ وتفسير ابن كثير جـ٧ ص ٣١-٣٢ ، تفسير القرطبي ص ٥٥٥١-٥٥٥٤ ، تفسير الطبرى جـ٢٣ ص ٩١-٩٦ ، تفسير القاسمى جـ١٤ ص ٥٠٥٩ - ٥٠٦١ ، تفسير الفخر الرازى جـ٢٦ص ١٨٠-١٨١ ، تفسر مجمع البيان جـ٢٣ ص ٨٠-٨٢ .

وأما متى كان عصر الياس عليه السلام فالثابت من نصوص التوراة انما أرسل الى بنى اسرائيل على ايام الملك " اخاب " ، وكان حكمه فى الفترة (٨٦٩ - ٨٥٠ ق.م.) اى أن الياس عليه السلام انما كان يعيش فى القرن التاسع قبل الميلاد واذا اردنا تحديدا ادق فقد كان عليه السلام فى النصف الاول من هذا القرن التاسع ق.م.

بقيت الاشارة الى " بعل " هذا الوثن الذى أدخلت عبادته الى اسرائيل الملكة ايزابيل زوج اخاب وجعلته يحل محل عبادة التوحيد هناك . وقد اتفقت التوراة والقران العظيم على ان الياس (ايليا) النبى هو الذى تولى معارضة هذه العبادة الوطنية ودعا الى عبادة الله الواحد القهار.

...

(٨) اليسع عليه السلام :

أوجز القرآن الكريم عن حياته عليه السلام فلم يذكر عنها شيئا واكتفى بذكره بين مجموعة الانبياء الكرام البررة وذلك في سورة الانعام و ص حيث يقول سبحانه وتعالى :" واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين " ويقول تعالى " واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار "(1) .

ويذهب بعض المفسرين الى آن "اليسع " معرب من الاسم العبراني "يوشع" (الرب نجّى) فهو اسم أعجمي دخلت عليه لام التعريف على خلاف القياس . بينما ذهب آخرون الى انه اسم عربي منقول من " يسع " مضارع " وسع " وانه من ولد اسماعيل عليه السلام .ويذهب صاحب تفسير المنار الى انه تعريب "اليشع " وهو احد انبياء بني اسرائيل وكان خليفة " الياس " (ايليا) ومن المعهود في نقل الاسم العبري الى العربي ابدال الشين المعجمة بالمهملة (٢)، وقد جاءت قصته في سفر الملوك الثاني (٦-٩) من العهد القديم عاش على ايام ملك اسرائيل " يهورام " (٨٤٩ - ٨٤٢ ق.م) آخر ملوك أسرة عمري . وقد تولى الدعوة الى الله بعد " اليـاس " لما سار على نهجه وشريعته (٣) .

...

---

(١) سورة الانعام : اية ٨٦ ، سورة ص : اية ٤٨. وانظر تفسير الطبري: ج١١ ص٥١٠-٥١٢ ، ج٢٣ ص ١٧٢. تفسير الفخر الرازى ج١٣ ص ٦٤-٦٥ ، ج ٢٦ ص ٢١٦.

(٢) تفسير المنار: ج٧ ص ٤٩٠-٤٩١ (القاهرة ١٩٧٤) تفسير القرطبي : ص٢٤٦٨-٢٤٦٩ ، (دار الشعب - القاهرة ١٩٧٠م).

(٣) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٩١٥-٩١٧.

(٩) زكريا ويحيى عليهما السلام :

جاء ذكرهما فى القرآن الكريم فى سورة آل عمران (٣٧-٤١) وسورة الانعام (٨٥) وسورة مريم (٢-١٥) وسورة الانبياء (٨٩-٩٠) . وكان زكريا عليه السلام قد كفل مريم أم المسيح عليه السلام بعد وفاة ابيها عمران فقد كان زوجا لخالتها او اختها فى بعض الاراء واتخذ لها محرابا وهو المكان الشريف فى المسجد ، لايدخله عليها احد سواه . وقد شاء الله ان يطلعه على كرامة مريم وجليل قدرها ، فكان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا . هذا وقد نص القران الكريم طرفا من هذا فى قوله تعالى : " فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا .. وكفلها زكريا .. كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا . قال يامريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب "(١) . وكان زكريا قد بلغ من الكبر عتيا وكانت امراته عاقرا لاتلد فلما رأى من كرامات الله تعالى لمريم ، طمع فى فضل الله ورحمته فطلب من ربه ان يرزقه غلاما تقيا يرثه فى النبوة والهداية لبنى اسرائيل ويجعله من عباده الصالحين . " قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الراس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا . وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امراتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من ال يعقوب واجعله رب رضيا "(٢) .

وما فارق زكريا المحراب حتى تقبل الله دعاءه ونادته الملائكة مبشرة له بان الله قد وهبه يحي مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين وعجب زكريا من ان يكون له غلام على كبر منه ، وعقم زوجه ، فقيل له كذلك يفعل الله مايشاء . وطلب آية تدل على حمل امرأته فقيل له آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا . والى هذا يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى:

---

(١) سورة آل عمران : آية ٣٩ .

(٢) سورة مريم : آية ٤-٦ .

" قال رب انى يكون لىغلام وكانت امراتى عاقرا وقد بلغتمنالكبر عتيـــا قال كذلك قال ربك هو علىهين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا . قال رب اجعل لى آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا "(١)

وولد يحيى عليه السلام فشب على الطهر و الاستقامةوكان آية فىورعه وزهده وطاعته لربه ، وبره بوالديه واتاه الله العلم والحكمةومن عليه بالرسالة وقد روىانه لم يهم بمعصية قط ، وان الاولاد كانوا ينادونهوهو صغير ليلعبمعهمفيقول لهم : ما للعب خلقنا ، ويحيى عليه السلام هو الذى يسميه النصارى " يوحنا المعمدان " وكان يحيى هو الاية الثانية لبنىاسرائيل وكانتالاولى ولادةمريم وكانت امها حمنة عقيما لاتلد . واما الثالثة فكانت ولادة عيسىعليه السلام من غير آب (٢) .

وقد آثنىالله تعالىعلىيحيى عليه السلامبالثناء العاطر ووصفه بالبر والتقوى والصلاح و الاستقامة فقالتعالى " وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكنجبارا عصيا "(٣) وأعطاه الله وهو ابن ثلاث سنينالنبوة . قالتعالى : " وآتيناه الحكم صبيا "(٤) وان رأىالبعض ان الحكمهنا ليست النبوة فهىعلى سن الاربعين وانما الفهم والفقه فىالدين كما غىره بذلكابن عباس (٥) ، كما جعله الله سيدا وحصورا (٦) ونبيامن الصالحين .

---

(١) سورةمريم اية ٨-١٠ .

(٢) محمدخليلهراس : المرجع السابق ص ١٨٣.

(٣) سورةمريم : اية ١٣-١٤.

(٤) سورةمريم : اية ١٢.

(٥) تفسير الكشاف ج ٢ ص٥٠٤.

(٦) اختلفالعلماء فى معنى "حصورا " فروى عنابنمسعود وابن عباس ومجاهد انه الذي لاياتىالنساء وعن ابىالعالية والربيع بن انس انه الذى لايولد له ولاماء له وعن عبدالله بنعمرو بنالعاصانه كان يقول ليس احد من خلق الله لايلقاه بذنب غير يحيى بن زكرياعليهماالسلام وقال القاضىعياض فىالشفاء : ليس كما قالبعضهم انه كان هيوبا او لاذكر له فهذه نقيصة وعيب لايليق بالانبياء عليهم السلام وانما معناه أنه معصوممنالذنوب (=)

وأما سبب قتل سيدنا يحيى عليه السلام فطبقا لرواية أناجيل النصارى أن هيردوس (٦-٣٩م) حاكم اليهودية من قبل الرومان اراد ان يتزوج من " هيروديا " امراة اخيه "فيلبس" الا ان يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) افتي بغير ذلك ومن ثم فقد قرر هيرودوس التخلص منه . غير انه خشى غضب القوم الذين كانوا يعتقدون فى نبوة يحيى عليه السلام ومن ثم فقد اكتفى بالقائه في غياهب السجون . وتنتهز " هيروديا " فرصة الاحتفال بعيد ميلاد هيرودوس فتتفق مع ابنتها " سالومى " على ان ترقص شبه عارية لعمها الملك حين تنتهى من رقصتها ويفتن الملك بها تطلب منه ان يعطيها راس يوحنا (يحيى عليه السلام) فى طبق وتفعل سالومى ما أرادت امها ، وهنا يضطر هيردوس الى تنفيذ رغبة ابنة اخيه بناء على وعد منه ان يعطيها ماتريد ايا كان الذى تريد وان كان نصف ملكه ومن ثم يأمر بقتل يحيى فورا بالسيف وأن يؤتى براسه على طبق ليكون هذا ختام الاحتفال ثم قدمت الراس الشريفة الى الداعرة التى قدمته الى امها بدورها (١) .

(=) اى لا ياتيها كانه حصور عنها . وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة فى النساء . وقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل فى كونها موجودة ثم يمنعها اما بمجاهدة كعيسى او بكفاية من الله عز وجل كيحيى عليه السلام ثم هى فى حق من قدر عليها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا وهى درجة نبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة وذلك بتحصينهن وقيامه عليهن واكسابه لهن وهدايته اياهن والمقصود انه مدح ليحيى بانه حصور ومعصوم من الفواحش ولايمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهن وايلادهن (مختصر تفسير ابن كثير جا ص ٢٨٠-٢٨١) .

(١) انجيل متى ١٤/ ٣-١١ ، انجيل مرقس ٦/ ١٦-٢٨ ، تاريخ يوسفيوس ص ٢١٤ ، قاموس الكتاب المقدس ج٢ ص ١٠١١ ، فيليب متى : المرجع السابق ص ٤٢٠-٤٢٢ ، عبد الرازق نوفل : يوحنا المعمدان : القاهرة ١٩٧٧ ص ٨١-٨٦

وكذا : Unger, op.cit., p. 472.

ثم قارن : ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جا ص ٣٠١-٣٠٢ ، تاريخ الطبرى جا ص ٥٨٥-٥٩٣ ، تاريخ ابن خلدون ج٢ ص ١٤٤ . غير ان المراجع العربية (=)

والامر بهذه الصورة يحتاج - فيما نرى - الى وقفة للاسباب التالية :

(أولا) : ليس هناك من ريب فى ان سيدنا يحيى عليه السلام وهو ما يطلق عليه النصارى " يوحنا المعمدان " نبى من انبياء الله المصطفين الاخيار كما جاء ذلك فى القرآن الكريم ، وليس كما تقول اناجيلهم " انه كان عندهم مثل نبي " .

(ثانيا) : لماذا يمنع يوحنا هذا الزواج ، ومبلغ علمى ان التوراة ، التى كان على شريعتها هيرودوس وهيروديا لاتمنع ذلك بل تفرضه على المؤمنين بها ، بل انما تفرض كذلك ان ينسب الابناء من هذا الزواج الجديد الى الاخ المتوفى(١) ، فاذا كان ذلك صحيحا فان التفسير الانف الذكر للحدث الخطير المحزن انما هو تفسير اناجيل النصارى وما كان هيرودوس نصرانيا انما كان ملكا يهوديا ادوميا على دولة يهودية . فالتاريخ حتى تلك اللحظة ما كان يتعامل مع ملوك او حتى شعوب نصرانية كما ان يحيى عليه السلام لم يكن نصرانيا حتى يفتى بشريعة النصارى . بل ان المسيح عيسى بن مريم لم يكن حتى ذلك الوقت قد بعث نبيا رسولا ومن ثم فلا بد ان يكون هناك سبب آخر يمنع هذا الزواج . وهنا نجد رواية تذهب الى ان هير دوس انما كان قد القى باخيه فيلبس زوج هيروديا فى غياهب السجون ثم امر به فقتل ثم اراد ان يتزوج من امرأته . ولعل هذا هو السبب فى ثورة النبى الكريم على هذا الزواج ومعارضته بشدة (٢) .

(=) (الطبرى - ابن الاثير) مضطربة فى تاريخها لهذه الفترة حتى انها تذهب الى آن الله سبحانه وتعالى قد سلط على اليهود " بختنصر " (نبوخذ نصر ٦٠٥-٥٦٢ ق.م) جزاء وفاقا لما ارتكبوه فى حق النبى الكريم سيدنا يحيى عليه السلام وانه قتل منهم سبعين الف رجل وامرأة مع العلم بان " نبوخذ نصر " انما كان يعيش فى اخريات القرن السابع وحتى عام ٦٢ من القرن السادس قبل الميلاد وان سيدنا يحيى عليه السلام كان يعيش بعد ذلك بحوالى ستة قرون حيث عاصر المسيح عليه السلام .

(١) سفر التكوين ٣٨ / ٦-١١ .

(٢) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ١٤٧-١١٤٩ .

على أن المراجع العربية انما تقدم روايات تختلف عن الروايات السابقة فتذهب فى أسباب قتليحيى عليه السلام الىأن ملك دمشقوقتذاك اراد ان يتزوج ببعضمحارمه او من لايحل له تزويجها فنهاهيحي عليهالسلام عن ذلك فبقى فى نفسها منه فلما كان بينها وبينالملك مايحب منها استوهبته دميحيى فوهبه لها فبعث اليه من قتله وجاء براسه ودمه فى طست الىعندها فيقال انها هلكت من فورها وساعتها ،وقيل بل احبته امرأة ذلك الملك وراسلته فابىعليها فلمايئست منه احتالت فى أن استوهبته من الملك فتمنععليها الملك ثم أجابها الى ذلك فبعث من قتله وأحضر اليها رأسه ودمه فى طست ٠

واما مكان قتله فذهب فريق الىانهقتل علىالصخرة التى ببيت المقدس وذهب فريق آخر الى أنه قتل فى دمشق ٠ وتذهب رواية لابنعساكر عن قاسممولى معاوية الىانهداد بن هداد ملك دمشق كان قد زوجابنه بابنة اخيه اريل ملكة صيدا فحلف بطلاقها ثلاثا ثم اراد مراجعتها فاستفتى يحيى بن زكريا فقال له لاتحل لك حتى تنكح زوجا غيرك ،فحقدتعليه وسالت الملك راس يحيى باشارةمن امها فابىعليها ثمأجابها الى ذلك وبعث اليهوهو قائم يصلى بمسجد حبرون من اتاه براسه فى صينية فجعلالراس يقول : لاتحل له لاتحل له حتى تنكح زوجا غيره فاخذتالمراة الطبق فحملته الىامها وهو يقول كذلك فلما تمثلت بين يدىامها خسفت بها الارض الى قدميها ثم الى حقويها ثم الى منكبيها فامرت امها بقطع راسها لتتسلى براسها فلفظت الارض جثتها ولم تزل الراس (راس يحي) فى دمشق حتى قدم " بخت نصر " (نبو خذ نصر) فقتل عليه خمسة وسبعينالفا ثم مازال الدم يفور حتى وقف عنده ارميا ٠ فسكن باذن اللهوهرب من هرب من اهل دمشق الى بيت المقدس فتبعهم (نبوخذ نصر) اليها فقتل خلقا كثير لايحصون كثرةوسبا منهم ثم رجع عنهم [(١)] "

---

(١) ابنكثير : البدايةوالنهاية جـ٢ ص٥٣-٥٥ ، قصصالانبياء جـ٢ ص ٣٦٢-٣٦٦٠

وهذه الروايات وان كان فيها بعض الشبه من الرواية التى ذكرناها ففيها كذلك بعض نقاط ضعف :

١ — : ان يحيي عليه السلام انما بعث نبيا الى بنى اسرائيل ، وبنو اسرائيل لم يكونوا ابدا فى دمشق وانما كانوا فى فلسطين • وبالتالى فان الحادث كان فى بيت المقدس وليس فى دمشق •

٢ — ان دمشق كانت على ايام يحيى عليه السلام • ومنذ عام ٦٤ ق•م• ، مستعمرة رومانية وبالتالى فلم يكن بها ملك وانما كان لها وال رومانى •

٣ — : ان هدد (بنحدد) انما كان ملك الاراميين فى دمشق ، وقد اشترك فى موقعة قرقار عام ٨٥٣ ق•م• ضد العاهل الاشورى شلمنصر الثالث (٨٥٩ — ٨٢٤ ق •م• والى جانب اخاب ملك اسرائيل وغيره من حكام ولايات سورية وفلسطين ، وبالتالى فعهده بعيد عن عهد يحيى الذى عاصر المسيح عليهما السلام •

٤ — انه لم يكن ابدا حاكم دمشق ابا كان اسمه اخا لملك صيدا ، فالاولى ولاية ارامية ، والثانية فينيقية •

٥ — ما اشرنا اليه من قبل من أن عهد يحي عليه السلام انما اتى بعد عهد " بختنصر" (نبوخذ نصر ٧٠٥-٥٦٢ ق •م)) بحوالى ستة قرون ومن ثم فلا علاقة بين الحادثين •

٦ — : ان فتوى يحيى عليه السلام بشان المراة التى طلقها زوجها ثلاثا وانها لاتحل له حتى تنكح زوجا غيره انما هى فتوى اسلامية على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم • وليس الامر كذلك فى شريعة موسى ، كما جاءت فى التوراة (المتداولة اليوم وليس لدينا غيرها عن شريعة موسى ، الا بنص من الكتاب والسنة) والتى كان يحي على شريعتها •

المسيح عليه السلام :

السيد المسيح عيسى بن مريم ، اسمه عيسى ، ولقبه المسيح ، ويكنى ابن مريم ، نسبه الى أمه مريم بنت عمران ، وأما سبب تقديم اللقب على الاسم ، فذلك فيما يرى الفخر الرازى ، لان المسيح كاللقب الذى يفيد كونه شريفا رفيع الدرجة مثل الصديق والفاروق ، فذكره الله تعالى اولا بلقبه ليفيد علو درجته ، ثم ذكره باسمه الخاص ، وأما نسبه لامه ، فلان الانبياء انما ينسبون الى الاباء لا الى الامهات ، فلما نسبه الله تعالى الى الام ، دون الاب ، كان ذلك اعلاما لها بانه محدث بغير الاب ، فكان ذلك سببا لزيادة فضله وعلو درجته (١) .

وكلمة المسيح عند أهل الكتاب تعنى المخلص المنتظر الذى يتم على يديه خلاص الشعب المختار ، ومن ثم فقد اطلق على اتباع المسيح لفظ " المسيحيين " تمييزا لهم عن اليهود (٢) ، وربما تعنى كلمة المسيح الممسوح بزيت البركة ، كما كان اليهود يفعلون عند تنصيب ملك جديد (٣) ، واما كلمة " يسوع " التى استعملت فى الاناجيل فهى الصيغة الهلينية لكلمة " يشوع " وهو بالعبرية تعنى " يهوه هو الخلاص " (٤) ، على أنه من الجدير بالملاحظة ان هذه اللفظة اليونانية لم تستعمل فى القرآن الكريم وكذا المؤلفات العربية القديمة ، فضلا عن الشعر الجاهلى ، فالكلمة على ما يبدو من الكلمات المتأخرة (٥) ، وان ذهب بعض علماء المسلمين

---

(١) تفسير الفخر الرازى ، ج ٨ – ص ٥٠ .
(٢) جواد علي : المرجع السابق ج ٦ ص ٥٨٥ .
(٣) صموئيل اول ١٠:١ .
(٤) فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٣٦٢ .
(٥) Hughes, Dictionary of Islam, p.431.

الى آن عيسى معرب يشوع ومعناه " السيد "(1) .

وأما كلمة المسيح عند المسلمين فهي لقب من الالقاب المشرفة كالصديق ، والفاروق ، واصله مشيحا بالعبرية ومعناه المبارك ، وقيل بمعنى مسحة الله فطهره من الذنوب ، وقيل لانه مسح بالبركة ، وعن ابراهيم النخعي بمعنى الصديق ؛ وعن ابى عمرو بن العلاء بمعنى الملك ، وعن كثير من السلف ان المسيح مشتق من المسح ، واختلفوا في وجه اطلاقه على عيسى عليه السلام ، فقيل لانه مسح بالبركة واليمن ، وقد روى ذلك عن الحسن البصري وسعيد بن جبير ، وعن ابن عباس لانه كان لايمسح ذا عاهة بيده الا برئ ، وعن الكلبي لانه كان يمسح عين الاكمه فيبصر ، وعن الجبائي ،لانه كان يمسح بدهن زيت بورك فيه ، وكانت الانبياء تتمسح به ولايمسح به غيرهم ، وان هذا الدهن يجوز أن يكون الله تعالى جعله علامة حتى تعرف الملائكة ان كل من مسح به وقت الولادة فانه يكون نبيا ، وقيل لان جبريل مسحه بجناحيه وقت الولادة ليكون عوذه من الشيطان الرجيم ، وقيل لانه خين مسح الله تعالى ظهر ادم عليه السلام فاستخرج منه ذرات ذريته لم يرده (أى المسيح) الى مقامه كما فعل بباقى الذرات بل حفظه عنده حتى القاه الى مريم فكان قد بقى عليه اسم المسيح ، اى الممسوح ، وقيل لانه كان مسيح القدمين لا اخمص لهما ، وقيل لكثرة سياحته ، فقد كان يمسح الارض بالسياحة لايستوطن مكانا او لانه كان يمسح راس اليتامى لله تعالي ، او لانه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن (2) .

وأما اتباع المسيح فيسمون " النصارى " والنصارى جمع واحدهم نصراني باسقاط الياء فيما يرى " سيبويه ، والانثى نصرانة وهي

---

(1) تفسير روح المعاني ج ٣ ص ١٦١ .

(2) تفسير الطبرى ج ٣ ص ٢٧٠ ، تفسير ابن كثير ج١ ص ٥٤٥ ، تفسير روح المعاني ج ٣ ص ١٦١ ، تفسير الكشاف ج١ ص ٢٧٨ ، صفوة التفاسير ج١ ص ٢٠١ ، لسان العرب ج٢ ص ٥٩٤ ، تفسير النسفي ج ١ - ص ١٥٨ ، تفسر الفخر الرازى ج٨ ص ٤٩-٥٠ .

نكرة يعرف بالالف واللام ، وذهب الخليل الى ان واحد النصارى " نصرى " ، هذا وقد سمع في جمعهم انصار ، والكلمة ليست عربية اصيلة ، وانما معربة عن السريانية من كلمة "نصريو او نصرايا على راى [1]، ومن التسمية العبرية "الناصريين " او "النذيريين " حيث اطلقتها اليهود على اتباع السيد المسيح ، على راى آخر [2] وهما لفظين مختلفين لمعنيين مختلفين على ان البعض انما يرى ان للكلمة صلة بالناصرة ، بلد المسيح عليه السلام ، فعن ابن عباس : انما سميت النصارى نصارى لان قرية عيسى بن مريم كانت تسمى " الناصرة " وكان اصحابها يسمون " الناصريين " وكان يقال لعيسى "الناصرى " او نسبة الى الناصريين احدى الفرق اليهودية القديمة المتنصرة ، او انهم سموا النصارى لتناصرهم فيما بينهم ، وقد يقال لهم انصار ايضا ، كما قال عيسى عليه السلام : " من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله "[3] ، وقد بقى اليهود يطلقون كلمة النصارى على من اتبع دين المسيح ، وبهذا المعنى وردت الكلمة فى القرآن الكريم ومن ثم فقد اصبحت النصرانية علما على ديانة المسيح عند المسلمين [4] .

وأما النصارى أنفسهم فقد كان القدامى منهم ينظرون الى السيد المسيح نظرتهم الى المعلم ، ومن ثم فقد كانوا يسمون انفسهم " التلاميذ " و"تلاميذ المسيح " [5]، والامر كذلك بالنسبة الى نظرتهم الى "الحواريين " (وهى لفظة

---

(١) لسان العرب ج٧ ص ٦٨ ، تفسير القرطبى ص ٣٦٩ ، تفسير ابن كثير ج١ ص ١٥٦ ، تفسير البحر المحيط ج١ ص ٢٣٨ ، معانى القران للفراء ٤٤/١ ، امالى ابن الشجرى ٧٩/١ ، ٣٧١ ، غرائب اللغة ص٢٠٧
وكذا : EI, III, p. 848.

(٢) اعمال الرسل ج٢٤ ص ٥ وكذا : Hastings, E.R.E., 3, p. 574.

(٣) تفسير الطبرى ج١ ص ٣١٨ ، تفسير ابن كثير ج١ ص ١٥٦.

(٤) سورة البقرة : اية ٦٢ ، المائدة : اية ١٨ ، ٥١ ، ٦٩ ، ٨٢ ، التوبة : اية ٣٠ ، الحج : اية ١٧ ، وانظر : محمد بيومى مهران / الديانة العربية القديمة ، الاسكندرية ١٩٧٨ ، ص ٥٩-٧٠ ، ١٠٣-١٠٧.

(٥) Hastings, Dictionary, 1963, p. 192.

ارامية على راى ، وعربية على راى اخر ، وحبشية على راى ثالث) [١]، كما دعوا انفسهم " الاخوة " و " الاخوة فى الله " على اساس ان العقيدة الدينية قد آخت بينهم [٢]، ثم سرعان ما اصبحت الكلمة مقصورة على رجال الدين الذين دعوا انفسهم " القديسين " و " الاخوة المؤمنين فى المسيح " و " المقدسين فى المسيح يسوع المدعوين قديسين "[٣]، هذا وقد عرف النصارى وكذلك " بالمسيحيين " ، ونقرأ فى اعمال الرسل آن " برنابا " قد خرج الى طرسوس ، وهناك التقى بشاؤل (القديس بولس) ،/حيث جاء به الى انطاكية وبقيا هناك عاما يعلمان جمعا غفيرا من الكنيسة ودعى التلاميذ " مسيحيين " فى انطاكية اولا [٤]، كما نقرأ ايضا " فقال اغريباس لبولس بقليل تقنعنى ان اصير مسيحيا "[٥]، وربما كانت الكلمة نسبة الى السيد المسيح ،هذا وقد اطلق القرآن الكريم على النصارى " آهل الانجيل " فى قوله تعالى : "وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون "[٦] .

والمسيح عيسى بن مريم هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم البتول العذراء ، الطاهرة العفيفة التى آحصنت فرجها وصدقت بكلمات ربها وكتبه ، وكانت من القانتين ، ويمثل المسيح عليه السلام آخر طور من اطوار الديانة الاسرائيلية ، فهو آخر أنبياء بنى اسرائيل، وقد جعله الله عز وجل هو وآمه آية فى ولادتهما ونشأتهما ،قال تعالى :

---

(١) الاب لويس شيخو: النصرانية وادابها بين عرب الجاهلية - بيروت ١٩٢٣ ، ص ١٨٩ ، المشرق - السنة السابعة ١٩٠٤م ص ٦٢٠.

(٢) Hastings, op.cit., p. 104.

(٣) اعمال الرسل ج ١ /١٥-١٦ ، رسالة بولس الرسول الاول الى اهل كورنتوس ٢/١ ، ١٠ .

(٤) اعمال الرسل ١١/٢٥-٢٦.

(٥) اعمال الرسل ٢٦/١١ ، ٨/٢٦ ، رسالة بولس الرسول الاول الى اهل كورنتوس ١٦/٤ . وكذا . Hastings, p. 127.

(٦) سورة المائدة: آية ٤٧ .

" والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وجعلناها وابنها اية للعالمين"[١]
يقول الرازى : وأما مريم فآياتها كثيرة ، احدها : ظهور الحبل فيها ، لامن ذكر فصار ذلك اية ومعجزة خارقة عن العادة , وثانيها : ان رزقها كان ياتيها به الملائكة من الجنة وهو قوله تعالى : "انى لك هذا قالت هو من عند الله " وثالثها ورابعها : قال الحسن البصرى : انها لم تلتقم ثديا يوما قط ، وتكلمت هى ايضا فى صباها كما تكلم عيسى عليه السلام [٢] . ويقول تعالى: "وجعلنا ابن مريم وامه آية ، واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين "[٣]، اما الاية فهى غير مسبوقة ولا ملحوقة (اعنى ولادة مريم للمسيح من غير مسيس) ، آية فذة واحدة فى تاريخ البشرية جميعا , ذلك ان المثل الواحد من هذا النوع يكفى لتتأمله البشرية فى اجيالها جميعا , وتدرك القدرة الطليقة التى تخلق النواميس ولكنها لاتحتبس داخل النواميس [٤] ، وأما الربوة المشار اليها فى الاية الكريمة فقد اختلفت الروايات فى تحديدها ، بين مصر ودمشق وبيت المقدس [٥]، ورغم انه ليس المهم تحديد موضعها ، وانما المقصود هو الاشارة الى ايواء لمريم وابنها فى مكان طيب ينضر فيه النبت ، ويسل فيه الماء ، ويجدان فيه الرعاية والايواء [٦]، وعلى اية حال فلقد ذهبت رواية الانجيل الى انها مصر[٧] والى هذا ذهب الطبرى فى التاريخ[٨]، وكذا ابن خلدون الذى يرى انهما اقاما بمصر

---

(١) سورة الانبياء : آية ٩١ .
(٢) تفسير الفخر الرازى ج٢٢ ص ٢١٨.
(٣) سورة المؤمنون: اية ٥٠.
(٤) فى ظلال القران ج٤ ص ٢٣٩٥ .
(٥) انظر : تفسير الطبرى ج١٨ ص ٢٦-٢٨ ، تفسير روح المعانى ج١٨ ص ٣٧-٣٩ ، تفسر ابن كثير ج٣ ص ٢٩٤-٢٩٥ ، تفسير النسفى ج٣ ص ١٢١ ، تفسير الفخر الرازى -٢٣ ص ١٠٢-١٠٣ .
(٦) فى ظلال القران ج٤ ص ٢٤٦٩.
(٧) انجيل متى ٢:١٣-١٥ .
(٨) تاريخ الطبرى ج١ ص ٥٩٧.

اثنى عشر سنة [1]، وكذا ابن كثير الذى يروى عن وهب بن منبه ان عيسى لما بلغ ثلاث عشرة سنة أمره الله ان يرجع من بلاد مصر الى بيت ايليا (بيت المقدس) فقدم عليه يوسف ابن خال أمه فحملهما على حمار حتى جاء بهما الى ايليا ، وقام بها حتى أحدث الله له الانجيل وعلمه التوراة واعطاه احياء الموتى وابراء الاسقام والعلم بالغيوب مما يدخرون فى بيوتهم وتحدث الناس بقدومه وفزعوا لما كان ياتى من العجائب، فجعلوا يعجبون منه فدعاهم الى الله ففشا فيهم أمره [2]، وكذا ذهب اليعقوبى وابن الاثير فى تاريخهما والالوسى فى تفسيره الى انها مصر [3] .

وايا كان مكان هذه الربوة [4] فما يهمنا الان الاشارة الى ان الشعب الاسرائيلى فى ذلك الوقت انما كان قد فقد الروح الدينى الصحيح وجمد على الطقوس والمراسيم واشكال العبادة ، وارتكب الجرائم المروعة التى اشار القران الكريم الى بعضها [5] فاراد الله ان يهز فى هذا الشعب ما جمد من عواطفه ويحرك فيه المعانى الروحية التى نسيها ، فاجرى له ثلاث آيات كبار ، جاءت متتابعة متقاربة ، الاولى فى ولادة مريم ، والثانية فى ولادة يحيى ، واما الثالثة فكانت فى ولادة المسيح وذلك ان مريم البتول ما ان بلغت مبلغ النساء حتى اراد الله ان يجعل لها من الكرامة ما لم يتيسر لغيرها من نساء العالمين ، فهيأ لها الحمل دون ان تتوافر لها اسبابه ،وذلك بان جاءها جبريل،فى أرجح الاراء ، فى صورة فتى غض الشباب فتملكها الرعب والخوف وظنت انه يريد بها السوء ، ومن ثم فهى تنتفض منه انتفاضة العذراء يفجؤها رجل فى خلوتها فتلجأ الى الله تستعيذ به وتستنجد وتستثير مشاعر التقوى فى نفس الرجل والخوف من الله والتحرج من رقابته فى هذا المكان

---

(١) تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ص ١٧٢.

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج٢ ص ٧٧ .

(٣) تاريخ اليعقوبى ج١ ص ٦٩ ، الكامل لابن الاثير ج١ ص ١٧٨ ، تفسير روح المعانى ج١٨ ص ٣٨-٣٩.

(٤) الربوة ربما تكون موقع بيت لحم ، وهي حقيقة ربوة كثيرة الزرع والماء طيبة الهواء وفيها ولد المسيح عليه السلام.

(٥) انظر : سورة آل عمران : آية ٣٦ ،النساء : آية ١٦٠-١٦١.

الخالى "قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا " فالتقى ينتفض وجدانه عند ذكر الرحمن ويرجع عندفعة الشهوة ونزغ الشيطان (١) .

وروى عن ابن عباس انه جاءها فيصورة شاب ابيض الوجه جعد الشعر مستوى الخلقة (٢) ، قال المفسرون : انما تمثل لها فى صورة الانسان ليستأنس بكلامه ولاتنفر عنه ، ولو بدا لها فى الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على السماع لكلامه ، ودل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة فى الحسن (٣) ، ويقول الفخر الرازى : ان فى قوله تعالى " قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا " وجوه ، احدها : ارادت ان كان يرجى منك ان تتقى الله ويجعل ذلك بالاستعاذة بالله فانى عائذة به منك ، وهذا فى نهاية الحسن لانها علمت انه لا تؤثر الاستعاذة الا فى التقى ، وهو كقوله " وذروا مابقى من الربا ان كنتم مؤمنين " اى ان شرط الايمان يوجب هذا لا ان الله يخشى فى حال دون حال ، وثانيها : ان معناه ، ماكنت تقيا حين استحللت النظر الى وخلوت بى ، وثالثها : انه كان فى ذلك الزمان انسان فاجر اسمه " تقى " يتبع النساء فظنت مريم ان ذلك الشخص المشاهد هو ذلك التقى ، والاول هو الوجه (٤) ومن ثم ذهب الالوسى الى ان من قال ان " تقيا " اسم رجل صالح او حتى طالح ليس بسديد (٥) .

ولقد أخبرها جبريل عليه السلام ان الله تعالى أرسله اليها ليهب لها غلاما زكيا ، يكون له شان عجيب ، ويهبه الله النبوة والحكمة ، وحينئذ تملكها العجب ، وادركتها شجاعة الانثى المهددة فى عرضها فتسال فى صراحة " انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم آك بغيا " ويبدو من سؤالها انها لم تكن

---

(١) فى ظلال القران جـ٤ ص ٢٣٠٥ .
(٢) زاد المسير جـ ٥ ص ٢١٧.
(٣) تفسير البحر المحيط جـ٦ ص ١٨٠ ، تفسير النسفى جـ٣ ص ٣١ .
(٤) تفسير الفخر الرازى جـ٢١ ص ١٩٧-١٩٨.
(٥) تفسير روح المعانى جـ١٦ ص ٧٧.

تتصور حتى اللحظة وسيلة اخرى لانيهبها غلاما الا الوسيلة المعهودة بين الذكر والانثى ، وهذا هو الطبيعي بحكم التصور البشرى ، "قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا "(١) .

وفى سورة آل عمران تفصيل اكثر عن الغلام المبشر به "قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والاخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين "(٢) ، وهكذا بشرت الملائكة مريم بكلمة من الله اسمه المسيح عيسى بن مريم ، فتضمنت البشارة نوعه ، وتضمنت اسمه ونسبه ، وظهر من هذا النسب ان مرجعه لامه ، ثم تضمنت البشارة كذلك صفته ومكانه من ربه ، " وجيها فى الدنيا والاخرة ومن المقربين"، كما تضمنت ظاهرة معجزة تصاحب مولده " ويكلم الناس فى المهد " ولمحة من مستقبله " وكهلا " وسمته والموكب الذى ينتسب اليه " ومن الصالحين " فاما مريم الفتاة الطاهرة العذراء المقيدة بمالوف البشر فى الحياة فقد تلقت البشارة كما يمكن ان تتلقاها فتاة واتجهت الى ربها تناجيه وتتطلع الى كشف هذا اللغز الذى يحير عقل الانسان " قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق مايشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون " وحين يرد الامر الى هذه الحقيقة الاولية يذهب العجب وتزول الحيرة ويطمئن القلب ، وهكذا كان القرآن يجلو الشبهات التى تعقدها الفلسفات المعقدة ، ويقر الامر فى القلوب وفى العقول سواء (٣) .

---

(١) سورة مريم : اية ٢٠-٢١ ، فى ظلال القران جـ٤ ص ٢٣٠٦.

(٢) سورة العمران : اية ٤٥-٤٦ ، وانظر: تفسير الطبرى جـ٣ ص ٢٦٩-٢٧٣ ، تفسير ابن كثير جـ١ ص ٥٤٥ ، تفسير النسفى جـ١ ص ١٥٨ تفسير روح المعانى جـ٣ ص ١٥٩-١٦٤ ، تفسير الفخر الرازى جـ٨ ص ٤٦-٥٢ ، تفسير الكشاف جـ١ ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، تفسير القرطبى ص ١٣٣٠-١٣٣٤(ط٠ دار الشعب) ، تفسير المنار - جـ٣ - ص ٣٠٣-٣٠٧.

(٣) فى ظلال القران جـ١ ص ٣٩٨ .

وليس هناك من ريب فى ان ولادة المسيح عيسى بن مريم على هذا الوضع العجيب اية بالغة على كمال قدرة الله على انواع الخلق فانه تعالى خلق ادم من غير ذكر ولا انثى ، وخلق عيسى من انثى بلا ذكر ، وخلق حواء من ذكر بلا انثى وخلق بقية الخلق من ذكر وانثى . يقول ابن كثير : فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه فلا اله غيره ولارب سواه (١)

وعلى هذا المنوال الاخير من الخلق (اى من ذكر وانثى) جرت سنة الله التى وضعها لامتداد الحياة بالتناسل من ذكر وانثى فى جميع الفصائل والانواع بلا استثناء حتى المخلوقات التى لايوجد فيها ذكر وانثى متميزات تتجمع فى الفرد الواحد منها خلايا التذكير والتانيث جرت هذه السنة احقابا طويلة حتى استقر فى تصور البشر ان هذه هى الطريقة الوحيدة ونسوا الحادث الاول ، حادث وجود الانسان لانه خارج على القياس ، فاراد الله ان يضرب لهم مثل عيسى بن مريم عليه السلام ، ليذكرهم بحرية القدرة وطلاقة الارادة ، وانها لاتحتبس داخل النواميس التى اختارها ولم يتكرر حادث عيسى لان الاصل هو ان تجرى السنة التى وضعها الله وان تنفذ الناموس الذى اختاره وهذه الحادثة الواحدة تكفى لتبقى امام انظار البشرية ، معلما بارزا على حرية المشيئة ، وعدم احتباسها داخل حدود النواميس " ولنجعله اية للناس " ونظرا لغرابة الحدث وضخامته فقد عز على فرق من الناس ان تتصوره على طبيعته وان تدرك الحكمة فى ابرازه ، فجعلت تضفى على عيسى بن مريم عليه السلام ، صفات الالوهية وتصوغ حول مولده الخرافات والاساطير وتعكس الحكمة من خلقه على هذا النحو العجيب . وهى اثبات القدرة الالهية التى لا تتقيد ، تعكسها فتشوه عقيدة التوحيد (٢) ، بينما تدنت آراء اخرى الى الحضيض ، فاتهمت الطاهرة البتول بما هى منه براء .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أنه من البشارات التى جاءت فى الانجيل عن سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قول المسيح عليه السلام

---

(١) تفسير ابن كثير ، جـ٣ ص ١٨٧.

(٢) فى ظلال القران جـ ٤ ص ٢٣٠٤ - ٢٣٠٥ .

" ذاك يمجدنى " (1)، والقرآن الكريم ، كما راينا من قبل ،حافلبايـــات الدفاع عن السيد المسيح وامه اطاهرة البتول ودفع الشبهات عنه بالحجة البالغــة والاعتراف بـهعبدا لله تعالى ورسولا الى بنى اسرائيل ، وقد أيده الله تعالـى بالانجيل والروح القدس ومن البدهى انه ليس هناك من تمجيد أرفع ولادفـــاع أقوى وأشرف مما جاء فى كتاب الله الكريم — القرآن الكريم —(2) من ثنـــاء وتقدير وتكريم للسيد المسيح عليه السلام ، وتبرئة لعرضه وعرض امه مريـــم الطاهرة البتول العذراء مما اتهمها به اليهود(3) ، من ذلك قوله تعالــى :

---

(1) انجيل يوحنا ١٦/١٤.

(2) انظر مثلا: سورة ال عمران : اية ٣٥-٣٧ ، ٤٢-٥١ ،سورة مريم: اية ١٦-٣٥.

(3) يروى التلمود ان يسوع الناصرى (وحاشاه انيكون كما وصفه اليهـــود كذبا وافتراء) ارتد عن ديانة اليهودوعبد الاوثان وكل مسيحى لـــم يتهود فهو وثنىعدو لليهود ، كما يسمى التلمود السيد المسيح "ابن النجار" ، (ربما يقصد اليهود يوسف النجار خطيب السيدة مريم الذى لميدخـــل بها كما تذكر الاناجيل) علىنحو ماكان اليهونيطلقون عليه اثناء حياته ، ويصفه بانه كانساحرا ووثنيا ومجنونا وكافرا لايعرفالله ومن ثم فـــان المسيحيين انما هم كفر ةمثله وان الطقوس الدينية المسيحية نوع مــن عبادة الاصنام وان امه مريم قدانت بهمن العسكرى الرومانى " بانـــدار" بمباشرة الزنا ،ويشير اليهودالى " يوسف باندارا " الذىعاش فــــى الجليلوعرف بالفسق والفجور ، الى جانب شكله الحسن ، ثم اقدم علــى التغرير بالفتاة " ميريام " (مريم) ابنة الارملة ، وهناك كتاب يهودى يحكى القصة باكملها ويرجع تاريخه الىالقرن الثانى او الثالثالميلادى ، استخدمه اليهود فى الهجومعلىالمسيحيةوتحقيرها ويسمى " سفر حياة يشوع "
Sepher Toldot: Book of the Generation of Jesus, The Jewish life of Christ.

ويبدو الكتاب قد وقع فىايدى الكنيسة فىاواسط القرنالثالث عشر الميلادى وقد نشرالراهب الدومينيكى " ريموند مارتن " (١٢٢٥-١٢٨٤م) بعض مــن مقتطفات من " سفر حياة يسوع " دون ذكراسمه فى مقدمة كتابه " خنجـــر الايمان او سيف الدين" Martin, R., Pugio Fidei Adversus Mauros et Judaeos, 1278.
الذى نشره للدفاع عن الدينالمسيحى ضد تحديات اليهود واكاذيبهم المفتراة، ثم قام " مارتن لوثر " (١٨٤٣-١٥٤٦م) زعيم الاصلاح البروتستانتى بترجمـــة "سفرحياة يسوع " الى الالمانية ، كما نشره المستشرق الالمانــــــى (=)

" واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين "(١)، هنا يجب انلاحظ امرين :

اولهما : ان القران الكريم لم يذكر اسم اية امراة ، الا مريم بنت عمران ام المسيح عليهما السلام ، والهدف واضح هو الا يكون فى براءتها وطهرها اية ريبة لمستريب .

وثانيهما : ان القران قد اطلق اسمها على سورة من سوره ، الامر الذى لم يحدث لغيرها من النساء ، وفى حاشية الصاوى على الجلالين ، قال بعض العلماء : ان الحكمة فى أن الله لم يذكر فى القرآن امراة باسمها الا " مريم " هى الاشارة من طرف خفى الى رد ماقاله النصارى من انها زوجته ، فان العظيم يانف من ذكر اسم زوجته بين الناس ولينسب اليها عيسى باعتبار عدم وجود اب له ، ولهذا قال تعالى " اسمه المسيح عيسى بن مريم "(٢) .

ويستمر السياق القرانى فيذكر مشهدا جديدا من القصة ، يقول تعالى : " فحملته فانتبذت به مكانا قصيا ، فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا "(٣)، ولايذكر السياق القرانى كيف حملت مريم وليدها المبارك ولا كم حملته ، وهل كان حملا عاديا كما تحمل النساء وتكون النفخة قد بعثت الحياة والنشاط فى البويضة ، فاذا هى علقة فمضغة فعظام ثم تكسى العظام باللحم ويستكمل الجنين ايامه المعهودة؟ ان هذا جائز فبويضة

(=) " يوحنا كريستوف فاجنزايل " فوضع النص اللاتينى مقابل النص العبرى فى مجموعته الشهيرة التى ضمت العديد من النصوص والكتابات اليهودية التى تضمر العداء للمسيحية ثم عكف على دحض كل مافيها من تهجمات وافتراءات J.C., Wangenseil, Tela Ignea Satanac, Altrdorf , 1681.
(انظر: محمد بيومى مهران: اسرائيل - الكتاب الثالث - التوراة والتلمود - الاسكندرية ١٩٧٩م ص ٤٤٥-٠٤٥١)

(١) سورة ال عمران اية ٠٤٢ وانظر: تفسير الفخر الرازى ص ٤٢-٤٤ ، تفسير الطبرى ج٣ ص ٢٦٢-٢٦٤ ، تفسير ابن كثير ج١ ص ٥٤٢-٥٤٤ ، تفسير النسفى ج ١ ص ١٥٧-١٥٨ ، تفسير روح المعانى ج٣ ص ١٥٤-٠١٥٦

(٢) صفوة التفاسير ج١ ص ٠٢٠٤

(٣) سورة مريم : اية ٢٢-٠٢٣

المرأة تبدا بعد التلقيح النشاط والنمو حتى تستكمل تسعة اشهر قمرية ، والنفخة تكون قد ادت دور التلقيح فصارت البويضة سيرتها الطبيعية .كما انه من الجائز فى مثل هذه الحالة الخاصة الا تسير البويضة بعد النفخة سيرة عادية فتختصر المراحل اختصارا ، ويعقبها تكوين الجنين ونموه واكتماله فى فترة وجيزة وليس فى النص ما يدل على احدى الحالتين (١) ، ومن ثم فقد اختلف العلماء فى مدة حمل مريم بعيسى على وجوه : الاول : قول ابن عباس انها كانت تسعة اشهر كما فى سائر النساء بدليل ان الله تعالى ذكر مدائحها فى هذا الموضع فلو كانت عادتها فى مدة حملها بخلاف عادات النساء لكان ذلك اولى بالذكر . الثانى : انها كانت ثمانية اشهر ، ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى بن مريم عليه السلام ، والثالث : قول عطاء وابى العالية والضحاك سبعة أشهر ، والرابع : انها كانت ستة اشهر ، والخامس : ثلاث ساعات ،حملته فى ساعة وصور فى ساعة ووضعته فى ساعة ، والسادس : قول اخر لابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة ماهى الا ان حملت فوضعت واستدل عليه من وجهين : اولهما : قوله تعالى : " فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض فناداها من تحتها "، والفاء للتعقيب فدلت هذه الفاءات على ان كل واحدة من هذه الاحوال حصل عقيب الاخر من غير فصل وذلك يوجب كون مدة الحمل ساعة واحدة ، لايقال انتباذها مكانا قصيا كيف يحصل فى ساعة واحدة لان السدى فسرها بانها ذهبت الى اقصى موضع فى جانب محرابها .وثانيهما : ان الله تعالى قال فى وصف عيسى : " ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون " فثبت ان عيسى كما قال الله تعالى "كن فيكون " وهذا مما لايتصور فيه مدة الحمل وانما تعقل المدة فى حق من يتولد من النطفة (٢) ، وأخيرا فان " البيان " وأشياعه من النصارى انما

(١) فى ظلال القران ٤/٢٣٠٦ .

(٢) تفسير الفخر الرازى جـ٢١ ص ٢٠٢ ، تفسر روح المعانى جـ١٦ ص ٧٩ - ٨٠ ، وانظر تفسر الطبرى جـ١٦ ص ٦٥ ، تفسير النسفى جـ٣ ص ٣٢ ، تفسير ابن كثير جـ٣ ص ١٨٨-١٨٩ ، البداية والنهاية جـ٢ ص ٦٥-٦٦ ، الكامل لابن الاثير جـ١ ص ١٧٦.

يذهبون الى ان مريم لم تحبل بعيسى تسعة اشهر وانما مر فى بطنها كما يمر الماء فى الميزاب ، لان الكلمة دخلت في اذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها (١).

هذا واختلف كذلك فى سن مريم يوم حملت بالسيد المسيح ، بين ان تكون بنت عشر سنين او ثلاث عشرة سنة او خمس عشرة او سبع عشرة او عشرين ، وقيل انها كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل ، وليس فى القران الكريم مايدل على شيء من هذه الاحوال (٢)، ولقد حملت مريم الطاهرة البتول بالمسيح كلمة الله وروحه ، ثم انتبذت به مكانا قصيا ، وقد اختلف المفسرون فى المكان الذى انتبذت مريم بعيسى لوضعه ، و جاءها اليه المخاض فقال بعضهم كان ذلك فى ادنى ارض مصر ، واخر ارض الشام وذلك انها هربت من قومها لما حملت فتوجهت نحو مصر هاربة منهم (٣) ، على أن هناك رواية اخرى ، وهى الارجح ، انها ولدته فى "بيت لحم " (٤) ويؤكده ان فى أحاديث الاسراء من رواية النسائي عن أنس والبيهقى عن شداد بن اوس ان ذلك كان فى بيت لحم ، وهو المشهور ، ولايشك النصارى ان المسيح ولد فى بيت لحم (٥)، وفى مروج الذهب يقول المسعودى

---

(١) فى ظلال القران جـ٢ ص ٨٦٤.

(٢) تفسير الفخر الرازى ـ٢١ ص ٢٠١ ، تفسر النسفى جـ٣ ص ٣٢ ،مروج الذهب للمسعودى جـ١ ص ٧٦ ، الكامل لابن الاثر جـ١ ص ١٧٥.

(٣) تفسير الطبرى جـ١٦ ص ٦٤ (بيروت ١٩٨٤م).

(٤) بيت لحم : مدينة على بعد خمسة اميال جنوب القدس . وقد بنت الامبراطورة " هيلانة " حوالى عام ٣٣٠ م كنيسة هناك فوق المغارة التى يظن النصارى ان المسيح ولد فيها وهى اقدم كنيسة مسيحية فى العالم (قاموس الكتاب المقدس ١/٢٠٥-٢٠٦ وكذا Unger, op.cit., p.140.)
ولكن القران الكريم يذكر انه ولد عند جذع نخلة (مريم اية ٢٣) ومن ثم فالصحيح انه ولد عند جذع نخلة فى او عند بيت لحم وليس فى مغارة .

(٥) تفسير ابن كثير جـ٣ ص ١٨٩ ، تاريخ ابن خلدون جـ٢ ص ١٧١ وانظر انجيل متى ٢ / ١-٦ ، لوقا ٢/٤-٦.

أن مولد المسيح كان فى يوم الاربعاء (الثلاثاء عند اليعقوبى) لاربع وعشرين ليلة خلت من كانون الاول (ديسمبر)[١]، وقال ابن العميد مؤرخ النصارى فيما يروى عنه ابن خلدون : ولد المسيح لثلاثة اشهر من ولادة يحي بن زكريا عليهم السلام، ولاحدى وثلاثين من دولة هيرودوس الاكبر، ولاثنتين وأربعين من ملك اوغسطس قيصر [٢] .

على ان المؤرخين المحدثين انما يختلفون فى تاريخ مولد السيد المسيح وان كان الخلاف محصورا فى سنوات قلائل ، فلقد كان مولد المسيح على أيام اول قياصرة روما "اوغسطس" (٢٧ ق٠م - ١٤ م) وعلى ايام " هيرودوس الكبير" (٤٧ - ٤ ق٠م) حاكم اليهودية من قبل الحاكم الرومانى " بيلاطس النبطى "، وعلى ايام "الحارث الرابع " (٩ ق٠م - ٤٠م) ملك الانباط ، هذا ويذهب البعض الى أن السيد المسيح انما قد ولد فيما بين عامى ٦ ، ٢ قبل الميلاد، بينما يذهب فريق ثان الى أنه ولد عام ٥ قبل الميلاد أو أوائل عام ٤ قبل الميلاد ، اما الاحتفال بمولده فى ٢٥ ديسمبر فقد بدا فى القرن الرابع الميلادى ، ومن ثم فربما كان مولده فى ٢٥ ديسمبر عام ٥ ق٠م وهذا يجعله سابقا للتاريخ الذى وضعه " ديونيسيوس " فى ٢٥ ديسمبر عام ١ م ، بخمس سنوات ،على ان هناك فريقا رابعا يرى ان مولد المسيح كان فى عام ٤ م وانه رفع الى السماء فى عام ٢٧ م وربما فى ٢٣ مارس عام ٢٩ م، وهذا يجعله وكأنه عاش ٢٣ سنة او ٢٥ سنة مع ان المشهور انه عاش ثلاثا وثلاثين سنة ٠ واخيرا فهناك من يرى ان المسيح عليه السلام انما بدا دعوته وقد ناهز الثلاثين من عمره فى عهد الامبراطور " تيبريوس " (١٤-٣٧ م) وكان حاكم اليهودية من قبل الرومان " هيرودوس انتيباس " (٦-٣٩م) الابن الثانى لهيرودوس الكبير[٣] ٠

---

(١) مروج الذهب للمسعودى جا ص ٧٦ ، تاريخ اليعقوبى جا ص ٦٨٠

(٢) تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ص ١٧١٠

(٣) هـ٠ ج٠ ويلز : تاريخ العالم - القاهرة ١٩٦٧م ص ١٧٢ ، ٤١٦ (مترجم) ، فيليب حتى : المرجع السابق ج٠ ص ٣١١-٣١٢، ٢٦٣ ، محمد بيومى مهران : اسرائيل جا ص ٣٥٩ ، ج٢ ص ١١٤٥ ٠ وكذا :

هذا وتحدثنا أسفار العهد الجديد ان هيرودوس علم ان مجوسا من الشرق قد جاؤوا الى اورشليم يسالون عن المولود ملك اليهود ، ومن ثم فقد جمع رؤساء الكهنة وسالهم اين يولد المسيح فاخبروه أنه يولد في بيت لحم ، فاسرع الطاغية فامر بقتل جميع الاطفال في بيت لحم وفي كل تخومها من ابناء سنتين فما دونها، وهنا راى يوسف النجار فيما يرى النائم من يامره بان ياخذ المسيح وامه ويلجا بهما الى ارض مصر حيث بقوا هناك الى ان مات " هيرودوس " ثم عادوا من مصر الى المملكة اليهودية (جنوب فلسطين) ولكنهم لم يقيموا في بيت لحم وانما في الناصره بمنطقة الجليل وذلك خوفا على السيد المسيح من خليفة هيرودوس وولده " ارخيلاوس "(١) .

وأما مكان الولادة فكان كما جاء في القرآن الكريم عند جذع نخلة . قال تعالى : " فاجاءها المخاض الى جذع النخلة(٢) " وقال الزمخشري في الكشاف : كان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها راس ولا ثمر ولا خضرة ، وكان الوقت شتاء، والتعريف اما ان يكون من تعريف الاسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق كان تلك الصحراء فيها جذع نخلة مشهور عند الناس ، فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون سائره واما ان يكون تعريف الجنس اى الى جذع هذه الشجرة خاصة ، كان الله قد ارشدها الى النخلة ليطعمها من الرطب الذي هو اشد الاشياء موافقة للنفساء، ولأن النخلة أقل الأشياء صبرا على البرد ولا تثمر الا عند اللقاح واذا قطعت راسها لم تثمر ، فكانه تعالى قال : كما ان الانثى لا تلد الا مع الذكر ، فكذا النخلة لا تثمر الا مع اللقاح ، ثم انى اظهر الرطب من غير لقاح ليدل ذلك على ظهور الولد من غير ذكر (٣) .

---

(١) انجيل متى ٢:١-٢٣ وكذا: Unger, op.cit., p.471, Roth, op.cit., p.109.

(٢) سورة مرية : آية ٢٣ .

(٣) تفسير الفخر الرازي : ج ٢١ ص ٢٠٣.

وعلى اية حال ، فبينما كانت البتول الطاهرة تستند الى جذع النخلة ابان الوضع " قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا "(١) مع انها كانت تعلم ان الله تعالى بعث جبريل اليها ، وخلق ولدها من نفخ جبريل عليه السلام ووعدها بان يجعلها وابنها آية للعالمين(٢) ، وانما قالت ذلك استحياء من الناس وخوفا من لائمتهم او حذرا من وقوع الناس فى المعصية بما يتكلمون فيها . قال ابن كثير : فى الاية دليل على جواز تمنى الموت عند الفتنة ، فانها عرفت انها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذى لايحمل الناس امرها فيه على السداد ، ولايصدقونها فى خبرها ، وبعد ماكانت عندهم عابدة ناسكة تصبح عندهم فيما يظنون عاهرة زانية ومن ثم قالت وهى تطلق من الحبل استحياء من الناس ، فيما يروى عن ابن عباس والسدى : ياليتنى مت قبل هذا الكرب الذى انا فيه والحزن بولادتى المولود من غير بعل ، وهكذا تمنت الموت ، وتمنى الموت لنحو ذلك مما لاكراهة فيه ، نعم يكره تمنيه لضرر نزل بالانسان من مرض او فاقة او محنة من عدو او نحو ذلك من مشاق الدنيا ، ففى صحيح مسلم وغيره قال صلى الله عليه وسلم :لايتمنين احدكم الموت لضرر نزل فان كان لابد متمنيا فليقل : اللهم احينى ماكانت الحياة خيرا لى وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى " ومن ظن ان تمنيها ذلك كان لشدة الوجع فقد أساء الظن والعياذ بالله (٣) .

وفى حدة الالم وغمرة الهول تقع المفاجاة الكبرى " فناداها من تحتها الا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا ، وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلى واشربى وقرى عينا ، فاما ترين من البشر احدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا "(٤) ، وقد اختلف فى المنادى على قولين الاول انه عيسى عليه السلام ، وهو قول الحسن البصرى وسعيد بن جبير واستظهر ابوحيان كون المنادى عيسى والضمير لمريم ، والفاء فصيحة ، اى فولدت غلاما

---

(١) سورة مريم : اية ٢٣.
(٢) تفسر الفخر الرازى ج ٢١ ص ٢٠٣ .
(٣) تفسير ابن كثير ج٣ ص ١٨٩ ، تفسير روح المعانى ج١٦ ص ٨١-٨٢.
(٤) سورة مريم : آية ٢٤-٢٦.

فانطقه الله تعالى حين الولادة فناداها المولود من تحتها وروى ذلك أيضا عن مجاهد ووهب وابن جرير وابن زيد ، والثاني انه جبريل ، ونقل في البحر عن الحسن انه قال: ناداها جبريل وكان في بقعة من الارض اخفض من البقعة التي كانت عليها ولعله انما كان موقفه هناك اجلالا لها ، وتحاشيا من حضوره بين يديها في تلك الحال ، والقول بانه عليه السلام كان تحتها يقبل الولد مما لاينبغي ان يقال لما فيه من نسبة مالايليق بشأن أمين وحي الملك المتعال ، ويعضد الفخر الرازي القول الاول بادلة منها : الاول ان قوله : " فناداها من تحتها بفتح الميم، انما يستعمل اذا كان قد علم قبل ذلك ان تحتها احدا ، والذي علم كونه حاصلا تحتها هو عيسى عليه السلام فوجب حمل اللفظ عليه ، واما القراءة بكسر الميم فهي لاتقتضي كون المنادي جبريل عليه السلام والثاني : ان ذلك الموضع موضع اللوث والنظر الى العورة وذلك لايليق بالملائكة والثالث : ان قوله فناداها فعل ، ولابد ان يكون فاعله قد تقدم ذكره ، ولقد تقدم قبل هذه الاية ذكر جبريل وعيسى عليهما السلام الا ان ذكر عيسى اقرب لقوله تعالى: " فحملته فانتبذت به " والضمير هنا عائد الى المسيح، فحمله عليه اولى ، والرابع : هو دليل الامام الحسن بن علي عليه السلام ، ان عيسى لو لم يكن كلمها لما علمت انه ينطق ، فماكانت تشير الى عيسى عليه السلام بالكلام ، فاما من قال ان المنادى هو عيسى عليه السلام ، فالمعنى انه تعالى انطقه لها حين وضعته تطبيقا لقلبها وازالة للوحشة عنها حتى تشاهد في أول الامر مابشرها به جبريل عليه السلام من علو شان ذلك الولد ومن قال ان المنادى جبريل قال انه ارسل اليها ليناديها بهذه الكلمات كما ارسل اليها في اول الامر ليكون ذلك تذكيرا لها بما تقدم من أصناف البشارات وأولى القولين عند جمهرة المفسرين ان المنادى هو عيسى عليه السلام (١) .

---

(١) تفسير الفخر الرازي ج٢١ ص ٢٠٤ ، تفسير روح المعاني ج١٦ ص ٨٢ ، تفسير الطبري ج١٦ ص ٦٨-٦٩ ، تفسير ابن كثير ج٣ ص ١٩٠ ، تفسير النسفي ج ٣ ص٣٤ ، الكامل لابن الاثير ج١ ص ١٧٧.

واما السرى فقد اتفق المفسرون - الا الحسن البصرى وعبد الرحمن بن زيد - انه النهر والجدول ، سمى بذلك لان الماء يسرى فيه . قال ذلك البراء بن عازب وابن عباس وعمرو بن ميمون وقتادة وابراهيم النخعى وابن منبه ، واختاره الطبرى ، وروى عن ابن عباس انه جدول من الاردن اجراه الله تعالى منه لما اصابها العطش ، وروى ان جبريل عليه السلام ضرب الارض برجله فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولا ، وقيل فعل ذلك عيسى عليه السلام ، وهو المروى عن ابى جعفر الباقر رضى الله تعالى عنه ، وقيل كان ذلك موجودا من قبل ، الا أن الله تعالى نبهها عليه ، والارجح عند صاحب الظلال انه جرى للحظته من ينبوع أو تدفق من مسيل ماء فى الجبل ، وعن الحسن وابن زيد والجبائى ان المراد بالسرى عيسى عليه السلام ، وهو من السرو بمعنى الرفعة كما قال الراغب اى جعل ربك تحتك غلاما رفيع الشان ، سامى القدر ، وروى ان الحسن البصرى رجع عنه فقد تلا هذه الاية وبجنبه حميد بن عبد الرحمن الحميرى " قد جعل ربك تحتك سريا " فقال ان كان لسريا ، وان كان لكريما ، فقال له حميد: يا اباسعيد انما هو الجدول ، فقال له الحسن: من ثم تعجبنا مجالستك، وروى ان خالد بن صفوان قال له: ان العرب تسمى الجدول سريا ، فقال له الحسن: صدقت ورجع الى قوله ، واحتج من قال انه النهر بوجهين : أولهما : ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن السرى فقال هو الجدول، وثانيهما : ان قوله تعالى: " فكلى واشربى " يدل على انه نهر حتى ينضاف الماء الى الرطب ، فتاكل وتشرب [1] .

وعلى اى حال ، فان الله تعالى امرها ان تهز النخلة فتساقط عليها رطبا جنيا فتاكل منه . قال المفسرون : امرها بهذا الجذع اليابس لترى اية اخرى فى احياء موات الجذع ، بعد رؤيتها عين الماء العذب الذى جرى جدولا ، وذلك ليسكن المها وتعلم ان ذلك كرامة من الله ، " فكلى واشربى " اى كلى من هذا الرطب الشهى واشربى من هذا الماء العذب السلسبيل [2]، وهكذا اعطاها الله تعالى طعاما

---

(١) تفسير روح المعانى ج١٦ ص ٨٣ ، تفسير ابن كثير ج٣ ص ١٩٠ ، تفسير الفخر الرازى ج٢١ ص ٢٠٥ ، تفسير الطبرى ج١٦ ص ٦٩-٧١ ، تفسير النسفى ج٣ ص ٣٢ ، فى ظلال القران ج٤ ص ٢٣٠٧ .

(٢) صفوة التفاسير ج٢ ص ٢١٤-٢١٥ .

وشرابا والطعام الحلو مناسب للنفساء ، والرطب والتمر من اجود طعام النفساء ، ونحسبها قد دهشت طويلا ، قبل ان تمد يدها الجذع النخلة تهزه ليساقط عليها رطبا جنيا ، ثم أفاقت واطمأنت الى ان الله لايتركها وان ان حجتها معها هذا الطفل الذي ينطق في المهد فيكشف عن الخارقة التي جاءت به اليها (١). •

واتت الطاهرة البتول بوليدها المبارك تحمله " قالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا •ياأخت هارون ماكان ابوك امرأ سوء وماكانت امك بغيا "(٢) وهكذا بدات ألسنة القوم بالتقريع والتأنيب ثم سرعان ماتحولت الى تهكم مرير، قائلين: ياشبيهة هارون في الصلاح والعبادة , ماكان ابوك رجلا فاجرا وماكانت امك زانية ، فكيف صدر هذا منك، وانت من بيت طاهر معروف بالصلاح والعبادة • قال قتادة : كان هارون رجلا صالحا في بني اسرائيل مشهورا بالصلاح فشبهوها به وليس بهارون اخي موسى ، عليهما السلام، لان بينهما مايزيد على الف عام، وقال السهيلي : هارون رجل من عباد بني اسرائيل المجتهدين ، كانت مريم تشبه في اجتهادها وليس بهارون بن عمران النبي ، فان بينهما دهرا طويلا، ومن ثم فقد اخطأ كثيرا جدا من قال انها اخت هارون النبي لابيه وامه ، كما انها اخت موسى عليه السلام، وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابي هريرة ان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " وانا اولى الناس بابن مريم لانه ليس بيني وبينه نبي ، " واخرج الامام احمد بسنده عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نجران فقالوا: ارأيت ماتقرون " يا اخت هارون " وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ، قال فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: الا اخبرتهم انهم كانوا يسمون بالانبياء والصالحين قبلهم" (٣) • وعن محمد بن سيرين قال: نبئت ان كعبا قال : ان قوله :

---

(١) في ظلال القران ج٣ ص ٢٣٠٧•

(٢) سورة مريم: اية ٢٧-٢٨•

(٣) تفسير روح المعاني ج١٦ ص ٨٨ ، تفسير ابن كثير ج٣ ص ١٩٣ ، تفسير الطبري ج١٠ ص ٧٧-٧٨ ، مسند امام احمد ج٤ ص٢٥٢ ، صحيح مسلم ج٥ ص ١٧١ ، تحفة الاحوذي ج٥ ص٦٠١ ، مريم اخت هارون وموسى كان صاحبه لهما في الخروج من وجه فرعون (حسب رواية التوراة) فكانت كل من اسمها مريم في بني اسرائيل تكني اخت هارون تبركا وهذا تصديق للحديث النبوي الشريفه

" يا أخت هارون ليس بهارون أخى موسى ، قال فقالت عائشة : كذبت ، قال: يا أم المؤمنين ان كان النبى صلى الله عليه وسلم قاله فهو أعلم وأخبر ، والا فانى أجد بينهما ستمئة سنة ، قال: فسكتت " قال ابن كثير : وفى هذا التاريخ نظر[1] ، وهذا صحيح لان ما بين موسى وعيسى عليهما السلام قرابة عشرين قرنا .

واشتد القوم على الطاهرة البتول " فأشارت اليه قالوا : كيف نكلم من كان فى المهد صبيا " [2] قال السدى لما أشارت غضبوا وقالوا :لسخريتها بنا حتى تأمرنا أن نكلم هذا الصبى أشد علينا من زناها ، قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا ، أى من هو موجود فى حالة صباه وصغره كيف يتكلم ؟ قال الرازى فى التفسير الكبير : روى أنه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار بسبابته وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان . وقيل : ان زكريا عليه السلام أتاها عند مناظرة اليهود اياها فقال لعيسى عليه السلام: انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عيسى عند ذلك[3] " قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا "[4] .

وهكذا يعلن عيسى عليه السلام عبوديته لله فليس هو ابنه كما تدعى فرقة ، وليس هو الها كما تدعى فرقة ، وليس هو ثالث ثلاثة ، هو اله واحد هم ثلاثة ، كما تدعى فرقة ، ويعلن أن الله جعله نبيا ، لاولدا ولاشريكا ،وبارك فيه وأوصاه

---

(١) تفسير الطبرى جـ١٦ ص ٧٧ ، تفسير ابن كثير ، جـ٣ ص ١٩٣.
(٢) سورة مريم : آية ٢٩.
(٣) تفسير ابن كثير جـ٣ - ص ١٩٣ ، تفسير الفخر الرازى جـ٢١ ص ٢٠٨ ، تفسير روح المعانى جـ١٦ ص ٨٩.
(٤) سورة مريم : آية ٣٠-٣٣.

بالصلاة والزكاة مدة حياته ، والبر بوالدته والتواضع مع عشيرته ، فله اذن حياة محددة ذات امد ، وهو يموت ويبعث وقد قدر الله له السلام والامان والطمانينة يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ، والنص صريح هنا فى موت عيسى وبعثه وهو لايحتمل تاويلا فى هذه الحقيقة ولا جدالا (١) .

لم يذكر القرآن الكريم متى ابتدات نبوة المسيح ولا كيف كان ذلك ولكن عبارات الانجيل اتفقت على أن نبوته كانت على راس ثلاثين سنة من عمره وعلى ذلك جرى المؤرخون وبعض المفسرين ، يقول ابن الاثير فى الكامل : أتت المسيح النبوة والرسالة ، وعمره ثلاثون سنة ، وظل رسولا سنتين ، اذ رفع الى السماء وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة وأياما ، ويقول علماء التوحيد ان النبوة تكون على رأس الاربعين من العمر ، كما أشرنا من قبل ، أما عيسى عليه السلام ، فقد نبىء على راس الثلاثين ، وهذه خصوصية له عليه السلام ، لانه قد رفع الى السماء قبل أن يبلغ سن الاربعين (٢) .

ويذهب الدكتور الطيب النجار (٣) الى انه لا بأس من ذلك ، اى ان نبوة المسيح كانت على رأس الثلاثين فان سن الاربعين ليست شرطا لتحديد بدء نبوة الانبياء ، فلقد أوتى يحيى عليه السلام العلم والحكمة وهو صبى ، وبدأت نبوته قبل أن يبلغ الثلاثين .

على أن الدكتور الشريف انما يحدد ابتداء نبوة المسيح من منطوق الايات (٢٩-٣٣ من سورة مريم) وظاهرها يفيد أن المسيح نبىء وهو فى المهد

---

(١) ظلال القرآن ٢٣٠٨/٤ .
(٢) محمد على الصابونى : المرجع السابق ص١٩٨ ، محمود بن الشريف: الاديان فى القران - جدة ١٩٧٩ - ص ١٥٧ .
(٣) محمد الطيب النجار: المرجع السابق . ص ٢٧٨ .

ولاغرابة فى ذلك ، فالقرآن يقول فى شأن يحي بن زكريا : " وآتيناه الحكم صبيا "، هذا فضلا عن اعتراف المسيح فى الاية (٣٠ من مريم) وهو فى المهد ، بان اللهجعله نبيا وآتاه الكتاب ، والتعبير بصيغة الماض فى آتانىوجعلنى ، كل ذلك يرجح انه بعث فىالمهد وهو صبى صغير ، ولاحاجة بنا بعدئذ لان نجارى البعض الذينقالوا ان المسيحنبىء على رأس الثلاثين ولابرهان لهم على هذا ، الا من تكلف من تمحلات لغوية ، ولا ان نقول ، كما قال بعض علماء التوحيد الذين قالوا ان الرسالة لاتكون الا بعد الاربعين ، ولاغرو فنحن أمام شخصيه جعلها الاعداد الالهى والاعجاز الالهى لاتسير على سنن العامة ولاتجرى على وفقالمالوف فعيسى عليه السلام مخلوق غير عادى فى مولده وفى مبعثه وفى مماته" (١) .

ولنقرأ هذه الايات الكريمة : " فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فىالمهد صبيا ، قال انى عبدالله آتنىالكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا ، وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم أبعث حيا " (٢) .

وأما دليل نبوة المسيح فى القرآن الكريم فقوله تعالى : " واذ قال عيسى بنمريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى منالتوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد " (٣) ، وقوله تعالى: " ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ، ورسولا الى بنى اسرائيل " (٤) .

---

(١) محمود بنالشريف: المرجع السابق ص ١٥٧-١٥٨.
(٢) سورة مريم : آية ٢٩-٣٣.
(٣) سورة الصف: آية ٦ .
(٤) سورة آل عمران: آية ٤٨-٤٩ .

ومن المعروف أن دعوة المسيح شأنها فى ذلك شأن دعوات كل الرسل قبل بعثة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انما هى دعوة خاصة لبنى اسرائيل ، كما أشارت الايات السابقة (آل عمران ٤٨-٤٩ ، الصف ٦)، وكما يقول الانجيل على لسان المسيح : " لم ارسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة "(١)، ومن ثم فقد اتجه المسيح عليه السلام بدعوته الى بنى اسرائيل يبغى من ورائها هداية خراف اسرائيل الضالة . وأما الذى عمم الدعوة فهم تلاميذ المسيح ، او على الاصح فقد عممها " بولس " الذى زعم ان المسيح تراءى له وجعله تلميذا له ، مع أنه لم يره ، وذلك بعد تكرارها على بنى اسرائيل ، ولحاجتهم فى الاعراض عنها ،ومن ثم فقد وجهت الى كل مستمع لها مقبل عليها وقال لهم : ان العاملين بالخير هم ذرية ابراهيم الخليل اقرب واوفى ممن يدعون النسبة اليه بالسلالة لانهم ابناؤه بالروح "(٢)، ومع ذلك تبقى دعوة المسيح فى صميمها دعوة خاصة . واما الدعوة العامة فهى دعوة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ارسل للناس كافة بشيرا ونذيرا(٣) .

وأما معجزات المسيح عليه السلام ، التى تدل على صدق نبوته ، فمنها شفاء المرضى ، وابراء الاكمه (الاعمى) واحياء الموتى ، والاخبار عن بعض المغيبات ، والكلام فى المهد ، الى غير ماهنالك من معجزات . قال تعالى: " اذ قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرىء الاكمه والابرص باذنى ، واذ تخرج الموتى باذنى ، واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين "(٤) .

---

(١) متى ١٥/٢٤ .

(٢) متى ١٥/٢٣-٢٨ ، عباس العقاد: مطلع النور ص ٩٦ ، محمد بيومى مهران: الديانة العربية القديمة - ص ٦١-٦٢ .

(٣) انظر: سورة النساء اية ٧٩ ، ابراهيم: اية ١ ، ٥٢ ، الحج: اية ٤٩ ، الفرقان: اية ١ ، الاحزاب : اية ٤٠ ، سبأ : اية ٢٨ ، ص : اية ٨٧ .

(٤) سورة المائدة: اية ١١٠ وانظر العمران: اية ٤٥-٥٠ ، المائدة: اية ١١٢-١١٥ .

ولعل من أهم الاختلافات بين المسلمين والنصارى ، دعوى النصارى بالوهية المسيح وصلبه .

فأما عن الاولى ، فلقد تعرض القرآن اكثر من مرة لعبودية المسيح لله تعالى وانه عبدالله ورسوله ، وكفاه فخرا بهذه العبودية لله تعالى ، كما اعتبر القران من الهوا المسيح كفارا ، ومن ثم فانه يؤكد كثيرا ان عيسى ابن مريم بشر ، وانه رسول مؤيد بكتاب الهى وبوحى الهى سماوى ، وانه نادى بعقيدة التوحيد ، فدعا الى عبادة الله الواحد الاحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، كما بين القرآن ان النصارى على فرق ثلاثة فى عقيدتهم فى المسيح ، ففرقة تزعم ان المسيح هو الله ، تجسم وتجسد فى صورة يسوع ، ونزل الى الارض ليخلص الناس من اثامهم ، والى هذا الفريق يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى " لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وماللظالمين من أنصار "(١) ويقول: " وما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام "(٢)، ويقول : " لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن فى الارض جميعا " (٣)

وهناك فريق ثان يعتقد بعقيدة التثليث ، وهى عقيدة تزخر بمزاعم وأضاليل واباطيل ، فهى تزعم أن الله ثالث ثلاثة ، وانه ثلاثة اصول (اقانيم) متساوية : الله الاب ، والله الابن ، والله الروح القدس ، فالمسيح اله وهو ابن الله ، وفى الوقت نفسه هو بشر واله ، هو لاهوت وناسوت ، هو الله وابن الله واصل من

---

(١) سورة المائدة : آية ٧٢.
(٢) سورة المائدة : اية ٧٥.
(٣) سورة المائدة : آية ١٧.

الاصول الثلاثة المكونة لله ، ويصدر القرآن حكمه فى هذه العقيدة فيحكم بكفر من اعتنقها او اعتقد فيها [١]. يقول الله تعالى : " لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة , وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمس الذين كفروا منهم عذاب أليم "[٢] . ويقول : " يا اهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولاتقولوا على الله غير الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ،ولا تقولوا ثلاثة، انتهوا خيرا لكم ، انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد , له مافى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا "[٣] .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن القرآن الكريم انما يقرن لفظ المسيح او عيسى بكلمة " ابن مريم " ليقرع اذان النصارى بانه "ابن مريم " وليس "ابن الله " كما ينبه القران الكريم المسيحيين أن المسيح وأمه انما كانا يأكلان الطعام , ومن البين ان الذى ياكل الطعام فيتحول فى جسمه دما ولحما وعظما، وينضح عرقا، وتخرج فضلة لو بقيت فى الجسم لاضرته ، من الواضح ان كائنا من هذا النمط لايمكن انيكون الا بشرا خاضعا لكل قوانين البشرية التى لاتؤدى الى نقص فى مرتبته كرسول [٤] .

ثم يسجل القران ان دعوة عيسى كانت الى التوحيد الكامل. قال تعالى : "واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله قال سبحانك مايكون لى أن اقول ماليس لى بحق , أن كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك انك أنت علام الغيوب ، ماقلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شئ شهيد "[٥] ، وقال تعالى : " وقال

---

(١) محمود بن الشريف: المرجع السابق ص ١٩٠.
(٢) سورة المائدة : اية ٧٣.
(٣) سورة النساء: اية ١٧١.
(٤) عبد الحليم محمود: التفكير الفلسفى فى الاسلام - القاهرة ١٩٦٤م ص ٧٤.
(٥) سورة المائدة : آية ١١٦-١١٧.

المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار " (١) .

وستظل هذه النصوص القرآنية أبد الدهر، بما تحمل من قول المسيح أو اعترافه ان جاز هذا التعبير، بانه بشر يتبرأ من دعوى الالوهية، وينفى ما لصقه به المحرفون من اتباعه وأشياعه، وبان علمه محدود، وأجله محدود، وأنه عبد لله ورسول أمين، لا يبلغ الا ما أمره الله مولاه أن يبلغه، وكذا بما تحمل من دلائل على جوهر المسيحية الصحيحة ونقائها، ستظل مسجلة على أهل التثليث غلوهم وكفرهم، ولعلهم ان كانوا اتباع المسيح حقا ان يتوبوا الى عقيدته الحقة (٢)، وأن يؤمنوا بما بشر به، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه، فقد جاء فى الحديث الشريف، قوله صلى الله عليه وسلم" والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الامة يهودى أو نصرانى ولا يؤمن بى الا دخل النار " (٣) .

ومن عجب ان أناجيل النصارى انما تشير الى غير ما يزعمون، فهناك نصوص تشير الى عبودية المسيح (٤)، والى رسالته (٥) والى وحدانية الله (٦) والى انسانية المسيح وأمه، والى أنه ابن الانسان وليس ابن الله (٧) .

ولعل سائلا يتساءل : من أين جاءت عقيدة التثليث هذه لديانة المسيح التوحيدية ؟ والجواب ان ذلك انما كان من تأثير الديانات الوثنية التى كانت شائعة وقت ذاك، وخاصة الديانة المصرية القديمة، التى شاعت فيها

---

(١) سورة المائدة : آية ٧٢ .
(٢) محمود بن الشريف: المرجع السابق ص ١٩٢.
(٣) صحيح مسلم ج ١ ص ٣٦٧. (دار الشعب - القاهرة ١٩٧١م).
(٤) يوحنا ١٧/١٠.
(٥) يوحنا ٢٤/١٤.
(٦) متى ٩/٢٣ , ٢٢ .
(٧) متى ٦٤/٢٦ ، ١/١-١٧ ، ٢٠/٨ ، ٣٧/١٣ ، يوحنا ٥١/١ ، ٣/١٧ ، مرقس ٢٩/١٢.

عقائد التثليث، حتى كان لكل مدينة ثالوثها الوثنى الخاص بها ، والمكون من الاله الاب والاله الام ، والاله الابن، فمثلا ثالوث طيبة (الاقصر الحالية) يتكون من الاله آمون (الاب) والالهة موت (الام) والاله خونسو (الابن) وفى منف[1]، يوجد الاله بتاح (الاب) والالهة سخمت (الام) والاله نفرتوم (الابن) وفى اليفانتين (جزيرة اسوان الحالية) يوجد الاله خنوم وعنقت وساتت ، هذا فضلا عن ثالوث اوزير المشهور، حيث يمثل الاله الاب وتمثل ايزة الالهة الام ، ويمثل حور دور الابن الاله .

والامر كذلك بالنسبة الى الجزيرة العربية حيث نرى اللات والعزى ومناة الثالثة فى الشمال وحيث سادت فى جنوب الجزيرة عبادة ثالوث من الكواكب هى القمر والشمس والزهرة ، ويمثل القمر فى هذا الثالث دور الاب ، وتمثل الشمس دور الام ، بينما كانت الزهرة تمثل دور الابن والامر كذلك بالنسبة الى بلاد الرافدين (العراق القديم) وسورية وفينيقيا .

وهكذا لم يمض القرن الاول الميلادى ، حتى كانت ديانة المسيح ، وهى ديانة توحيدية فى اصلها وجوهرها ، لاتختلف كثيرا عن ديانات الشرق القديم الوثنية بل انها لم تعد ديانة توحيدية ، وانما غدت ديانة متعددة الالهة ، فالمسيح وامه كانا يقدسان فيها ككائنين الهيين، ونافست الديانات المنتشرة وقتذاك فى عقيدة التثليث[2] .

---

(١) منف : وتقع اطلالها الان على مبعدة ٢٢ كيلا الى الجنوب من القاهرة ، تحت وفى مجاورات قرية " ميت رهينة " مركز البدرشين بمحافظة الجيزة وينسب بناؤها الى الملك مينا ، اول ملوك مصر القديمة حوالى عام ٣٢٠٠ ق ٠م وقد ظلت عاصمة لمصر طوال عصر الدولة القديمة ، كما ظلت العاصمة العسكرية لمصر طوال التاريخ المصرى القديم (انظر عن منف: محمد بيومى مهران: مصر - الكتاب الاول - الاسكندرية ١٩٨٢م ص ٣٢٧-٣٣٢) .

(٢) ديتلف نلسن : التاريخ العربى القديم ، ص ٢٤٢-٢٤٣ .

على أن هناك فريقاثالثا يعتقد أن المسيح هو ابن الله ، والى هـــذا يشير القرآن الكريم : " وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصـــارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبـــل قاتلهم الله انى يؤفكون "(١) ، واذا كان النصارى يعجبون من أمر عيســى لانه ولد بدون أب ، فأمر آدم أعجب لانه خلق بدون أب وبدون أم ، فالـــذى خلق ادم من تراب وقال له كن فيكون ، هو الذى خلق عيسى بدون أب . والـــى هذا يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى " ان مثل عيسى عند الله كمثـــل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، الحق من ربك فلاتكن من الممترين "(٢).

وكانت عقيدة الصلب عند النصارى هى موضوع الخلاف الثانى بينهم وبيـــن المسلمين بشان المسيح عليه السلام . فالقرآن الكريم يدفى قصة صلب المسيـــح وقتله (النساء ١٥٧–١٥٨) وقد كشف انجيل برنابا هذه الاسطورة فجاءت على لسان المسيح عليه السلام: " فلما كان الناس دعونى الله وابن الله على انى كنت بريئا فى العالم أراد الله أن يهزأ الناس بى فى هذا العالم بموت يهوذا معتقديـــن اننى انا الذى مت على الصليب لكيلا تهزأ الشياطين بى فى يوم الدينونة . وسيبقى هذا الى أن يأتى محمد رسول الله ، الذى متى جاء كشف هـــذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله "(٣).

وهذا النص انما يشير الى أمرين ، الواحد ان الذى صلب انما هو " يهـــوذا الاسخريوطى " الذى خان المسيح ودل عليه أعداءه حين قبله ، ولذا نطق المسيح بمثله المشهور " أبقبلة تسلم ابن الانسان "، وان المسيح عليه السلام لم يحاكم ولم يصلب ولم يرقد فى قبر ، ولم يقم من بين الاموات ، كما يدعى النصـــارى، وانما كانت الواقعة تدور فى فلك يهوذا الاسخريوطى الذى اراد الله له تنكيـــلا جزاء خيانته ورفع نبيه المسيح اليه ، ومن ثم فالذى صلب كما حققه برنابـــا ،

---

(١) سورة التوبة : اية ٣٠ .
(٢) سورة آل عمران: اية ٥٩–٦٠.
(٣) انجيل برنابا .

احد الحواريين ، انما هو يهوذا ، شبيه المسيح وليس المسيح ذاته .

واما ثاني الامرين فهو نبوءة المسيح بالنبي الخاتم ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه هو الذي سوف يكشف خدعة الصلب للمؤمنين بشريعة الله ، وقد اشار القران الكريم الى ذلك في سورتي آل عمران والنساء [1] .

واما الاسلام فيقرر في وضوح وتاكيد ، ان المسيح لم يقتل ولم يصلب ، يقول الله تعالى: " اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة " [2] ، وقال تعالى : " وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما " [3] .

هذا وقد اختلف علماء المسلمين في معنى الوفاة والرفع والتطهير وقد ساق الاستاذ عبد الوهاب النجار في كتابه " قصص الانبياء " عدة اراء لعديد من المفسرين بلغت تسعا ، ثم اختار منها أوجهها اليه ، وهو ان المراد من قوله تعالى " ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا " ، هو انى مستوف اجلك ومميتك حتف انفك ، لا أسلط عليك من يقتلك ، وان الاية كناية عن عصمته من الاعداء ثم تساءل: اين مكان عيسى وما الذى آل اليه أمره ؟ واجاب ان الله تعالى أبهم امره علينا ولم يقصه ، فنحن نفوض العلم بذلك الى الله تعالى ، فليكن انه اماته في الارض ، او انامه كما انام اهل الكهف ، او اصعده الى السماء ، لانقطع بشيء من هذه الاشياء بعينه بل نبهمه كما ابهمه الله ،

---

(١) ابراهيم خليل احمد: محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والانجيل والقران - الطبعة الخامسة - القاهرة ١٩٨٣م ص ٢١٨-٢٢٠.

(٢) سورة ال عمران: اية ٥٥ .

(٣) سورة النساء: اية ١٥٧-١٥٨.

ومن أراد ان يقطع فعليه دليل ماقطع به ، وتفويض العلم إلى الله تعالى أسلم في العاقبة ، واكثر احتياطا للدين ، فليس بهين ان يشهد المرء على الله بامر لم يشهد الله به على نفسه ، وليس عنده عليه سلطان مبين [١] .

وعلى أي حال وكما يقول الاستاذ محمد عبده في تفسير المنار: فان للعلماء هنا طريقين : احدهما وهي المشهورة : انه رفع بجسمه حيا وانه سينزل في اخر الزمان فيحكم بين الناس بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يتوفاه الله تعالى، واما الطريقة الثانية : ان الاية على ظاهرها وان التوفي على معناه الظاهر المتبادر منه وهو " الاماتة العادية " وان الرفع يكون بعده وهو رفع الروح [٢] .

وهكذا وجد عندنا رأيان : الاول وهو راى الجمهور ويذهب الى ان المسيح عليه السلام رفع حيا بجسده وروحه وانه الان لايزال يرزق عند ربه ويستدلون على ذلك بايتي النساء (١٥٧–١٥٨) الانفتي الذكر ، كما يستدلون من الاية التالية لهما حيث يقول تعالى : " وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا [٣] ر فهي تفيد ان عيسى سينزل اخر الزمان واذا نزل آمن به كل من كان موجودا حينئذ من اهل الكتاب لانه سينزل ليحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم .ويذكر القرطبي في تفسيره ان الضمير يعود على عيسى عليه السلام ، اى قبل موت عيسى ، ثم يذكر رواية عن يزيد بن زريع عن الحسن يقول فيها : والله انه لحي عند الله ، ولكن اذا نزل آمن به اجمعون ، وكذلك يذكر الطبري في تفسيره هذه الرواية انه لايبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى الا آمن به [٤] .

---

(١) عبد الوهاب النجار ، قصص الانبياء : ص ٤٢٣ ، ٤٣٠ ، انظر: محمود بن الشريف : المرجع السابق ص ٢٠٦–٢٠٧.

(٢) تفسير المنار جـ ٣ ص ٣١٦ – ٣١٧

(٣) سورة النساء اية ١٥٩.

(٤) تفسير القرطبي : ص ٢٠٠٧ ، تفسير الطبري جـ٦ ص ١٨–٢٣ ، وانظر: محمد الطيب النجار: المرجع السابق ص ٢٨١–٢٨٢.

ويقول ابن كثير في تفسيره : لا شك ان هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح لانه المقصود من سياق الاي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك ، فأخبره الله أنه لم يكن الامر كذلك ، وانما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ، ثم ان الله رفعه اليه وهو باق حي وانه سينزل قبل يوم القيامة ،كما دلت على ذلك الاحاديث المتواترة , من ذلك ما اخرجه البخاري ومسلم (واللفظ للبخاري) عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبضه احد , وحتى تكون السجدة خيرا له من الدنيا وما فيها " ثم يقول ابو هريرة : اقرأوا ان شئتم : "وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا " , وروى الامام احمد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ينزل عيسى بن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصليب وتجمع له الصلاة ويعطى المال حتى لا يقبل ويضع الخراج وينزل الروحاء فيحج منها او يعتمر او يجمعهما قال: وتلا ابو هريرة " وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الآية "، وقال البخاري عن نافع مولى ابي قتادة الانصاري ان اباهريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " كيف بكم اذا نزل فيكم المسيح بن مريم وامامكم منكم" (اخرجه البخاري ومسلم والامام احمد) (١) .

على أن فريقا اخر من علماء المسلمين يرون ان عيسى عليه السلام قد توفي فعلا بعد ان نجاه الله من مؤامرة اليهود ولم يمكنهم من قتله وصلبه وان معنى قوله " بل رفعه الله اليه " وقوله تعالى " ورافعك الي " انما يراد به رفع التعظيم والتكريم , ويستدلون على ذلك بان الله عز وجل قد قدم كلمة " اني متوفيك " على كلمة " ورافعك الي "، كما يستدلون باية المائدة (١١٧) "ما قلت لهم الا ما امرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد " ثم يردون

---

(١) انظر : مختصر تفسير ابن كثير ج١ ـ ص ٤٥٨-٤٦٣ .

على مافهم من اية النساء (١٥٩) " وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا " بان المقصود بها انه ليس من احد من اهل الكتاب اليهود او النصارى ، الا ويؤمن بعيسى عليه السلام اذا عاين ملك الموت ولكنه ايمان لاينفع لانه ايمان عند اليأس . وحين التلبس بحالة الموت فاليهودى فى ذلك الوقت يقر بأنه رسول الله والنصراني يقر بأنه كان رسول الله (١) .

ويقرر الاستاذ الشيخ شلتوت فى الفتاوى ان معنى قوله تعالى: " ياعيسى انى متوفيك " اى مميتك اماتة عادية ، اذ المعنى اللغوى الوضعى والمعنى القرانى لكلمة " متوفيك " انما هو مميتك اماتة عادية ، ومن قال ان عيسى حى فى السماء فذلك ادعاء وزعم منه ، كما قرر ان معنى الرفع فى " ورافعك الى " رفع مكانة لارفع جسد ، بدليل التعقيب الذى جاء بجانب الرفع وهو قوله تعالى " ومطهرك من الذين كفروا " مما يدل على ان الامر امر تشريف وتكريم ، ويؤيد ذلك ان الرفع جاء فى القران الكريم كثيرا بهذا المعنى (فى بيوت أذن الله أن ترفع — نرفع درجات من نشاء — ورفعنا لك ذكرك — ورفعناه مكانا عليا — يرفع الله الذين آمنوا — الخ) ومن ثم فقد حكم بان التعبير بقوله تعالى " ورافعك الى " و " بل رفعه الله اليه " كالتعبير فى قولهم " لحق فلان بالرفيق الاعلى " وفى " ان الله معنا " وفى "عند مليك مقتدر " ، وكلها لايفهم منها سوى معنى الرعاية والحفظ والدخول فى الكنف المقدس فمن يؤخذ كلمة السماء من كلمة اليه ؟ " اللهم ان هذا لظلم للتعبير القرآنى الواضح ، خضوعا لقصص وروايات لم يقم على الظن بها ، فضلا عن اليقين ، برهان ولاشبه برهان .

ثم يذهب الاستاذ شلتوت بعد ذلك الى انه ليس فى القران ولا فى السنة المطهرة (مع ان الاحاديث التى ذكرناها آنفا موجودة فى الصحيحين) مستند يصلح لتكوين عقيدة

---

(١) محمد الطيب النجار : المرجع السابق — ص ٢٨٢-٢٨٣.

يطمئن اليها القلب بان عيسى رفع بجسمه الى السماء ، وانه حى الى الان فيها، وانه سينزل منها آخر الزمان ، وأن كل ماتفيده الآيات الواردة فى هذا الشان هو وعدالله عيسى انه متوفيه اجله ورافعه اليه وعاصمه من الذين كفروا وان هذا الوعد قد تحقق فلم يقتله اعداؤه ولم يصلبوه ،ولكن وفاه الله أجله ورفعه اليه ، وأن من أنكر ان عيسى قد رفع بجسمه الى السماء وانه حى الى الان وانه سينزل آخر الزمان فانه لايكون بذلك منكرا لما ثبت بدليل قطعى فلا يخرج عن اسلامه وايمانه .

ثم أورد بعد ذلك راى الاستاذ محمد عبده ، وكذا رأى الاستاذ محمد رشيد رضا (فى الجزء العاشر من المجلد ٢٨ من المنار) والذى قال فيه : وجملة القول انه ليس فى القران نص صريح فى ان عيسى رفع بروحه وجسده الى السماء حيا، حياة دنيوية بهما، بحيث يحتاج بحسب سنن الله تعالى الى غذاء ، وليس فيه نص صريح بانه ينزل من السماء وانما هى عقيدة اكثر النصارى وقد حاولوا فى كل زمان منذ ظهور الاسلام بثها فى المسلمين (١) .

وأما الاستاذ المراغى فيذهب الى انه ليس فى القران نص صريح قاطع على ان عيسى عليه السلام رفع بجسمه وروحه وعلى انه حى بجسمه وروحه وقوله سبحانه وتعالى : " إذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا " الظاهر منه انه توفاه وأماته ثم رفعه ، والظاهر من الرفع بعد الوفاة انه رفعه درجات عند الله ، كما قال فى ادريس عليه السلام : "ورفعناه مكانا عليا "، وهذا الظاهر ذهب اليه بعض علماء المسلمين فهو عند هؤلاء توفاه الله وفاة عادية ، ثم رفع درجاته فهو حى حياة روحية ، كحياة الشهداء، وحياة غيره من الانبياء ، لكن جمهور العلماء على انه رفعه بجسمه وروحه، فهو حى الان بجسده وروحه، وفسروا الاية بهذا بناء على احاديث وردت كان لها عندهم المقام الذى يسوغ تفسير القران بها، لكن هذه الاحاديث لم تبلغ درجة الاحاديث الصحيحة التى توجب على المسلم عقيدة، والعقيدة لاتجب الا بنص من القرآن اوبحديث

---

(١) محمود شلتوت : الفتاوى ، ص ٥٢–٥٧ ؛ محمود بن الشريف: المرجع السابق ص ٢٠٧–٢٠٩.

متواتر . وعلى ذلك فيجب الا يعتقد المسلم أن عيسى عليه السلام حي بجسمه وروحه ، والذى يخالف فى ذلك لايعد كافرا فى نظر الشريعة الاسلامية . والائمة المجتهدون الذين اتجهوا هذا الاتجاه كلهم قد استقوا من معين واحد ، واستمدوا رايهم من راى الامام الرازى الذى قال: واعلم انهذه الاية تدل على انرفعه فى قوله: " ورافعك الى " هو رفع الدرجة والمنقبة لا بالمكان والجهة ، كما ان الفوقية فى هذه الاية ليست بالمكان بل بالدرجة والرفعة (1) .

واما النصارى فقد جعلوا خاتمة المسيح عليه السلام كما يقول الاستاذ رشيد رضا فى تفسير المنار ، خاتمة شنيعة ومأساة مروعة ، وجعلوا الاعتقاد بحصولها على الوجه الذى صوروه اصلا من اصول دينهم ، ودعامة من دعائم عقيدتهم ، لايقبل من مؤمن ايمانه الا بها وهى الاعتقاد بصلب المسيح وقد تلمسوا لتلك العقيدة اصلا فى العهد القديم ، وأسسوا عليه صلب المسيح فقالوا: ان ادم ، وهو أول كل البشر قد عصى الله تعالى بالاكل من الشجرة التى نهاه عن الاكل منها فصار خاطئا وصار جميع ذريته خطاة مستحقين للعقاب فى الاخرة بالهلاك الابدى ، وقد جاء جميع ابناء ادم خطاة مذنبين فهم يحملون وزر ذنوبهم ووزر ذنب ابيهم ، ولما كان الله من صفاته العدل والرحمة فمن عدله الا يترك الجريمة دون عقاب ، والا لم يكن عادلا ، ولهذا شاء الله ان يحل ابنه الذى هو بنفسه (الله) فى رحم امراة من ذرية ادم ويتجسد جنينا فى رحمها ويولد منها فيكون ولدها انسانا كاملا من حيث انه ابن لتلك المرأة و "الها" كاملا من حيث انه ابن الله ، ويكون معصوما من جميع المعاصى ، ثم بعد ان يعيش كما يعيش الناس ويأكل كما يأكلون ويشرب مما يشربون

---

(1) محمود بن الشريف: المرجع السابق ص ٢٠٩-٢١٠ .

ويتلذذ ويتالم كما يتلذذون ويتألمون ، يأتى اعداء الله وأعداء شريعتـه ويقتلونه شر قتلة وأفظعها وهى ان يصلبوه ويسمروا يديه ورجليه فى الخشب ثم يقتلوه بعد أن يلطموه على وجهه ويسخروا منه ، ويضفروا له اكليلا من الشوك ويبصقوا فى وجهه [1] . كل ذلك ليفدى البشر من جريمة لم يقترفها هو ، ولاهم .

...

---

(١) تفسير المنار ج٦ ص ٢٥ ، وانظر التفصيلات عن اسطورة الصلب هـذه : متى (١/٢٦ - ٧٥ ، ١/٢٧ - ٦٦ ، ١/٢٨-٢٠) ومرقس (١/١٤-٧٢ ، ١/١٥-٤٧ ، ١/١٦-١٩) ولوقا (١:٢٢-٧١ ، ١/٢٣-٦٥ ، ١/٢٤-٥٣) ويوحنا (١/١٨-٤٠ ، ١/١٩-٤٢ ، ١/٢٠-٣١ ، ١/٢١-٢٥) .

ثانيا : أنبياء من الجزيرة العربية

١- هود عليه السلام

(١) قصة عاد قوم هود في القرآن الكريم :

انفرد القرآن الكريم بذكر عاد، ونبيهم هود عليه السلام، فجاء ذكرهم في سور كثيرة من آي الذكر الحكيم [(١)]، بل ان هناك سورة كاملة باسم نبيهم هود عليه السلام، كما ان هناك في القرآن الكريم مايشير الى ان هناك عاد الاولى، وعاد الثانية [(٢)]، وأن عاد الاولى انما هم عاد ارم، الذين كانوا كثيرا مايسكنون الخيام، ذوات الاعمدة الضخام [(٣)]، كما قال تعالى: "ألم تركيف فعل ربك بعاد، ارم ذات العماد" [(٤)]، وقد نسبهم الطبري [(٥)] وتابعه آخرون، الى عوص بن ارم بن سام بن نوح. وان عاد الثانية انما هم سكان اليمن من قحطان وسبأ. وتلك الفروع، وربما كانوا هم قوم ثمود فيما يرى النجار [(٦)]، الامر الذي مايزال موضع شك كبير.

وتدل الايات التي وردت في الذكر الحكيم عن هؤلاء القوم ونبيهم الكريم على أنهم قد استكبروا في الارض بغير الحق واغتروا بقوتهم، ربما لانهم كانوا أشداء أقوياء ولان الله تعالى قد زادهم بسطة في الجسم وربما لانهم كانوا

---

(١) انظر: الاعراف (٦٥-٧٢) وهود (٥٠-٦٠) والمومنون (٣١-٤٢) والشعراء (١٢٣-١٤٠) وفصلت (١٥-١٦) والاحقاف (٢١-٢٦) والذاريات (٤١-٤٢) والقمر (١٨-٢١) والحاقة (٦-٨) والفجر (٦-٨) كما جاء ذكر عاد في التوبة (٧٠) وابراهيم (٩) والفرقان (٣٨) والعنكبوت (٣٨) و ص (١٢) و ق(١٣).

(٢) سورة النجم: اية ٥٠-٥١، الفجر اية ٦-٧. وانظر المسعودي: مروج الذهب ج٢ص١١ ثم قارن: ابن كثير: البداية والنهاية ج١ ص ١٣٠ حيث يرى أن ماجاء في الاحقاف كان عن عاد الثانية وغير ذلك كله عن عاد الاولى.

(٣) ابن كثير: المرجع السابق ص ١٢٠.

(٤) سورة الفجر: اية ٦-٧.

(٥) تاريخ الطبري ج١ ص ٢١٦. (ط. سويدان - بيروت).

(٦) عبد الوهاب النجار: قصص الانبياء ص ٥٣.

قد بلغوا شاوا من الحضارة لم يبلغه قوم آخرون من معاصريهم فى المنطقة التى كانوا فيها يسكنون ، وعلى أى حال ، فان أمرهم قد انتهى الى عبادة الأوثان وترك عبادة الله الواحد القهار ، ومن ثم فقد أرسل الله اليهم من ينهاهم عن عبادة هذه الاوثان ولينذرهم ان لم ينتهوا بعذاب يوم عظيم " لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل "(١) .

غير أن القوم سرعان ما كذبوا هودا عليه السلام واغتروا بقوتهم." فأما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ، أولم يروا ان الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون" (٢)، ومن ثم فان الله تعالى أنزل بهم العذاب الشديد ، وذلك بأن أرسل عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر وسخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فاصبحوا لايرى الا مساكنهم يقول سبحانه وتعالى: " وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما . فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية "(٣) .

هذا ويقدم لنا الاخباريون رواية مؤداها : أن عاد لما أصابهم من القحط ما أصابهم أرسلوا وفدا من سبعين رجلا الى مكة المكرمة ليستسقى لهم عند البيت الحرام وان هذا الوفد قد نزل عند معاوية بن بكر وكانوا اخواله واصهاره وكان الرجل يسكن بظاهر مكة خارجا عن الحرم ، وان الوفد اقام عنده شهرا يشرب الخمر وتغنيهم الجوارى ، وأن معاوية حين رأى طول مقامهم عنده ، شق ذلك عليه وخاف هلاك أخواله واصهاره ، ومن ثم فقد أوعز الى جاريتيه ان تغنيهم شعرا يذكرهم بمأساة قومهم وحين فعلت الجاريتان تذكر القوم مهمتهم ومضوا الى الاستسقاء

---

(١) سورة النساء : آية ١٦٥.

(٢) سورة فصلت : آية ١٥.

(٣) سورة الحاقة : اية ٦-٨ وانظر : سورة الاحقاف : آية ٢٤-٢٥.

وتستمر الرواية فتذهب الى أن الوفد عاد من مكة ، وهناك فى ديار معاوية ابن بكر اقبل رجل على ناقة له فى ليلة مقمرة مسى ثالثة من مصاب عاد فاخبر القوم وما أصابهم من هلاك بالريح العقيم أو ريح صرصر [١] .

وليس يهمنا هنا أن تكون الرواية صحيحة أو لاتكون ، فذلك شأن من يعتقدون ان لهذا القصص نصيبا من صواب ، وانما الذى يهمنا هنا ان الذين يرددون هذا القصص ، هم أنفسهم الذين يضعون هودا وقومه فى مرحلة تاريخية سابقة لعهد الخليل عليه السلام ، وهم فى الوقت نفسه يرون ان مكة لم تعمر الا منذ عهد ابراهيم ، وربما بعده ، والله سبحانه وتعالى يقول: " ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون" [٢] هذا فضلا عن ان الشعر الذى يروونه فى هذه المناسبة لايمكن ان يكون ذلك الغابر، ولعله فى اغلب الظن ، شعر منحول ، ثم أى استسقاء فى البيت العتيق ، كما يقول هادون العطاس، ينتظر من شعب وثنى جبار متكبر حريص على ماكان يعبد آباؤه من أصنام ، وقد قابل رسالة هود عليه السلام بتحد وسخرية ، ثم اى ذلول تلك التى تستطيع ان تقطع المسافة الشاسعة بين الاحقاف والحجاز فى أربعة أيام ؟ [٣] .

---

(١) تاريخ الطبرى جا ص ٢١٧-٢٢٦ ، تاريخ ابن خلدون ج٢ ص ٢٠ ، تاريخ ابن كثير : المرجع السابق جا ص ١٢٦-١٢٨.

(٢) سورة ابراهيم : اية ٣٧.

(٣) هادون احمد العطاس : عاد فى التاريخ - القاهرة ١٩٧٨م ص ٤٩-٥٠.

٢- هود عليه السلام :

اختلف المفسرون والمؤرخون فى اسم النبى الكريم هود عليه السلام وفى نسبه كذلك ،فهو "هود بن عبدالله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح " على رأى ، وهو " هود بن خالد بن الخلود بن العيص بن عمليق بن عاد " على رأى ثان • وهو " عابر بن شالح بن ارفخشد بن سام بن نوح على رأى ثالث [١] • وربما كان الرأى الأول أقرب الى الصواب ، ذلك لان الراى الثاني انما يجعله من العماليق ، ولان الرأى الثالث يجعله ذا صلة قريبة بيهود، لان " عابر " انما هو جد اليهود [٢] ،طبقا لرواية التوراة [٣] ،فضلا عن ان الاثر الاسرائيلى انما يبدو واضحا فى هذا الرأى •

والواقع ان الخلاف لم يكن مقصورا على اسم النبى الكريم وانما تعداه الى مكان دفنه ، فهناك رواية تذهب الى أنه دفن فى دمشق [٤] التى حاول البعض أن يربط بينها وبين " ارم ذات العماد "، ربما لان دمشق انما هى اهم مراكز الاموريين ، وان " عاد ارم " انما تعنى " عاد ارام " فضلا عن ان الاراميين

---

(١) الدينورى :الاخبار الطوال — القاهرة ١٩٦٠ ص ٤-٥ ، ابن قتيبة : المعارف — ص ١٦ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جا ص ٤٨ ، تاريخ ابن خلدون ج٢ ص ٢٣ ، تاريخ اليعقوبى جا ص ٢٢ • ابن حبيب :المحبر — حيدر اباد ١٩٤٢ ص ٣٨٥ • الديار بكرى : تاريخ الخميس — القاهرة ١٣٠٢ هـ ص ٨٤، تفسير روح المعانى ١٥٤/٨ ، تفسير المنار ج ٨ ص ٤٩٥-٤٩٧ ، تاريخ الطبرى جا ص ٢١٦ ، عبد الوهاب النجار : المرجع السابق ص ٤٩•

(٢) انظر عن : عابر وصلتها بكلمة عبرى (محمد بيومى مهران : اسرائيل — الكتاب الاول — الاسكندرية ١٩٧٨م ص ٢٢-٢٨) •

(٣) تكوين ١٠: ١ ، ٢١ •

(٤) تفسير روح المعانى ج ٨ ص ١٦١ ، ابن كثير :المرجع السابق ج ١ ص ١٣٠ ، معجم البلدان جا ص ١٥٦ ، ج٢ ص ٤٦٣-٤٦٥ ، جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام جا ص ٣١٣(بيروت ١٩٦٨) •

عرب هاجروا من شبه الجزيرة العربية الى منطقة الهلال الخصيب [١]، ومن ثـم فقد التبس الامر على المؤرخين المسلمين بين عاد ارم وعاد ارام وظنوا ان ذات العماد صفة فزعموا انها مدينة بناها عاد او ولده شداد [٢]، كما أنه ليس هناك من دليل حتى الان يثبت آن " ارم " هنا انما تعنى "ارام" [٣]، ولعل " ارم ذات العماد " هى التى اوحت الى النسابيين فكرة جعل "عاد" من نسل "عوص بن ارم " لتشابه الاسمين ، ومن ثم فقد ذهب البعض الى آن " عاداً" من نسل الاراميين [٤] ، على اساس ان ذات العماد صفة لدمشق ، وان " جبروت بن سعد بن عاد " نزل بها وابتنى مدينة تحليها عمد من الرخام ، وقد استغل " روث " هذه الرواية فى تدعيم رايه القائل بان اسم "ارم " لايتصل الا بالروايات الارامية [٥]، بخاصة وان هناك اتجاها يذهب الى آن "عادا" "انما كانت فى شمال بلاد العرب ، وليس فى جنوبها على ان دمشق ليست من بلاد الاحقاف والرمال [٦] .

على أن هناك تفسيرا آخر لهذا الاتجاه ، أعنى دفن هود عليه السلام فى دمشق ، ذلك أن أصحاب هذه الرواية قد حددوا المسجد الاموى بدمشق مكانا لدفن النبى الكريم ، بل لقد ذهب البعض منهم الى أن هودا قد بنى الحائط القبلى للجامع ، ولعل السبب فى ذلك الاسرائيليات التى انتشرت بين المفسرين على ايام الامويين بهدف تفضيل الشام على كثير من المناطق الاسلامية حتى جعلوا دمشق واحدة من مدائن اربعة زعموا انها من مدائن الجنة [٧]، وربما كان ذلك

---

(١) Bowman, R.A., Arameans, Aramaic and the Bible, JNES, 7, 1948, p.66-67.

(٢) ياقوت : المرجع السابق جا ص ١٥٠-١٥٧ ، طبقات ابن سعد جا ص ١٩، البكرى: معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع - القاهرة ١٩٤٥م جا ص ١٤٠ ، جواد على : المرجع السابق جا ص ٣٠٣.

(٣) Ency. of Islam, I, P.121.

(٤) جواد على : المرجع السابق ص ٣٠٢ .

(٥) دائرة المعارف الاسلامية ج٣ ص ١٥.

(٦) تاريخ ابن عساكر جا ص ١٤ ، ٥٧ ، فتح البارى ج١٣ ص ٦٩ ،تفسير روح المعانى ياقوت ج٣ ص ٤٢٦-٤٢٧ ، البكرى ج٣ ص ١٨٤٣ (ومدن الجنة الاربع هى مكة والمدينة وايليا ودمشق واما مدن النار فهى انطاكية والطوانة والقسطنطينية وصنعاء) .

(٧) تفسير الطبرى: ج٣٠ ، ص ١٧٨ ،تفسير الفخر الرازى : ج٣١-١٦٧ ، تفسير روح المعانى : ج ٣٠-١٢٣.

تمجيدا للمسجد الاموى فى وقت كان فيه " عبدالله بن الزبير " يتحصن بالمسجد الحرام فى مكة المكرمة ،وكان اهل الحجاز فى شبه تحزب عام ضد بني امية [١]، وربما ان المسجد الاموى كان فى بادىء امره كنيسة بها قبور بعض قديسى اهل دمشق ، فلما تحولت الى مسجد ، تحولت قبور قديسيها بعواطف الناس ولعل الاصح عواطف السذج منهم ،وضعاف الكتاب من الاخباريين فجعلت منه شيئا يرجع فى قداسته الى أبعد العهود[٢] ، بل ان هناك جماعة من اهل الاخبار قبرت بعض الانبياء فى هذه المدينة واختارت المسجد الاموى نفسه مقبرة لهم [٣] .

على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب اصحابه الى آن اليمن انما كانت مكان دفن النبى الكريم[٤]، بينما يذهب وجه ثالث للنظر الى ان هودا عليه السلام انما قد دفن فى حضرموت ، فى كثيب احمر ،عند راسه سمرة[٥]،وان هناك قرية تسمى حتى الان " قبر هود "[٦]، او فى " وادى برهوت " على مقربة من مدينة " تريم " غير بعيد عن " بئر برهوت "[٧]، التى اشتهرت فى الجاهلية بانها شر بئر فى الارض ، ماؤها اسود ،وراثحتها كريهة ، حتى ذهب الخيال بالبعض الى القول بانها موضع تتعذب فيه ارواح الكافرين ، وانها تقذف بالوان من الحمم يسمع

---

(١) ابن الاثير: المرجع السابق ج٣ ص ٢٦٥ ومابعدها ،المسعودى: التنبيه والاشراف القاهرة ١٩٦٨ص ٤٠٢-٤٠٤ ، الدينورى : المرجع السابق ص ٢٦٠، الازرقي : اخبار مكة ج١ ص ١٩٦-٢٠٠ ،عبدالمنعم ماجد: التاريخ السياسى للدولة العربية — القاهرة ١٩٦٧م ج٢ ص ٧٩-٩١ .

(٢) جواد على: المرجع السابق ص ٣١٣ .

(٣) نفس المرجع السابق .

(٤) ابن كثير : المرجع السابق ص ١٣٠ .

(٥) تفسير الطبرى ج١٢ ص٥٠٧ ،تفسير روح المعانى ج٨ ص ١٦١، تفسير المنار ج٨ ص٤٩٦ ، تاريخ اليعقوبى ج١ ص ٢٧٠ ، معجم البلدان ج١ ص ١١٦، طبقات ابن سعد ج١ ص ٢٥ ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب — القاهرة ١٩٥٣ ص ٨٧ ، النويرى : نهاية الارب فى فنون الادب — القاهرة ١٩٤٣م ج١٣ ص ٦٠ . وكذا: Forster, J., The Historical Geography of Arabia, I.P. 374.

(٦) محمد مبروك نافع: عصر ماقبل الاسلام — القاهرة ١٩٥٢ ص ٣٣ .

(٧) صلاح البكرى :تاريخ حضرموت السياسى — القاهرة ١٣٥٤هـ ص ٦٥ ، تفسير روح المعانى ج٨ ص ١٥٦ ، ياقوت: المرجع السابق ج١ ص ٤٠٥ .

لها آزير راعب [1] وهكذا نشأت قصة قبر هود ، وهكذا حيكت الروايات الساذجة عن عذاب عاد [2] .

وهناك وجه رابع للنظر يذهب اصحابه الى ان النبى الكريم انما قد دفن فى فلسطين [3] ، وربما كان هذا الاتجاه يرتبط بوجهة النظر التى تجعل قوم عاد من شمال شبه الجزيرة العربية ، وليس من جنوبها كما سياتى فيما بعد فان صح هذا الاتجاه ، فربما كانت تلك الرواية تحمل نصيبا من صواب ، كثيرا كان أم قليلا .

هذا وهناك وجه خامس للنظر يذهب اصحابه الى ان هودا عليه السلام قد ذهب مع من آمن به الى مكة ، وعددهم ثلاثة الاف على زعم واربعة على زعم آخر ، وانه اقام هناك حينا من الدهر وحين انتقل الى الرفيق الاعلى دفن بالحجر من مكة فقبره اذن فى مكة بجوار قبور ثمانية وتسعين نبيا [4] .

بقيت الاشارة الى ان اختلاف النسابة فى نسب هود عليه السلام ومكان دفنه انما قد شجع البعض الى آن يعقد مقارنة لغوية بين هود واليهود [5] وان هناك شبها بين هود النبى وبين " هودا " الواردة فى قوله تعالى " وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا " [6] بمعنى " يهود " [7] غير انهم اختلفوا

---

(١) صلاح البكرى : المرجع السابق ص ٦٧ ، ياقوت : المرجع السابق ج٢ ص ٢٧٠ .

(٢) الهمدانى : المرجع السابق ص ٧٠ .

(٣) عبد الوهاب النجار : المرجع السابق ص ٥٣ ، الصابونى : النبوة والانبياء ص ٢٤٠ .

(٤) ابو الفدا : المختصر فى اخبار البشر - القاهرة ١٣٢٢ هـ ص ١٢ ، تفسير روح المعانى ج٨ ص ١٦١ . جواد على : المرجع السابق ص ٣١٣
وكذا : Ency. of Islam, 2, p.327.

(٥) انظر عن اصطلاح يهود (محمد بيومى مهران : اسرائيل ج١ ص ٣٣-٣٥) .

(٦) سورة البقرة : اية ١٣٥ .

(٧) انظر لسان العرب ج٤ ص ٤٥١ ، القاموس المحيط ج١ ص ٣٤٩ .
وكذا : EI, 2, p.327.

فى النتيجة ومن ثم ذهب فريق مستغلا فى ذلك ان بعض النسابة يرى ان هودا انما هو : عابر بن شالح بن ارفكشاد ، جد اليهود - ذهب الى انهودا لم يكن اسم رجل وانما هو اسم جماعة من يهود هاجرت الى بلاد العرب واقامت فى الاحقاف وحاولت تهويد الوثنيين الذين عرفوا هناك بيهوذا ، ومنها جاءت كلمة كلمة "هود" وانها استعملت من باب التجوز علما لشخص [1] ، وليس من شك فى ان هذا الاتجاه انما قد تأثر بأفكار يهود الى اقصى حد ان لم يكن رايا يهوديا صرفا ثم ان التاريخ لم يحدثنا ابدا عن هجرات يهودية الى منطقة الاحقاف بالذات من بلاد العرب ، وان حدثنا عن هجرات اخرى الى مناطق أخرى ، وبعد ذلك بمئات السنين وخاصة على ايام الرومان ، فى القرنين الاول والثانى بعد الميلاد فرارا من غضبة الرومان القاسية بعد تدمير القدس ، وهم الذين كونوا الجاليات اليهودية فى شمال الحجاز فى يثرب وخيبر ووادى القرى •

...

٣ - عصر عاد قوم هود :

لاريب فى ان الحديث عن تحديد عصر لقوم هود انما هو امر بالغ الصعوبة فالقصة كما قلنا قرآنية صرفة ، وليس فى القرآن الكريم او فى السنة النبوية الشريفة اشارة صريحة الى ذلك ،والاثار صامتة تماما فى هذا المجال وليس هناك اى نوع من الوثائق التاريخية التى يمكن للمؤرخ ان يعتمد عليها فى الوصول الى نتيجة يظن انها الصواب او حتى قريبا من الصواب ، ومن ثم فان المحاولات لاتعدو ان تكون عبارة عن فرضيات وظنيات حول ذلك •

---

(١) جواد على : المرجع السابق ص ٣١١ ، مجلة الهلال ج٢٣ ص ٨٩٤ (اغسطس ١٨٩٨)
وكذا : El, 2, p.328.

وربما نستطيع ان نحدد ذلك العصر بالالف الثانية قبل الميلاد على وجه التقريب ذلك لان القران الكريم انما يذكر عاد بعد ثمود وتاريخ ثمود دون شك اوضح من تاريخ عاد. هذا الى ان القرآن الكريم انما يذكر عادا كذلك بعد قوم لوط ، وثمود احدى القبائل العربية التي جاء ذكرها في النقوش الاشورية على انها تعيش في شمال شبه الجزيرة العربية منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد واما قوم لوط فقد كانوا معاصرين لابراهيم عليه السلام وهو الذي حددنا عهده من قبل في الفترة (١٩٤٠-١٧٦٥ ق.م) على وجه التقريب .ومن ثم فربما نستطيع أن نقول : ان عادا انما كانت في الفترة ما بين عهد ابراهيم عليه السلام وبين عهد ثمود ومن هنا فلو وضعنا قوم عاد في النصف الثاني من الالف الثاني قبل الميلاد لما تجاوزنا الصواب بكثير.

على ان الامر قد يختلف كثيرا اذا ماكان صحيحا ماذهب اليه بعض الباحثين كما اشرنا من قبل من الربط بين " ارم " و " آرام " وان ارم انما تتصل بالاراميين وبمعنى آخر ان هناك صلة بين قوم عاد وبين الاراميين عن طريق " عاد ارم "،فاذا كان ذلك كذلك فان قوم عاد انما يرجعون الى ماقبل ظهور الاراميين في العراق القديم في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد ذلك ان هناك نقشا من عهد الملك " نرام سن " ويرجع الى القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد جاء فيه ذكر لاقليم يدعى " ارام " يقع في اعالي بلاد الفرات . هذا فضلا عن لوحة تجارية ترجع الى عام ٢٠٠٠ ق.م وتشير الى مدينة او دولة ارام بالقرب من "اشنونا " (تل الاحمر الحالية) في وادي الدجلة الاسفل(١) وهذا التاريخ يتفق الى حد كبير مع وجهة نظر بعض المؤرخين والمفسرين الاسلاميين من ان عاد انما كانوا قبل عهد ابراهيم عليه السلام اى قبل القرن العشرين من الميلاد.

---

(١) موسكاتي: الحضارات السامية القديمة - ترجمة السيد يعقوب بكر القاهرة ١٩٥٨م ص ١٧٧-١٧٨ وكذا :
Roux, op.cit., p.247-249.

ولعلمما يؤيد وجهة النظر هذه عدة امور منها تلك الايات الكريمة التى جعلت قوم عاد خلفا لقوم نوح [١] كذلك ورود قصة هود بعد قصة نوح عليهما السلام فى كثير من آى الذكر الحكيم [٢]، هذا فضلا عن ذكر عاد وثمود بين قوم نوح وقوم ابراهيم [٣] ومنها قوله تعالى : " الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لايعلمهم الا الله " [٤] وقد اتخذ البعض من هذه الاية الكريمة والتى قبلها دليلا على ان هذه الاقوام، انما سبقت عهد موسى عليه السلام ، اي القرن الثالث عشر قبل الميلاد [٥]، على اساس أن الخطاب هنا موجه لقوم موسى [٦]، غير ان ابن كثير انما يرى ان الخبر مستانف من الله لهذه الامة اى امة محمد صلى الله عليه وسلم ، لان قصة عاد وثمود ليست فى التوراة [٧]، وتوسط البيضاوى بين ان يكون من كلام موسى او كلام مبتدأ من الله [٨] .

هذا فضلا عن ان الترتيب انما يختلف فى سورة الشعراء اذ تسبق قصة موسى الآيات (١٠-٦٨) قصة ابراهيم (٦٩-٨٩) ثم تاتى بعد ذلك قصة نوح (١٠٥-١٢١) فقصة هود (١٢٤-١٤٠) فقصة صالح (١٤١-١٥٩) فقصة لوط(١٦٠-١٧٥) ثم قصة شعيب (١٧٦-١٩١) بل ان ثمودا انما تتقدم فى عاد فى سورة (ق) حيث يقول تعالى : " كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط " [٩]

---

(١) سورة الأعراف آية ٦٩ ، سورة ابراهيم : اية ٩ ،سورة غافر : اية ٣١ .
(٢) انظر مثلا: سورة هود والاعراف والمؤمنون والشعراء .
(٣) سورة التوبة: آية ٧٠.
(٤) سورة ابراهيم آية ٩.
(٥) من عصر موسى انظر: محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٨٥-٤٣٩.
(٦) تفسير الطبرى ج١٣ ص ١٨٧ (ط الحلبى - القاهرة ١٩٥٤) .
(٧) تفسير ابن كثير ج٤ ص ١١١ (ط دار الشعب - القاهرة ١٩٧١م).
(٨) تفسير البيضاوى ج١ ص ٥٢٥-٥٢٦ (القاهرة ١٩٦٨).
(٩) سورة ق : آية ١٢-١٣.

كما أن فرعون ، وهو هنا الفرعون الذى عاصر موسى عليه السلام انما يسبق ذكره قوم لوط ، مع ان قوم لوط ، كما اشرنا آنفا من معاصرى ابراهيم عليه السلام ، وبدهى ان عصر ابراهيم انما يسبق عصر موسى عليهما السلام بما يقرب من ستة قرون .

...

٤ — موطن قوم عاد :

يذهب المؤرخون المسلمون الى ان منطقة عاد انما تقع فى الاحقاف الى الشمال الشرقى من حضر موت فى جنوب الربع الخالى [1] ، استنادا الى الاية الكريمة " واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف " [2] والاحقاف طبقا لرواية تنسب لابن عباس حبر الامة وترجمان القران ، واد بين عمان وارض المهرة ، وطبقا لاخرى تنسب لابن اسحاق انه رمل بين عمان الى وادى حضر موت ، وطبقا لرواية ثالثة تنسب لقتادة هو رمل مشرف على البحر بالشحر من ارض اليمن [3] .

ويذهب ابن خلدون الى ان عاداً انما كانت مواطنهم الاولى باحقاف الرمل بين اليمن وعمان الى حضر موت والشحر [4] وأما اليعقوبى فالرأى عنده ان منازل عاد انما كانت بين اعالى حضرموت الى أودية نجران [5] ، وذهب النجار الى ان منازل عاد انما هى ارض الاحقاف شمال حضرموت [6] ، وذهب الدكتور عبد الوهاب عزام الى ان شمال حضرموت وشرقها انما يسمى الاحقاف ، [7] واما الاستاذ سيد مظفر نادشى فقد توسع

---

(١) ابو الفدا : المرجع السابق ص ٩٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية جا ص ١٢٠ ، المسعودى : المرجع السابق ج٢ ص ١٢ ، ابن الاثير : المرجع السابق جا ص ٨٥ ، ياقوت : المرجع السابق جا ص ١١٥–١١٦ ، الهمدانى : المرجع السابق ص ٨٧ ، ابن حوقل : صورة الارض ص ٤٤ ، ابن قتيبة : المرجع السابق ص ٢٨ ، الاصطخرى المرجع السابق ص ٢٦ ، تفسير القرطبى ٢٣٦/٧ (القاهرة ١٩٥٠) .

(٢) سورة الاحقاف : اية ٢١ .

(٣) معجم البلدان جا ص ١١٥ .

(٤) تاريخ ابن خلدون جا ص ٢٢ .

(٥) تاريخ اليعقوبى جا ص ٢٢ .

(٦) عبد الوهاب النجار : المرجع السابق ص ١٥ـ

(٧) عبد الوهاب عزام : مهد العرب ص ١٠٧–١٠٨ .

فى أرض عاد فذهب الى ان عادا انما عاشت فى خير بقاع بلاد العرب وهى اليمن وحضرموت . فانتشرت بين سواحل الخليج الفارسى (العربى) وحدود ارض الجزيرة . بل انه ليذهب بعيدا حين يقول ان عادا كانت امة عظيمة اسست اقدم مدينة عرفها العالم وكانت اسيا وافريقيا ميدانا لنشاطهم [١] ويذهب ابن قتيبة فى المعارف الى ان عادا كانت ثلاث عشرة قبيلة ينزلون الرمل وبلادهم اخصب البلاد وكثرتهم وديارهم بالدو والدهناء وعالج ويبرين ووبار الى عمان الى حضرموت واليمن [٢] .

وهكذا يكاد يجمع المؤرخون المسلمون على ان منازل عاد انما كانت بالاحقاف ، والحقف كما فى القاموس [٣] ، المعوج من الرمل ، أو الرمل العظيم المستدير أو المستطيل المشرف . ولكن الحقف يمكن ان يوجد فى اكثر من مكان فى شبه الجزيرة العربية ، ولم يحدد القران الكريم موضع الاحقاف بالنسبة الى شبه الجزيرة العربية ، كما ان القاموس العربى لم يحدد وجود الرمل فقط فى جنوب الجزيرة ، كصفة من صفاته اكثر من كونه صفة لبقية انحاء الجزيرة ، بل يمكن أن نقول أن الجزيرة العربية معظمها رمال [٤] ، اما الذى حدد ذلك فهم المفسرون كما راينا ومن ثم فقد ذهبوا الى أن الأحقاف بناحية الشحر فى الجانب الجنوبى الغربى من الربع الخالى بناحية حضرموت ، اليمن ، وان فى الاحقاف هذه كانت

---

(١) سيد مظفر نادشى : التاريخ الجغرافى للقران ـ ترجمة عبد الشافى غنيم — وحسن محمد جوهر — القاهرة ١٩٥٦م ص ١٢٨ ، ١٦٧ .

(٢) ابن قتيبة : المرجع السابق ص ٢٨ .

(٣) القاموس المحيط : جـ٣ ص ١٢٩ .

(٤) عبد الرحمن الانصارى : لمحات عن القبائل البائدة فى الجزيرة العربية — الرياض — ١٩٦٩م ص ٨٨ .

منازلعاد[١] ، وزاد بعضهم فذهب الىانها انما كانت فيما بين عمان الى حضرموت فاليمن كله • وكانوا مع ذلك قد فشوا فىالارض كلها وقهروا اهلها بفضلقوتهم التى أتاهم الله[٢] •

وهناك وجهةنظر اخرى ، فالابحاث الحديثة تذهب الىان عاد انما تقع فى شمال الجزيرة العربية ، وليس فىجنوبها وانها ربما كانت تموج فىالمنطقة الممتدة من منطقة الحسيمات فى سيناء وحتى منطقة " آجا وسلمى " فىمنطقة قبيلة شمر[٣] ، ولعلاهممايؤيد وجهة النظر هذه عدة امور :

(اولا) : ان " فورستر " انما يذهبالىان القوم الذين ذكرهم بطليموس فىكتابه "الجغرافية " الذىأخرجه حوالىعام ١٥٠م تحت اسم (Oaditae) انما كانوا يسكنون فىشمال غرب شبه الجزيرة العربية[٤] ، وربما عند موضع " بئر ارم " فى منطقة الحسيمات على مقربة من جبليعرف بهذا الاسم فى ديار " جذام " بينايلة وتيه بنى اسرائيل[٥] ، وان هذا الموضع ليس ببعيد عن ديار ثمود ، الذينارتبط اسمهمباسمعاد • كما ان هناك كثيرا من الباحثين ومنهم شبرنغر ، يؤيدونهذا الراىالىحد كبير[٦] •

---

(١) عمر فروخ : تاريخ الجاهلية ص ٢٨ ، ياقوت: المرجع السابق ١/١١٥-١١٦ ، القلقشندى : نهاية الارب فى معرفة انسابالعرب - القاهرة ١٩٥٩ ص ٣٢٨ ، ابن قتيبة : المرجع السابق ص ١٤• ثمقارن : القسطلانى (جه ص ٣٣٣) حيث يجعل قوم عاديسكنون جنوبحضرموت علىالمحيط الهندي - مع ان الاحقاف فى شمال حضرموت ، تفسير المنار (جه ص ٤٩٥-٤٩٦) حيث يضيف ان عادا كانت بينالشام الىاليمن ، امين مدنى : حيث يرىانالمعينيين هم قوم عاد (العرب فياحقاب التاريخ ج٢ ص ١٢٨ - القاهرة ١٩٧١)•

(٢) تفسير الطبرى ج١٢ ص٥٠٧ ، تفسير المنار جه ص ٤٩٥•

(٣) عبدالرحمن الانصارى : المرجع السابق ص ٨٨ •

(٤) Forster, AJSL, 1932, p.32.

(٥) الهمدانى : المرجع السابق ص١٢٩ ، ياقوت : المرجع السابق ج١ ص ١٥٤-١٥٥ ، وكذا : El, I, p.121.

(٦) Sprenger, A., Die Alte Geographic Arabiens, Berlin, 1875, p. 207.

ثانيا : أننا لوقمنا بمسح للوديان الموجودة فى شمال الحجاز لوجدنا فعلاواديا يسمى " وادى ارم " كما اثبتت الحفريات الاثرية وجود مكان يسمى " ارم " فى منطقة جنوب الاردن [١] .

ثالثا : ان عادا اقترن ذكرها بثمود " الذين جابوا الصخر بالواد " [٢] ولعله فيما يرى البعض وادى القرى [٣] ، أحد الاودية التى تتخلل سلسلة جبال حسمى ، ومن بينها جبل ارم ، والذى يسمى الان " رم " ويكون الحد الشمالي للحجاز ، وعنده يوجد الكثير من الماء [٤] ، اضف الى ذلك ان " ياقوت " ذكر جبلا سماه " جشارم " عند آجا احد جبلى طىء أملس الاعلى سهل ترعاه الابل وفي ذروته مساكن لعاد وارم ،فيه صور منحوته من الصخر [٥] ، ورغم ان ياقوت قد فرق هنا بين عاد وارم وجعلهما قومين ، الا آن الواو هنا ربما كانت زيادة من الناسخ [٦] .

رابعا : وجود أسماء محلات آخرى عثر فيها على نقوش وتماثيل وصفت فى الكتب العربية بانها مساكن قوم عاد [٧] .

خامسا : آن حفائر " هورسفيلد " فى جبل " رم " على مبعدة ٢٥ ميلا الى الشرق من العقبة ، وكذا حفائر "سافيناك " و " جليدن " قد اثبتت ان هذا المكان هو موضع "ارم " الوارد ذكره فى القرآن الكريم ، وقد حل به الخراب

---

(١) عبد الرحمن الانصارى : المرجع السابق ص ٨٨ .
(٢) سورة الفجر : اية ٩ .
(٣) ابن كثير : المرجع السابق جا ص ١٣٠ ، ابو الفداء : المرجع السابق جا ص١٢ ، البكرى : المرجع السابق ج٢ ص ٤٢٦ ، ابن الاثير : المرجع السابق جا ص ٨٩ ، الديار بكرى: المرجع السابق ص ٨٤ ، تاريخ الطبرى جا ص ٢٢٦-٢٢٧، تفسير روح المعانى جـ٨ ص ١٦٢ ،جـ١٤ ص ٧٦.
(٤) الويس موسل : شمال الحجاز: ترجمة عبد المحسن الحسينى - الاسكندرية - ١٩٥٢ ص ٥٧-١٣٠.
(٥) ياقوت: المرجع السابق ج٢ ص ١٤١ .
(٦) جواد على : المرجع السابق جا ص ٣٠٦.
(٧) نفس المرجع السابق .

قبل البعثة المحمدية ، ومن ثم فلم يبق منه عند ظهور الاسلام غير" عين ماء " كان ينزل عليها التجار ورجال القوافل الذين كانوا يمرون بطريق الشام - مصر - الحجاز [1]، بل قد يفهم من نص "لابي شامة " انه في الفترة التي كان الصليبيون يحتلون فيها حصن الكرك والشوبك ، كان الجيش المصري يعسكر عند جبل " رم" اثناء مرور الحجيج من ايلة الى مكة المكرمة وذلك لحماية الحجاج من الهجمات التي كان الصليبيون يشنونها عليهم [2] .

سادسا : أن بعضا من الكتاب العرب أنفسهم انما يرى الاحقاف التي كانت منازل عاد انما هي جبل الشام او هي حشاف من حسمى والحشاف الحجارة في الموضع السهلي [3]، وان اسم الاحقاف (حقاف) ماتزال تراه باقيا حتى الان في المنطقة الجنوبية الغربية من البدع (مدين) [4] والقلقشندي يضع عاد في مدين [5].

سابعا : أن هناك من يذهب الى أن هودا قد يكون احد الانبياء الذين كانوا في منطقة فلسطين وشمال الحجاز، وأنه قد ارسل الى قوم عاد ،وان كل هذه القرائن مجتمعة تجعلنا نعتقد ان عاد انما كانت في شمال شبه الجزيرة العربية وليس في جنوبها [6] .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن " هادون العطاس "[7] انما يرى رغم الادلة التي تشير الى ان عادا كانوا في شمال الجزيرة العربية وليس في

---

(١) انظر : BASOR, 73, 1939, p.14-15.
وكذا RB, XLI, 1932, p.581, XLII, 1933, p.405, XLIII, 1934, p. 572.

(٢) الويس موسل : المرجع السابق ص ٥٧.

(٣) البكري : المرجع السابق جا ص١١٩.

(٤) الويس موسل : المرجع السابق ص ١٢٧.

(٥) القلقشندي : المرجع السابق ص ١٩.

(٦) عبد الرحمن الانصاري : المرجع السابق ص ٨٨ .

(٧) هادون أحمد العطاس : المرجع السابق ص ٣٤-٣٥.

جنوبها ، أن منازل عاد اصلا في جنوب الجزيرة العربية وتشمل اليمن وحضرموت وعمان ، وأن هذا لايمنع من امتداد مجالهم الحيوى الى شمال الجزيرة ، بل والهلال الخصيب وذلك لاسباب منها ان وادى حضرموت مايزال حتى اليوم يسمى وادى الاحقاف ، ومنها انه لايوجد وادى في جميع أنحاء الجزيرة العربية يسمى وادى الاحقاف ، غير وادى حضرموت ، ومنها ان الناحية الشمالية الغربية من جزيرة العرب شمال الحجاز الى العقبة وماحولها وادى القرى ومدائن صالح ومنطقة حسمى كلها ارض شبه صخرية وانه لاتوجد اية اشارة الى احقاف فى هذه المنطقة لانها من المناطق الجبلية وشبه الصخرية .

٥ - مبالغات عن عاد قوم هود :

لاريب فى أن هناك فريقا من المفسرين والمؤرخين قد أسرفوا كثيرا فى الاستنتاج مما ورد فى بعض آى الذكر الحكيم ، ففسر بعضهم قوله تعالى " وزادكم فى الخلق بسطة "[1] الى أن عادا كانوا ضخام الاجسام حتى أن راس الواحد منهم كانت كالقبة العظيمة ، وحتى ان عين الواحد منهم كانت تفرخ فيها السباع ، كما كانوا فى هيئة النخل طولا وان الواحد منهم قد يبلغ اثنى عشر ذراعا ، وربما الطويل منهم اربعمائة ذراع ، وربما خمسمائة[2] ، كما كان الواحد منهم ياخذ الصخرة العظيمة فيقلبها على الحى فيهلكهم ، وان الرجل كان يتخذ المصراع من حجارة ، ولو اجتمع عليه خمسمائة من هذه الامة لم يستطيعوا ان يقلوه ، وكانت نفوسهم قوية واكبادهم غليظة ، ولم يكن فى الارض آمة هى اشد بطشا واكثر آثارا واقوى عقولا ، واكثر احلاما من قوم عاد ، ولم يكن الهلك يعرض فى اجسامهم لقوة آثار الطبيعة فيها وما اتوه من الزيادة فى تمام البنية وكمال الهيئة على حسب ما اخبر الله عز وجل ، وكانوا فى اتصال الاعمار

---

(١) سورة الاعراف : آية ٦٩.

(٢) لاحظ التعارض مع حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " ان الله خلق آدم طوله ستون ذراعا فى الهواء ، فلم يزل الخلق ينقص الى الان " (انظر : تفسير القرطبى جـ٢٠ ص ٤٥) .

وطولها بحسب ذلك القدر ، حتى زعم البعض ان عادا تزوج الف امرأة ، وعاش الف سنة ومائتى سنة ، ثم مات بعد ان رأى من صلبه اربعة الاف ولد كما راى كذلك البطن العاشر من أعقابه ، وكان الملك من بعده فى الاكبر من ولده وهو شداد الذى حكم ٨٥٠ سنة . ثم جاء من بعده اخوه شداد ، حيث حكم ٩٥٠ سنة ، سيطر فيها على كل ممالك العالم ، وبنى مدينة ارم ذات العماد [١] .

ولاريب فى أن فى هذا ما فيه من تحميل للاية الكريمة اكثر مما تحتمل يشبه ما كانت توصف به فراعنة مصر من الفخامة والطول مما كذبه الواقع بعد كشف مومياتهم ، والتى مازال بعضها شاهدا على ذلك فى المتحف المصرى فى القاهرة ، هذا فضلا عن أن الباحثين لم يعثروا حتى الان على عظام بشرية من غابر القرون يمكن ان تنطبق عليها ما وصف به المؤرخون والاخباريون قوم عاد ، ومن ثم فنحن لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان قوم هود كانوا يتميزون بضخامة لا تزيد عما يتميز به بعض الافراد والعشائر بيننا الان من بسطة فى الخلق [٢] .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى ان فريقا من المؤرخين والمفسرين لم يتقبل هذه المبالغات بقبول حسن ، فالامام ابن كثير يذهب فى تفسيره للاية الكريمة " وزادكم فى الخلق بسطة " الى ان المعنى جعلهم اشد اهل زمانهم فى الخلقة والشدة والبطش ، كما فى البداية والنهاية وفى التفسير : اى زاد طولكم على الناس بسطة اى جعلكم اطول من ابناء جنسكم كقوله تعالى فى قصة طالوت " وزاده بسطة فى العلم والجسم [٣] ، وذهب صاحب تفسير المنار [٤] الى القول: وزادكم فى المخلوقات بسطة وسعة فى الملك والحضارة ، او زادكم بسطة فى ابدانكم اذ كانوا طوال الاجسام اقوياء الابدان . هذا ومن التفسير المأثور روايات

---

(١) المسعودى : المرجع السابق ج٢ ص ١٢-١٣ ، تفسير القرطبى ج٢٠ ص٤٥ ، تفسير الفخر الرازى ج٣١ ص ١٦٨ ، تفسير الطبرى : ج٣٠ ص ١٧٦ . تفسير روح المعانى ج٣٠ ص ١٢٣ .

(٢) محمد مبروك نافع : المرجع السابق ص ٣٣ .

(٣) ابن كثير : المرجع السابق ج١ ص ١٢٣ ، مختصر تفسير ابن كثير ج٢ ص ٢٩ .

(٤) تفسير المنار ج٨ ص ٩٩ .

اسرائيلية في المبالغة في طولهم وقوتهم لايعتمد عليها ويحتج بشيء منها .

هذا وقد اسرف خيال بعض المؤرخين الاسلاميين كذلك في تفسير الاية الكريمة " الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد "(1) ، فذهب بعضهم الى ان "ارم ذات العماد " مدينة بناها شداد بن عاد " في بعض صحاري عدن في ثلاثمائة عام ، على رواية، وخمسمائة عام على رواية اخرى وذلك لكي ينافس بها قصور الذهب والفضة في الجنة التي تجري من تحتها الانهار ، وانه كتب الى عماله، وكانوا فيما يصوره خيالهم، في جميع ممالك الارض ان يجمعوا له ما في ارضهم من الذهب والفضة والدر والياقوت والمسك والعنبر والزعفران فتوجهوا به اليه ثم استخرج غواصو الجواهر فجمعوا امثال الجبال وانه امر بالذهب فضرب امثال اللبن وكذا فعل بالفضة ثم بني المدينة بهما ثم زين حيطانها بالدر والياقوت والزبرجد ثم جعل لها غرفا من فوقها غرف تعتمد على اساطين من الزبرجد والياقوت ثم اجرى من تحت المدينة واديا طليت حافته بالذهب الاحمر وجعل حصاه انواعا من الجوهر وبنى بالمدينة ثلاثمائة الف قصر وجعل على بابها مصراعين من ذهب مفصصين بانواع الياقوت وجعل ارتفاع البيوت في المدينة ثلاثمائة ذراع وبنى خارج السور كما يدور ثلاثمائة الف قنطرة بلبن الذهب لينزلها جنوده وان المدينة كانت بعد ذلك تدور في الارض فتارة في الشام، وتارة في اليمن، وتارة في الحجاز، وتارة في غيرها .

واما مصير المدينة بعد ذلك فموضع خلاف فرواية تذهب الى انها طارت في السماء وان بعض الناس يلمحونها وهي طائرة ورواية تذهب الى انه لايراها الا من كتب الله له ذلك ومنهم "عبد الله بن قلابة "الذي رآها على ايام معاوية بن ابي سفيان (٤١-٦٠ هـ) وانه حمل الى الخليفة بعض احجارها الصغيرة فضلا

---

(1) سورة الفجر: اية ٦-٨ .

المسك والكافور واللؤلؤ غير ان هذه الاشياء سرعان ماتحولت الى تراب عندما تعرضت للهواء ومن ثم فقد استدعى معاوية كعب الاحبار وساله عن خبر هذه المدينة فاجاب كعب على الفور : انها ارم ذات العماد وسوف يدخلها رجل من المسلمين فى زمانك ، احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فابصر " ابن قلابة " فقال : هذا والله ذاك الرجل[1] .

وهكذا يبلغ الخيال ببعض المؤرخين حدا لانجد له مثيلا الا فى الاساطير ولست ادرى من اين جاءوا بكل هذا ثم من اين جاء " كعب الاخبار " بأساطيره هذه والقصة ، كما قلنا ، قرآنية صرفة وليس فى التوراة على فرض ان كعبا خبير بما فى التوراة ، آية اشارة من قريب او بعيد عن هذه القصة ، ولعل الذى دفع بعض المؤرخين المسلمين الى هذا الغلو فى الوصف ان القوم بعد الفتوحات الاسلامية المجيدة راوا اثار الفراعين فى ارض الكنانة والاشوريين والبابليين فى بلاد الرافدين فضلا عن اثار الروم فى الشام ومن ثم فقد انفوا ان تكون مدينة عاد اقل من هذه الاثار ان لم تفقها الى اقصى الحدود فكان الخيال الذى ينزل بكتاباتهم من مستوى حقائق التاريخ الى مبالغات الاساطير[2].

هذا وقد اختلف المفسرون والمؤرخون ايضا فى مكان مدينة "ارم " هذه ، فذهب بعضهم الى انها " تيه ابين " بين عدن وحضرموت وذهب اخرون الى انها دمشق وزعم فريق ثالث الى انها مدينة الاسكندرية . وهكذا وجد الاخباريون فى دمشق والاسكندرية وكل ماتخيلوه عن "ارم ذات العماد " وبخاصة المباني الضخمة والمنشآت العظيمة ذات العمد فضلا عن تاريخ تليد مجيد للمدينتين الكبيرتين ومع ذلك فقد كان لكل من اختيار المدينتين سبب يختلف عن اختيار

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج١ ص ١٢٠ ، المسعودى : المرجع السابق ج٢ ص ١٢-١٣ ، تاريخ ابن خلدون ج٢ ص ٢٢ ، ياقوت: المرج(ع) السابق ج١ ص ١٥٥-١٥٧. تفسير روح المعانى ج٣٠ ص ١٢٣ ، تفسير القرطبى ج٢٠ ص ٤٧ ، دائرة المعارف الاسلامية ج٣ ص ١٦ ، جرجى زيدان : العرب قبل الاسلام ص ٦٤-٦٦ ، محمد مبروك نافع : المرجع السابق ص ٣٤-٣٥.

(٢) محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم — ص ٢٥٢.

الاخرى(١) .

وكان اختيار دمشق كما قلنا آنفا ، لانها اهم مراكز الارامييين ولان عاد ارم تعنى فيما يرى البعض ،عاد ارام ، ومن ثم فقد التبس الامر على البعض وظنوا ان ذات العماد صفة فزعموا انها مدينة بناها عاد او شداد بن عاد(٢) .

واما الاسكندرية فكان اختيارها بسبب انتشار قصص مؤسس الاسكندرية الاسكندر الاكبر (٣٥٦-٣٢٣ ق.م) فى الاساطير العربية الجنوبية وبخاصة فى كتابات " وهب بن منبه " ومن ثم فقد غدا " شداد بن عاد " بانيا للاسكندرية وأصبح الاسكندر المقدونى مكتشفا لها(٣) ، ويروى المسعودى ان الاسكندر المقدوني اكتشف فى موقع الاسكندرية اثر الكتابة بالقلم المسند ، وهو القلم الاول من اقلام حمير وملوك عاد ، يسجل فيه " شداد بن عاد " انه كان يبغى ان يبنى هنا مدينة كمدينة ارم غير أنه كان فى عجلة من امره ، هذا يفيد ان الاسكندرية ليست ارم وانما هى مجرد مدينة أراد شداد أن تكون كإرم وأن ينقل اليها كل ذى اقدام وكرم من جميع العشائر والامم (٤) .

على ان هناك من يرى انه ليست هناك مدينة فى الاصل تسمى "ارم " وان كل ذلك لايعدو ان يكون اثرا من خيال القصص الذى كان له اثر كبير فى فعال المفسرين ومن ثم فان "ارم " هى الامة وربما القبيلة ولكنها ليست مدينة(٥). ومن ثم فقد ذهب ابن كثير الى ان من زعم ان ارم مدينة فقد ابعد النجعة وقال مالادليل عليه ولابرهان

---

(١) المسعودى : المرجع السابق ج٢ ص ١١٠-١١١ ، ٤١٠ ياقوت ج١ ص ١٥٥ ، ١٨٣ ، ج٢ ص ٤٦٤ ، البكرى :المرجع السابق ج٢ ص ٤٠٩ ، الهمدانى : المرجع السابق ص ٨٠ ،تفسير الطبرى ج٣٠ ص ١٧٥ ،تفسير الفخر الرازى ج٣١ص ١٦٧.

(٢) ياقوت : المرجع السابق ج١ ص ١٥٥-١٥٧ ، البكرى : المرجع السابق ج١ ص ١٤٠. وكذا Bowman, op.cit., p.66-67.

(٣) BASOR , 73, 1939, p. 13.

(٤) المسعودى : المرجع السابق ج١ ص ٤١٠-٤١١.

(٥) تاريخ ابن خلدون ج٢ ص ٢٢ .

يعول عليه ولامستند يركن اليه [1] ، وجاء في التفسير ان ارم قبيلة وقد وصفت بانها لم يخلق مثلها في البلاد اى بلادهم لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم وقال مجاهد : ارم أمة قديمة يعني عاداً الاولى ومن زعم انها دمشق او الاسكندرية او غيرهما فضعيف لانه لايتسق الكلام حينئذ ثم المراد انما هو الاخبار عن اهلاك القبيلة المسماة بعاد وما احل الله بهم من باسه الذى لايرد لا ان المراد الاخبار عن مدينة أو اقليم [2] .

...

(١) ابن كثير : المرجع السابق جا ص ١٢٠ .
(٢) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ج٣ ص ٦٣٧ .

٢ ـ صالح عليه السلام :

(أ) قصة ثمود قوم صالح فى القرآن الكريم :

من المعروف ان قصة ثمود ونبيهم صالح عليه السلام [1] شانها فى ذلك شان قصة عاد ونبيهم هود ، لم ترد فى اسفار العهد القديم [2] وانما هى قصة قرآنية صرفة ، انفرد القرآن الكريم بذكرها فى كثير

---

(١) اختلف المفسرون فى اسم النبى الكريم ، فهو صالح بن عبيد بن ماسخ او (ماشج) بن عبيد بن حاذر او حاجر على راى ، وهو صالح بن آسف بن كماشج بن ارم بن ثمود على راى ثان ، وهو صالح بن عبد بن ماسج بن عبيد ابن حاجر بن ثمود على راى ثالث الى غير ذلك من سلسلة انساب (انظر : تاريخ الطبرى ج١ ص ٢٢٦ ، ابن كثير : المرجع السابق ج١ ص ١٣٠-١٣١ ، ابن الاثير : المرجع السابق ج١ ص ٨٩ ، تفسير المنار ج٨ ص ٥٠١ ، تفسير روح المعانى ج ٨ ص ١٦٢ ، ابن قتيبة : المعارف ص ١٤ ، المقدسى : كتاب البدء والتاريخ ج٣ ص ٣٧) .

(٢) تعرض بعض المؤرخين المسلمين لعدم ذكر عاد وثمود فى التوراة فابن خلدون يذهب الى ان السبب ان التوراة لم تتعرض الا لمن كان من عمود النسب بين موسى وادم ، واما ابن كثير فيذهب الى ان فى القرآن ما يدل على ان موسى اخبر عن عاد وثمود كما فى الايتين ٨ ، ٩ من سورة ابراهيم . ولكن لما كانت عاد وثمود من العرب لم يضبط بنو اسرائيل خبرهما جيدا ولا اعتنوا بحفظه وان كان خبرهما كان مشهورا فى زمان موسى عليه السلام (البداية والنهاية ج١ ص ١٣٢ ثم قارن ذلك بما جاء فى : تفسير ابن كثير ج٤ ص ١١١ القاهرة ١٩٧١) .

والواقع أن التوراة انما تهتم بالقبائل العربية ذات العلاقة الاقتصادية او السياسية باليهود ولهذا فهى عندما تتحدث عن قبائل شبه الجزيرة العربية انما تتحدث عنها على اساس انها قبائل لها علاقة ببنى اسرائيل ، ثم هى قبائل متبدية فى المكان الاول الا عندما يتصل الامر بقصة سليمان وملكة سبأ فالامر جد مختلف ويصبح لهذه القبائل شان اخر ، هذا الى ان اليهود كما هو معروف ، كثيرا ما غيروا من حقائق تاريخية لاسباب سياسية ودينية ، فلقد اخرجوا الكنعانيين وكذا المصريين من الساميين ، بسبب عدائهم للمصريين بخاصة والعرب بعامة ، وفى نفس الوقت اضافوا شعوبا غير سامية كالعيلاميين واللوديين بل ان توراة يهود مضطربة فى نسب الجالية السبئية فى العلا ، فهم مرة قبائل كوشية واخرى من ولد ابراهيم من زوجه قطورة . (انظر : محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ص ٣٠ ، ٢٦٨ - ٢٦٩ ، اسرائيل ج ٣ ص ٢٤٣ - ٣٤٤ (=)

من سوره[(١)] ، هذا الى جانب أن كثيرا مايقرن الله تعالى فى كتابه العزيز[(٢)] بين ذكر عادوثمود[(٣)] كما اشرنا من قبل ، وفى كل هذه الايات الكريمة نرى قوم ثمود يعبدون آلهة غير الله ويعيثون فى الأرض فسادا ، وينحتون من الجبال بيوتا فارهين ، فارسل الله اليهم اخاهم صالحا يدعوهم الى عبادة الله الواحد القهار وينهاهم عن عبادة الاوثان ، وينذرهم عذاب يوم عظيم " لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل "[(٤)] .

ونجح صالح عليه السلام فى دعوته مع نفر قليل من قومه الا ان الغالبية العظمى منهم كفروا برسالته وعتوا فى طغيانهم عتوا كبيرا وطلبوا منه أن يجىء بآية ، ان كان من الصادقين ، فقال لهم : " هذه ناقة الله لكم آية فذروها تاكل فى أرض الله ولاتمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم "[(٥)].

(=) عبد الرحمن الانصارى : المرجع السابق ص ٨٦ ، جواد على : المرجع السابق جا ص٣٢٤ ·

وكذا : Albright W.F. The Bible and The Ancient Near East , London , 1961, p.300.

(١) سورة الاعراف (٧٣-٧٩) وهود (٦١-٦٨) والحجر (٨٠-٨٤) والشعراء (١٤١-١٥٩) والنمل (٤٥-٥٣) و ص (١٣) وفصلت (١٧-١٨) والذاريات (٤٣-٤٥) والنجم (٥٠-٥١) والقمر (٢٣-٣٢) والحاقة (٤-٥) والفجر (٩) والشمس (١١-١٥)·

(٢) انظر: التوبة (٧٠) وابراهيم (٩) والفرقان (٣٨) وق (١٢-١٣) والنجم (٥٠-٥١) والفجر (٦-٩)·

(٣) هناك خلاف بين الباحثين فى النسبة الى ثمود فهى اما الى جد القبيلة ثمود واما لقلة مائهم فهو من ثمد الماء اذا قل والثمد الماء القليل · (تفسير المنار ج ٨ ص ٥٠١ وتفسير روح المعانى جـ٨ ص ١٦٢)·

(٤) سورة النساء: اية ١٦٥·

(٥) سورة الاعراف : آية ٧٣ ·

ويقول ابن كثير في التفسير : ان القوم كانوا هم الذين سألوا صالحا أن يأتيهم بآية ، واقترحوا عليه ان تخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم وهى صخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاتبة ، فطلبوا منه ان يخرج لهم منها ناقة عشراء تمخض ، فاخذ عليهم صالح العهود والمواثيق لئن آجابهم الله الى طلبتهم ليؤمنن به وليتبعنه ، فلما اعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام الى صلاته ودعا الله عز وجل فتحركت تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء يتحرك جنينها بين جنبيها كما سألوا فعند ذلك آمن رئيسهم " جندع بن عمرو " ومن كان معه على أمره واقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعته بين اظهرهم مدة تشرب من بئرها يوما وتدعه لهم يوما ، وكانوا يشربون لبنها يوم شربها ، يحتلبونها فيملاون ماشاءوا من آوعيتهم واوانيهم كما قال تعالى في القمر : " ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر " وقال تعالى في الشعراء (اية :١٥٥) " هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم " وكانت تسرح في بعض تلك الاودية ترد من فج وتصدر من غيره ليسعها لانها كانت تتضلع من الماء وكانت على ماذكر خلقا هائلا ومنظرا رائعا اذا مرت بانعامهم نفرت منها، فلما طال عليهم ذلك واشتد تكذيبهم للنبى الكريم عزموا على قتلها ليستأثروا بالماء كل يوم ، فيقال انهم اتفقوا كلهم على قتلها ، قال قتادة : بلغنى ان الذى قتلها طاف عليهم كلهم انهم راضون بقتلها حتى على النساء في خدورهن وعلى الصبيان ، فقلت : وهذا هو الظاهر لقوله تعالى في الشمس : " فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها " وقال في الاعراف : " فعقروا الناقة " فاسند ذلك على مجموع القبيلة فدل على رضى جميعهم بذلك ، والله أعلم[1] .

وهكذا يبدو واضحا ان صالحا عليه السلام نصح لقومه وذكرهم بآيات الله واقام لهم من الادلة على صدقه في دعوته ماعلى مثله آمن الناس غير ان النفوس

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير للصابونى ج٢ ص ٣٢.

العاتية التى لاتسمع موعظة ولاتقبل نصيحة والتى أعماها حب التمرد والطغيان وأصم اذانها عن قبول دعوة الله قد أبت الا الاجرام فاقدموا على عقر الناقة بغيا وعتوا " فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا: ياصالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين • فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين "(1) وهكذا هلك الكافرون بدعوة صالح الا رجلا واحدا ، دعوه أبا رغال ، كان فى حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله (2)، وان اضافت رواية اخرى انه ما ان خرج من الحرم حتى أصابه ما أصاب قومه (3) .

وأما مصير المؤمنين بصالح بعد نجاتهم فموضع خلاف بين المفسرين فذهب فريق الى انهم سكنوا الرملة من فلسطين لانها اقرب بلاد الخصب اليهم والعربى انما يطلب الكلأ لـيرعى ماشيته ، والارض ذات الماء وذهب فريق آخر الى أنهم سكنوا مكة ، وأن صالحا انما توفى بها وهو ابن ثمان وخمسين سنة وذهب فريق ثالث الى انهم سكنوا حضرموت ، بل وزعم هذا الفريق ان قبر النبى الكريم هناك كذلك (4) .

ولعل من الجدير بالاشارة ان هناك من يرى ان ثمودا انما اصيبوا بكارثة عظيمة من ثوران البراكين او من هزات ارضية اعتمادا على ماورد فى القرآن الكريم من كلمات " رجفة " و " صيحة " وربما كان الامر كذلك فمنطقة اقامتهم انما هى واحدة من مناطق الحرار فى شبه الجزيرة العربية (5) .

---

(1) سورة الاعراف : اية ٧٧–٧٨•

(2) تفسير الطبرى ج١٢ ص ٦٨ ، ج١٤ ص ٥٠•

(3) تفسير الطبرى ج١٢ ص ٥٣٨ ، تفسير المنار ج٨ ص ٥٠٥–٥٠٦ ، مختصر تفسير ابن كثير ج٢ ص ٣٣ ، البداية والنهاية ج١ ص ١٣٧•

(4) تاريخ الطبرى ج١ ص ٢٣٢ ، تفسير الطبرى ج١٢ ص ٥٣٦ ، تفسير روح المعانى ج٨ ص ١٦٢ ، ١٦٨ ، المقدسى : المرجع السابق ج٣ ص ٤١ ، محمد مبروك نافع : المرجع السابق ص ٣٦• الرمله في فلسطين فيها برجا اسمه برج صالح شاع بين العامة أنه للنبي صالح مع أنه برج حربى اقامه الملك الصالح أيوب لمراقبة تحركات الصليبيين •

(5) انظر: تفسير المنار ، ج ٨ ، ص ٥٠٦–٥٠٧ ، تفسير الطبرى ج١٢ ص ٥٤٤–٥٤٦، تفسير روح المعاني ج ٨ ص ١٦٥ ، ج ١٢ ، ص ٩٢ ، ج ١٤ ص ٧٦ • وكذا : Montgomery, op.cit.,p.91, EI, I, p. 736 , Hasstings J.,Dictionary of the Bible,p.734.

ولعل مصير عاد وثمود انما يشبه مصير سدوم وعمورة وبقية مـــدن الدائرة الخمسة فى عمق السديم [١]، والتى تقع فيما يرى علماء التـوراة، فى جنوب البحر الميت ذلك ان الله سبحانه وتعالى انما قد أرسل الى هـــذه المدن كبريتا ونارا وانه تعالى جعل عاليها سافلها [٢]، والى هذا يشيـــر القرآن الكريم فى قوله تعالى : " فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليهـــا سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل " [٣]، فاذا ماتذكرنا ان أصحاب هـــذه المدن هم قوم لوط عليه السلام سهل علينا ان نفهم السبب فى أن الله جـــل وعلا ، قد ربط بين هذه الاقوام جميعا فى قوله تعالى " وثمود وقوم لـــوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب " [٤] .

هذا ويرى " دى برسيفال " [٥] أن هناك تقاربـــا بين الثموديين وبيـــن الحوريين ، سكان بلاد سعير ، حتى برية فاران وان الخلط بينهما فى الاخبـــار انما يرجع الى أن الثموديين انما كانوا يسكنون فى مجاورات الحوريين [٦] .

---

(١) قاموس الكتاب المقدس جا ص ٥٥١ ، جـ٢ ص ١١٩ ، جواد على : المرجـــع السابق جا ص ٣٢٢ وكذا : Ency. Bib., I, 1899, p. 3700
وكذا : Montgomery , op.cit. , p. 91 .
وكذا Moritz B., Arabien ,Hanover ,1923, p. 28.
وكذا : Hastings , op.cit ., p. 734.

(٢) تكوين ١٩/٢٣-٢٦.

(٣) سورة الحجر: اية ٧٣-٧٤ .

(٤) سورة ص : اية ١٣ .

(٥) De Perceval C. Essai Sur L'Historie des Arabe's Islamisme , I , Paris, 1847, p.26.

(٦) اختلف المؤرخون فى اصل الحوريين فمن يرى انهم شعب مازال اصلـــه مجهولا ومن يرى انهم شعب هندو اوربى ولكنهم يجمعون على انهم جاءوا من المرتفعات الواقعة بين بحيرة أورمية وجبال زاجروس فغزوا شمال بلاد النهرين وسورية الشمالية وكونوا مملكة ميتانى التى امتد سلطانهـــا من مرتفعات ميديا الى البحر المتوسط وكانت عاصمتها " واشوكانـــي " وهى الفخارية على الخابور شرق تل حلف وحاران وعرفت فى النصـــوص المصرية باسم " نهارينا " ثم اتجهوا نحو الجنوب فى سورية ثم الـــى فلسطين فيما بين نهر الحسا وخليج العقبة وبلغ من انتشارهم فى الشام أن اطلق المصريون على بلاد كنعان اسم " خوروا " او "خاروا" (محمـــد بيومى مهران : اسرائيل جـ٢ ص ٥٨٢ — ٥٨٤).

٢ - أصل الثموديين :

ينسب الثموديون الى " ثمود بن جاثر بن ارم بن سام " ويذهب البعض الى أن ثمود انما هو اخو " جديس وطسم " وانهما أبناء عامر بن ارم بن سام بن نوح "(١) ويكتفى البعض بارجاع نسبهم الى عاد على اساس انهم بقية من عاد(٢) .

هذا ويجمع المؤرخون المسلمون على أن الثموديين عرب بل ويكادون يتفقون على انهم من العرب العاربة (٣) ، ثم يذهبون بعد ذلك مذاهب شتى حيث يرى فريق منهم أنهم بقية من قوم عاد ، اعتمادا على قوله تعالى: " واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد ، وبوأكم فى الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا "(٤) ومن ثم فانهم يرون انهم نشأوا فى اليمن ثم غلبهم الحميريون فاجلوهم الى الشمال فسكنوا منطقة الحجر(٥) ، وتلك رواية يناقضها ، أو على الأقل ، يثير الشك حول صحتها :

(أولا) : ماذهب اليه بعض من ان عادا انما كانوا فى شمال الجزيرة العربية وليس فى جنوبها ، ويناقضها .

---

(١) ابن الاثير : المرجع السابق جا ص ٨٩ . ابن قتيبة : المرجع السابق ص ١٣ . المقدسى : المرجع السابق ص ٣٧ ، تفسير الطبرى ج١٢ ص ٥٢٤ ، ابن حبيب : المرجع السابق ص ٣٩٥ . القلقشندى : المرجع السابق ص ٢٠٠ ، ابن كثير : المرجع السابق جا ص ١٣٠ ، المسعودى : المرجع السابق ج٢ ص ١٤ .
(٢) لسان العرب ج٢ ص ١٠٥ . تاج العروس ج٢ ص ٣١٢ .
(٣) ابن كثير : المرجع السابق جا ص ١٣٠ .
(٤) سورة الأعراف : آية ٧٤ .
(٥) ابو الفداء : المرجع السابق جا ص ٧٠ ، لسان العرب ج٣ ص ١٠٥ .

(ثانيا) : دعواهم بان ثمود من العرب العاربة وانهم كانوا يعيشون قبل عهد ابراهيم عليه السلام والخليل ، كما اشرنا آنفا انما كان يعيش فى الفترة (حوالى ١٩٤٠ - ١٧٦٥ ق.م) بينما يقرب عهد سيادة الحميريين فى اليمن من الميلاد بقليل او كثير[١] ، ومن ثم فالفرق بين العهدين جد شاسع .

على أن هناك وجها اخر للنظر ، يذهب الى آن ثمود انما هم بقية من العماليق وهو الذى دفع بعض المؤرخين المحدثين الى القول بان ثمودا انما هم شرذمة من الهكسوس الذين طردهم أحمس الاول حوالى عام ١٥٧٥ ق.م من مصر[٢] وانهم سكنوا منطقة الحجر حيث نحتوا من الجبال بيوتا على غرار المقابر المصرية القديمة التى شاهدوها اثناء اقامتهم فى مصر[٣] .

وفى الواقع انه ليس لهذا الرأى من دليل سوى أن اصحابه افترضوا أن الهكسوس من العماليق الامر الذى يرفضه الان المؤرخون المحدثون[٤] وان الثموديين بقية من هؤلاء العماليق ، فاذا كان الامر كذلك فكيف سكت الملك احمس الاول (١٥٧٥ - ١٥٥٠ ق.م) وهو الذى حاصر ،" شاروحين" وهو موقع فى جنوب عرب فلسطين ، ثلاثة اعوام حتى آجلاهم عنها ، بل كيف يترك احمس بقية منهم تقيم دويلة او حتى امارة على تخوم دولته ، وهو الرجل الذى تحدثت النصوص عن عهده على أنه قد طارد الهكسوس حتى " زاهى " فى لبنان ، وهذا يعنى انه لم يطهر

---

(١) انظر عن مبدأ التقويم الحميرى : محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ص ٢٧١-٢٧٢ ، ومابعدها . وكذا

Le Museon , 1964 , 3-4 , p. 407 - 429.

(٢) انظر : محمد بيومى مهران : مصر - الكتاب الاول ص ٦٩١ - ٧١٣ .

(٣) محمد مبروك نافع : المرجع السابق ص ٣٦ .

(٤) انظر : محمد بيومى مهران : حركات التحرير فى مصر القديمة - دار المعارف - القاهرة ١٩٧٦م ص ١٣١-١٣٧.

مصر منهم فحسب ، وانما طهر كذلك فلسطين ولبنان ، ثم كيف سكت الفراعين من بعد احمس على ايام الامبراطورية المصرية (١٥٧٥–١٠٨٧ ق ٠م) على هذه الجيوب المعادية فى جنوب الامبراطورية على حدود فلسطين وفى منطقة تسيطر على طريق القوافل بين مصر وجنوب الجزيرة العربية وهى جد هامة ٠ ثم ان هذا الاتجاه يتعارض وما ذهب اليه البعض من ان ثمودا انما كانوا قبل عهد ابراهيم والمعروف ان الهكسوس جاءوا الى مصر بعد عهد ابراهيم عليه السلام ٠ واما النحت الذى تعلموه فى مصر ، فلا أظن ان ذلك يستدعى اقامتهم فى مصر ، فوسائل الاتصال بينهم وبينها جد كثيرة ولعلها قد تسربت عبر البحر الاحمر لمس المؤثرات المصرية فى الحضارة العربية القديمة ٠

وهناك وجه ثالث للنظر يذهب الى أن الثموديين عرب جنوبيون هاجروا الى شمال غرب الجزيرة العربية كدأب كثير من القبائل الجنوبية التى اشتهرت بكثرة تنقلاتها (١)، ولعل هذا الفريق من المؤرخين المحدثين لم يصب كثيرا فى رايه هذا وان لم يربطهم بالحميريين كالمؤرخين القدامى ذلك لا ن العادة ان يهاجر الناس من مواطن القحط الى مواطن الخصب والنماء ، وليس الامر كذلك بالنسبة الى اليمن وشمال غرب الجزيرة العربية ثم ان الهجرات العربية الجنوبية انما حدثت فى وقت متاخر عن ايام الثموديين ولعل اشهر تلك الهجرات التى حدثت بعد التصدع الخطير الذى اصاب سد مارب فيما بين القرنين الرابع والسادس بعد الميلاد ٠

على أن هناك فريقا من المستشرقين يزعم أن الثموديين قوم من اليهود سكنوا تلك الناحية من غرب الجزيرة العربية ولم يدخلوا فلسطين ، وهذا القول ، كما يقول النجار (٢)، لايعدو أن يكون ظنا لا اثر فيه للتحقيق

---

(١) انظر : Dussaud R., La Penetra ion des Arabies en Syrie avant L'Islam , Paris , 1955, p.132.

وكذا Blan ZDMG , 22 , 1868, p. 659-673.

(٢) عبد الوهاب النجار: المرجع السابق ص ٥٨٠

اذأن القرآن ناطق بانهمقد انقضىامرهم وعرت ديارهم منكل ديار قبل خروج موسى من مصر ببنى اسرائيل وهذا مؤمن ال فرعون يخوف قومه حينكذبوا موسى بأس الله وانه يخافعليهم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذينمن بعدهم يقول تعالى " وقال الذىآمن ياقوم انى اخافعليكم مثل يوم الاحزاب ، مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد "(١) .

وهناك مايدل على أن الثموديين انما كانوا من القبائل العربية التى سكنت شمالشبهالجزيرة العربية فضلا عن ان قبيلة ثمود هذه لمتكن مملكة بالمفهوم الحضارى ولم تتوطن بشكل دائم فى منطقة من المناطق ، الا اذا اخذنا فىالاعتبار مايقوله بعض المؤرخين من أن النبطيين واللحيانيين أصولهم ثمودية وعندئذ يمكنالقول بأن هذهالممالك ثمودية باعتبار اصولها وان كانت قد اتخذت اسما جديدا(٢) .

٢ - ثمود فىالكتابات القديمة :

ليس من شك فى أن الكتابات القديمة انما تحدثت كثيرا عن الثموديين فمنذ القرن الثامن قبل الميلاد والكتابات الاشورية تتحدث عن الثموديين هؤلاء،فالملك سرجونالثانى (٧٢٢-٧٠٥ ق٠م) يتحدث عنهم من بين من تحدث عنهم من قبائلخاضغمار الحرب ضدها وقد دعاهم (Tamudi) (Thamudi)(٣) بل انه يذكر كذلكانه هجّرهم الىالسامرة فى شمال فلسطين من بين من هجّرهم من شعوب(٤) حيث يقول فى حولياتالسنة السابعة " قضيت على قبائل تامودى ومرسيمانو وخيابا ، والعرب الذين لايعترفون

---

(١) سورةغافر / اية ٣٠-٣١٠

(٢) عبد الرحمنالانصارى : المرجع السابق ص ٨٩ ٠

(٣) انظر : Oppenheim , ANET, 1966, p. 286.

وكذا : Musil, op. cit., p. 286 , Arabian Desert, p. 479.

(٤) انظر عن هذه الشعوب : ألويس موسل: المرجع السابق ص٨٩-٩٥٠

برؤساء او موظفين ، والذين لم يكونوا قد جاءوا بجزاهم لاى ملك ، سبيت الاحياء منهم ونقلتهم الي السامرة " (١) .

وأيا ما كان السبب فى هذه التهجيرات التى شملت الثموديين وغيرهم ، فانهم قد عادوا فى زمن لاحق لانستطيع تحديده على وجه اليقين وانهم قد اسكنوا فى منطقة مدين (٢) .

هذا وقد جاء ذكر الثموديين فى نقوش سبئية منها نقش يرجع الى نهاية القرن السادس او بداية القرن الخامس قبل الميلاد وقد جاء فى اغلب الظن من بلاد سبأ (٣) ، ومنها نقشان سبئيان من نجران ،ورد فيهما اسم المعبود الوثنى " صلم " وكان معبودا ثموديا فى تيماء فى العقد الذى استولى فيه الملك البابلى " نبونيد " (٥٥٥-٥٤٦ ق م) على تيماء واستوطنها بعد حملته المشهورة التى احتل فيها تيماء وديدان وخيبر ويثرب (٤) . وهناك كذلك نقشان سبئيان يذكران كذلك اسم ثمود عثر على الواحد منهما فى " ثوبان " على مبعدة ٢٠٠ كيلا الى الشمال الشرقى من عدن والاخر عثر عليه فى " سابق " بوادى ميفعة جنوب عدن (٥) .

---

(١) محمد بيومى مهران : اسرائيل - الكتاب الثانى ص ٩٤٥-٩٥٠ .
وكذا : Oppenheim , op. cit., p. 286.

(٢) محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم - جا فى بلاد العرب ١٩٨٠ ص ٢٦٨-٢٧٠.

(٣) Van den Branden, A., Histoire de Thamoud, p. 16.

(٤) انظر : Philby J.B. and Tritton A.S. , Najran Inscriptions , JRAS , 1944, p. 119-129.
وكذا : Burn, A.R., Persia and The Greeks, p, 38 ,
- Gardiner, Egypt of the Pharaohs , p. 363,
- Dougherty, R.P., Nabionidus and Belshazzor, p. 107.

(٥) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٧٠.

ولقد عثر الاثريون على نقوش ثمودية فى مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية تمتد من الجوف شمالا الى الطائف جنوبا ومن الاحساء شرقا الى يثرب فارض مدين غربا وفى المسالك المؤدية الى العقبة والاردن وسورية وحتى فى ارض حضر موت فى جنوب الجزيرة العربية . الامر الذى دفع " شرف الدين " الى القول بان فى هذا الدليل حي على ان الثموديين انما كانوا فى يوم ما السكان الاصليين فى شمال الجزيرة العربية ولهذا فان القرآن الكريم ذكر الثموديين فى اكثر من آية ، دون غيرهم من شعوب المنطقة ممن كانوا اكثر منهم قوة فى مجال المدنية او التجارة كالديدانيين واللحيانيين والانباط مما يدل على توافق تام وتطابق محكم بين آيات القرآن الكريم ومعلومات النقوش (1) . ان ذكر القرآن الكريم لقوم ثمود فى أكثر من اية لم يكن أبدا بسبب أنهم السكان الاصليون لشمال بلاد العرب ، وانما بسبب نبى الله صالح عليه السلام ودعوته التى ما آمن بها الا نفر قليل من ثمود ، ومن ثم فالغرض من الذكر هنا انما هو العظة والعبرة بقوم كفروا وانكروا دعوة نبيهم ،فكان جزاؤهم العقاب الشديد لان هدف القرآن من قصصه ، كما هو معروف ، ليس التاريخ لهذا القصص ، وانما عبرا تفرض الافادة بماحل بالسابقين ذلك لان القران لم ينزل كتابا فى التاريخ يتحدث عن اخبار الامم كما يتحدث عنها المؤرخون وانما هو كتاب هداية وارشاد للتى هى اقوم ، أنزله الله سبحانه وتعالى ليكون دستورا للمسلمين ومنهاجا يسيرون عليه فى حياتهم يدعوهم الى التوحيد والى تهذيب النفوس والى وضع مبادىء للاخلاق ،وميزان للعدالة فى الحكم ، واستنباط لبعض الاحكام فاذا ماعرض لحادثة تاريخية فانما للعبرة والعظة (٢) ، ثم ان هذه النقوش الثمودية انما تؤرخ فى اكبر الظن لعصور جاءت بعد دعوة النبى الكريم .

---

(١) أحمد حسين شرف الدين : اللغة العربية فى عصور ماقبل الاسلام - القاهرة - ١٩٧٥م ص ٦١ .

(٢) انظر : عن اهداف القرآن ومقاصده (تفسير المنار جـ١ ص ٢٠٦-٢٩٣) وعن القران كمصدر تاريخى (محمد بيومى : دراسات تاريخية من القرآن الكريم جـ١ ص ٣٨-٨٨) .

هذا فضلا عن أن الثموديين اصحاب هذه النقوش كما يقول الاستاذ شرف الدين نفسه لم يبلغوا فى ميزان القوة او المدينة او حتى التجارة مابلغه اخرون من نفس المنطقة هذا الى ان الثموديين كما اشرنا من قبل لم يستطيعوا تكوين مملكة بالمفهوم الحضارى فى يوم من الايام بل انهم فشلوا فى ان يفرضوا سلطتهم الادارية على المناطق التى وقعت تحت سلطتهم يوما ما لسبب أو لاخر (١) .

وجاءت الينا نقوشا ثمودية كثيرة من شمال الجزيرة العربية من تبوك وتيماء والعلا ومدائن صالح ولقط وجبلمرير ، ومن المدينة المنورة ومن وادى لاب الذى يبعد عنها بحوالى ٧٠ كيلا ، ومن مكة المكرمة والطائف وريع الزلالة فى الطريق بينهما ومن السواحل الحجازية الشمالية للبحر الاحمر عند الوجه (٢)، واما فى وسط الجزيرة العربية فقد عثر على نقوش ثمودية فى حائل وسدير والقصيم وفارينا فى ضواحي الرياض (٣)، واما فى جنوب الجزيرة العربية فقد عثر على نقوش ثمودية فى اليمن وقرب عدن وحجر المعقاب عند جبلخليل وفى طريق البخور بين حضرموت ومكة المكرمة وفى منطقة شواديف فى اليمن الجنوبية (٤) .

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٢٨٣ .

(٢) خالد الدسوقى : قوم ثمود : بين روايات المؤرخين ومحتويات النقوش - الرياض ١٩٧٦م ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .
وكذا EI, 4, p. 736.
وكذا Musil , Northern Nejd , p. 104.

(٣) Huber C., Inscriptions Recueillies dans L'Arabie Centrale , 1878-1882, in Bull. Soc, Geogr. 5 ,p. 289-303.

(٤) خليليحي نامى : نشر نقوش سامية من جنوب بلاد العرب وشرحها - القاهرة-١٩٤٣م ص ١٠٩ ،جواد على : المرجع السابق جا ص ٣٢٩ وكذا :
Ryckmans, J., Graffites Thamoudeens du Yamen..,Le Museon 72, 1959,p. 177-189.
وكذا : Philly,J.B., Shebia's Daughters, London,1939,p.441.

هذا ولم تقتصر النقوش الثمودية على بلاد العرب وانما وجدت كذلك في مصر ، في سيناء ، وفي الدلتا وفي وادي الحمامات بالصحراء الشرقية فيما بين القصير وقفط (جنوب قنا) وفي الصفا شرقي دمشق وفي شمال غرب تدمر في صيدا ، وجبل الرام وام الرصص قرب ديبان في شرق الاردن وفي صحراء النقب .[1]

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن هذه النقوش الثمودية انما هي في معظمها من ذلك النوع الذي يكتب في مناسبات شخصية مختلفة[2] كما انها ليست ذات فائدة تاريخية كبيرة وان كان بعضها يدلنا على نوع من العلاقات بين الثموديين والانباط وغيرهم فضلا عن فائدتها اللغوية وفي معرفة اسماء الثموديين ولهجاتهم بخاصة اذا علمنا أنها كتابة متطورة من خط المسند ، وأن الدكتور الانصاري يرى ان نطلق على الخط الثمودي " خط البادية " لانه كثيرا مايكون من ذلك النوع الذي يسمى " مخربشات " وليس من الكتابة المنمقة التي وجدت بكثرة في كتابات السبئيين والمعينيين والقتبانيين والحضارمة و الحميريين وبعض كتابات الديدانيين واللحيانيين في منطقة العلا ومدائن صالح[3] .

---

(1)
- Kensdale, E.N., Three Thamudic Inscriptions from the Nile Delta , Le Museon , 65 , p. 285-288.
- Petric, W.F. Hyksos and Israelite Cities, p. 45,
- Horshield, S., Le Temple de Ramme , 1935, p. 245-78,
- Winckler, H., Rock Drawings of Southern Upper Egypt, p. 5, 10.

(٢) جواد علي : المرجع السابق ج١ ص ٣٢٩.

(٣) عبد الرحمن الانصاري : المرجع السابق ص ٨٩.

٤ ـ ثمود فى كتابات الرحالة اليونان والرومان :

تحدث الكتاب القدامى من الاغارقة والرومان عن الثموديين كثيرا فقد جاء فى كتابات " سترابو " ان ايراتو سثينيس " (Eratasthenes) (٢٧٦ – ١٩٤ ق٠م) قد قسم بلاد العرب الى قسمين: الواحد شمالى ويكسنه الانباط والاخر جنوبى ويسكنه المعينيون والقتبانيون والحضارمة وبين الاثنين منطقة وسط هى الحجاز وعسير ويسكنها " عرب يقتفون الاثر ويرعون الابل "(١) واكبر الظن ان الرجل قصد بذلك الثموديين الذين شاهدهم "اريتون " الذي قام برحلته على سواحل البحر الاحمر الشرقية على ايام بطليموس الثانى ملك مصر فى الفترة (٢٨٤-٢٤٦ ق٠م) وانهم كانوا، طبقا لتقريره، يسكنون اراض من الحجاز تقع الى الجنوب من الانباط(٢) .

وفى القرن الثانى الميلادى وفى حوالى عام ١٢٠ م نجد " أغاثارخيدس " (Agatharchiedes) يشير الى ان الثموديين كانوا وقت ذاك يحتلون شواطىء البحر الاحمر بين الوجه والمويلح ويصف " ديودور الصقلى " هذه الشواطىء بانها تمتد مائة ستاد ، وانها صخرية شديدة الانحدار واما "اورانيوس" فثمود انما تقع فى رأيه على حدود المقاطعة النبطية(٣) .

هذا ويرى صاحب كتاب " الطواف حول البحر الارتيرى"(٤) والذى كان يعتمد فيما يبدو على موارد اكثر قدما ، أن (Thamundeni) كانوا يقيمون

---

(١) Van den Brandens,A., Essai de Solution du Probleme Thamoudeen , BIOR , 15, 1985, p. 7-8.

(٢) ابراهيم نصحى :دراسات فى تاريخ مصر ص ١٢١ ،جورج فضلو حورانى: العرب والملاحة فى المحيط الهندى – ترجمة فؤاد حسنين – القاهرة ١٩٥٨م ص ٥٣–٥٤ وكذا: Tarn,W. Ptolemy II and Arabia, JEA,15,1929,p.14.

(٣) الويس موسل : المرجع السابق ص٩٢ وكذا Vincent W. The Periplus of the Erythraean Sea II, p.262.

(٤) اختلف الباحثون فى تحديد تاريخ هذا الكتاب فذهب فريق الى انه كتب فيما بين عامى ٥٠ ، ٦٠ م وذهب اخرون الى انه كتب حوالى عام ٧٥ م بينما ذهب فريق ثالث الى انه كتب حوالى عام ١٠٦ م (انظر فضلو حوراني: المرجع السابق ص ٥٤ ، موسكاتى : المرجع السابق ص ٧٨) وكذا: Pirenne , J., Le Royaume Sud - Arabie des Qatabian et Sa Datation , Louvain , 1961, p.167-193.

علىساحل صخرى طويل لايصلح للملاحة فلا خلجان تاوى اليها القواربا تقـــــاء العواصف من الرياح ولاموانئ ترسوا فيها السفن او جزر تحمى بها مـــــن الاخطار ، ومن ثم فربما كان مايعنيه ان مواطن الثموديين انما كانت فـــي الحجاز علـــى سواحل البحر الاحمر(1) .

وأما موسوعة بلينى الاكبر (٣٢-٧٩م) والمعروفة باســـــــم (Historia Naturalis) فتضع الثموديين (Tamudaei) بين " دوماتا " (Domata) والحجر (Haegra) ومدينـــة دعتها (Badanatha) فاما " دوماتا " فهى " دومة الجندل " فـــي الجوف جنوب وادى السرحان واما الحجر فهى الخريبة الحالية (العلا) علـــي رأى ، ومدائن صالح ، على رأى آخر ، وأما المدينة الثالثة فهى فيما يـــرى ادوارد جلازر ، مدينة " بيشة " الحالية فرعسير . وهكذا نرى " بلينى " انمـــا أسكن الثموديين فى الداخل ، لان الساحل وقت ذلك ربما كان يحتله اللحيانيـون الذين يعتبرون فرعا من الثموديين (٣)، كما أشرنا من قبل .

ولعل " كلوديوس بتولمايس " (بطليموس الجغرافى عند العـــــرب) انمـــا كان فـــى كتابـــه " الجغرافيـــا " أقـــــرب الى المصادر العربية منه الى المصادر الكلاسيكية فهو يضع الثموديين بيـــن الـ (Sarakenoi) وبين (A Patae) أوفى الجزء الشمالى الغربى من بلاد العرب (٤) ، على شواطئ مدين وربما امتد نفوذهم الى مـــاوراء خليج العقبة (٥)، بل ان المؤلف نفسه انما يشير الى انهم انما سكنـــوا

---

(١) جواد على : المرجع السابق جا ص ٣٢٥ وكذا Vincent, op.cit.p.262 وكذا Musil , op.cit., p.302.

(٢) Pliny, Natural History (Translated by H,Rackham), II, p. 456-457, VI, p.32.

(٣) جواد على : المرجع السابق جا ص ٣٢٥ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٧١ — ٢٧٣ .

(٤) الويس موسل: المرجع السابق ص ٩٢ وكذا - Hastings, op.cit. p. 360 .
- Ptolemy , VI , 7: 4,VI,7:21,V,19:7.

(٥) قارن: خالد الدسوقى : المرجع Hastings, op, cit. p. 360. السابق ص٢٥ حيث يشير الى ان النقوش والرسومات التى عثر عليها فـــي النقب تؤكد المعلومات التى اوردها بطلميوس ثم انظر:
Anati E., Ancient Rock Drawings in the Central Negev, PEQ , 1955, p. 49-57 .

المناطق الداخلية كذلك وبخاصة حول جبل " زاماتوس " والذى يرى فيه " جلازر " جبل عريض (١) .

وهكذا يبدو من جغرافية بطلميوس ان ديار ثمود انما كانت غير بعيدة من ديار عاد لايفصل بينهما الا ديار (Sarakenoi) وكلهما فى اعالى الحجاز فى منطقة الطرق التجارية التى كانت تصل بين الشام ومصر من ناحية واليمن والحجاز من ناحية أخرى ، فإذا كانت الحجر وماوالاها مواطن ثمود وجب ان تكون ديار عاد على مقربة منها (٢) .

وعلى أية حال فان المصادر الكلاسيكية انما تدلنا على ان الثموديين قد احتلوا المناطق التى سبق للجيوش الاشورية ان احتلتها منذ قرون مضت وهى مناطق الجوف ومصرى (موصرى) (٣) حتى " باداناثا " (Badanatha) فى الجنوب، اذا صح ما افترضه " جلازر " ، على انه يجب علينا ان ناخذ فى الاعتبار ان الاماكن التى خصصتها المصادر المختلفة كمواطن لقبيلة ثمود انما كانت عرضة للاحتلال او الاخلاء من جانب الثموديين تبعا للظروف السياسية السائدة فى ذلك الوقت على الا نطبق ذلك كحقيقة مطلقة على الثموديين اخذين فى الاعتبار طبيعتهم كقبيلة بدوية .

هذا وفى نفس الوقت يجب علينا الا ناخذ المعلومات التى امدتنا بها المصادر الكلاسيكية كما هى ، لان الصورة التى ترسمها لمواطن الثموديين ليست كاملة ، ففى الوقت الذى يتجاهل فيه " سترابو " اعتمادا على مصادر من القرن الثالث قبل الميلاد وجود قبيلة ثمود فان معاصره " ديودور الصقلى " يذهب الى ان ثمود انما كانت تسكن شواطئ البحر ثم ياتى " بلينى " فيذهب الي

---

(١) جواد على / المرجع السابق جا ص ٣٢٥.

(٢) نفس المرجع السابق .

(٣) يذهب بعض الباحثين الى ان موصرى او معين موصرى هو الاقليم الذى سماه الجغرافيون البابليون " مصر او موصرى " والذى يقع جنوب البحر الميت شمال الجزيرة العربية . ويمتد غربا حتى حدود مصر الشرقية ويضم جبل سعير ومدينة البتراء واراضى مدين وادوم (انظر: محمد بيومى مهران: دراسات فى تاريخ العرب القديم ص ٢٢٩ وكذا :

Winckler H., Musri , Meluhha and Main, MVG, I, 1898, p.5.

أن الثموديين انما اتخذوا مواطنهم فى الداخل وليس على ساحل البحر الاحمر، ذلك لان الرجل لم يكن فيما يبدو على علم باللحيانيين الذين كانوا يقطنون وقت ذاك سواحل مدين والذين اعتبروا فرعا من الثموديين وبعد ثلاثة ارباع القرن ياتى بطليموس فيحدد مواضع ثمود على شاطىء مدين ثم يمتد بها حتى داخل الحجاز[1] .

وانطلاقا من كل هذا فربما امكن القول بأن الثموديين انما كانوا يسكنون فى القرن الثانى قبل الميلاد وحتى نهاية القرن الثانى الميلادى فى بلاد مدين فضلا عن اننا نجدهم منذ بداية القرن الاول الميلادى فى الحجاز والجوف ووسط الجزيرة العربية وانهم قد بقوا فى هذه المناطق حتى نهاية القرن الثانى الميلادى واذا اضفنا الى ذلك مايمكن استنتاجه من المصادر الاشورية واشارات المؤرخين العرب لامكن القول بانه منذ بداية القرن الثانى الميلادى ، فان المنطقة التى سكنها الثموديون قد اتسعت تدريجيا حتى شملت بلاد العرب الشمالية والوسطى من الحدود السورية الشمالية الى مسافة قريبة من حدود سبا جنوبا[2] .

٥ - ثمود فى الكتابات العربيـــة :

تكاد المصادر العربية تجمع على أن ثمود كان مقامها بالحجر الى وادى القرى بين الحجاز والشام[3] على ان ارتباطها بعاد انما يقتضي

(١) خالد الدسوقى : المرجع السابق ص ٢٦٩-٢٧٠.

(٢) نفس المرجع السابق ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

(٣) تاريخ الطبرى جا ص ٢٢٦-٢٢٧ ، تفسير الطبرى ج١٢ ص ٥٢٤ ، ٥٢٨ ، ج ١٤ ص ٤٩-٥٠ ، تفسير ابن كثير ج٤ ص ١٧١ ، تفسير المنار ج٨ ص ٥٠١ ، ج١٢/ ص ١٢٠ تفسير روح المعانى ج٨ ص ١٦٢ ، ج١٤ ص ٧٦ ، ج٣٠ ص ١٢٤، تفسير القرطبى ج١٠ ص ٤٦ . تفسير النسفى ج٢ ص ٢٧٧ ، تفسير البيضاوى جا ص ٥٤٥ ابو الفداء : المرجع السابق جا ص ١٢ . البكرى : المرجع السابق ج٢ ص ٤٢٦ ابن الاثير: المرجع السابق جا ص ٨٩ . الديار بكرى : المرجع السابق ص ٨٤، ياقوت: المرجع السابق ج٢ ص ٢٢١ ، ابن قتيبة : المرجع السابق ص ١٤ ، ابن حبيب : المرجع السابق ص ٣٨٤ ، القلقشندى: المرجع السابق ص ١٩ ، ٢٠٠.

تقاربهما فى المكان ، ومن ثم فقد ذهب المسعودى الى ان ثمود انما كانت بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشى (البحر الاحمر) وديارهم بفج الناقة وان بيوتهم منحوتة من الجبال وأن رممهم كانت حتي ايامه (توفي عام ٣٤٦ هـ) باقية واثارهم بادية وذلك فى طريق الحج لمن ورد الشام في وادى القرى (١).

وطبقا للنقوش الموجودة على معبد الغوافة الذى بنته قبيلة ثمود فيما بين نهاية عام ١٦٦م وبداية عام ١٦٩م (٢) فان ثمود كانت فى منتصف القرن الثانى الميلادى تملك حرة العوارض وحرة الرحا (٣) (الارحاء) وان كان " دوتى " يذهب الى ان الحجر التى كان يسكنها الثموديون انما هي فى موضع الخريبة (العلا) وليس فى مدائن صالح التى يرى انها حجر الانباط، والتى تقع على مبعدة عشرة أميال من الخريبة (٤).

ولعل مما تجدر الاشارة اليه انه ليس هناك فى المصادر الاسلامية ما يفيد بوجود قبائل ثمودية عند ظهور الاسلام او حتى قبيل ظهوره ، وكل ما نعرفه هو محاولة

---

(١) المسعودى : المرجع السابق ج٢ ص ١٤ ، جرجى زيدان : المرجع السابق ص ٦٧ ، محمد مبروك نافع : المرجع السابق ص ٣٦ .

(٢) Philby ; J.B. , The Land of Midian , MEJ, 9,1955, p.127
- Van den Branden , BIOR, 15, 1958, p. 8-9 ;
- Histoire de Thamaud , p. 15,

(٣) Musil , The Northern Hegaz , 1926, p. 291,

(٤) Doughty,C.M. , Travels in Arabia Desert , I , New York 1946 , p. 229.

البعض نسب " ثقيف " الى ثمود ربما نكاية فى الحجاج الثقفى الذى كان يكذب ذلك (١) ، هذا فضلا عن رواية " دوتى " التى زعم فيها ان بدو " نجد " يذكرون قبيلة من نسل عاد وثمود (٢) .

هذا ويروى أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه مر بقرية ثمود وهو فى طريقه الى تبوك وانه قال لاصحابه " لايدخلن احد منكم القرية ولاتشربوا من مائهم " ثم اراهم مرتقى الفصيل فى الجبل والفج الذى كانت الناقة ترد منه وانه صلى الله عليه وسلم قال لهم " لاتدخلن على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين فان لم تكونوا باكين فلاتدخلوا عليهم أن يصيبكم ما أصابهم " وفى رواية للامام أحمد عن ابن عمر قال: لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس على تبوك نزل بهم الحجر على بيوت ثمود ، فاستقى الناس من الابار التى كانت تشرب منها ثمود ، فعجنوا منها ونصبوا لها القدور فامرهم النبى صلى الله عليه وسلم فاهراقوا القدور وعلفوا العجين الابل ، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التى كانت تشرب منها الناقة ونهاهم ان يدخلوا على القوم الذين عذبوا وقال: " انى أخشى ان يصيبكم مثل ما اصابهم فلا تدخلوا عليهم " (٣) .

---

(١) ياقوت : المرجع السابق جـ٣ ص ٥٤ ، القلقشندى : المرجع السابق ص ١٩٨ ، ٢٠٠ ، تاريخ ابن خلدون : جـ٢ ص ٢٤ ، جواد على : المرجع السابق جـ١ ص ٣٢٦ ، وكذا : Montgomery , op.cit,p. 137.

(٢) Doughty , op.cit., p. 63.

(٣) انظر: تفسير الطبرى جـ١٢ ص ٥٢٤ ، ٥٢٩ ، جـ١٤ ص ٥٠ ، تاريخ الطبرى: جـ١ ص ٢٣١-٢٣٢ ، ابن كثير :البداية والنهاية جـ١ ص ١٣٨-١٣٩ ، تفسير ابن كثير جـ٤ ص ١٧١ ، مختصر تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٣١ ، تفسير القرطبي جـ١٠ ص ٤٦-٤٨ ، تفسير روح المعانى جـ٨ ص ١٦٨ ، جـ١٤ ص ٢٧٦ ، تفسير المنار جـ٨ ص ٥٠٢ ، صحيح البخارى جـ٦ ص ٢٧٠ ، جـ٨ ص ٩٥ ، صحيح مسلم جـ٨ ص ١١١ .

٦ - عصر قوم صالح عليه السلام :

يذهب بعض المؤرخين المسلمين الى أن عصر صالح عليه السلام انما كان قبل عصر ابراهيم عليه السلام وان الفترة بين هلاك عاد وهلاك ثمود انما كانت خمسمائة عام [1]، غير ان هناك من يرى ان عادا انما اهلكوا بعد عهد ابراهيم عليه السلام وبناء الكعبة ، وقبل زمن موسى عليه السلام [2] واذا كان صحيحا ماذهبنا اليه من قبل من ان الخليل عليه السلام كان يعيش فى الفترة (١٩٤٠ - ١٧٦٥ ق٠م) وان موسى عليه السلام قد خرج باليهود من مصر حوالى عام ١٢١٦ ق ٠م او ١٢١٤ ق ٠م اى فى الربع الاخير من القرن الثالث عشر قبل الميلاد [3] ، فان صالحا ، طبقا لهذا الرأى، قد عاش فيما بين القرن الثامن عشر قبل الميلاد والقرن الثالث عشر قبل الميلاد ، غير ان الاستاذ النجار صاحب هذا الاتجاه لايستبعد ان يكون قوم عاد اقدم من قوم ابراهيم وان قوم ثمود كانوا يتلون قوم عاد فى الوجود والظهور [4]، الامر الذى ناقشناه من قبل وخرجنا منه ان هناك آيات كريمة فى الذكر الحكيم يسبق فيها ذكر ثمود عاد [5] واخرى تسبق فيها قصة موسى قصة ابراهيم ، ثم تاتى قصة نوح فقصة هود وصالح ولوط وشعيب [6]، ولعل هذا قد يشير

(١) الدينورى : المرجع السابق ص ٠٧

(٢) عبدالوهاب النجار: المرجع السابق ص ٥٠ ، ٥٩ ، وانظر : سورة غافر اية ٣٠-٠٣١

(٣) انظر: عن التاريخ لعصر ابراهيم ثم عصر موسى عليهما السلام وخروج بني اسرائيل من مصر (محمد بيومى مهران: اسرائيل جا ص ٧١-٨٢ ، ٣٥١ - ٠ (٤٣٩

(٤) عبدالوهاب النجار : المرجع السابق ص ٠٤٨

(٥) انظر سورة ق: اية ١٢-٠١٣

(٦) انظر : سورة الشعراء حيث تسبق قصة موسى (١٠-٦٨) قصة ابراهيم (٦٩-٨٩) ثم تاتى قصة نوح (١٠٥-١٢١) فقصة هود (١٢٤-١٤٠) ثم قصة صالح (١٤١-١٥٩) فقصة لوط (١٦٠-١٧٥) فقصة شعيب (١٧٦-١٩١) ٠

الى أن القرآن الكريم لايذكر الانبياء بالضرورة حسب التسلسل الزمني كما انه لايتعرض لتاريخ وجودهم والزمن الذى قضوه مع أقوامهم الا في القليل النادر ، كما حدث مع نوح عليه السلام حيث اشار الى ان النبى الكريم انما لبث فى قومه الف سنة الا خمسين عاما [١] ، وان أشار فى بعض الايات التي تقدم أقوام على غيرهم فى الوجود وتأخر أقوام آخرين .

أضف الى ذلك كله ، أننا لانملك أدلة علمية مؤكدة نستطيع أن نستند اليها فى التاريخ لقوم ثمود ، ومن ثم فاننا يمكننا القول فرضا ان الثموديين بصفة عامة ربما كانوا يشغلون صفحات فى التاريخ منذ اوائل الالف الاولى قبل الميلاد وانهم استمروا كذلك حتى القرن الخامس الميلادى ، نقول منذ الالف الاولى قبل الميلاد لان لدينا كتابات آشورية تتحدث عن الثموديين صراحة منذ القرن الثامن قبل الميلاد وبالتحديد منذ عهد سرجون الاشورى (٧٢٢ – ٧٠٥ ق.م) [٢] ، وبدهى أن هؤلاء الذين حاربوا العاهل الاشورى لم يظهروا فجاة فى التاريخ وانما بطبيعة الحال لهم اسلاف عاشوا قبل ذلك بقرون ، لاندرى مداها على وجه التحقيق ، ونقول حتى القرن الخامس الميلادى لان لدينا نقشا ثموديا يرجع الى عام ٢٦٧م [٣] ، وبدهى مرة أخرى ، كما انهم لم يظهروا فجاة فانهم لم يختفوا فى هذه الفترة بل استمروا لفترة أطول وربما حتى القرن الخامس الميلادى بل ان هناك مايدل على انهم كانوا فى ذلك القرن فرسانا فى جيوش الروم وانهم كانوا يعسكرون فى مصر وفلسطين [٤] .

ومع ذلك فقد يكون قوم صالح قد عاشوا قبل هذه الفترة (الالف الاول ق.م) وربما كان الثموديون الذين تحدثت عنهم النصوص من اولئك الاقوام التي عاشت فى مناطق مختلفة من الجزيرة العربية غير منطقة الحجر وفى زمن تال لزمن قوم صالح والله وحده يعلم الغيب من الامر .

---

(١) انظر سورة العنكبوت: آية ١٤.

(٢) Oppenheim , A. N. E. T, 1966, p. 286.

(٣) Van den Branden, A. Les Inscriptions Thamoudeennes, Louvian , 1950, p. 410.

(٤) Doughty , op.cit., p. 229 , & Sprenger , op. cit. p. 28.

٣ ـ شعيب عليه السلام

(١) قصة مدين قوم شعيب في القرآن الكريم :

تحدث القرآن الكريم عن أهل مدين وعن نبيهم الكريم شعيب عليه السلام في مواطن متفرقة من سوره [١] ووفقا لما جاء في القران الكريم فان شعيبا آتى مدين [٢] أو أصحاب الايكة فنهاهم عن عبادة الاوثان كما أمرهم أن يقيموا الوزن بالقسط ولايخسروا الميزان [٣] .

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الايكة المذكورة في القرآن انما كان يسكنها قوم شعيب ، وأنها تقع من مدين [٤] الى "شعب" و " بدا" .

---

(١) انظر : سورة الاعراف (٨٥-٩٣) والتوبة (٧٠) وهود (٨٤-٩٥) والحجر (٧٨-٧٩) والحج (٤٤) والشعراء (١٧٦-١٩١) والقصص (٢٢ ، ٢٥ ، ٤٥) و العنكبوت (٣٦-٣٧) و ق (١٤) وغيرها .

(٢) اختلف المفسرون في اسم مدين فذهب فريق الى انه اسم رجل في الاصل ثم كانت له ذرية فاشتهر في القبيلة كتميم وقيس وغيرهما . وذهب فريق آخر الى أنه اسم ماء نسب القوم اليه . والاول اصح لان الله اضاف الماء الى مدين في قوله تعالى " ولما ورد ماء مدين " ولو كان اسما للماء لكانت الاضافة غير صحيحة او غير حقيقية . والاصل في الاضافة التغاير حقيقة (تفسير الفخر الرازي جـ٢٥ ص ٦٤، ياقوت : جـ ٥ ص ٧٧-٧٨) .

(٣) انظر : الاعراف (٨٥) وهود (٨٤-٨٥) والشعراء (١٨١-١٨٣) .

(٤) يقول ياقوت في معجمه : انها تقع على بحر القلزم (البحر الاحمر) محاذية لتبوك وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب (ياقوت جـ٥ ص ٧٧ ـ ٧٨) وانظر : البكري جـ٤ ص ٢٠١ .

أو أنها من ساحل البحر الى مدين ، وكان شجرهم المقل (الدوم)[1] وأسفل ارض مدين حتى وقتنا الحالى ،فان الوادى فيما بين البدع وساحل البحر تغطيه الاحراش الكثيفة التى يتميز من بينها نخيل الدوم ولكن الطريق من مدين الى بدا يمر خلال واحات عدة غزيرة المياه تملوها الخضرة وكانت هذه الواحات تابعة لاهل مدين .

وهناك نص طريف لابن منظور فى لسان العرب عن سبب تسميتها بالايكة ، وهو ان لفظ الايكة يعنى الشجر الملتف او الغيضة كما يعنى كذلك اسم " ليكة " وهى البلد حولها[2]، او هى بلدة كانوا يسكنونها . واطلاقها على ماذكر اما بطريق النقل أو تسمية المحل باسم الحال فيه ، ثم غلب عليه حتى صار علما[3]، وعلى أى حال فان " ليكة " تذكرنا بالكلمة اليونانية (Leuke) ومعناها الابيض والجزء من اطلال مدين الواقع على حافة الغيضة لازال يعرف بالحوراء وهو يعنى كذلك البياض[4] .

على ان هناك من يرى أن اصحاب الايكة غير مدين بدليل وصف شعيب فى الاعراف (آية ٨٥) بانه آخو مدين ، وعدم وصفه بذلك فى الشعراء (الايتان ١٧٦-١٧٧) وبدليل الحديث الذى رواه ابن عساكر مرفوعا الى عبد الله بن عمرو ابن العاص من " أن مدين واصحاب الايكة امتان بعث الله اليهما شعيبا النبى عليه السلام " وان شعيبا انما أرسل الى قومه آهل مدين ، وكذا أصحاب الايكة ،

---

(١) ياقوت : المرجع السابق جا ص ٢٩١ ،ج٢ ص ١٤ ، البكرى : المرجع السابق جا ص ٢١٥-٢١٦ .تفسير الطبرى ج١٤ ص ٤٨-٤٩ ، تفسير البيضاوى جا ص ٥٤٥ تفسير ابن كثير ج٤ ص ١٧٠ ، تاج العروس ج٧ ص١٠٤ (طبعة بولاق ١٣٠٧ هـ - ١٣٠٨ هـ) .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ج١٢ ص ٢٧٤ (طبعة بولاق ١٣٠٠-١٣٠٧هـ) الويس موسل : المرجع السابق ص ٧٢.

(٣) تفسير روح المعانى ج١٤ ص ٧٥.

(٤) الويس موسل: المرجع السابق ص ٧٢.

وأنه كان ينذرهم متنقلا بينهم فى زمن واحد ومن ثم فربما كان عقابهما واحدا فى زمن واحد او فى وقتين متقاربين ، اهل مدين بالرجفة والصيحة المصاحبة لها واصحاب الايكة بالسموم وشدة الحر الذى انتهى بظلة من السحاب فزعوا اليها يتبردون بظلها فاطبقت عليهم حتى اختنقوا بها اجمعين(١)، وهكذا يرى السدى وعكرمة " مابعث الله تعالى نبيا مرتين الا شعيبا " مرة الى مدين فاخذهم تعالى بالصيحة ومرة الى اصحاب الايكة فاخذهم الله تعالى بعذاب يوم الظلة (٢) .

على أن هناك فريقا ثالثا زعم ان شعيبا انما ارسل الى أمم ثلاث حيث اضافوا الى أهل مدين واصحاب الايكة ، أصحاب الرس (٣) .

والامر غير ذلك تماما لاسباب كثيرة :

(أولا) ان الانبياء انما تبعث فى اقوامها لان القوم سيكونون افهم لقول النبى من قول غيره وأعرف بحاله فى صدقه وأمانته وشرف اصله (٤) .

(ثانيا) : لمعرفة النبى بلسان قومه تصديقا لقوله تعالى " وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم "(٥)، وفى الحديث الذى رواه الامام أحمد عن أبى ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لم يبعث الله عز وجل نبيا الا بلغة قومه "(٦) .

(ثالثا) : أن ماجاء فى سورة الشعراء من وصف لأصحاب الايكة (٧) انما يتفقوما جاء فى غيرها من وصف لاهل مدين ، مما يدل على أن أهل مدين انما هم أنفسهم أصحاب الأيكة (٨) .

---

(١) تفسير المنار جـ٩ ص ١١-١٢.

(٢) تفسير روح المعانى جـ٨ ص ١٧٥ ، جـ٩ ص ٦ وانظر جـ١٤ ص ٧٥.

(٣) تفسير روح المعانى جـ٨ ص ١٧٦.

(٤) تفسير روح المعانى جـ٨ ص ١٥٤.

(٥) سور ابراهيم: آية ٤ .

(٦) مختصر تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٢٩٠ (بيروت ١٩٨١م).

(٧) انظر: سورة الشعراء : اية ١٧٦-١٩١.

(٨) محمد على الصابونى : المرجع السابق ص ٢٧٢.

(رابعا) أن أنواع العقاب التى أنزلها الله سبحانه وتعالى بالقوم لاتعنى أنهم عدة أقوام وانما تعنى أن الله تعالى قد اخبر عنهم فى كل سورة بما يناسب سياقها ، ففى سورة الاعراف رجف القوم نبى الله وأصحابه وتوعدوهم بالاخراج من قريتهم أو ليعودن فى ملتهم ، فقال تعالى " فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين "(١)، فقابل الارجاف بالرجفة وأما فى سورة هود فذكر أنهم أخذتهم الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين (٢) وذلك لانهم قالوا لنبى الله على سبيل التهكم والاستهزاء " أصلاتك تامرك أن نترك مايعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا مانشاء انك لانت الحليم الرشيد " (٣) ، فناسب أن يذكر الصيحة التى هى كالرجز عن قول ماقالوا ومن ثم فقد جاءتهم صيحة أسكتتهم مع رجفة اسكنتهم . واما فى سورة الشعراء فذكر أنه أخذهم عذاب يوم الظلة ، وكان ذلك اجابة لما طلبوا حيث قالوا "فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين(٤)" ومن ثم يقول تعالى " فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم "(٥) .

(خامسا) أن وصف شعيب عليه السلام فى سورة الاعراف بأنه أخو مدين ، وعدم وصفه بذلك فى سورة الشعراء عند الحديث عن اصحاب الايكة فالرأى عند الامام ابن كثير انه لم يذكر الاخوة بعد قوله تعالى " كذب اصحاب الايكة المرسلين"(٦) لانه وصفهم بعبادة الايكة فلا يناسب ذكر الاخوة هنا ، وحين نسبهم الى القبيلة شاع ذكر شعيب بأنه أخوهم .

---

(١) سورة الاعراف : آية ٩١.
(٢) انظر سورة هود : اية ٩٤ .
(٣) سورةهود : اية ٨٧.
(٤) سورة الشعراء اية ١٨٧.
(٥) سورة الشعراء اية ١٨٩.
(٦) سورة الشعراء : اية ١٧٦

(سادسا) أن الحديث الذى رواه ابن‌عساكر فى ترجمة النبى شعيب مرفوعا الى عبدالله بن‌عمرو بن‌العاص من ان مدين‌واصحاب الايكة امتان بعث الله اليهما شعيبا النبى انما هو حديث غريب فى رجاله من تُكُلِّمَ فيه وربما كان من كلام عبدالله بن‌عمرو من‌الزاملتين اللتين أصابهما يوم اليرموك وفيهما أخبار بنى‌اسرائيل(١)

(سابعا) أن نبى أصحاب‌الرس انما هو طبقا لروايات الاخباريين " حنظلة بن صفوان "(٢) فضلا عن الايات الكريمة من سورة "ق" (آية ١٢-١٤) انما تؤكد أنهما مختلفتان‌وذلك حيث يقول سبحانه وتعالى " كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود ، وعاد وفرعون واخوان لوط ، وأصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد " •

لقد كان أهل مدين فى‌عيش رغيد ، وهم مع ذلك اهل‌تجارة وكانوا‌ايعبدون غير اللهتعالى ويفعلون الشرور ولايكفون ، فكانوا يطففون المكيال والميزان ويماكسون الناس فى سلعهم ارادة شرائها بثمن بخس وكان شعيب ينهاهم عن ذلك كله ويحذرهم باس اللهتعالى ، فأنكروا عليه ماجاء به أشد الانكار وهو دائب على نصحهم وهدايتهم ، كما كانوا يقعدون على‌الطرق يرصدون الناس الذين يأتون‌الى شعيب ليصدوهم عن الدين‌ويعيبوا طريقته

---

(١) ابن‌كثير : البداية والنهاية جا ص ١٨٩-١٩١•

(٢) يرى‌الاخباريون ان اصحاب‌الرس ونبيهم حنظلة بن صفوان من ولد اسماعيل عليه السلام وانهما قبيلتان يقال لاحدهما " ادمان او قدمان " وللاخرى " يامن او رعويل " وانهما كانا باليمن ومن ثم زعم فريق انهم من حمير او من اهل‌عدن‌وانهم‌قتلوا نبيهم فسلط واحد من انبياء بنى‌اسرائيل‌عليهم " بختنصر " (بنوخذنصر ٦٠٥-٥٦٢ ق•م) (انظر : المسعودى المرجع السابق جا ص ٧٨ ، ج ٢ ص ٢٥ ، ياقوت : المرجع السابق ج٣ ص ٤٣ ، البكرى : المرجع السابق ج٢ ص ٦٥٢ ، ج٣ ص ٨٤٩ ، السهيلي الروض الانف جا ص ٩ ، تاج‌العروس جا ص ٤١٠ ، لسان العرب ج١٢ ص ١٤٩)• وليس من شك ان هذا القصص اختلطت فيه الحقائق بالاساطير لان بختنصر متاخر زمنيا بفترة طويلة جدا عن اصحاب‌الرس ولانه عدو بنى اسرائيل اللدود وصاحب السبى البابلى المشهور عا ٥٨٦ ق •م• ولايمكن ان يسمح لاحد من بنى‌اسرائيل ولانه لم يغزو الجزيرة العربية وجنوبها على وجه الخصوص •

ويوعدوا من آمن بشعيب ويبغوا سبيل الله عوجا [١] ، والى هذا يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى " والى مدين آخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولاتبخسوا الناس أشياءهم ولاتفسدوا فى الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ، ولاتقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا ، واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين "[٢] .

هذا وقد جهد القوم فى ابطال دعوة شعيب عليه السلام ، فكانوا يقولون كما فى سورة هود (اية ٩١) " ياشعيب مانفقه كثيرا مما تقول " يحتقرون شانه بقولهم " وانا لنراك فينا ضعيفا " ظنا منهم ان القوة ميزان الصدق وهو ضلال منهم ثم يتهددونه بقولهم " ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز " فلما طال تماديهم فى غيهم وضلالهم ولم يزدهم تذكير شعيب اياهم وتحذيره عذاب الله اياهم الا تماديا ولما اراد الله اهلاكهم سلط عليهم عذاب يوم الظلة وهو ماذكره ابن عباس فى تفسير قوله تعالى : " فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم" فقال: بعث الله عليهم وقدة وحرا شديدا فاخذ بأنفاسهم فخرجوا من البيوت هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابا فاظلتهم من الشمس فوجدوا لها بردا ولذة فنادى بعضهم بعضا حتى اجتمعوا تحتها فارسل الله عليهم نارا .قال ابن عباس : فذلك عذاب يوم الظلة "[٣] .

٢ ـ شعيب عليه السلام :

اختلف المؤرخون والمفسرون فى اسم النبى الكريم فهو " شعيب بن ميكيل بن يشجى او يشجر بن مدين بن ابراهيم " على راى ، وهو شعيب بن نويت او نويل بن

---

(١) عبد الوهاب النجار : المرجع السابق ص ١٤٥.

(٢) سورة الاعراف : اية ٨٥-٨٦ ، وانظر هود: اية ٨٤-٨٦ ، الشعراء : اية ١٨١-١٨٣.

(٣) ابن الاثير : المرجع السابق ج ١ ص ٨٩.

رعويل بن مر بن عنقاء بن مدين بن ابراهيم" على رای ثان وهو " شعيب ابن نويت او لويت بن عيفاء بن مدين بن ابراهيم " على راى ثالث ، وهو " يشرون ابن ضيعون بن عنقاء بن ثابت بن مدين بن ابراهيم " على راى رابع (١) وهكذا يختلف المؤرخون والمفسرون فى نسب النبى الكريم دون ان يقدم واحد منهم دليلا على ان رايه هو الصواب وان من خالفه كان على غير صواب وان كانوا يتفقون جميعا ان نسب النبى الكريم انما ينتهى الى مدين بن ابراهيم عليه السلام ٠

هذا وقد وصل الخلاف كذلك الى اسم النبى نفسه وليس نسبه فحسب ومن ثم فقد رايناه فيما يزعم الاخباريون شعيبا مرة ولكنه مرة اخرى " يشرون ، أو يشروب او حتى يثرو ، ومرة ثالثة " يزون " أو " بنزون ، وهو من ابناء ابراهيم مرة ، كما رأينا فى الروايات السابقة ،ولكنه مرة اخرى ممن امنوا به يوم القى به فى النار ، ثم هاجر معه الى الشام ثم هو مرة ثالثة من ابناء بعض من آمن به، ثم هو حفيد لوط من جهة آمه مرة رابعة ، ثم هو مرة خامسة زوج ابنة لوط ، حيث زعم البعض ان شعيبا ورجلا اخر دعوه " ملغم " وكانا ممن آمن بابراهيم يوم احرق فى النار وهاجرا معه الى الشام فزوجهما بنتى لوط عليه السلام (٢)

غير أن أغرب مافى الامر ان يزعم البعض أن شعيبا النبى العربى (٣) من بنى اسرائيل ، فيزعم انه " شعيب بن يشخر بن لاوى بن يعقوب " أو هو " خيرى بن يشجر بن لاوى بن يعقوب " (٤) ، ومن عجب ان لاوى بن يعقوب هذا ليس له

---

(١) نفس المرجع السابق ص ١٥٧ ٠ ابن كثير : المرجع السابق ج١ ص ١٨٥ ، المسعودى : المرجع السابق ج١ ص ٦١ ، ج٢ ص ١٢٨ ، الثعالبى : قصص الانبياء ص ١١٥ ، القلقشندى : المرجع السابق ص ٤١٦ ، تفسير روح المعانى ج٨ ص ١٧٥ ، تفسير الطبرى ج١٢ ص ٥٥٤ ٠

(٢) تاريخ الطبرى ج١ ص ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ابن الاثير: المرجع السابق ج١ ص ١٥٧ ، ابن كثير : المرجع اسابق ج١ ص ١٨٥ ، ابو الفداء : المرجع السابق ج١ ص ١٨ ٠

(٣) جاء فى حديث ابى ذر الذى فى صحيح ابن حبان فى ذكر الانبياء والرسل قال: اربعة من العرب هو دوصالح وشعيب ونبيك يا اباذر (ابن كثير ج١ ص ١٨٤ ٠ ٠

(٤) تفسير المنار ج٨ ص ٥٢٣-٥٢٤ ، تفسير روح المعانى ج٨ ص ١٧٥ ، ابن كثير: المرجع السابق ج١ ص ١٨٥ ٠ القلقشندى : المرجع السابق ص ٤١٦ ٠

ولد يحمل اسم يجشراو يشخر وانما اسماء اولاده كما جاءت فى التورات جرشون وقهات ومرارى [١] .

هذا ويذهب البعض الى أن النبى الكريم انما ذهب مع المؤمنين به بعد هلاك الكافرين برسالته الى مكة حيث ماتوا هناك وان قبورهم غربى الكعبة[٢] على ان فريقا اخر انما يزعم ان شعيبا عليه السلام انما دفن على مقربة من حطين فى موقع سماه ياقوت " خيارة " أو خربة مدين فيما يزعم آخرون[٣] .

وليس من شك فى أن قصة موسى عليه السلام وصلته بكاهن مدين كما جاءت فى أسفار العهد القديم [٤] أثرت كثيرا فى تلوين قصة النبى العربى باللون الاسرائيلى ، حيث اعتمد الاخباريون على مدعى العلم من مسلمة اهل الكتاب فنقلوا عنهم كل ما جادت به قرائحهم من غث وسمين ، وهكذا وضعت له سلسلة نسب تربطه ببنى اسرائيل ، مع أنه ليس لها نصيب من صواب ، كما ان ذلك كله لم يكن فيما يرى البعض معروفا فى صدر الاسلام ، وانما حدث بعد فترة لاندرى مداها على وجه التحقيق [٥] .

لقد كان شعيب عليه السلام يسمى عند بعض السلف " خطيب الانبياء " لحسن مراجعة قومه وبراعته فى اقامة الحجة عليهم ودحض حججهم ، فضلا عن فصاحته وعلو عبارته وبلاغته فى دعوة قومه الى الايمان برسالته وقد روى ابن اسحاق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر شعيبا قال: ذاك خطيب الانبياء "[٦] .

---

(١) تكوين ٤٦ : ١١.

(٢) ابن كثير : المرجع السابق جـ١ ص ١٩١. تفسير روح المعانى جـ٩ ص٨٥ .

(٣) ياقوت : المرجع السابق جـ٣ ص ٩٩ . وكذا: EI , 4, p. 389.

(٤) خروج ٢/١٥-٢٥.

(٥) انظر Horovits J. Koranische Untersuchungen , Berlin, 1916, p. 119 F.

وكذا : EI , 4, p. 389.

(٦) ابن كثير : المرجع السابق جـ١ ص ٨٥ ، ابن الاثير: المرجع السابق جـ١ ص ٨٩.

٣ - موطن قوم مدين :

كان أهل مدين قوما عربا يسكنون مدينتهم مدين التى هي قرية من أرض معان من أطراف الشام مما يلى ناحية الحجاز ، قريبا من بحيرة قوم لوط ، وكانت ارض مدين تمتد من خليج العقبة الى مؤاب[1] وطور سيناء[2] .

ويفهم من أسفار العهد القديم أن مواطن المدينيين[3] انما كانت تقع الى الشرق من العبرانيين والظاهر ان القوم توغلوا فى المناطق الجنوبية لفلسطين ، وسرعان ما اتخذوا لهم مواطن جديدة عاشوا فيها آمدا طويلا حيث يرد ذكرهم فى الاخبار المتاخرة ، وقد ذكر بطليموس الجغرافي (حوالى عام ١٥٠م) موضعا يقال له " موديـنا " (Modiana) على ساحل البحر الاحمر ، يرى الباحثون أنه موضع مدين وهو يتفق وحدود ارض مدين المعروفة فى الكتب العربية (٤) .

ويقول المؤرخ اليهودى "يوسف بن متى " (فلافيوس ٢٧-٩٨م) آن موسى عليه السلام قد فر من مصر الى مدينة (Modiana) المواجهة للبحر الاحمر[5] ، هذا ويدل على آن مدينة مدين كانت معروفة بصفة عامة فى أوائل التاريخ الميلادى ، ومدينة " الحوراء " مدينة أهل مدين القديمة وتقع على مقربة من واحة البدع ، ولم يكن الأنباط حتى القرن الاول الميلادى

---

(١) يقع اقليم مؤاب شمال وادى الحسا الذى يفصله عن ادوم ، وامتدت مملكة مؤاب من ناحية الشرق من البحر الميت حتى الصحراء واتسعت شمالا حتى وادى الموجب ووادى عنقيلة وسيل الصعدة وكانت عاصمتها ديبون وهي ذيبان الحالية .(انظر: محمد بيومى مهران: اسرائيل جـ٢ ص ٥٥٢-٥٥٦).

(٢) انظر: محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص٥٥٨ ، قاموس الكتاب المقدس جـ٢ ص ٨٥٠.

(٣) عن مواطن المدينيين: انظر: محمد بيومى مهران: اسرائيل جـ٢ ص ٥٥٨-٥٦١ ، دراسات تاريخية من القران الكريم جـ١ ص ٢٩٧-٣٠١ .
- EI, III, p. 104.

(٤) جواد على : المرجع السابق جـ١ ص ٣٥٥ وكذا
- Ptolemy, Geography, VI, 7, 27.
- Hastings , op. cit., p.616.

(٥) Musil , op. cit. p. 278.

قد قاموا بعد بتحصينها وتوسيعها ، ولعل هذا هو السبب فى ان الكتاب الذين عاشوا قبل هذه الفترة لم يعنوا بذكرها على الرغم من معرفتهم بالاقليم الذى كانت تقع فيه [١] .

وأما " يوسبيوس " (٢٦٤-٣٤٩م) فيذكر مدينة مديم (Madiam) ويقول أنها سميت باسم أحد أولاد ابراهيم من زوجته قطورة وهى تقع خلف المقاطعة العربية (Arabia) فى الجنوب من بادية العرب الرحل (Saracens) الى الشرق من البحر الاحمر ، وهكذا فان " يوسبيوس" وكذا " سان جيروم " (٣٤٥-٤٢٠ م) انما يضعان مدينة مدين فيما وراء حدود المقاطعة العربية والتى كانت حدودها الثابتة من ناحية الجنوب تطابق دائما الحدود الشمالية لبلاد العرب السعيدة عند السفح الجنوبى لجبل السراة [٢] .

وأما الويس موسل فالرأى عنده أن أرض مدين يجب ان تكون الى الشرق والجنوب الشرقى من مكانة العقبة الحالية المعروفة قديما باسم ايلات فهناك كان يمر أهم طريق من طرق النقل التجارى وكانت تحرس هذه الطرق حاميات من أهل الجنوب من بلاد العرب وكان المركز الرئيسى لهذه الحاميات يقع فى ديدان (العلا) وفى معون (معان) [٣] .

ويظهر من اسفار العهد القديم ان المديينيين قد غيروا مواضعهم مرارا بدليل ما يرد فيها من اختلاطهم "ببنى قدم" و"العمالقة" و " الكوشيين" و " الاسماعيليين " ويظهر انهم استقروا فى القرون الاخيرة قبل الميلاد فى (Madiana) والتى يرى موسل انها تقع فى جنوب وادى العربة والى شرق وجنوب شرق العقبة [٤] .

---

(١) الويس موسل : المرجع السابق ص ٦٩.

(٢) نفس المرجع السابق ص ٦٩.

(٣) نفس المرجع السابق ص ٨٣-٨٤ .

(٤) تكوين ٦/٢٥ ، ٢٥/٣٧ ، ٢٨ عدد ١/١٢ حبقوق ٧/٣ ،جواد على : المرجع السابق ص ٤٥٦ وكذا :
Musil , op. cit. ,p. 287.

ولعلمن الاهمية بمكان الاشارة هنا الى امرين: الواحد يتصل بما جاء فى الذكر الحكيم من أن الله سبحانه وتعالى قد عاقب الذين كفروا بشعيب عليه السلام " فأخذتهم الرجفة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين "[١] وهذا يعنى ان هزة ارضية اوهياج حرة ربما قد اصابهم وهو أمر يتفق وطبيعة المنطقة لأن ارض مدين انما هى من مناطق الزلازل والحرار[٢]، والثانى يتصل بالموقع الاستراتيجى لمنطقة مدين ، ذلك لانها تقع على الطريق الرئيسي للتجارة بين جنوب بلاد العرب وشمالها عبر مكة ويثرب والساحل الشرقي للبحر الاحمر وحول خليج العقبة الى مصر ، ويبدأ هذا الطريق من عدن وقنا فى بلاد اليمن متجها نحو الشمال الى مأرب فنجران ثم الطائف فمكة والمدينة وخيبر فالعلا ومدائن صالح، وهنا ينفصل الطريق الى فرعين ، الواحد يتجه الى تيماء صوب العراق ، والاخر يستمر فى الاتجاه حتى البتراء فغزة فبلاد الشام ومصر[٣] .

وهكذا كانت مدين تقع على اهم طريق من طرق النقل التجارى ومن هنا فقد كانت آفة مدين انما هى آفة كل المدن على مدرجة المنقل ومن ثم فقد كانت قصتها فى القرآن الكريم انما هى قصة التجارة المحتكرة والعبث بالكيل والميزان وبخس الاسعار والتربص بكل منهج من مناهج الطريق ، وهكذا كانت رسالة شعيب عليه السلام رسالة خلاص من شرور الاحتكار والخداع فى البيئة التى تعرضت له بحكم موقعها من طرق التجارة والمرافق المتبادلة بين الامم[٤] .

---

(١) سورة الاعراف : اية ٩١ وانظر : سورة العنكبوت اية ٩١.

(٢) جواد علي : المرجع السابق ص ٤٥٢.

(٣) محمود طه ابو العلا: جغرافية شبه الجزيرة العربية جـ٣ ، جـ٤ ،القاهرة ص ١٢٧ ، عبد الرحمن الانصارى : لمحات عن بعض المدن القديمة فى شمال غرب الجزيرة العربية - الرياض ١٩٧٥ص ٧٨ وكذا :

Amer A. , The Anciemt Trans- Peninsular Routes of Arabia Le Cairo, 1925, p. 126-140.

(٤) عباس العقاد: مطلع النور - القاهرة ١٩٦٨ص ٩٢-٩٤ ، تفسير المنار جـ٨ ص ٥٢٥-٥٢٦ ، تفسير الطبرى جـ١٢ ص ٥٥٤-٥٥٥.

ومن هنا كان التركيز فى دعوة النبى الكريم على ان يقيم القوم الوزن بالقسط ولايخسروا الميزان والى هذا يشير القران الكريم فى قوله تعالى " والى مدين اخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولاتنقصوا المكيال والميزان انى أراكم بخير وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط • وياقوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين "[1] ويقول تعالى: " كذب اصحاب الايكة المرسلين • اذ قال لهم شعيب الا تتقون • انى لكم رسول أمين فاتقوا الله واطيعون ،وما أسالكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين ، أوفوا الكيل ولاتكونوا من المخسرين ، وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ولاتبخسوا الناس أشياءهم ولاتعثوا فى الارض مفسدين "[2] .

٤ — عصر قوم مدين :

يرجح بعض الباحثين أن عصر قوم شعيب عليه السلام انما كان قبل عصر موسى عليه السلام معتمدا فى ذلك على أن الله تعالى ذكر شعيبا بعد نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام وقبل موسى[3] ، كما فى سورة الاعراف ويونس وهود والحج والعنكبوت ولكن الايات الكريمة فى سورة يونس انما تتحدث عن قصة نوح فى الايات (٧١—٧٢) ثم اية (٧٣) وهى مجملة لاتذكر اسما بعينها ثم تاتى بعد ذلك قصة موسى عليه السلام ، هذا فضلا عن ان الايات الكريمة (١٢—١٤) من سورة "ق" انما تذكر قوم نوح ثم اصحاب الرس فثمود ثم عاد وفرعون واخوان لوط ثم ياتى ذكر اصحاب الايكة فقوم تبع •

---

(١) سورة هود اية ٨٤—٨٥•

(٢) سورة الشعراء : اية ١٧٦—١٨٣•

(٣) عبد الوهاب النجار : المرجع السابق ص ١٤٩•

هذا ومن الجدير بالاشارة أن قصة شعيب انما ترد بعد قصة لوط مباشرة فى سورة الاعراف وهود والحجر والشعراء[١] ، بل ان الاية الكريمة (٨٩) من سورة هود انما تصرح ، دونما لبس او غموض بقرب قوم شعيب من قوم لوط مكانا أو زمانا ، لا استطيع القول على وجه اليقين ، يقول سبحانه وتعالى " وياقوم لايجرمنكم شقاقى ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وماقوم لوط منكم ببعيد "[٢] .

واذا ما اعتبرنا هذا القرب فى الزمان وعدنا الى عصر ابراهيم عليه السلام (١٩٤٠-١٧٦٥ ق.م) وتذكرنا أن قوم لوط كانوا معاصرين لأبى الأنبياء عليه الصلاة والسلام [٣] لامكننا القول ان قوم شعيب انما كانوا يعيشون بعد القرن الثامن عشر قبل الميلاد بخاصة اذا ماكان صحيحا ماذهبت اليه نصوص التوراة من أن القوم كانوا ينتسبون الى مدين ولد الخليل ابراهيم من زوجه الكنعانية قطورة [٤] .

هذا وقد ذكر الحافظ ابن عساكر فى تاريخه عن ابن عباس أن شعيبا عليه السلام كان يعيش بعد يوسف عليه السلام [٥] ، فاذا كان ذلك كذلك وكان يوسف عليه السلام فيما يرى كثير من المؤرخين المحدثين يعيش فى اوائل عصر الهكسوس فى مصر (١٧٢٥-١٥٧٥ ق.م) وربما حوالى عام ١٧٠٠ ق.م خاصة وقد أشرنا من قبل أن يعقوب عليه السلام كان يعيش فى الفترة (١٧٨٠-١٦٣٣ ق.م.)

---

(١) ابن كثير : المرجع السابق ج١ ص ١٨٣-١٨٤ .

(٢) سورة هود : آية ٨٩ .

(٣) انظر : سورة الحجر اية ٥١-٧٧ ، العنكبوت اية ٢٦-٣٥ ، الذاريات : اية ٢٤-٣٧ ، وانظر كذلك : تكوين ١/١٤-٢٤ ، ١/١٨-٣٣ .

(٤) تكوين ١/٢٥-٢ ، اخبار ايام اول ٣٢/١ .

(٥) ابن كثير : المرجع السابق ج١ ص ١٩١ .

بل ان المصادر الاسلامية انما تذهب الى أن ملك مصر على أيام الصديق انما كان من ملوك العرب المعروفين بالرعاة (الهكسوس) وانه كان يدعى " الريان " وانى لاظن انه ليس من الصعب كثيرا تصحيف اسم " ريان " الى "خيان " وهو احد ملوك الهكسوس المشهورين ومن ثم فربما كان شعيب عليه السلام يعيش فى القرن السادس عشر أو الخامس عشر قبل الميلاد[1] .

على أننا نستطيع القول من ناحية اخرى ان قوم شعيب عليه السلام ربما كانوا يعيشون فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد اذا ما كان صحيحا ما ذهبت اليه بعض الروايات من ان " يثرون " كاهن مدين وصهر موسى كما جاء فى أسفار العهد القديم [2] انما هو شعيب نبى مدين العربى[3] وذلك لان رحلة موسى عليه السلام الى مدين بعد فراره من مصر وكذا لقاءه مع كاهن مدين بعد قيادته للخروج من مصر انما كل ذلك تم فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد[4] .

غير أن هناك فى القرآن الكريم ما يشير الى أن شعيبا كان يعيش قبل عصر موسى ، عليهما السلام ، ذلك أن الله تعالى لما ذكر فى سورة الاعراف نوحا ثم هودا ثم صالحا ثم لوطا ثم شعيبا قال: " ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملئه "[5] ومثل ذلك فى سورة يونس بعد ان ذكرهم

---

(١) انظر: محمد بيومى مهران : اسرائيل جا ص ٨١ ، ٢٤١ — ٢٥٦ .

(٢) خروج ٣/١ وكذا Hastings, op. cit., p. 616
وكذا : Ency. Biblica , p. 3080.

(٣) انظر: ابن الاثير : المرجع السابق جا ص ٩٩ (بيروت ١٩٧٨) البكرى : المرجع السابق ج٤ ص ١٢٠١ . ياقوت : المرجع السابق ج٥ ص ٧٧-٧٨ ، المسعودى : المرجع السابق جا ص ٦١ ، تاريخ ابن خلدون: ج٢ ص ٨٢،٤٣ عباس العقاد : الثقافة العربية اسبق من ثقافة اليونان والعبريين — القاهرة ١٩٦٠ ص ٨٠ .

(٤) انظر: محمد بيومى مهران : اسرائيل جا ص ٢٨٥-٤٣٩ .

(٥) سورة الاعراف : آية ١٠٣.

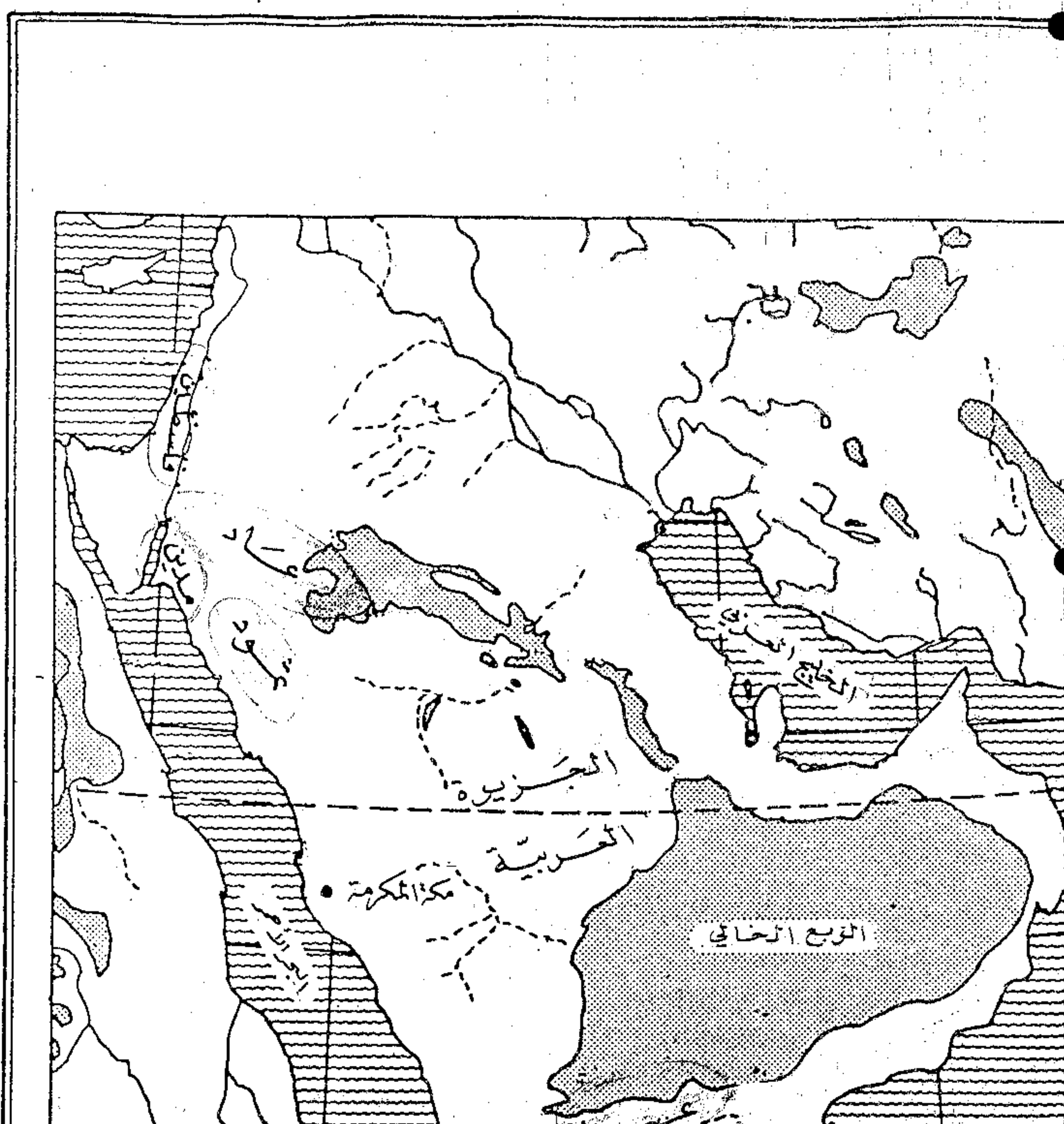
قال: " ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملئه "(1) ومثل ذلك في سورة هود والحج والعنكبوت ، بعد انذكر أمم الانبياء واحوالهم قال : " وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات "(2). وهذا كله انما يفيد ان شعيبا عليه السلام انما كان زمانه قبل زمان موسى عليه السلام اى قبل القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، والله أعلم.

...

---

(1) سورة يونس : اية ٧٥.

(2) سورة العنكبوت: أية ٣٩ -



مناطق دعوات الأنبياء والرسل في الجزيرة العربية وفلسطين

الفصل الخامس

الفصل الخامس

العلاقات التجارية بين الجزيرة العربية وفلسطين

- في عهد الجاليات المعينية والسبئية في ديدان (العلا) .
  - المعينيون (اصلهم - دولتهم) .
  - السبئيون (أصلهم - دولتهم) .
  - المعينيون والسبئيون ونشاطاتهم التجارية بين الجزيرة العربية وفلسطين .
- في عهد اللحيانيين .
  - اللحيانيون (أصلهم - دولتهم)
  - اللحيانيون ونشاطهم التجاري .
- في عهد الانباط :
  - الانباط (أصلهم - دولتهم) .
  - الانباط وعلاقاتهم التجارية بين الجزيرة العربية وفلسطين .
- في عهد الغساسنة :
  - الغساسنة (أصلهم - دولتهم)
  - الغساسنة والتجارة بين الجزيرة العربية وفلسطين .

"العلاقات التجارية بين الجزيرة العربية وفلسطين"

تحتل الجزيرة العربية، موقعا هاما وحيويا بين مناطق الشرق الأدنى القديم ، فهى الموطن الاول للشعوب السامية - سكان هذا الجزء من العالم - وهى موطن العربية - اللغة السامية الام - وهى لاتختلف عن غيرها من بلاد تلك المنطقة العريقة فى الحضارة ، فيها قامت دول ونشأت حضارات ، وفيها انزلت رسالات سماوية ، ومن أبنائها اصطفى الله بعض أنبيائه ورسله ، كما ساهمت بنصيبها فيما قدمه الشرق الخالد للبشرية من آياد بيضاء ، ومن ثم فقد تأثرت جزيرة العرب بحضارة تلك المنطقة ، كما انها أثرت فيها أيضا وارتبطت بها بعلاقات سادها الود احيانا ، والنفور أحيانا آخرى، وقد كان لها علاقات مع مصر وسورية وبلاد الرافدين ، بالاضافة الى الحبشة والفرس واليونان والرومان [١] ، ويمثل النشاط التجارى نوعا من العلاقات التى كانت تربط مناطق الشرق الادنى القديم فى مختلف عصوره ، وقد اشتغل سكان هذا الجزء من العالم بالتجارة فى جميع مراحله التى مر بها ٠

وقد عمل المعينيون والسبأيون والانباط واللحيانيون والغساسنة بالتجارة ، واحترفوا هذه المهنة وبرعوا فيها الى آبعد الحدود ، واعتمدت الممالك والدويلات التى أنشأها هؤلاء - سواء التى كانت فى جنوب الجزيرة العربية أم فى شمالها - على التجارة فى عمرانها ورقيها وتقدمها الحضارى، ولم تكن، بأى حال من الاحوال، دولا حربية لا فى نشأتها ولا فى تطورها وارتقائها [٢] ، وغدت التجارة عند هذه الممالك والدويلات اهم مصدر من مصادر الثروة ، وينفرد هذا الفصل بدراسة العلاقات التجارية بين الجزيرة العربية وفلسطين فى زمن

---

(١) محمد بيومى مهران: " دراسة حول العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة " مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - العدد السادس - الرياض - ١٩٧٦م - ص ٢٩٧٠

(٢) فيليب حتى :تاريخ العرب - جا ص ٨٨٠ ويرى عبد الرحمن الانصارى انها كانت دولا حربية ٠

الجاليات المعينية والسبأية في ديدان (العلا) وكذلك في عهد اللحيانيين والأنباط والفساسنة مع دراسة طرق القوافل التجارية التي كانت تحمل عليها السلع والبضائع والمنتجات المختلفة .

(١) في عهد الجاليات المعينية والسبئية في ديدان (العلا) :

— المعينيون (أصلهم — دولتهم) :

أطرى بطلميوس (منتصف القرن الثاني للميلاد) في كتابه " الجغرافية " على سلطة المعينيين وتوسعهم التجاري ،ووصفهم بالشعب العظيم [١] ، وذكرهم ديودورس الصقلي (القرن الاول الميلادي) [٢] ، كما اشار اليهم بلينوس (٣٢-٧٩م) وذكر بلادهم انها كانت على حدود ارض حضر موت[٣] في حين دعاهم سترابو (٦٦ ق م٠ — ٢٤ م٠) بهذا الاسم معينيين (Minae = Meinaioi) وذكر عاصمتهم "قرناو"(Carra=Karna) بانها كانت مدينة عظيمة [٤] .

وأصل المعينيين لايزال موضع خلاف وجدل بين العلماء والباحثين ، فهناك من راى ان المعينيين من العرب القحطانيين الذين ينتسبون الى " يعرب " ابن قحطان[٥] ، بيد ان هناك من يعترض على انهم ينتسبون الى قحطان ، ويرى

---

(١) Ptolemy, Geographia, BK. VI, 7-23.

(٢) Pliny , BK. VII, 28-32, 12.30. 14

(٣) Diodurus, III , 42.

(٤) Strabo, BK XVI, 768. 16,4,2.

(٥) تاريخ ابن خلدون جا ص ٥٢-٥٤ ، محمد جميل بيهم : دراسة وتحليل للعهد العربي الاصيل — بيروت — ١٩٧٤م ص ٢٥.

أن ذلك يمكن ان يصح على السبئيين والحميريين ولكن ليس على المعنيين لانهم أقدم كثيرا من بنى قحطان ، وربما يعود تاريخهم الى الالف الرابع قبل الميلاد ، فقد عثر على نقوش مسمارية فى مسلة " نرام سن " ملك بابل - تعود الى سنة ٢٧٥٠ ق.م[1] تسجل انتصاره على ملك " معان " وقهره لملكها معن (Manuim) (والميم للتنوين فى البابلية) وقطع الحجارة من جبالها وحملها معه الى " آكاد " ، ويتوصل صاحب هذا الراى الى ان المعنيين أصلهم من عمالقة العراق بدو الاراميين ، وانهم كانوا هناك قبل ظهور حمورابى (١٧٢٨ - ١٦٨٦ ق.م) بعدة قرون ، ولما ظهرت دولة حمورابى فى بابل واقتبست ديانة السومريين وشرائعهم ونظمهم كان المعينيون من ضمن القبائل التى نالت نصيبا من ذلك كله وظل المعينيون مع البابليين مدة من الزمن حتى ذهبت دولة العرب من العراق - (ربما قصد صاحب هذا الراى سقوط بابل على يد الكاسيين ، فى عام ١٦٠٠ ق.م.) - فنزح المعينيون الى الجنوب واستقروا فى اليمن فشيدوا هناك القصور و(المحافد)، وعملوا فى التجارة فدونوا حساباتهم التجارية ومراسلاتهم السياسية بالكتابة الفينيقية التى تطورت الى الخط المسند المشهور كما تولدت الكتابة البابلية " الارامية " التى تشبه فى اصولها الكتابة الفينقية التى اقتبسها المعينيون من الفينقيين[2] .

فالمعينيون - حسب هذا الرأى - من البدو الاراميين الذين كانوا فى العراق فى الالف الرابع قبل الميلاد ، واتجهوا الى اليمن على اثر زوال دولة البابليين ، وقد اقتبسوا من العراق القديم كتاباتهم ولغتهم وبعضا من مظاهر حضارتهم ومن ثم نقلوها معهم الى اليمن ، فأنشأوا هناك حضارة خاصة بهم .

---

(١) هذا التاريخ مبالغ فيه كثيرا لان فترة حكم نرام سن كانت ما بين ٢٢٩١-٢٢٥٥ ق.م. (انظر : Roux, op.cit., p.145.)

(٢) جرجي زيدان : المرجع السابق ص ١٥٤-١٥٥ ، محمود كامل المحامى : المرجع السابق ص ٨٣ ، حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم - ص ١٢٦ .
وكذا :
King, Egypt and Western Asia in the Light of the Recent Discoveries , p. 158 .

والمحافد جمع محفد ، والمحفد يقسم الى قصور وهي كالحصون على كل منها شيخ أو أمير (انظر جرجي زيدان: المرجع السابق ص ١٤٨-١٤٩) .

ويستند صاحب هذا الرأى على أدلة منها اشتراك المعينيين وبدو الآراميين في أصولهما ايضا تشابه الاسماء فى الامتين ، وكذلك اشتراك الامتين فى أسماء المعبودات وأسس الاعتقادات وطرق العبادة ، فهناك شبه كبير بين الديانة المعينية وديانة بدو الاراميين سكان غربى نهر الفرات ومن تحضر منهم فى أور الكلدانيين وحران [1] .

ولكن يبدو جليا من هذا الرأى أنه مجرد استنتاج ولايستند الى أدلة علمية فليس هناك نقش واحد يدل على هذا الاصل الارامى للمعينيين وقد ساق هذا الاستنتاج صاحبه الى ان يذهب الى ان الخط المسند اصله فينيقي وهو مافندته الغالبية العظمى من علماء اللغات الذين رجحوا ان " المسند" والفينيقية مستمدان أصلا من الابجدية السينائية المتطورة عن الهيروغليفية أو الهيراطيقية المصرية ، أما الاستناد الى التشابه الكبير بين الديانة المعينية والارامية فانه لايعنى ان هذه الديانة اتجهت من الشمال الى الجنوب وانما اتجهت من الجنوب الى الشمال [2] .

وقد لاحظ بعض العلماء والباحثين (فنكلر ، هومل ، دوفرنى) ان بعضا من مظاهر الحضارة المعينية يشبه حضارة البابليين ،فالاله " شمش " و" عشتروت" البابلية تشبه اسماء الاله " شمس " و "عثر " اليمانية " ، كما ان النقوش المعينية تشبه ماعند العراقيين القدامى ، وان الحكام يشبهون الملوك الكهنة السومريين،فاستنتجوا من كل ذلك أن اصل المعينيين من العراق . غير أن هذا التشابه الجزئى فى المظاهر الحضارية بين الامتين لايكفى لان يكون دليلا قاطعا على انهم جاءوا من العراق ، اذ من الجائز ان يكون الساميون العراقيون

---

(١) جرجى زيدان : المرجع السابق - ص ١٥٦.

(٢) محمود كامل المحامى : المرجع السابق ص ٨٣-٨٤.

من اليمن ، أو أن العراقيين وعرب الجنوب قد جاؤوا من أصل واحد في محل ما ، او قد يكون سبب هذا التشابه في مظاهر الحضارة هو نتيجة الاختلاط الذي كان بين البلدين منذ أزمنة سحيقة [١] .

ان أرجح الآراء - والذي نعتقد ونميل الى الاخذ به - هو أن المعينيين من جنوب شبه الجزيرة العربية ، وانهم لم يفدوا من الشمال كما اعتقد بعض الباحثين [٢] ، فالمعينيون والسبأيون والحميريون اصلهم واحد - وهم من القحطانيين - وان اختلفوا في المكان والاسم فان قرارات دارهم اليمن [٣] .

وقد أقام المعينيون لهم دولة اعتبرت من أقدم الدول العربية التي قامت في اليمن ، ان لم تكن من اقدم الدول العربية التي بلغنا خبرها على الاطلاق [٤] ، فالمعينيون هم الشعب الذي يعتبر بحق أقدم الشعوب التي حملت لواء الحضارة في الجزء الجنوبي من بلاد العرب [٥] ، وقد اختار المعينيون لدولتهم منطقة خصبة ومنبسطة تقع بين نجران وحضرموت تعرف بمنطقة الجوف ، وهذه المنطقة عبارة عن سهل واسع ، وهو جزء من الربع الخالي يمتاز بتربته الخصبة التي تصلح لجميع المحاصيل الزراعية ويجري في هذا السهل نهر "الخارد" الدائم الجريان ، كما ان الجبال تحيط به من كل الجهات عدا الجهة الشرقية والشرقية الشمالية ، وقد ساعدت تلك المميزات الطبيعية

---

(١) صالح احمد العلي : المرجع السابق - ج١ ص ١٨ .

(٢) انظر: فؤاد حسنين علي : التاريخ العربي القديم - ص ٢٦٩ ، محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم ص ٢١٨ ، عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ١٢٠ ، محمود كامل المحامي : المرجع السابق ص ٨٤ ، محمد جميل بيهم : المرجع السابق ص ٢٥-٢٦ ، محمد مصطفى النجار : عرب الجزيرة العربية بين الجاهلية والاسلام - القاهرة - ص ١٦ .
وكذلك Guidi, I., L'Arabie Anteislamique, Paris, 1921, p. 64.

(٣) زيد بن علي عنان : تاريخ حضارة اليمن القديم - القاهرة -١٣٩٦ هـ ص ٨١ .

(٤) جواد علي : المرجع السابق - ج٢ ص ٧٣ ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٢١٣ ، عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ١١٩ ، صالح احمد العلي : المرجع السابق ص ١٨ .

(٥) فرتز هومل : التاريخ العربي القديم - القاهرة ١٩٥٨ - ص ٦٢ .

على ان تكون منطقة الجوف مركزا هاما لحضارة المعنيين فى ذلك الركن الجنوبى من شبه الجزيرة العربية [1] .

وكانت عاصمة المعينيين تعرف باسم " قرنا " أو " قرنانا " او "قرنو" او " قرناو " او "القرن " وهى التى يسميها العرب " السوداء "[2]. ولكن " قرنا " ليست هى السوداء " بل هى اصغر من "السوداء " وتبعد عنها حوالى ١٠ كيلومترا من الناحية الشمالية الشرقية وهى تعرف باسم " كمنا "[3]، و " السوداء " اسم حديث وقد اطلق عليها هذا الاسم لان احجارها سوداء[4]، وذكر ان عاصمة المعينيين انتقلت بعد ذلك من "قرناو " الى " معين "[5] ولا تزال خرائب عاصمتهم " قرنا " و " معين " باقية حتى اليوم [6] .

وقد اختلف العلماء والباحثون حول العصر الذى نشأت فيه الدولة المعينية ولعل ذلك يعود الى قلة الاثار الباقية عنهم ، غير انه من الملاحظ ان الفرق فى السنوات التى يقدمها هؤلاء العلماء والباحثون شاسع وكبير ، فبعض الآراء

---

(١) زيد بن على عنان : المرجع السابق - ص ١٢٦-١٢٧.
(٢) نفس المرجع السابق ص ١٢٨ ، ولفنسون : تاريخ اللغات السامية - ص ٢٣٦ حسن ظاظا : المرجع السابق ص ١٣١ ، جرجي زيدان : المرجع السابق ص ١٥٠-١٥١ ، محمود كامل المحامى : المرجع السابق - ص ٩١ ، وكذا : Philby: The Background of Islam , p. 141.
(٣) زيد على عنان : المرجع السابق - ص ١٢٩.
(٤) المرجع السابق - ص ١٢٨ .
(٥) محمود كامل المحامى : المرجع السابق ص ٩١ ، زيد على عنان : المرجع السابق - ص ٨٢ .
(٦) محمد توفيق : اثار معين فى جوف اليمن - القاهرة ١٩٥٤ - ص ٦ ، محمد عبد القادر بافقيه : تاريخ اليمن القديم - بيروت ١٩٧٣ - ص ٣٣ .

تذهب الى انها كانت مابين الالف الثالث والثانى ق.م بينما يرى البعض انها كانت فى النصف الثانى من الالف الاولى قبل الميلاد . فمثلا "ادوارد جلازر" (Eduard Glaser) يرى أن تاريخهم يعود الى الالف الثانى ، وربما الالف الثالثة قبل الميلاد ، ودليله على ذلك ان الابجدية التى استعملها المعينيون فى كتاباتهم ترجع الى هذه الفترة وعلى ذلك فان تاريخهم يعود الى ماقبل هذا العهد (١)، ولكن هذا الراى لقي معارضة الكثير من العلماء الذين رأوا أن تاريخ الدولة المعينية لايتجاوز الالف الاول قبل الميلاد ، وان راي "جلازر" مبالغ فيه (٢) .

ويرى هومل (Hommel) ان دولة معين قد بدات مابين ١٥٠٠ - ١٢٠٠ قبل الميلاد ، فسبقت قيام دولة سبأ ، ويرى ان عام ١٣٠٠ ق.م. هو بداية ظهور هذه الدولة على مسرح التاريخ ، فى حين يرى ان نهاية هذه الدولة كان حوالى عام ٧٠٠ ق.م (٣). وقد حدد " فلبى " (Philby) عصر هذه الدولة مابين ١١٢٠ - ٦٣٠ ق.م (٤) . وكان " ملاكر Mlaker اكثر تحديدا فى تاريخه ، اذ راى قيام الدولة المعينية فى عام ٧٢٥ ق.م وسقوطها فى القرن الثالث ق.م.. فى حين يرى " وينيت Wennett " ان قيام دولة معين لايمكن ان يتجاوز عام ٥٠٠ ق.م. وان نهايتها انما كانت مابين عام ٢٤ ق.م وعام ٥٠ ميلادية (٥) ، و " موسكاتى Moscati " يرى ان قيامها كان حوالى عام ٤٠٠ ق.م . وهى معاصرة للدولة السبئية (٦) ، كذلك

---

(١) جواد على: المرجع السابق - جـ٢ ص ٧٧.
وكذا: Glaser, Eduard. Skizze der Geschichte and Geographie Arabiene , Berlin, 1890,p.110, 330,.

(٢) جواد على : المرجع السابق - جـ٢ ص ٧٧.

(٣) فريتز هومل: المرجع السابق ص ٦٤-٦٥.

(٤) فؤاد حسنين على : المرجع السابق ص ٢٧٠-٢٧٢ وكذا :
Philby, op.cit. ,p. 141.

(٥) جواد على : المرجع السابق ص ٧٨ ، محمد بيومى مهران: المرجع السابق ص ٢٢ .

(٦) موسكاتى: الحضارات السامية القديمة - ص ١٩٢.

يرى " اولبرايت Albright " ان قيام دولة معين كان عام ٤٠٠ق٠م وان نهايتها كانت مابين عامى ٥٠ — ٢٥ ق٠م ، ثم عاد وغير رأيه فجعـــــل عام ٣٥٠ ق٠م ٠ هو الذى قامت فيه الدولة المعينية ، وان حكمها استمر الى مابين سنة ١٠٠ ، ٥٠ ق٠م [1] ، وقد ذهب آخرون الى ان نهاية دولة معين كان فى حوالى عام ١٠٠ ميلادية [2] .

أسس المعينيون دولتهم فى الركن الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة العربيــة ولكنهم بسطوا نفوذهم وسيطرتهم ليشمل أجزاء من الجزيرة العربية ، فقـــــد امتدت سيادتها ومستعمراتها لتصل الى " العلا " و " معان " فى شمال غـــرب الجزيرة العربية وكذلك الخليج العربى وبحر العرب ، ولم تكن الدولـــــة المعينية دولة عسكرية لها حروب وفتوحات وانما كانت دولة تجارة مثل دولـــة الفينقيين على شواطىء سورية ، ودولة الانباط فى البتــراء ، ومعظـــــم دول اليمن [3] ، فكانت لهم علاقات تجارية امتدت الى سورية والى مصر بدليـــل العثور على كتابات معينية فى الجيزة ، وعند قصر البنات — عند منتصف وادى الحمامات — وكذلك فى منطقة ادفو بمحافظة اسوان ، وبعض هذه الكتابات يرجـــع

---

(١) فؤاد حسنين : المرجع السابق — ص ٢٧٢-٢٧٣ ،جواد على :المرجع السابق ص ٧٩٠ وكذا :
Albright, W.F., The Chronology of Ancient South Arabia in the Light of the First Campaign of Excavation in Qataban ,in BASOR, No. 119, 1950, pp.5-15; The Chrorology of Minaean Kings of Arabia, BASOR No. 129, 1953 p.22, And BASOR , No, 176,1964, p. 15,

(٢) جواد على : المرجع السابق — ص ٧٩ وكذا :
Le Museon , 1964, 3-4 , p. 343.

(٣) جرجى زيدان : المرجع السابق — ص ١٥٢٠

الى أيام " قمبيز " (٥٢٥ - ٥٢٢ ق٠م٠) وبعضها يعود الى ايام البطالمة وقد أرجعها بعض العلماء الى عام ٢٦٤ / ٢٦٣ ق٠م[١] ، كما ان علاقاتهم التجارية وصلت الى بلاد اليونان بدليل العثور على كتابات معينية في جزيرة " ديلوس " (Delos) اليونانية يعود تاريخها الى القرن الثانى قبل الميلاد[٢] • وهكذا يظهر لنا ان نفوذهم قد شمل اجزاء من شبه الجزيرة العربية ، وان نشاطهم ونفوذهم التجارى انتشر الى خارج شبه الجزيرة العربية مما يدل على مدىازدهار وتوسع هذه الدولة العربية القديمة •

وكانت دولة معين تتالف من مستوطنات ويرأس كل مستوطنة شخص يعينه الملك من قبله ليدبر شؤون تلك المنطقة ، يطلقون عليه لقب (كبر) أى (الكبير) فيحافظ على الامن فيها ، ويجمع الضرائب من آهلها ليرسلها الى العاصمة " قرناو "[٣] ، ويظهر ان " الكبير " كان لايتدخل الا في السياسة التى تخص المسائل العليا المتعلقة بحقوق الملك ، وبشعب معين ، وكان اسمه ياتى بعد اسم الملك فى النصوص على عادة اهل معين وغيرهم من ذكر الهتهم اولا ثم الملوك ثم " الكبراء " فى كتاباتهم التى يدونوها ليطلع عليها الناس[٤].

---

(١) محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة ص ٢٩٧ ، محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم - ص ٢٢٧ ، جواد على : المرجع السابق - ج٢ - ص ١٢٠ •
وكذا : Winnett, F.V., The Place of the Minaeans in the History of pre-Islamic Arabia, BASOR, 73, 1939, pp.7-9.

(٢) جواد على / المرجع السابق - ص ١٢٠ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ٢٢٧ ، محمد بيومى مهران : العرب وعلاقتهم الدولية ص ٢٩٧ ، محمد عبدالقادر بافقيه : المرجع السابق ص ٣٦ •
وكذا : Philby, op.cit., p.142, BASOR, 73, p.7,.

(٣) جواد على : المرجع السابق - ج٢ ص ١٠٩ ، ١٢١ ، محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم - ص ٢٢٧ - ٢٢٨ وكذا :
Musil, Alois, The Northern Hegas, New York, 1926, p.295 .

(٤) جواد على : المرجع السابق - ص ١٠٩-١٢١ • وكذا :
Musil, op.cit. p. 295.

وبجانب هؤلاء "الكبراء " كانت هناك حامية عسكرية وجالية تتكون من الاوساط التجارية فى تلك المناطق والتى كانت موردا للكسب بالنسبة لاهلها الاصليين وللقبائل التى كانت تقيم فى جوارها فكانت القبائل تقدم لهذه الجاليات ماتحتاجه من طعام وملابس فكان لهم - من اجل ذلك - نوع من السيطرة والسيادة (١) .

ومن أهم المستوطنات التابعة للدولة المعينية فى الاجزاء الشمالية الغربية من شبه الجزيرة العربية كانتا " ديدان " و " معان "(٢) حيث كانتا مركزين تجاريين مهمين فى تلك المنطقة وقد عثر العلماء والباحثون على كتابات ونقوش معينية فى" ديدان "(العلا) وبينها ايضا عدد من الكتابات اللحيانية المتأثرة باللهجة المعينية وقد وردت فيها اسماء معينية ، معروفة وكانت شائعة بين المعينيين مثل : " بهر " و "علهان " ، "ثوبت" و " يعقان " كما وردت فيها اسماء الهة معين ، وجميع ذلك يدل على نزول المعينيين فى هذه المنطقة والاراضى المجاورة وتركهم اثرا ثقافيا فيمن اختلطوا بهم أوجاوروهم وفيمن خلفهم من خلق(٣)، وفى نقش وجد فى " الخريبة " القريبة من " العلا " (ديدان) نقرأ ان صاحبه يتحدث عن اعمال انشائية تتعلق بالرى قام بها فى " قرنو " (قرناو) من اجل الملك(٤)، وعلى هذا

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ٢٢٨.

وكذا : Musil, op.cit., p. 295,.

(٢) "ديدان " (Dedan) وتعرف باسم العلا حاليا وهى شمال المدينة المنورة فى شمال اقليم الحجاز. و " معان " تقع حاليا فى الجزء الجنوبي الشرقى من مدينة " البتراء " التاريخية بالاردن .

(٣) جواد على : المرجع السابق - ص ٢٢١ ، نيلسن : المرجع السابق - ص ٤٢-٤٣.

(٤) محمد عبدالقادر بافقيه : المرجع السابق - ص ٣٨ ،ولمزيد من التفاصيل راجع :

Ghul, M.A., New Qatabani Inscriptions, in BSOAS (1959), pp.419-439, Pritchard, op.cit., pp.665-667.

هذا النحو نستنتج أن ديدان (العلا) كانت تابعة لحكومة الدولة المعينية في الجنوب .

ويبدو ان الوجود المعينى فى شمال الجزيرة العربية يعود الى النصف الاخير من الالف الثانية قبل الميلاد ، فقد ورد فى اسفار العهد القديم أن الصيدونيين والعمالقة والمعونيين كانوا يضايقون بنى اسرائيل[١] ، فاذا رجحنا الرأى الذى يذهب الى أن خروج بنى اسرائيل من مصر كان فى عصر " مرنبتاح " (١٢٢٤-١٢١٤ ق ٠م)[٢] ، فان عصر " القضاة " - الذى تحدثت عنه اسفار العهد القديم - سيكون فى الربع الاخير من الالف الثانية قبل الميلاد واذا كان المقصود بالمعونيين هنا الجالية المعونية (المعينية) فى شمال غرب الجزيرة العربية فان الوجود المعينى هنا لابد وانه كان قبل هذه الفترة اى ربما فى النصف الثانى من الالف الثانية قبل الميلاد[٣] .

ويرى بعض العلماء ان " ماعون " "معون" او " معونم " "معينيم" التي ورد ذكرها فى اسفار العهد القديم انما يقصد بها " المعينيون "[٤] ، وقد ذكرتهم تلك الاسفار مرة على انهم سكان النقب وحتى طور سيناء او انهم سكان " معان " الواقعة الى الجنوب الشرقي من "البتراء" أو أنهم أهل "العلا " (ديدان)[٥] .

---

(١) سفر القضاة : ١٠ : ١٣ .

(٢) محمد بيومى مهران : اسرائيل - جـ٢ - ص ٤١٣ -- ٤٥٥ .

(٣) محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم - ص ٢٢٢ .

(٤) جواد على : المرجع السابق - جـ٢ - ص ٧٦-٧٧ ، وكذا :

Montgomery, Arabia and the Bible , p. 183.

(٥) Hasting, Dictionary of the Bible , p. 619, Montgomery, op.cit., p. 183.

كما اشارت اسفار العهد القديم الى حرب دارت بين " يهوشافاط " (٨٧٣ - ٨٤٩ - ق٠م) - ملك يهوذا - من ناحية ، وبين بنى مؤاب وبني عمون والعمونيين من ناحية اخرى[١] ، كذلك نقرأ فى تلك الاسفار ان الملك " عُزيّا " (٧٧٩ - ٧٤٠ ق٠م) حطم العرب الذين كانوا يسكنون فى " جور بعل " كما حطم المعونيين وقد قدم العمونيون له الهدايا [٢] ، ويفهم من نصوص أسفار العهد القديم هذه ان هؤلاء العرب كانوا يسكنون فى المنطقة الواقعة فى الجنوب والجنوب الشرقى من البحر الميت - اى فى نفس الاقليم الذى تقع فيه واحة " معان "[٣] ، وفى هذا الصدد يجدر ان نشير هنا الى ان " فريتزهومل " قرر ان صحة اللفظ او الاسم الذى ينتسب اليه المعينيون هو " معان " وليس " معين " وان معان انما هو النطق القديم جدا لهذا الاسم[٤] ، وعلى هذا النحو نستنتج مرة اخرى ان المعينيين كانوا اصحاب مستوطنات فى شمال شبه الجزيرة العربية منذ القرن الثامن - وربما الثالث عشر - قبل الميلاد كما انه يعضد فكرة قيام الدولة المعينية فى حوالى الالف الثانية قبل الميلاد اذا كانت " معون " التى وردت فى اسفار العهد القديم ، لها صلة بمعين بلاد العرب ، وهذا امر لا يوافق عليه الكثير من العلماء والباحثين[٥] . غير أن حسن ظاظا لا يوافق على النقطة الأخيرة وما ورد فى أسفار العهد القديم من ذكر للمعونيين بقصد أنهم المعينيين ، ويرى ان هناك خطأ من الناسخ ، وأن المقصود هم " العمونيين " وليس " المعونيين "[٦] .

---

(١) اخبار الايام الثانى ٢٠ : ١ ، ١٠ ، ٢٢ ، محمد بيومى مهران: المرجع السابق - ص ٢٢٢ .

(٢) اخبار الايام الثانى ٢٦ : ٧ ، ٨ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق .

(٣) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، وكذا :
Musil, op.cit, p. 244f.

(٤) هومل : المرجع السابق - ص ٦٢-٦٣.

(٥) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ٢٢٣.

(٦) ملاحظات من حسن ظاظا.

وهكذا نرى ان منطقة " ديدان " (العلا) و " معان " ومجاوراتها كانت جزءًا من الدولة المعينية وخاضعة لحكمها ، وأن الملوك فى معين كانوا يعينون عليها حكاما يحكمون باسمهم ، وأن درجة هؤلاء الحكام هى " كبير " (الكبير) وعلى هذا فان الدولة المعينية ربما كانت تحكم من " معين " كل مايعرف فى الوقت الحاضر بالحجاز وفلسطين ، وقد أدى توسعهم هذا نحو الشمال الى احتكاك الحكام المعينين هناك بحكام سورية وآشور عن طريق التجارة الرئيسي ومن ثم فلم يعن الاخيرون بتفهم النظم السياسية المختلفة للوحدات المتفرقة التى تقع على طول هذا الطريق ، ولم يهتموا بالمفاوضات مع الملوك المحليين للاقليم وانما اتجهوا الى ذلك المقيم الجنوبى (الكبير) الذى كان معروفا لديهم باشرافه على الاقليم ، حتى انهم كانوا يخلطون بينه وبين الملك الجنوبي — الذى كان هذا المقيم يعمل فى خدمته — فذكروا اسمه كما لو كان هو الملك الجنوبى ، وهذا يفسر لنا الاشارات التى ترد فى الوثائق السريانية والعبرية عن المعينين والسبئيين وتذكرهم كما لو انهم كانوا يقيمون فى الجزء الجنوبى الشرقى للبحر الميت (١) .

وقد تقلص نفوذ المعينيين وسيادتهم على هذه المناطق عندما ضعف ملوكهم ثم مالبث ان ضعفت الدولة المعينية نفسها ، ومن النقوش السبئية التى عثر عليها " جلازر Glaser " نقرأن آن سقوطها كان على يد احد حكام سبأ (٢) ، ولكننا لانعرف على وجه التحديد كيف ومتى تم القضاء على الدولة المعينية نهائيا ، الا أننا نجد فى النقوش التى تعود الى عهود متاخرة منذ ظهور لقب " ملك سبأ وذى ريدان " على الاقل ، مايدل على خضوع

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق — ص ٢٢٨ ، عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ١٢٠ ، وكذا :

Musil, op.cit. p. 288-289., 295

(٢) فرتز هومل : التاريخ العربى القديم — ص ٦٥ ،
وكذا :
BASOR, 73, 1959, p.5.

مدن جنوبية مثل " نشق " و " نشن " و " نيل " لاولئك الملوك في حين لانكاد نجد اى ذكر لمعين او " قرنو " ، كذلك لانجد اى ذكر لها فى اخبار خملة " اليوس جالوس " (حوالى ٢٤ ق٠م) والتى تعرض خلالها مدن " الجوف " لهجمات الرومان بما فيها " يثل " (اترولا) التى ارتبط اسمها طويلا بمعين (١) .

ويتفق المؤرخون على آن المعينيين انتهوا كدولة فى نهاية القرن الاول قبل الميلاد وذلك عندما بسط ملوك سبا سلطانهم على هذا الاقليم ، ولعل هذا يفسر لنا هجرة قبائل يمنية كثيرة الى الشمال نحو اقليم الحجاز حيث وجدت نقوش معينية فى "تيماء " و " ديدان " (العلا) و " مدائن صالح "(٢) .

وقد ظل الكتاب اليونانيون والرومانيون يذكرونهم فى كتاباتهم حتى الى مابعد ميلاد المسيح - عليه السلام - فذكرهم المؤرخ ديودور الصقلى(٣) ، كما ذكرهم بلينوس فى " التاريخ الطبيعى "(٤) ، وسترابو فى " الجغرافية "(٥) ، واخيرا بطليموس الذى وصفهم بانهم شعب عظيم(٦) .

---

(١) محمد عبدالقادر بافقيه : المرجع السابق - ص ٣٩ .

(٢) حسن ظاظا : المرجع السابق - ص ١٣٢ وكذا :

Wissman . H.V , Himyar Ancient History, in Le Museon, 77. 3-4, (1964), pp 429-498.

(٣) Diodurus, III, 42.

(٤) Pliny, VI, 28-32, 12.30.14.

(٥) Strabo, BK, XVI, 768. 16,4,2.

(٦) Ptolemy, VI, 7. 23.

السبئيون (أصلهم ، دولتهم) :

احتل السبئيون شهرة واسعة فى التاريخ ، ولعل السبب لايعود لدولتهم العظيمة ونهضتها فقط ، وانما يرجع لقصة ملكة سبأ ، مع النبى سليمان عليه السلام ، وقد جاءت هذه القصة فى القرآن الكريم فى سورة النمل(١) ، كذلك يرجع الى سد مأرب ، وقد ورد فى القرآن الكريم ذكر قوم " سبأ " ومساكنهم وقصة " سيل العرم " - الذى جاء نتيجة تهدم هذا السد - والذى ارسله الله عليهم عقابا لهم لكفرهم بنعمته سبحانه وتعالى وجحدهم لفضله ، فاغرق اراضيهم وخرب ديارهم ، وادى الى تشتتهم فى الارض (٢) .

وتذهب الروايات العربية الى أن مملكة " سبأ " قد سميت بذلك نسبة الى مؤسسها الاول " عبدشمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان " وانه هو الذى غزا بابل وخراسان وارمينية ومصر والمغرب ثم عاد الى اليمن ومعه الكثير من الاموال فبنى " سد مارب " المشهور وقد سمى " سبأ " لانه اول من سبى من العرب(٣) .

---

(١) سورة النمل : اية ٢٠-٤٤ .
(٢) سورة سبأ : اية ١٥-١٩.
(٣) ياقوت الحموى : المرجع السابق - ج٣ - ص ١٨١ ، تاريخ الطبرى : ج١ ص ٢١١ المسعودى : مروج الذهب ج٢ ص ٤٥-٤٨ ، الكامل فى التاريخ ج١ ص ٤٧ ، تاريخ اليعقوبى ج٣ ص ١٩٥ . لسان العرب ج١ ص ٩٤ ، تاريخ ابن خلدون: ج٢ ص ٥٣ ، المعارف - ص ٤٦ ، ٢٧١ ، الالوسى : بلوغ الارب ج١ ص ٢٠٧ ، ابو الفدا : المختصر : ج١ ص ١٠٠ ، وهب بن منبه : كتاب التيجان فى ملوك حمير - حيدر اباد -١٣٤٧ هـ ص ٤٨-٥٠ ، نشوان الحميرى : ملوك حمير واقيال اليمن - تحقيق وتعليق على المويد واسماعيل الجرافى - القاهرة ١٣٧٨ هـ - ص ١٠-١٢ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٦١ ، زيد على عنان: تاريخ حضارة اليمن القديم - ص ٨٣-٨٤.

ولكن هذه الآراء لاتقدم اى دليل مقبول يثبت صحتها كما انها لاتستند على اى اساس علمى يمكن الاعتماد عليه ، وهى كما يبدو متاثرة باخبار اسفار العهد القديم (الاسرائيليات) ؛ فاما ماذكر بان سبا هو " عبد شمش بن يشجب بن يعرب بن قحطان" ، فان ذلك وجد فى كتابة محفورة على لوح من النحاس ، وهى فى مجموعة P. Lammare حيث جاء ذلك ، ولم ينشر الصورة (الفوتوغرافية) لاصل الكتابة وانما نشرت تلك الكتابة بالحروف العبرانية واللاتينية ولم يبد العلماء المتخصصون رأيهم النهائى فى هذا اللوح وفى نوع الكتابة وزمانها(١) ، واما ماذكر بان " سبأ " قد وصل فى غزواته الى بابل وارمينية ومصر والمغرب وسبى الكثير حتى انه سمى " سبأ لكثرة سبيه فان هذا لم يحدث لان التاريخ لم يسجل قط اى غزو جاء من جنوب شبه الجزيرة العربية لتلك البلاد (بابل ، ارمينية ، مصر ، المغرب) فضلا عن ان تاريخ تلك البلاد لم يعرف سبا هذا ، ولم يشر اليه على الاطلاق ولا حتى مجرد اشارة فى النصوص التى ملأت اثار تلك البلاد وان كان اصحاب تلك البلاد قد عرفوا السبئيين فى فترات متاخرة من حضارتهم على انهم كانوا من تجار اللبان والبخور وغير ذلك مما تحتاجه المعابد القديمة ولكنهم ليسوا غزاة يحتلون البلاد ويعمرون المدن(٢) .

واما مايتعلق ببنائه لسد مأرب فتلك دعوى بعيدة عن الصواب ، وتكذبها الحقائق التاريخية لان النقوش العربية الجنوبية التى عثر عليها العلماء قد قطعت بما يشبه اليقين على ان اول من بدأ فى بناء سد مأرب ليس هو مؤسس الدولة السبئية وانما اشترك فى بنائه "مكاربة سبئيون " توالوا على حكم سبأ مابين عام ٦٦٠ و عام ٦٤٠ ق٠م وقد بدأ بناءه " سمه على ينيف " ثم ولده

---

(١) جواد على : المرجع السابق - جـ٢ ص ٢٥٩ ٠

(٢) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ٢٦٢ ، دراسات تاريخية من القرآن الكريم - ص ٣١٢ (هـ٣٨) ٠ سبأ في الكتابات السبئية والعبرية والارامية والسريانية قريبة فى أصل معناها من العربية الفصحى فهي من فعل معناه " حارب " وذكر أن الفعل في اللغة السبئية معناه الغزو أو ارسال جيش للقتال خارج أرضه (ملاحظات من حسن ظاظا) ٠

" يشع امر بين " ثم اخذ الملوك بعد ذلك يضيفون اليه اجزاء اخرى فضـــــلا عن تقوية آجزائه القديمة [1] .

والخلاف لايزال قائما بين العلماء والباحثين حول موطن السبئيين الاصلى ، فقد ادعى معظمهم انموطنهم الاول كان من المناطق الشمالية مـــن جزيرة العرب ، ومنها ارتحلوا خلال الالف الثانى والاول قبل الميلاد واستقـروا فى الجزء الجنوبى الغربى منها [2] ، فىحين يرى البعض ان موطنهم القديــم هو جنوب غرب الجزيرة العربية [3] ، بيد ان هناك من يرى ان اصلهم من الاحباش الحاميين ، وانهم جاءوا من الحبشة بعد ان عبروا مضيق باب المندب مدعميـن رأيهم هذا بان لفظى " تبع " و " حمير " هما حبشيان ، ومعنى الاول " القادر" والثانى "عبشى " اى معتم من لون البشرة [4] ،ولعل الراى الاخير يعود سببـه

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٢٩ - ٣٣٣ ، تاريخ العرب القديم ص ٢٦٣ ، محمود كامل المحامى : المرجع السابق - ص ١٠٢ ، فؤادحسنين التاريخ العربى القديم - ص ٢٩١-٢٩٢.

(٢) مزيدا من التفاصيل حول الاراء التى تدور فى اصل السبئيين وموطنهـم الاول : انظر : محمود بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٦٥-٢٦٩، جواد على : المرجع السابق ص ٢٥٩ ، ومابعدها ، عبد العزيز سالم: المرجع السابق ص ١٣٤-١٣٥ ، مصطفى ابوضيف احمد: دراسات فى تاريخ العرب - الاسكندرية ١٩٨٣ - ص ٢٩ ، فرتيز هومل: التاريخ العربى القديـم ص ٦٣-٦٤ ، صالح احمد العلى :المرجع السابق ص ٢١

وكذا : Montgomery, op.cit., p.50, Grohmann, A., Arabien, Muncher, 1963, p.24, Burton, R.F., Royal Inscriptions from Summer and Akkad, London, 1929, p.115. Strabo BK. XVI, 4.21, Phillips, W., Qataban and Sheba, London, 1955.

(٣) فيليب حتى :تاريخ العرب ج١ ص ٦٣ ، محمدمصطفى النجار: عرب الجزيرة ص ١٧ زيد علىعنان : المرجع السابق ص ٨٣ .

(٤) جرجى زيدان: المرجع السابق ص ١٥٩ .

الى التناقض الموجود فى اسفار العهد القديم حول اصل السبئيين ، فتذكرهم مرة من الحاميين ابناء كوش بن حام [(١)] ، ومرة آخرى من الساميين [(٢)] ، والفرق كبير بين الحاميين والساميين ، وقد ادى هذا التناقض الى وقوع بعض العلماء فى مثل هذا الخطأ الذى يرجع اصل السبئيين الى الاحباش الحاميين وان موطنهم الاول كان فى الحبشة .

وهكذا يبدو أن هناك خلافا بين العلماء والباحثين حول الموطن الاول للسبئيين ، وسوف تظل هذه القضية معلقة حتى الحصول على المزيد من المعلومات الثابتة والاكيدة من الحفريات والاثار التى وجدت والتى ستكشف مستقبلا وعلى ذلك لانستطيع الجزم بان السبئيين جاءوا الى اليمن من الشمال ولكن من الثابت والصريح انهم وجدوا فى اليمن منذ عصور موغلة فى القدم [(٣)] .

وقد اقام السبئيون دولتهم فى شرق اليمن بالجزء الجنوبى الغربى من الجزيرة العربية ، وفى المنطقة الواقعة بين معين وقتبان ، وهى المعروفة الان بمنطقة صرواح ومأرب ، وقد اختلف الباحثون فى تحديد العصر الذى تأسست فيه الدولة السبئية ، فمعظم الدراسات الحالية للعلماء والباحثين تشير الى ان بداية عصر الدولة السبئية ، والذى أطلقوا عليه " عصر المكاربة " كان فى أوائل القرن الثامن قبل الميلاد ، ولكننا اذا سلمنا بهذا الراى فاننا نصطدم بمشكلة وهى كيف يمكن التوفيق بين هذا التاريخ وبين ماحدث فى عصر ملكة سبأ مع النبى سليمان عليه السلام والتى جاءت قصتهم فى القرآن الكريم ، فقد اتفق المؤرخون على ان سليمان قد حكم فى القرن العاشر قبل الميلاد ، وبالتالى

---

(١) التكوين : ١٠ : ٦ ، ٧ ، اخبار الايام الاول ١ : ٩ ،
وكذا : Hastings, op.cit., p. 490.

(٢) التكوين ١٠ : ٢١–٢٩ ، وانظر : محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٦٨–٢٦٩ . وانظر كذلك : Hastings,op.cit.,p. 490.

(٣) محمد عبد القادر بافقيه : المرجع السابق ص ٥٩ .

فان وجود الدولة السبئية وعلى رأسها ملكه فى القرن العاشر قبل الميلاد هو حقيقة تاريخية [١] . ومعنى ذلك أن ملكة سبأ لم تكن اول حاكم للدولة السبئية لاننا لم نشهد فى التاريخ القديم والحديث امرأة اسست مملكة [٢] .

وأيضا هناك مشكلة اخرى وهى كيف نحدد القرن الثامن قبل الميلاد كبداية للدولة السبئية ، مع ماورد فى النصوص السومرية لكلمة (Sabum - Sabu) وتعنى " سبأ " والتى يعود تاريخها الى النصف الثانى من الالف الثالث قبل الميلاد ، فهناك نص سومرى يعود الى عهد " ارادنانار Aradnannar " من اسرة لجش (Lagash) الثانية والتى عاصرت أسرة " اور Ur " الثالثة وحكمت فى النصف الثانى من الالف الثالث قبل الميلاد ، اورد فيه كلمة (SA-BA-A-A = Sabu) وتعنى ارض سبأ [٣] ، وقد ذهب هومل أن هذه الكلمة (Sabum) التى جاءت فى النصوص السومرية انما تعنى " سبأ Seba " الواردة فى اسفار العهد القديم [٤] ، واذا صح ذلك فان تاريخ سبأ يعود الى الالف الثالثة قبل الميلاد فيكون السبئيون بذلك أول شعب عربى جنوبى يصل خبره الينا [٥] .

---

(١) انظر : محمد بيومى مهران: المرجع السابق ص٢٦٧-٢٦٨ ، العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة – ص ٢٦٤-٢٧٤.

(٢) محمود جلال العلامات : السبئيون وسد مأرب – جدة ١٩٨٤ ص ٣٠.

(٣) نجيب ميخائيل: مصر والشرق القديم – جه ص ١٦٠-١٦٢ ، محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم ص ٢٦٥ • جواد على : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٥٩ وكذا O'Leary, op.cit., p.87.
وكذا Ency. of Islam IV , p.3.,

(٤) Hommel, F. in Hilprecht's Explorations in Bible Land, Philadephia, 1903, p.793.

(٥) جواد على : المرجع السابق ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق •
وكذا : Grohmann, op.cit., p. 24,

واستنادا لهذا النص السومري فان احد الباحثين ذهب الى ان الدولة السبئية الاولى قد قامت قبل عام ٢٢٠٠ ق.م. ويرى ان هذا التاريخ تقدير معقول ويشرح كيفية وصوله الى هذه النتيجة بانه اذا اعتبرنا ان ابراهيم وابنه اسماعيل عاشا في حوالى عام ٢١٨٦ ق.م فان حكم سبأ بن يشجب — مؤسس الدولة — قد كان قبل هذا التاريخ ، لان الهميسع بن حمير بن سبأ ابن يشجب ، كان معاصرا لقبيلة جرهم التى كانت فى زمن ابراهيم واسماعيل وعلى ذلك فان ذكر سبأ فى هذا النص السومري يكون قريبا من التقدير الذى حدده الباحث ،(١). ولكن هذا الراى لايمكن ان يجد قبولا لانه يتعارض مع الفترة التاريخية التى عاش فيها ابراهيم وابنه عليهما السلام فابراهيم عاش فى الفترة مابين عامى ١٩٤٠ و ١٧٦٥ ق.م وان ابنه اسماعيل قد عاش مابين عامى ١٨٥٤ و ١٧١٧ ق.م(٢)، وليس حوالى عام ٢١٨٦ ق.م ، هذا فضلا عن انه لايوجد ذلك العدد الكبير من السنين بين عام ٢١٨٦ ق.م و ٢٢٠٠ ق.م لكي يحكم كل من " سبأ ومن بعده ولده " حمير " ومن ثم " الهميسع بن حمير "، الذى عاصر جرهم وعليه فان التقدير الذى حدده الباحث كبداية للدولة السبئية لايمكن قبوله او الاعتماد عليه لانه لايتمشى مع الواقع التاريخي وانما يظل امرا فرضيا. ثم ماهو الدليل على وجود هذا "الهميسع بن حمير" اصلا ، ثم على معاصرته لجرهم التى عاصرت اسماعيل ؟ *

ويظل الجدل قائما بين العلماء والباحثين حول تحديد العصر الذى قامت فيه الدولة السبئية فالبعض يرجح أن دولة سبأ اقدم من دولة معين — (وقد اتفق على ان شعب معين ظهر فى النصف الثانى من الالف الثانى قبل الميلاد) — وذلك لان النصوص القديمة التى جاء فيها اسمهم فى اسفار

---

(١) محمود جلال العلامات: المرجع السابق ص٣٢-٣٣ ،قارن نشوان الحميرى : ملوك حمير— ص ١٦-٢٤.

(٢) محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القران الكريم — ص ١٩٥ .

* ربما كان سبأ اسما لشعب قبل أن تكون لهم دولة وملك .

العهد القديم وعند الاشوريين صريحة فى الكلام عنهم كمجتمع منظم من مختلف النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية ، فى حين لم يرد ذكر سبأ بصراحة وتحديد فى نفس الفترة. ويلاحظ من الناحية الاثرية فى الوثائق المكتوبة ان الكتابات التى وردت بالخط المسند من ممالك اليمن المختلفة تبدأ بالكتابات السبئية ، ثم ان الاثار غير المكتوبة تبين لنا ان كل هذه التواريخ متاخرة بالنسبة لقيام الحضارة فى اليمن ، ومن المؤكد ان هناك اثاراً ترجع الى نهاية الالف الثانى قبل الميلاد[1] .

وهناك رأى يذهب - اعتماداً على الحفاير الحديثة وتطبيق العملية الراديوكربونية - الى تعاصر السبئيين والمعينيين[2] ، وانه من المحتمل جداً ان تكون المملكتان قامتا فى وقت واحد او فى زمنين متقاربين ، فقامت معين فى الشمال وسبأ فى الجنوب [3] .

وهكذا يمكن أن نلاحظ أن أوائل القرن الثامن قبل الميلاد لا يصلح ليكون بداية العصر الذى قامت فيه الدولة السبئية لانه يتعارض مع الفترة التاريخية التي حدثت فيها قصة ملكة سبأ مع النبى سليمان عليه السلام والتى جاء ذكرها فى القران الكريم ، وهى حوالى القرن العاشر قبل الميلاد ،، كما انه لا يمكننا ان نسلم بالرأى القائل أن تاريخ هذه الدولة ربما يعود الى الالف الثالث قبل الميلاد لعدم توفر الادلة العلمية الكافية لدعم هذا الافتراض ، وحتى يتوفر لدى العلماء والباحثين المزيد من المعلومات الاكيدة من الحفريات الاثرية والنقوش مستقبلا فان هذه المسالة تظل موضع الجدل والنقاش .

---

(١) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ١٣٥ .

(٢) موسكاتى : المرجع السابق - ص ١٩٢.

(٣) Dhorme, E., Langues et Ecritures Semitiques, Paris, 1930, p.39.

ويقسم المؤرخون تاريخ الدولة السبئية الى مرحلتين (هناك من يقسمهم الى ثلاثة عصور وبعضهم الى اربعة عصور) رئيسيتين ، معتمدين فى ذلك على ان لقب حكام سبا لم يكن لقبا مستقرا وثابتا بل انه كان يتغير من فترة الى اخرى تبعا لظروف الدولة نفسها ، والمرحلة الاولى هى فترة حكم المكاربة (مكرب تعنى "المقرب " أو الوسيط بين الالهة والناس ، وهو لقب تغلب عليه الصفة الدينية) وتمتد من حوالى عام ٨٠٠ ق.م. الى حوالى عام ٦٥٠ ق.م وكانت عاصمة الدولة هى مدينة " صرواح " فى جنوب غرب مارب ، والمرحلة الثانية هى فترة حكم ملوك سبأ (وفيها بدا حكام سبا يحملون لقب ملك) وتمتد من حوالى عام ٦٥٠ ق.م الى عام ١١٥ ق .م وقد اصبحت مدينة " مارب "تبعد حوالى ١٠٠ كم الى الشرق من صنعاء الان) بد لا من " صرواح " عاصمة المكربين الاولى والقديمة [١]، ويلاحظ ان مرحلة عصر المكاربة كان الحكام يجمعون بين الكهانة والملك ، فى حين انه فى عصر الملوك كانت سلطة الملك دنيوية وتجرد من صفة الكهنوتية [٢] بمعنى انه تحول من حكومة دينية الى حكومة مدنية .[٣]

---

(١) حول تقسيم تاريخ الدولة السبئية الى مراحل او عصور او فترات انظر بالتفصيل جواد على : المرجع السابق ج٢ ص ٢٦٨-٣٥٢. محمد بيومى مهران/ تاريخ العرب القديم – ص ٢٧١-٣٢٨ ، عبد العزيز سالم: المرجع السابق – ص ١٢٥-١٣٩ جرجى زيدان : المرجع السابق ص ١٦١-١٦٣ ، فيليب حتى: المرجع السابق ص ٦٨-٧١ ، مصطفى ابو ضيف احمد : المرجع السابق ص ٣١-٣٢، محمد عبد القادر بافقيه ص ٦٢-٦٥ ، محمود كامل المحامى : المرجع السابق – ص ١٠٠-١٠٦ ، فرتز هومل: المرجع السابق – ص ٧٥-٩٩ ، ص ٢٩٢-٢٩٨ ، وكذا : Hastings, op.cit., p.504(902), Philpy, op.cit., p.141, Grohmann, op.cit., p.122, Bowen and Albright, Archaelogical Discoveries in South Arabia, Baltimore, 1958, p.73.

(٢) فيليب حتى : المرجع السابق – ص ٧٠-٧١ .

(٣) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ١٣٣ ، موسكاتى : المرجع السابق – ص ١٩٢.

واستطاع السبئيون تاسيس دولة لهم في الجزء الشرقي من اليمن بين معين وقتبان، وقد توسع نفوذ دولتهم بحيث شمل الممالك المجاورة ويستدل من اثار دولة سبأ الى أنها في بداية امرها كانت امارة صغيرة ، ثم أصبحت مملكة تتمتع بنفوذ قوي على ماجاورها من المحافد ، او القلاع او القصور والمخاليف [١] . وقد استطاع السبئيون في مراحل تاريخ دولتهم ضم مملكة " اوسان " و " قتبان " و "حضرموت " الى حكمهم ، كما انهم استغلوا ضعف المعنيين واخذوا في توسيع مناطق نفوذهم على حساب دولة معين ، وعندما قوى امرهم قضوا على الدولة المعينية وأقاموا دولتهم على أنقاضها ، وورثوا ديانتها ولغتها وتقاليدها الشعبية ، كما انهم خلفوهم في الاشتغال بنقل التجارة بين الهند والحبشة ومصر والشام والعراق ، حتى أصبحوا من أعظم وسطاء التجارة بين الهند والحبشة وبين مصر والشام في القرون الاولى قبل الميلاد [٢] ، وقد آلت لهم السيادة على الجزء الجنوبي لبلاد العرب وامتد نفوذهم من ساحل الخليج العربي (الاسلامى) شرقا الى البحر الاحمر غربا [٣] .

ولم يكن حكم السبئيين مقصورا على جنوب الجزيرة العربية ،بل ان نفوذهم وصل الى المناطق الشمالية من الجزيرة العربية ،ولكن ماذكر من ان فتوحات السبئيين قد وصلت الى "التبت " في الصين شرقا وانهم فتحوا بلاد "بابل " وبلاد "فارس " وبلاد " الترك " [٤] فهو امر بعيد عن الصحة لاننا لانملك اى دليل علمي

---

(١) حسن ابراهيم حسن: المرجع السابق - جا ص ٢٤٠ وحول تفسير لمعنى محافد وقلاع وقصور ومخاليف انظر : جرجي زيدان : المرجع السابق - ص ١٤٨ - ١٤٩٠

(٢) عبدالعزيز سالم : المرجع السابق - ص ١٣٤ ، موسكاتي : المرجع السابق - ص ١٩٣ ، فيليب حتى : المرجع السابق - ص ٧٠٠

(٣) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ٠

(٤) نشوان الحميرى : المرجع السابق - ص ٩٣ - ٩٥٠

يثبت ذلك ،ولكن امتداد نفوذهم ووجود جاليات سبئية فى المناطق الشمالية من الجزيرة العربية أمر لايرقى اليه الشك وحقيقة تستند على اساس علمى.

فقد ورد فى اسفار العهد القديم ذكر " سبأ مصحوبا بذكر " دادان "(ديدان)[1]، فرأى بعض الباحثين ان ورود لفظة " سبأ " مصحوبة بلفظة "دادان " هو دليل يؤيد وجهة النظر القائلة بأن الموطن الاصلى للسبئيين كان شمال بلاد العرب[2] ، غير انه من الممكن أيضا ان يكون ذلك دليلا على وجود السبئيين فى " ديدان " (العلا) وان هذه اشارة الى أن نفوذهم قد وصل الى تلك المناطق ،لاننا نجد ان اسفار العهد القديم تذكرهم ايضا بانهم كانوا يتاجرون فى العطور والاحجار الكريمة والذهب والتوابل مع اهل " صيدا "[3] ، وفى هذا دليلا كافيا على وجودهم ونشاطهم التجارى فى الاجزاء الشمالية من الجزيرة العربية .

كما جاء فى النقوش السبئية نفسها ذكر " سبأ " و" يهبليج " وذكر " سبأ " و " بيشان " مرتبطان ولم يذكر لفظ " سبأ " مستقلا و " يهبليج" هى دقلة اى بلاد الجوف فى شمال بلاد العرب ، اما " بيشان (فيشان) فهو احد اودية الجنة وهو وادى الدواسر[4] . وقبيلة " يهبليج" من القبائل التى عاشت فى عهد ملوك سبأ وقد جاء ذكرها فى أمر اصدره الملك " يدع ال يكرب ملك وتر " بخصوص تنظيم الجباية التى تؤخذ من هذه القبيلة ومن سبا

---

(١) التكوين : ٧:١٠ ، ٣:٢٥ ، حزقيال ١٣/٣٨ وكذا : Hastings, op.cit., p.490.

(٢) فريتزل هومل : المرجع السابق ص ٦٣-٦٤ .

(٣) حزقيال : ٢٧ : ٢٠-٢٢ ، اشعيا ١٤:٤٥ . وكذا Hastings, op.cit., p.490.

(٤) هومل : المرجع السابق :

فى مقابل استغلال الارض الخاضعة للدولة السبئية واستثمارها وكذلك في الواجبات المترتبة على سبأ وعلى " يهليج " فى موضوع الخدمات العسكرية وتقديم الجنود لخدمة الدولة فى السلم وفى الحرب (١) .

كما جاء ذكر السبئيين فى النصوص الاشورية ، ففى سجلات الملك " تغلث فلصر الثالث " (٧٤٥-٧٢٧ ق.م) نقرأ أنه فى عام ٧٢٨ ق.م اتتد الجزية من ذهب وابل وتوابل من مدينة " تمأى " (تيماء) ، و " السباى " " اتعمار " (يثع امر) (٢) ، وتعتبر هذه اقدم واول اشارة وثائقية تدل على الوجود السبئى فى شمال بلاد العرب ، وهناك نقش يعود الى عهد الملك " سرجون الثانى " (٧٢٢- ٧٠٥ ق.م) نقرا فيه انه تلقى فى عام ٧١٥ ق.م الهدايا من الملك السبئى " يثع امر " وهى من الذهب والاحجار الكريمة والاعشاب والابل والخيول (٣) ، كذلك ورد فى سجلات " سنحريب " (٧٠٥-٦٨١ق.م) انه استلم

---

(١) جواد على : المرجع السابق - جـ٢ - ص ٣١٨ ، ٤٠٦ ،
وكذا : Halevy, (J.), Rapport Sur une Mission Archeologique dans le Yemen, JA, VI, Paris,1872, p.137.

(٢) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ٢٧٠ ، عبد العزيز سالم : المرجع السابق - ص ١٢٣ ، فيليب حتى : المرجع السابق - ص ٤٥ ، محمود جلال العلامات : المرجع السابق - ص ٢٣ ، محمود كامل المحامى : المرجع السابق ص ١٠٢ . وكذا Luckenbill, D.D.,Ancient Records of Assyria and Babylonia, Chicago,1927, Vol.I,778,779,317, Winstone, Uncovering the Ancient World ,London,1985, p.82, Doe,B.Southern Arabia, London, 1971,p.75.

(٣) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ٢٧٠ ، ٢٧٧ ، جواد على: المرجع السابق - ص ٤٦ ، هومل : المرجع السابق ص ٧٦ ، العلامات: المرجع السابق ، فيليب حتى : المرجع السابق - ص ٤٦ ، جرجى زيدان: المرجع السابق ص ١٥٩ ،
وكذا Luckenbill, op.cit., Vol.II,18,

فى عام ٦٨٥ ق·م احجار كريمة وعطور هدية من الملك السبئى " كرب ايلـو " (كرب ايل)[١] ·

ومن الملاحظ ان هذه النصوص الاشورية يعود تاريخها الى فترة حكم المكاربة (حوالى ٨٠٠ - ٦٥٠ ق·م) ، ولكن الاشوريين يطلقون عليهم لقب " ملك " وليس لذلك من تعليل سوى انهم كانوا يجهلون القاب حكام سبأ فى تلك الفترة ، فدعوا " المكرب " ملكا[٢]، كما يلاحظ ان هذه النصوص لم تحدد مكان حكم هؤلاء الملوك السبئيين ، هل كان فى جنوب ام فى شمال الجزيرة العربية ، لذلك فانه من الممكن الافتراض انها كانت تشير الى امتداد نفوذ وحكم الملوك السبئيين الى شمال الجزيرة العربية ، وهو الأكثر قبولا·

أما بخصوص الهدايا التى ارسلها حكام سبأ الى الملوك الاشوريين فاننا لانجد فيها اى علامة لخضوع سبأ لحكم الاشوريين ، لانه من المستبعد ان يكون نفوذهم فى ذلك الوقت قد بلغ أرض اليمن ، لانه لو كان الاشوريون قد استذلوا السبئيين اليمانين وحكموهم لذكروا اسمهم فى جملة الامم التي استعبدوها وأخضعوها لحكمهم ، وعلى ذلك فان تلك الهدايا هى مجرد تعبير عن الصداقة التى كانت تربط بين آشور وسبأ ، خاصةوان التجارة والاتصال بين العراق واليمن مستمرة منذ القدم ، ولتوطيد الصداقة بين الحكومتين وتسهيل التبادل التجارى بين البلدين ارسل حكام سبأ تلك الهدايا[٣]، كما

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جواد على : المرجع السابق، هومل : المرجع السابق ،
وكذا : Lukenbill, Vol.II,518 ; Doe,op.cit., p.75

(٢) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ٢٧٨ ، جواد على : المرجع السابق ص ٢٧٩ ، هومل : المرجع السابق - ص ٧٦ ·

(٣) جواد على : المرجع السابق ج٢ ص ٢٧٨-٢٧٩ ·

أنه من الممكن انهمكانوا يدفعون الجزية عن تجارتهم فى شمالى شبه الجزيرة العربية لكى يؤ ذن لهم بالمرور الى شواطئ البحر الابيض المتوسط وخصوصا الى " غزة " لانهامنطقة تجارية قديمة [١] .

وقد رأى بعض الباحثين أن الاسمين اللذين جاء ذكرهما فى النصوص الاشورية " يثع أمر " و " كرب ايلو " لايعنى انهما الملكين سبئيين بل رجلين اخرين من مشايخ القبائل الذينكانوا يقطنون بالقرب من حدود ممكلة آشور، والقبيلة المذكورة من قبائل سبأ التى كانت نازحة فى الشمال [٢]، أو أنه من الملوك السبئيين الحاكمين فى شمال الجزيرة العربية بالقرب من البادية فى اعالى الحجاز او نجد مثلا ، او فى الاراضى الواقعة فى المناطق الجنوبية من الاردن [٣]، ولكن عثور بعثة المانية على نقش للملك الاشورى " سنحريب" (٧٠٥ — ٦٨١ ق٠م) جاء فيه انه تلقى هدايا من الملك السبئى " كرب ايلو " جعل العلماء يرون ان الملكين اللذين قدما الهدايا للاشوريين انما هما المكربان " يثع امر " و " كرب ايل "[٤].

---

(١) جرجىزيدان : المرجع السابق — ص ١٦٠

(٢) محمود كامل المحامى : المرجع السابق — ص ١٠٣ ، عدنان ترسيس : اليمن وحضارة العرب — بيروت ٩٦٥ — ص ٢٠ ٠

(٣) جواد على : المرجع السابق — ص ٢٧٨ ،
وكذا : Musil, Arabia Deserta, p.479.

(٤) جواد على : المرجع السابق ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٧٧ ٠ وكذا : BASOR, 137, 1955, p.232, Beeston, A.F.L., Problems of Sabaean Chronology, BASOR, 16, I, p.42ff.

المعينيون والسبئيون ونشاطاتهم التجارية بين الجزيرة العربية وفلسطين :

اشتغل المعينيون والسبئيون في التجارة ، وبرعوا في هذا المجال فاكتسبوا بذلك شهرة واسعة بين امم العالم القديم ، فمن موقعهم في الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية سيطر المعينيون والسبئيون على الجزء الاعظم من التجارة العالمية في بلاد العرب خلال الالف الاولى قبل الميلاد [1] ، ولايظهر ان الدولتين – المعينية والسبئية – كانتا دولتي حروب وفتوح عسكرية ، بل كانتا دولتي قوافل وتجارة ، مثل دويلات الفينيقيين على شواطىء سورية ودولة الانباط في البتراء ومعظم دول اليمن [2] ، ولاتجد – على سبيل المثال – اي ذكر للحرب او الفتح في الاثار السبئية الا قليلا ، خلافا للمصريين والاشوريين الذين عاصروها ، فاننا دائما نقرا في اثارهم عبارات فتحت وغلبت وخربت ، انا دمرتها واحرقتها ، قتلت ، ودككت ، ضربت الجزية ، وحملت الغنيمة ، في حين ان اكثر ماوصل الينا من اخبار السبئيين نقرا فيها عبارات ، بنيت ،ووقفت ، ورممت ، وأنشأت [3] ، وقد اشتهر السبئيون في عالم التجارة حتى ان لفظ " سبأ " كان يطلق عادة على جميع تجار العرب ، كما كان كثير الاستعمال في العهد القديم [4] ، كما انهم استحقوا لقب " فينيقي البحر الجنوبي" [5] .

---

(١) Musil, Northern Hegaze, p.243, 288-289.

(٢) جرجي زيدان : المرجع السابق – ص ١٥٣–١٦٠ ، فيليب حتى : المرجع السابق – ص ٦٥.

(٣) جرجي زيدان : المرجع السابق – ص ١٦٠ ، عدنان ترسيس : المرجع السابق ص ٣١، غير ان عبد الرحمن الانصاري لايتفق على هذا الرأي ، وهو حجة في الكتابات الجنوبية .

(٤) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق – ص ٢٤ .

(٥) فيليب حتى : المرجع السابق – ص ٦٤.

ويعتقد البعض ان حضارة اليمن كانت قد قامت آساسا على التجارة [١] لأن السبب الرئيسي في ازدهار اليمن وغناها خلال الالف الاولى قبل الميلاد يعود بالدرجة الاولى للتجارة العالمية التي عرف العرب الجنوبيين اصولها طرقها ومسالكها ومواردها وكيفية احتكارها والمحافظة على اسرار ومصادر السلع كما عرفوا كيفية اختيار أنواع البضائع والسلع الصالحة للتجارة ونقلها عبر الصحارى دون ان تطغى تكاليف النقل لمسافات طويلة على اسعار البضائع والسلع فاحضر ماخف وزنه وغلا ثمنه وتعذر الحصول عليه من دون وساطته [٢] ، فنجح بذلك العرب الجنوبيين في عالم التجارة لالمامهم ومعرفتهم بفنون واساليب التجارة ، فكانت هي مصدر قوتهم وازدهار دولتهم [٣] .

ولعل من أهم العوامل التي آدت الى ازدهار التجارة عند المعينيين والسبئيين هو موقع دولتهما بين امم العالم القديم ، فاليمن - والجزيرة العربية كلها - تعتبر منطقة وصل بين اقليم المناطق الاستوائية الحارة ومنتجاتها المتميزة وخصوصا سواحل افريقية الشرقية (الصومال والحبشة) وشبه القارة الهندية ، وجزر الهند الشرقية ، وبلاد الصين ، وبين حوض البحر المتوسط ، والعراق ، ومصر ومنتجاتها المتميزة ، وقد كانت مهمة السبئيين والمعينين هو نقل منتجات المناطق الحارة الاستوائية الى الشام والعراق ومصر وحوض البحر المتوسط وبالعكس فكانوا بذلك وسطاء للتجارة العالمية في تلك العصور القديمة [٤] .

---

(١) عبد الله احمد محمد الثور : هذه هي اليمن - صنعاء ١٩٦٩ - ص ١٩٦.

(٢) عدنان ترسيس : المرجع السابق - ص ٣٦ .

(٣) Ency. Britannica, Vol.I,p.1044.

(٤) رضا جواد هاشم : تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم - معهد البحوث والدراسات العربية - بغداد ١٩٨٤ - ص ١٢ ، عبد الله احمد الثور: المرجع السابق - ص ١٩٦. جرجي زيدان : المرجع السابق - ص ٢١١ . وكذا : Doe, op.cit., p.30.

وكان المعينيون والسبئيون يحتكرون تجارة منتجات جنوب الجزيرة العربية ،وقد ذكر"هيرودوتس" في كتابه عن التاريخ إن بلاد العرب الجنوبية كانت الوحيدة التي تنتج اللبان والمر والدارصيني والقرفة واللادن[1]، واما " بليني " فقد ذكر في " التاريخ الطبيعي " ان المعينيين هم اول من مارس تجارة اللبان (البخور) ، حتى آن " اللبان " يعرف " بالمعيني " نسبة اليهم ، بينما كان السبئيون لهم الحق وحدهم في ان يروا شجرة اللبان دون غيرهم من العرب الاخرين ، لان اللبان من السلع المقدسة ، وتحتكر حق تجارته عوائل مقدسة تتبع طقوسا معينة عندما تجنى محصول اللبان ، وبسبب تلك الطقوس الدينية اصبحت اسعار اللبان غالية ومرتفعة [2] .

ومنتجات جنوب الجزيرة العربية من السلع المميزة والمطلوبة كثيرا في العراق والشام ومصر وحوض البحر المتوسط لانها تستعمل في الطعام وكذلك في المعابد والقصور ، والمراسيم والطقوس الدينية ، فالبخور كان على رأس بضائع العالم المطلوبة في ذلك الوقت ، وكان سعره يساوي سعر الذهب والبترول في هذه الايام ، ولايشتريه الا رجال الدين نظرا لغلائه هذا ، ولاستعماله في الشعائر الدينية التي تستهلك القسم الاكبر منه ، وكذلك الملوك والاثرياء وذلك لحرقه في اجتماعاتهم وفي المناسبات الدينية ، ونجد " بليني " يتذمر من الامبراطور " نيرون " عاهل " روما " (٥٤ - ٦٨ م) لانه اسرف في حرق البخور واللبان في مراسيم جنازة زوجته " بوبيا "، فقد كلف حرق تلك المادة الضرورية في مثل هذه المناسبات خزينة الدولة ثمنا باهظا لارتفاع اسعاره في ذلك الزمن [3] .

---

(١) Herodotus, BK., III, ch.107.

(٢) محمد عبدالقادر بافقيه : المرجع السابق - ص ١٨٢ .
وكذا : Pliny, BK., XII, ch.xxx, 53, xxxi, 561 .

(٣) جواد علي : المرجع السابق - ج٢ ص ٦٢ ، ج٧ ص ٢٣٧ وكذا :
Pliny, BK. XII, ch.xxx - xxxii

وكانت القوافل المعينية والسبئية تحمل الى جانب منتجات اليمن البضائع والسلع الهندية والصينية وسواحل افريقية الشرقية وجزيرة " سقطرة " فكانت منتجات هذه المناطق تصل الى الموانىء اليمنية المشهورة مثل موزا (المخا) وعدن ، وقنا ، وظفار [١]، وكان اكثر ماتحمل هذه القوافل المتجهة من اليمن الى الشمال الذهب والفضة والقصدير والاحجار الكريمة والعاج ، وخشب الصندل ، والتوابل ،والافاوية كالبهار ، والفلفل ، والقطن ، والعطور، والطيوب ، وخشب الأبنوس ، وريش النعام ، والعاج ، بالاضافة الى منتجات اليمن من اللبان والمر واللادن [٢]، أما السلع والبضائع التى كان المعينيين والسبئيون يعودون بها الى الجنوب فهى المصنوعات الفينيقية والزيت ومحصولات الشام ، ومن آسيا الشرقية المنسوجات الكتانية والقطنية والارجوان والميعة والزعفران والأوانى المصنوعة من الحديد والصفر (النحاس) وسبائك الفضة [٣]، وكان من الطبيعى أن يأتى الميزان التجارى فى مصلحتهم لاسيما أن احتكارهم لمثل تلك السلع جعلهم يتحكمون بأسعارها [٤] .

وتنطلق القوافل المعينية والسبئية من اليمن متجهة الى الشمال عبر اقليم الحجاز الى المناطق الشمالية من الجزيرة العربية ، ومنها العراق والشام ومصر ، ومن أن هذه القوافل تتوقف فى ديدان (العلا) و " تيماء " و " البتراء " والتى كانت مراكز تجمع تجاري والتى منها تتفرع

---

(١) عن هذه الموانىء انظر: جرجى زيدان : المرجع السابق ص ٢١٢ ، جواد على المرجع السابق ج ٧ ص ٢٧١-٢٧٤ وكذا :
Doe, Southern Arabia, pp. 56-57.

(٢) جرجى زيدان : المرجع السابق - ص ٢١٢ ، عدنان ترسيس : المرجع السابق - ص ٤٠ .
وكذا :
Ency. Brit. Vol. 1, p.1044

(٣) جرجي زيدان : المرجع السابق السابق - ص٢١٣ ،عدنان ترسيس : المرجع السابق ص ٤٠ .

(٤) عدنان ترسيس : المرجع السابق .

القوافل التجارية لتعاود مسيرتها الى تلك البلاد ، فمن ديدان تتجه القوافل بالتجارة الى مناطق العقبة ومن تيماء الى العراق والخليج وكانت البتراء (سلع Sale) اهم عقدة طرق يمر بها المعينيون والسبئيون ، فمنها يتجه طريق نحو البحر الميت ، وذلك لمن يريد الاتجار مع بلاد الشام وطريق آخر ينتهى فى " غزة " لمن يريد الاتجار مع هذا الميناء الهام (١) .

وكانت تلك القوافل تصل الى فلسطين لتفرغ حمولتها من البخور والطيوب والتوابل وراثحتها النفاذة والعطرة تملأ الجو (٢) ، وهى اشياء ضرورية فى ذلك الجزء من الشرق الادنى القديم ويستلزم احراقها واستعمالها فى الطقوس والشعائر الدينية .

وهناك الكثير من الادلة والشواهد على مثل هذا النشاط التجارى المعينى والسبئى مع فلسطين ، فقد عثر علماء الاثار فى موقع ميناء " عصيون جابر "(٣) (Ezion - Geber = ايلات) شمال خليج العقبة على قطع وأجزاء من اوانى محطمة وقد نقش عليها حروف معينية يعود تاريخها الى حوالى قرن او قرنين بعد سليمان . وقد تمكن الخبراء من جمع بعض تلك الاجزاء مع بعضها البعض لتظهر على شكل " جرة " او " مرطبان " ضخم ولكنه غير متكامل، ويعتقد أنها كانت تستعمل لحفظ الاشياء النفيسة كالبخور والمر الذى كان

---

(١) جواد على : المرجع السابق ج ٧ - ص ٢٣٦ .

(٢) Dowen, R. Le Baron, and Albright, F.W., Archaelogical Discoveries in South Arabia, Baltimore, 1958, p.295, BASOR, 119, 1950, p.p. 5-15.

(٣) ميناء تجارى ومركز صناعى فى عهد الملك سليمان وتقع على الطرف الشمالي لخليج العقبة غربا وقد عرفت ايضا باسم " Berenice " وقد اعاد بناءها " اغزايا " ملك يهودا باسم " ايلات " ويعرف موقعها الان باسم " تل الخليفة " . انظر: محمد بيومى مهران: اسرائيل ج٢ - ص ٧٩٢-٧٩٣ ، جواد على : المرجع السابق ج ١ ص ٦٣٧ وكذا : Hasting, op.cit., p.285, Gluek, N, The Other Side of Jordon, pp.50-113, Albright, Archaeology of Palestine, p.44,127,128.

يجلبه التجار المعينيون من جنوب الجزيرةالعربيةوربما تكون الجـــرة لاحد التجار المعينيين او ممثلا لتجارتهم ومن الذين كانوا يعيشون فـــي " عصيون جابر "(١) كما عثرفي موقع اخر في نفس المنطقة على جرة ضخمـــة اخرى وعليها كتابة عربية - ربما تكون علامة تجارية لاحد التجار - تشبـــه في نمط كتابتها تلك التي اكتشفت من قبل ، وهذا كله يؤكد مدىالعلاقـــات التجارية الوثيقة بين بلاد العرب و " عصيونجابر "(٢) .

وفي أحد معابد "الحريضة Hureidha " بحضرموت التي يعـــود تاريخ بنائها الى القرنالرابعق٠م٠ عشـر على كتابات عربية جنوبية مماثلـــة لتلك النقوش المعينية التي وجدت علىالجرة في " تل الخليفة " ، وهذا يوضـــح مدىالتداخل والتاثير للكتابات العربية الجنوبية لمدة اربعةقرون بيـــن الموقعين (٣)، وبالتالي استمرار العلاقات طوال هذه الفترة بين فلسطيـــن والجزيرة العربية٠

هذا وقد عثر العلماء في " جرار Gerar " في " النقب " وكذلك في " جازر Gezer "،(تل جازر) بجنوب فلسطين،على مجموعة مـــن الاثار التي تعود الىالعصر الحديدى الثالث (٥٥٠-٣٣٠ ق٠م) ذات طابع عربـــي جنوبي (ربما معيني وسبئي)مشابهة للاثار التي اكتشفت في " الحريضـــة " بحضرموت ، وقد علل العلماء ذلك وجود العلاقات التجارية بين فلسطينوالجزيـــرة

---

(١) Gluek, op.cit., pp, 105-107.

(٢) Ibid., pp. 107-108.

(٣) Ibid., p. 108.

العربية ، فقد كانت تجارة المعينيين مع فلسطين فى قمة نشاطها ، ونجد المحطات المعينية للقوافل التجارية على طول الطريق البالغ ١٥٠٠ ميل والذى يربط بلاط الطيوب (جنوب الجزيرة العربية) بفلسطين (١) .

ومن جملة ماعثر عليه العلماء من آثار فى "تل الخليفة " أيضا جرتان ، عليهما نقوش باحرف المسند ، وقد رالعلماء تاريخ صناعتها الىحوالىالقرن الثامن قبلالميلاد ، وتدل احرف المسند هذه على ان صانعيها كانوا يكتبون بهذا القلم ، وقد رأى بعض الباحثين انها من صنع أهل مدين ، واذا صح ذلك فانه دليل على أن المدينيين كانوا يكتبون بالمسند ، بينما راى البعض أن هذه الاثار لها صلة بالمعنيين ، الذين كانوا يعيشون فى العلا (ديدان) وفىتبوك(٢)، والاخير هو الاقرب للصواب حيث انه عرف ان الخط المسند كان القلم الذى كتب به معظم العرب الجنوبيين سواء المعينيون أو السبئيون أو القتبانيون أوالحميريون أو الحضرميون ، ولايستبعد أن تلكالآثار لها علاقة وثيقة بالمعينيينلان الصلات التجارية بينالمعنيين وفلسطين معروفةوقائمة فى تلكالفترة ، بالاضافة الى ذلك فان الصلات والعلاقات التجارية بين فلسطين والسبئيين كانت ايضا مستمرةوموجودة ، ويؤكد ذلكالعثور على بعض الادوات السبئية فى نفس المنطقة فى " تل الخليفة " (عصيون جابر)(٣) .

---

(١) Albright,op. cit., p. 143, 145,

(٢) جواد على : المرجع السابق - جا - ص ٦٢٨ ،
وكذا :
Ryckmans, G., On Some Problems of South Arabian Epigraphy, BSOAS, 1952, in Revue Biblique , 1939, pp. 247-249, Glueck, N.The Excavations of Solomon's Seaport:Ezion-Geber, Smithonian Institution Annual Reprot (SIAR), 1941, p.479.

(٣) Bidwell, Robin . The Two Yemen, Boulder,1983, p.2.

وهكذا يظهر لنا بكل وضوح من هذه الادلة والشواهد وجود علاقـــات تجارية نشطة بين المعينين والسبئيين وبين فلسطين حيث كانت قوافلهـــم التجارية تصل الى فلسطين محملة باللبان والمر وغير ذلك من السلـــع والبضائع التى تنتجها اراضى جنوب الجزيرة العربية ، وبلاد الهند وسواحل افريقية الشرقية ، ولتعود تلك القوافل الى الجنوب وهى محملة بمنتجـــات وصناعات بلاد الشام ، ومما هو جدير بالذكر أن العلاقات التجارية بيـــن السبئيين وفلسطين كانت قد بلغت ذروتها بعد تلك الزيارة التى قامت بهـــا ملكة سبأ الى فلسطين للاجتماع بالنبى الملك سليمان عليه السلام (١) ، ولكـن لانريد هنا ان نعطى الانطباع على ان الهدف من زيارة ملكة سبأ لسليمان هـــو توثيق العلاقات التجارية وتسهيل التعاون التجارى بين دولة سبأ ومملكة سليمان، كما جاء فى آراء بعض العلماء والباحثيـــن ، نقلا عن العهد القديم ، وانما كانت لأسباب دينية انتهت بان أسلمت ملكة سبأ مع سليمان لله رب العالمين (٢) ولكن من ناحية أخرى ، فانه من البدهى ان النشاط التجارى بيـــن الدولتين قد ازداد بعد تلك الزيارة بشكل اكبر وأكثر مما كان عليه قبـــل هذه الزيارة لأنه وكما هو معروف أن حسن العلاقات بين أى بلدين ينعكس علـــى النشاطات التجارية ، ويزيد منها ،فكلما كانت تلك العلاقات غير وديـــــة

---

(١) لقد سبق أن تحدثنا عن هذه الزيارة وجميع الآراء التى دارت حولهـــا فى الفصل الرابع من هذه الدراسة .

(٢) حول آراء هؤلاء الباحثين انظر: محمد بيومى مهران : اسرائيل - ج ٢ - ص ٧٧٢ ، العرب وعلاقاتهم الدولية - ص ٣٦٩ ، لطفى عبد الوهاب يحي: المرجع السابق - ص ٤٠٤-٤٠٧ .

وكذا : Albright, W.F., Archaeology and the Religion of Israel, Baltimore, 1963, p.142, Kenyon, K.M. Excavation in Jerusalem, 1962, in PEQ,95, 1963,p.7f. Grant, History of An Ancient Israel, p.88,Gluck, op.cit., p.85.

كلما قل النشاط التجارى بينهما ، وهذا شيء طبيعى يمكن حدوثه فى العصور القديمة مثلما يحدث فى العصر الحديث .

وقد اشارت اسفار العهد القديم الى الصلات والعلاقات التجارية بين السبئيين وسكان فلسطين العبرانيين ، فقد كان السبئيون يجلبون من ارضهم الى فلسطين اللبان وقصب الذريرة (القرفة) والذهب [1] ، وان تجار سبا كانوا ياتون بافخر أنواع الطيب والأحجار الكريمة ، والذهب ، وغيرها من الاشياء النفيسة الى اسواق فلسطين [2] .

ويظهر من سفر " يوئيل " أن السبئيين كانوا يشترون السبى من فلسطين من بنى يهوذا (العبرانيين) ، حيث جاء فيه تهديد لاهل الطور وصيدا بأن رب اسرائيل سينتقم منهم جزاء اعتدائهم على الاسرائيليين ونهبهم ذهبهم وفضتهم وبيعها لليونانيين ، وأنه سيجعلهم عبيدا يباعون فى الاسواق الى السبئيين ، مما يدل على أنهم – اى السبئيين – كانوا من المشترين للرقيق، ينقلونه الى بلادهم للاستفادة منهم فى شتى نواحى الحياة . فالجميلات من النساء يتخذون زوجات لهم ، والبشعات والقويات يستخدمونهم فى الاعمال ويعهدون الاعمال المختلفة التى تحتاج الى مهارة وفن وذكاء واتقان – سواء الأعمال الصناعية أو الزراعية – الى الرجال [3] .

---

(١) ارميا ٦: ٢٠ ، أشعياء ٦٠: ٦ .

(٢) حزقيال ٢٧ : ٢٢–٢٤ .

(٣) يوئيل ٣ : ٧٥ ، جواد على : المرجع السابق – جا ص ٦٢٤ ، ج ٧ – ص ٢٣٣–٢٣٤ .

وكذا : Margoliouth, The Relations between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam, pp.50,181.

ونقرأ أن قوافل سبأ كانت تخرج من موطنها وتسير نحو الشمال حتى تبلغ فلسطين[1]، وأن ملوك سبأ يقدمون الهدايا الى ملك العبرانيين ،سليمان عليه السلام ، وهى من الذهب الذى عرف بـ " ذهب سبأ " ، وتعبيرا عن خضوعهم له [٢] ، غير ان هناك احتمالا ان ماكان يقدمه ملوك سبأ من ذهب الى سليمان - عليه السلام - انما هو ضرائب او مكوس يدفعها السبئيون على تجارتهم فى اسواق فلسطين ، وانها لم تكن هدية بالمعنى المفهوم او جزية كدليل على خضوع السبئيين لنفوذ الملك سليمان ، لان دولة سليمان لم يتجاوز حدودها فى اقصى اتساعها حدود فلسطين المعروفة / بدون السهل الساحلى ، ولم يحدث فى التاريخ ان سيطر العبرانيون على اى جزء من الجزيرة العربية ، لذلك فان الاحتمال ان تلك الهدايا ماهى الا ضريبة لتجارة سبأ فى اسواق فلسطين وهو الاكثر قبولا .

وفى هذه الاشارات دلالة على الصلات المستمرة التى كانت بين العبرانيين والسبئيين ، وعلى أن السبئيين كانوا هم الذين يذهبون الى العبرانيين ومعهم اللبان والطيب والذهب والاحجار الكريمة ، فتبيع قوافلهم ماعندها فى أسواق فلسطين ، ثم تعود محملة بما تحتاجه من حاصلات بلاد الشام وفلسطين ومصر[٣]، ويتبين مما جاء فى أسفار العهد القديم من ذكر للسبئيين أن معارف العبرانيين عنهم قد حصلوا عليها من اتصالهم التجارى بهم وهى محصورة فى هذه الناحية فقط ، فلا نجد فيها عن السبئيين غير هذه الامور[٤]، وفى هذا تأكيد على أن دولتهم - اى السبئيين - كانت دولة تجارة وقوافل.

---

(١) ايوب : ٦:١٩.

(٢) المزامير ٦٠ : ١٠-١٥.

(٣) جواد على : المرجع السابق - جـ٧ ص٢٣٣.

(٤) نفس المرجع السابق جـ٢ - ص ٢٦٢.

وعلى هذا النحو يمكن أن نستخلص من الاشارات الواردة فى أسفار العهد القديم ان السبئيين كانوا من أعظم تجار الشرق الادنى فيما بين القرن العاشر والقرن الخامس قبل الميلاد (١) ، وان تجارتهم مع فلسطين قد بلغت ذروتها بعد زيارة ملكة سبأ لفلسطين .

ولم يكن النشاط التجارى بين الجزيرة العربية وفلسطين مقصورا على السبئيين وحدهم وانما كان للعبرانيين نشاطهم التجارى فى عهد سليمان ايضا ، وقد امتاز عهده – عليه السلام – بنشاط تجارى واسع ، كما انه اظهر اهتماما عظيما بالتجارة ، فكان التجار العبرانيون يرحلون الى جنوب الجزيرة العربية لجلب الذهب والفضة وانواع العطر وخشب الصندل والقرود والطواويس والعاج (٢) .

وكان لسليمان ، عليه السلام ، اسطول تجارى بحرى يجوب البحار وكانت موانىء جنوب الجزيرة العربية تستقبل سفن هذا الاسطول حيث تحمل فيها السلع والبضائع التى يحتاجها العبرانيون وتعود بها الى موانىء فلسطين وقد اشتهر من رحلات اسطول الملك النبى سليمان رحلة مراكبه التى كانت تبحر من مينائه الشهير " عصيون جابر " فى خليج العقبة لتصل الى ميناء " أوفير Ophir " وتعود من هناك محملة بالذهب والاخشاب النفيسة وكل ماهو قيم ونفيس من السلع (٣) .

---

(١) ولفنسون : تاريخ اللغات السامية – ص ٢٣٢ .

(٢) الملوك الاول : جـ١٠ : ١١ ، ٢٢ ،، ولفنسون : المرجع السابق – ص ٢٣٢ .

(٣) الملوك الاول : ١٠: ١١–١٢ .

وقد اختلف العلماء والباحثون حول تحديد مكان ميناء" آوفير Ophir "(1) وهناك رأى قوى يذهب الى آن " اوفير " تقع فى الجزء الجنوبى من الجزيرة العربية ، وبعد دراسة علمية جادة نوقشت فيها جميع الاراء والنظريات المختلفة حول موقع " أوفير " توصل الباحثون الى ان الركن الجنوبى الغربي (اليمن) من الجزيرة العربية هو مكان " اوفير "(2) ، والتى اشتهرت بوفرة الذهب فيها ، لذلك فانه من الطبيعى ان يطلب سليمان الذهب فى بلاد العرب وليس فى مكان بعيد مثل الهند وافريقية ، والاجزاء الجنوبية الغربية من بلاد العرب كانت الاقرب لدولة سليمان عليه السلام والمصدر الذى يجلب منه الذهب ،

---

(1) يرى البعض أنها فى شرق افريقية على حدود روديسيا (زمبابوى) وموزنبيق ، والبعض يرى انها الصومال ، او بلاد بونت ، كما راى البعض انها فى الهند والبعض جعلها فى البرازيل بامريكا الجنوبية ، وفى رأى انها فى ارض " مدين " ، واخرون فى " عسير " وغيرهم فى الخليج العربى ، وخليج عمان ، وحدد مكانها البعض بانه " الصويفرة " القريبة من " الفاو " شمال غرب الربع الخالى . انظر الاراء المختلفة حول موقعها فى محمد بيومى مهران : اسرائيل — ج٢ ص ٧٨٢-٧٩٢ ، العرب وعلاقاتهم الدولية — ص ٣٧٨-٣٨٠ ، جواد على : المرجع السابق : ج ١ ص ٦٣٨-٦٤٠ ، السيد يعقوب بكر: اوفير (من كتاب جورج فضلو حورانى : العرب والملاحة فى المحيط الهندى) ص ١١٦-١٧٠.

(2) السيد يعقوب بكر : المرجع السابق .

فالذهب كان من أهم السلع التى تصدرها " اوفير " وكذلك خشب الصندل والاحجار الكريمة وهى سلع اشتهر سكان الاجزاء الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية فى تجارتها .

وهكذا يبدو واضحا ان العرب الجنوبيين من معينيين وسبئيين قد ارتبطوا بعلاقات تجارية متبادلة مع فلسطين ، وان تلك العلاقات استمرت طول الالف الاولى قبل الميلاد ، وان النشاط التجارى كان مصدر غنى وثروة للمعينيين والسبئيين على حد سواء حتى ان بعض الكتاب الكلاسيكيين اعتبروهم من اغنى العرب بل اغنى اهل الارض واستحقوا بذلك شهرة واسعة فى هذا المجال وربما كانت هذه الشهرة من اهم العوامل التى دفعت القيصر " اغسطس " (٣٠ ق٠م - ١٤ م) الى ارسال حملته المشهورة المخفقة الى اليمن والتي عرفت بحملة اليوس جالسوس عام ٢٤ ق٠م (١) وكانت وجهتها مأرب ولكن الطاعون أبادها

ولم تكن تجارة المعينيين والسبئيين مقصورة على بلاد الشام وانما شملت مصر ايضا ، فقد كانت قوافلهم التجارية تحمل الى المصريين طلباتهم من منتجات جنوب الجزيرة العربية ، ومن اهمها " اللبان " الذى كان يستعمل كبخور ، و " المر " الذى يدخل فى عمليات التحنيط ،وكلاهما من المواد الضرورية اللازمة للاستعمالات فى الطقوس والمراسيم الدينية في المعابد المصرية وغير ذلك .

وهناك الكثير من الادلة والشواهد على وجود مثل تلك العلاقات والصلات التجارية بين المعينيين والسبئيين والمصريين ،فقد عثر فى العلا (ديدان) ومدائن صالح (الحجر)- وكانت مستوطنات معينية وسبئية - على تماثيلين

---

(١) جواد على : المرجع السابق - ج٧ - ص ٢٦٩-٢٧٠ .

حجريين كبيرين نحتهما فنان مصري منذ نحو ٢٤٠٠ عام لبعض حكام ديدان ولحيان ويظهر فيهما الاسلوب المصري بوضوح ، كما عثر على تمثالين صغيرين من البرونز لفرعون يطلس متوج ويجلس على حجر انشوتقوم بدور الام ، كما عثر في عام ١٩٠٩ ميلادية على تمثالين من الحجر في نفس المنطقة والتمثالان يجمعان بين الاسلوب المصري والزى العربي[1] .

ويوجد الكثير من النصوص والمخربشات المعينية والسبئية والثمودية والنبطية التى تملأ المناطق الصخرية المحيطة بطرق التجارة البرية في ارض مصر ، وتتوزع اغلبها في وديان شبه جزيرة سيناء الشديدة الصلة بالصحراء العربية وقد احتوت على المئات منها ، بينما توزعت العشرات مثلها في مناطق متعددة من وديان صحراء مصر الشرقية وامتدت فيما بين شمالها وبين مايصل جنوبا الى مقربة من اسوان ، وكذلك فيما حول الموانىء المصرية الرئيسية على ساحل البحر الاحمر ، وقد سجل معظم هذه النصوص والمخربشات كتبة صاحبوا القوافل التجارية العربية المصرية او عملوا وكلاء لها في مصر لفترات طويلة او قصيرة[2] .

وقد عثر في الجيزة وعند قصر البنات على نقوش وكتابات معينية يرجع بعضها الى أيام الملك الاخميني قمبيز (٥٢٥ — ٥٢٢ ق م) وبعضها الاخر يعود الى عصر البطالمة[3] ، ولعل من اشهر النصوص المدونة بالخط المسند في الجيزة هو نص " زيد بن زيد ايل " من عشيرة " زيران " المعينية

---

(١) عبد العزيز الصالح : الاهرام (عدد سبتمبر ١٩٧٢/٩م) ؛ محمد بيومي مهران : " العرب وعلاقاتهم الدولية " ص ٣٢٤.

(٢) عبد العزيز صالح :"شبه الجزيرة العربية في المصادر المصرية القديمة" مجلة عالم الفكر — مجلد ١٥ — العدد الاول ص ٣٢١.

(٣) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٣٢٤ ، جواد على : المرجع السابق جـ٢ ص ٧٦ ، جـ٧ ص ٢٦٣ وكذا : BASOR, 73, 1939, p.7.

وقد عاش زيد فى مصر فترة طويلة وتوفى ودفن فيها ، ويستدل من النص أنه كان كاهنا فى أحد المعابد المصرية على الرغم من انه لم يكن من اصل مصرى ، وقد شارك الى جانب ذلك باستيراد ماتحتاجه المعابد المصرية من المنتجات العربية كاللبان والمر والذريره (القرفة) اما لحسابه الخاص ومن ماله او لحساب المعابد المصرية ، ومن اموالها وذلك فى مقابل نقله للمنسوجات الكتانية المصرية الناعمة الى الجزيرة العربية ، وقد آرخ " زيد " هذا النص بشهور مصرية - كيهك - من السنة الثانية والعشرين من حكم بطليموس ، ويرى أغلب الباحثين انه كان فى عام ٢٦٤ ق.م. وذلك خلال حكم " بطليموس الثاني فيلادلفوس "[١] .

كذلك وجدت نقوش وكتابات سبئية متنوعة على صخور وادى " العتباى " مشابهة للنقوش التى عثر عليها عند قصر البنات فى منتصف وادى الحمامات ، بعضها غير ظاهر ، واكثرها وضوحا كتابه لشخص ربما كان قائدا لقافلة من تلك القوافل السبئية التى كانت تجتاز الطرق التجارية التى تربط موانىء البحر الاحمر ونهر النيل[٢] .

---

(١) جواد على: المرجع السابق - جـ٧ ص ٢٦٣-٢٦٥ ، عبد العزيز صالح: المرجع السابق ص ٣٢١-٣٢٢ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٢٥ ،ديتف نلسن : المرجع السابق ص ١٢٢ وكذا : Rhodokanakis, N., Zeitschrift Fur Semitistik und Verwandte Gebiete, Bond2, 1924, pp. 116-117, Green, F.W., Notes on Some Inscriptions in the ETBAI District, PSBA, 26, 1959, p.274f, Gorhmann, Arabien , p.137.

(٢) محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية - ص ٣٢٤ ، وكذا : Green, op.cit., p.274f.

وهكذا نجد الشواهد التى تشير الى أن المعينيين وكذلك السبئيين كانوا يقومون خلال القرن الثالث قبل الميلاد برحلات بحرية الى مصر لنقل منتجات جنوب الجزيرة العربية والتى كانت تستعمل فى مصر للتحنيط وتقديم القرابين لآلاف من السنين المتعاقبة ، ولكنه من غير المؤكد ان سفنا عربية هى التى كانت تحمل هذه المنتجات خلال الفترات الواقعة بين الرحلات المعروفة التى كان المصريون يقومون بها الى الجنوب وبين القرن الثالث قبل الميلاد ، وهذا الامر يبدو ممكنا على ضوء الادلة التى انحدرت من اوائل العصر الهيلنستى ، ومع ذلك فانه لايمكن اثبات شىء لان الطريق الاخر وهو طريق القوافل البرية التى كانت تعبر صحارى بلاد العرب وسيناء كان قائما أبدا (١) .

ان المعينيين والسبئيين كانوا يقدمون السلع والبضائع التى تحتاجها مصر عن طريق المحطات والمراكز التجارية التابعة لهما والواقعة فى شمال الجزيرة العربية ، كديدان (العلا) ومعان وتيماء وذلك لقربها من مصر فهى على الحدود مباشرة للامبراطورية المصرية .

ويبدو ان المعينيين كانوا اكثر نشاطا من السبئيين فى تجارتهم الدولية فقد وصل المعينيون بتجارتهم الى جزيرة " ديلوس Delos " اليونانية فقد عثر العلماء على نصوص ونقوش معينية فى هذه الجزيرة وردفيها اسم " هنا " (هانى) و " زيد ايل من ذى خذب نصب مذجح ود الهه معين بدلث " (اى ديلوس) ، وقد كتب النص بالخط المسند ، وباليونانية ، كما ورد باليونانية نص : " ياود اله معين ياود " وهذه النصوص تؤكد وجود جالية

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ٣٢٧ ، جورج فضلوحورانى : المرجع السابق - ص ٦١-٦٢ .

معينية فى الجزيرة ، وربما كانت هذه الجالية المعينية على اتصال ببلادها - معين - وكانت تتاجر معها ،فتصدر لها حاصلات اليونان والمنتجات الاوربية وتستورد بالمقابل من معين حاصلات اليمن ومنتجات بلاد العرب الجنوبية وافريقية والهند (١) .

وكذلك يوجد قطعة ضخمة من الجرانيت فى المتحف البريطانى بلندن كانت شاهدا لقبر ، وقد كتب عليها بالخط المسند وفق القواعد المتبعة فى الكتابات اللحيانية وجاء فى النص المكتوب انها عائدة لشخص يدعى " هنتسار بن عيسي بن هنتسار " وهو من اسرة " افكل عزاف " وقد عثر على هذه القطعة وغيرها من النصوص المعينية فى جزيرة " كريت " الواقعة فى البحر المتوسط (٢) .

وعلى هذا النحو نستنتج ان المعينيين قد وصلوا بتجارتهم الى تلك الاجزاء من البحر الابيض المتوسط دون اى فتح سياسى كبير ،ومن يدرى لعلهم كانوا قد توغلوا شمالا وتاجروا مع شعوب اوربية اخرى فى تلك الفترة التاريخية .

...

---

(١) جواد على : المرجع السابق - ج ٢ - ص ١٢٤ ، ج٧ - ص ٢٦٣.

(٢) احمد شرف الدين : المرجع السابق - ص ٦٣.

٢ - فى عهد اللحيانيين :

اللحيانيون (أصلهم - دولتهم) :

استطاع اللحيانيون تكوين دولة مستقلة فى الجزء الشمالى الغربي من شبه الجزيرة العربية ، وكانت ديدان (العلا) عاصمة ملكهم، وبحكم موقعهم وقربهم من بلاد الشام فقد ارتبط اللحيانيون بصلات وعلاقات تجارية مع فلسطين ، وقد اختلف الباحثون حول تحديد اصلهم ، فمنهم من يرى أنهم من شعوب العربية الجنوبية ويستدل اصحاب هذا الرأى على ذلك بورود اسم " لحيان " فى نص عربى جنوبى قصير جاء فيه " ابيدع ذلحين " ، اى "ابيدع ذو لحيان " ويبدوا آن "ابيدع " هذا كان احد اقيال لحيان فى تلك الفترة [١]، كما ان " بلينى " فى كتابه " التاريخ الطبيعى " ذكرهم من ضمن شعوب جنوب الجزيرة العربية ،وقد سماهم " لحينى " (Laecanitae = Lechien , Lexiane)[٢] ومن هذا استدل هؤلاء الباحثون على ان اللحيانيين كانوا أصلا من العربية الجنوبية .

وهناك رأى آخر يرى أن اللحيانيين هم فرع من ثمود[٣]، غير آن هناك جدلا قائما بين الباحثين حول موطن الثموديين الاصلى فالبعض يرى انه اليمن ,وقد أخرجتهم " حمير " من هناك الى شمال الحجاز ، فى حين يرى معظم الباحثين آنهم كانوا أصلا من شمال الجزيرة العربية وليس من جنوبها ،

---

(١) جواد على :المرجع السابق - جـ٢ ص ٢٤٤ ، وكذا :
Altheim F. and Stiehl, R.,Die Araber in der Alten Welt, Berlin, 1964-1968,I.P.93

(٢) Pliny, BK.VI,ch, 32.

(٣) فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٩٤ ، وكذا :
Ency. Britannica, Vol.1,1045 , Trimingham, J.S. Christianity among the Arabs in Pre-Islamic , Times, New York, 1979, p.16.

ويستند اصحاب هذا الرأى على آثار الثموديين المنتشرة فى مناطق واسعة من الاجزاء الشمالية والشمالية الغربية من الجزيرة العربية [١] وعلى هذا فاننا اذا اعتمدنا الراى الذى يذهب الى ان اللحيانيين فرع من ثمود عندها يمكن القول انهم - اللحيانيون - من شعوب العربية الشمالية وليس كما جاء من انهم من عرب الجنوب .

وكانت ديدان [٢] هى قاعدة ملكهم وعاصمة دولتهم التى امتد نفوذها فى أيام ازدهارها ليشمل معظم شمال الجزيرة العربية الى مايحاذى خليج العقبة حتى ان خليج العقبة عرف فى كتابات آجاثرخيدس "Agatharchides" التى تعود الى القرن الثانى قبل الميلاد باسم " خليج لحيان " ،وربما تعود هذه

---

(١) حول الثموديون واصلهم انظر: محمد بيومى مهران: دراسات تاريخية ص ٢٦٥-٢٦٨ ،خالد طه الدسوقى : قوم ثمود بين روايات المورخين ومحتويات النقوش " مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - الرياض - العدد السادس ١٩٧٦م- ص ٢٥١-٢٩٦ .

(٢) موقعها حالياهو " الخريبه " فى الطرف الشمالى لمدينة (العلا) الحديثة والتى تقع فى " وادى القرى " جنوب شرق حره العويرض ،بين سلسلة من الجبال فى الشرق والغرب ، وعلى بعد ١٥ كم الى الجنوب من مدائن صالح (الحجر) ، وديدان (ددان) " ددن " هو اسمها القديم وقد جاء ذكرها فى اسفار العهد القديم وكذلك النقوش الاشورية والمعينية . انظر: موسكاتى المرجع السابق ص ٢٠٣، ٣٥٥ ، عبد الرحمن الانصارى : لمحات عن بعض المدن القديمة - العدد الاول ١٩٧٥م - ص ٧٧-٧٩ ، التكوين ١٠:٧، ٢٥:٣، اشعياء ٢١: ١٣ - ١٥ ، ارميا ٢٥/٢٣ ، ٤٩:٨ ، حزقيال ٢٥:١٣ ، ٢٧:٢٠ ، وكذا : Hasting, op.cit., p.209, Musil, The Northern Hegaz, pp. 293-295. Caskel, W., Lihyan and Lihynish, Koln, 1954, p. 295.

التسمية - خليج لحيان - الى القرن الرابع او الثالث قبل الميلاد ، وليس الى عهد كتابات " اجاثر خيدس "(1)، وعليه فاذا اخذنا فى الاعتبار هذه التسمية فان هناك احتمالا ان نفوذ الدولة اللحيانية قد تجاوز خليج العقبة ووصل الى البتراء الى الشمال من خليج العقبة (2) .

وهناك من يرى ان نفوذ مملكة لحيان قد امتد حتى شمل نجد ووصل الى الاحساء ، وقد اعتمد اصحاب هذا الراى على تشابه الاسماء بين احد معبودات اللحيانيين وهو الاله " ذوخرج" وبين مدينة "الخرج " على اساس انّ مدلول الكلمتين واحد وهو يعنى الخصوبة وكثرة المياه ، ولكن توارد الاسماء متشابهة بين اسم معبود واسم مكان لايمكن ان يكون دليل قوى على اتساع نفوذ دولة لحيان الى هذه المناطق ولكنه من المحتمل ان يكون نفوذها التجارى قد اتسع ليشمل هذه المنطقة كما انه ليس من المستبعد وجود جاليات لحيانية عاشت فى هذه المنطقة لكى تحافظ على الطريق التجارى فى شمال الحجاز (3) .

هذا وقد اختلف العلماء والباحثون فى تحديد تأريخ المملكة اللحيانية فمنهم من راى انها كانت فيما بين بداية القرن الخامس ونهاية القرن الثالث قبل الميلاد (4) ، وحددها البعض بنحو ٥٠٠ الى ٣٠٠ ق.م (5) وذهب فريق آخر الى أنها كانت فيما بين القرن الثانى قبل الميلاد (حوالى عام ١٦٠ ق.م.) (6)،

---

(1) Musil , op.cit., p.295.

(2) عبد الرحمن الانصارى : المرجع السابق - ص ٧٨.

(3) نفس المرجع السابق .

(4) المرجع السابق ، وكذا : Musil, op.cit,. p.305

(5) فيليب حتى : المرجع السابق - ص ٧٠ .

(6) جواد على : المرجع السابق - ج٢ - ص ٢٤٥ ،وكذا : Altheim and Stiehl, op.cit., p. 94.

وبين نهاية القرن الثانى بعد الميلاد [١]، فى حين رأى البعض أنهـــا قامت فى فترة حكم البطالمة لمصر وبالتحديد مابين عامى ٢٨٠-٢٠٠ ق٠م [٢]، وهناك من يرى أن تاريخ مملكة لحيان يعود الىالعصر الهيلينى [٣] (٣٢٢ - ٣٠ ق٠م٠) [٤]، وأن نهايتها كانت على يد الانباط بعد أن استولوا علـــى " الحجر " [٥] ،فى عام ٦٥ ق٠م، وعلى " ديدان " فى عام ٩ ق٠م [٦]، وربمـــا كان دليلهم فى ذلك شاهد قبر يعود الىعصر ملكالانباط الحارث الرابع (٩ ق٠م٠ - ٤٠ م) عثر عليه فى " العلا " (ديدان) يؤكد وقوع اللحيانيين تحت حكـــم الأنباط ، هذا فضلا عن أن " سترابو " حينما كتب عن حملة " اليوس جالـوس " الى اليمن فى عام ٢٤ ق٠م٠ لم يشر الى مملكة لحيانية فىحديثه علما انـــه عندما كان يكتب عن الانباط فانه أشار الى أن دولتهم قد امتدت الى يثـــرب

---

(١) عبد الرحمن الانصارى : المرجع السابق ص ٧٨ ،جواد على : المرجـــع السابق - جـ٢ - ص ٢٤٥، ٢٤٧ ، وكذا : Altheim and Stiehl, op.cit., p.95. Caskel , op.cit., p.35 .

(٢) جواد على : المرجع السابق - جـ٢ - ص ٢٤٦ ، وكذا : Ency. of Islam, Vol.111, p.26; Altheim and Stichl, op.cit., p.104.

(٣) Winnett,F.V. and Read,W. , Ancient Records from North Arabia,Toronto, 1970,p.117.

(٤) Ency.Brittanica(Micro.)Vol.IV, P.1004.

(٥) الحجر: تبعد ١٥ كم الىالشمال من ديدان(العلا) وقدذكرها الكتـــاب الكلاسيكيون فى كتاباتهم باسم (Egra,Hagra,Heagra, Hegra) وقد راى بعضالباحثين ان"الحجر" هى مدائن صالح ، فى حيـــن رأى البعض ان " مدائن صالح" هى "العلا" بينما فرق البعض بين موضع العـــلا و " مدائن صالح" انظر جواد على :المرجع السابق - جـ٣ ص ٥٥-٥٧ ، محمد بيومى مهران: تاريخ العرب القديم - ص٤٩٠-٤٩٢ ، عبد الرحمن الانصارى: المرجع السابق - ص ٧٩ ، وكذا : Musil, op.cit. pp.299-301,.

(٦) جواد على :المرجع السابق، جـ٢ ، ص ٢٤٦ ، وكذا : Caskel, op.cit., p.35

فتكون بذلك قد شملت ارض مملكة لحيان[١]، وعلى هذا استنتج الباحثون أن الانباط هم الذين قضوا على المملكة اللحيانية فى نهاية القرن الاول قبل الميلاد ولكنهم لم يستطيعوا تحديد هذا التاريخ بالضبط .

وهناك من يرى ان نهاية مملكة لحيان كانت على يد المعنيين وذلك فيما بين نهاية القرن الثالث والقرن الاول قبل الميلاد ، حفاظا على تجارتهم ومكاسبهم المادية[٢]، ولكن بعض الباحثين يرى أن المعينيين لم يحكموا "ديدان" سياسيا وانما كانت سيطرتهم على النواحى التجارية ،بمعنى انها كانت مستعمرة تجارية وليست خاضعة لحكم المعنيين ، حتى أن لقب " كبراء " (جمع كبير) التى عثر عليها فى عدد كبير من النقوش المعينية فى العلا لم يكن يقصد به " حكام " بل من المحتمل انه كان يعنى الرؤساء المشرفين على التجارة المعينية وجمع الضرائب والاموال ، بل انهم كانوا معاصرين للحيانيين فى ديدان[٣].

إننا لانعرف بالتحديد متى كانت بداية تاريخ هذه المملكة ولامتى كانت نهايتها ، ولكن من النقوش اللحيانية والاثار التى عثر عليها العلماء فى مواطن مملكتهم فى الجزء الشمالى من الجزيرة العربية

---

(١) جواد على : المرجع السابق ج٢ - ص ٢٤٧ وكذا : Altheim and Stichl, op.cit., p.95, Strabo, BK,XXI, ch.4.

(٢) عبدالرحمن الانصارى : المرجع السابق ص ٧٨ ، محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم - ص ٥٢٨.

(٣) Winnett and Reed, op.cit, BASOR, 73, 1939, pp.6- pp.117-118, Grohmann,op.cit., pp. 273-274,BSOAS, 22, 1959,pp. 419-423 and 429-435, Branden .V.D., " La Chronologie de Dedan et de Lihyn" BO ,14,1957,pp.12-16.

وعلى الاخص فى منطقة " العلا " و " مدائن صالح " ، عرف العلماء انهم كانوا قد كونوا لهم مملكة صغيرة تقع الى الجنوب من مملكة الانباط ، ويرى بعض العلماء ان اللحيانيين قد سبقوا الانباط فى السيطرة على ديدان (العلا) و الحجر (مدائن صالح) ، وان الانباط الذين عاشوا فى " الحجر " كانوا اصلا خاضعين لنفوذ وسيطرة اللحيانيين ، ولم يزدد نفوذ الانباط وقوتهم الا مع بداية القرن الثانى قبل الميلاد ، واصبحوا قوة منافسة للحيانيين فى المنطقة (١) ، وقد استنتج بعض العلماء بعد دراستهم للنقوش والاثار اللحيانية ان مملكة لحيان قد استمرت فى سيطرتها وحكمها قرنين من الزمن على اقل تقدير (٢)، كما اننا عرفنا اسماء عددا من الملوك اللحيانيين الذين حكموا هذه المملكة العربية (٣) .

---

(١) Musil. op.cit., p.299.

(٢) Winnett and Reed, op.cit., p.119.

(٣) ومن هذه الاسماء (هنوس ،هانوس، هانواس بن شهر) ، (ذ اسعفن تخمي بن لذن) او (ذو اسعفن تخمى بن لوذان) ، (شمت جشم بن لذن) او (شامت جشم بن لوذان) ، (جلتقس) او (جلت قوس) او (ملتقس) ، (منعى لذن ابن هناس) او (منعى لوذان بن هانوس) ، (هناس بن تلمى) (تلمى بن هناس) ، (سلح) او (سليخ) او (سالح) ، (فضج) ، (سلمن بن تلمي بن هناس) ،حول هذه الاسماء ومادار حولها انظر : جواد على : المرجع السابق - جـ٢ ص ٢٤٨- ٢٥٢

كذا : Grohamann , op.cit., pp.65,66,76,289, Caskel, op.cit., pp.40-43, 88-89, 90-91, 110,112, 119, Winnett and Reed, op.cit., p.125(no:9), Altheim and Stichl,op,cit., pp. 100,103.

اللحيانيون ونشاطهم التجارى :

وكانت " ديدان " و " الحجر "[١] من آشهر مراكزهم حيث ان موقعهما اكسبهما اهمية عظيمة ، فكلاهما كان عقده من عقد الطرق التجارية المهمة التى تربط جزيرة العرب بالعراق ومصر والشام ، فالقوافل التجارية القادمة من جنوب الجزيرة العربية تتجمع فيهما ومن ثم تتفرع الى اتجاهين احدهما نحو العراق والاخر يستمر فى الاتجاه شمالا نحو بلاد الشام ومصر ، كما ان القوافل التجارية العائدة من هذه المناطق تتجمع فيهما قبل ان تكمل طريقها نحو الجنوب، وقد أدرك اللحيانيون اهمية منطقتهم بالنسبة للتجارة ، لذلك نجد انهم كغيرهم من الشعوب التى عاشت فى المنطقة يشتغلون فى التجارة .

وقد حرص اللحيانيون على تامين الطرق التجارية وحمايتها ،كما انهم عملوا على ازالة العوامل التى تهدد وتعرقل شؤونهم ومصالحهم التجارية فعندما احس اللحيانيون بان الانباط يطمعون فى ارضهم ويعرقلون تجارتهم التى كان لابد لها ان تمر فى ارض الانباط فانهم لجأوا الى "البطالمة " واخذوا يتوددون اليهم ليحموهم من تدخل وتحكم الانباط فى شؤونهم وظل اللحيانيون على هذه السياسة طوال حكم البطالمة فلما حل الرومان محلهم كان موقف اللحيانيون منهم موقفا وديا لانهم انقذوهم من سيطرة الانباط عليهم[٢] .

(١) يرى بلينى ان "الحجر" (Hagra, Agra, Hagrat) كانت هى عاصمة اللحيانيين ومدينتهم الملكية The royal city of the Laeanites وليست " ديدان " كما راى معظم الباحثين . انظر : فيليب حتى : المرجع السابق ص ٧٠ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٤٩٢ وكذا : Pliny, BK. VI, ch.32:156, Musil, op.cit., p. 299.

(٢) جواد على: المرجع السابق ج٢ ص ٢٤٦-٢٤٧ ، وكذا : Caskel, op.cit., p.42, Altheim and Stiehl, op,cit., p.104.

وبحكم موقع مملكتهم فقد ارتبط اللحيانيون بعلاقات تجارية مع الدول المجاورة لهم مثل مصر وفلسطين ، وكانت علاتهم التجارية وثيقة بمصر، لدرجة انهم تأثروا بالثقافة اليونانية التى كانت منتشرة وشائعة بمصر في تلك الفترة حتى أنهم اطلقوا على ملوكهم اسماء يونانية مثل " تحمى" و" بتحمى" و "تلمى "التى آخذت من بطلميوس(١) .

وليس من المستبعد ان اللحيانيين كان لهم نشاطا تجاريا مع فلسطين فموقع مملكة لحيان فى الجزء الشمالى الغربى من الجزيرة العربية لتكون قريبة من فلسطين وبلاد الشام عموما يجعل احتمال وجود علاقات وصلات تجارية بينهم وبين فلسطين امرا مقبولا وطبيعيا ، ولكنه لما كانت معلوماتنا عن تاريخ اللحيانيين ومملكتهم ضئيلة جدا لان النقوش والكتابات والاثار اللحيانية التى عثر عليها العلماء قليلة ، واكثرها يدور حول امور شخصية ، لذلك فان هناك حاجة إلى المزيد من التنقيب والكشف عن اثارهم حتى تزيد معارفنا عنهم وعليه فان جانب العلاقات التجارية التى كانت تربط مملكة لحيان بفلسطين سيظل ضئيلا للاسباب التى ذكرناها وحتى العثور على معلومات جديدة فى هذا الخصوص ، هذا فضلا عن ان اسفار العهد القديم - التى نستمد منها الكثير من المعلومات عن تاريخ فلسطين- لم تشر اطلاقا الى اسم اللحيانيين ولا حتى مرة واحدة(٢) .

وهكذا فانه من المحتمل أنه كان هناك اتصالا وعلاقات تجارية بين مملكة لحيان وفلسطين تتم عن طريق القوافل التجارية البرية ، وكذلك عن طريق البحر ولا اظن ان تسمية الكتاب الاغريق خليج العقبة باسم " خليج لحيان " كان مجرد صدفة ، بل انه دليل على نشاطهم وحركتهم التجارية فى هذا الخليج(٣)، فضلا

(١) جواد على : المرجع السابق - جـ٢ ص ٢٤٤-٢٤٥ ،وكذا : Caskel, op.cit., p.39. Altheim and Stiehl, op.cit,, p,102, Tran, W.W. " Ptolemy and Arabia " , JEA , 15, 1929, pp. 9-13.

(٢) Musil, op.cit., p. 295.

(٣) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٥٢٧ وكذا : Pliny , BK.VI, ch. 32, Diodorus, 111, 43f, Musil, op,cit.,pp,295,302-306.

عن أنه دليل على انهم كانوا يسيطرون على الطريق البحرى المتجه الى ميناء ايلات فى الشمال ، حتى ان البحارة والتجار الاغريق كانوا يدفعون المكوس (رسوم عبور) الى اللحيانيين[١]، كما انه لوحظ ان المقابر اللحيانية المنتشرة فى عاصمة مملكتهم (ديدان = العلا) تتميز عن المقابر في "الحجر " (مدائن صالح) اذ انها شبه مربعة الشكل ولاتزيد فتحتها عن متر مربع وعمقها حوالى مترين فى داخل الصخر ، وقد وجد امثال هذه المقابر اللحيانية في فلسطين والاسكندرية[٢]، وربما فى هذا دليل على وجود علاقات تجارين بين اللحيانيين وفلسطين ، لان التأثيرات الحضارية تنتقل - كما هو معروف - عن طريق الاتصالات التجارية التى تحدث بين الشعوب والحضارات المختلفة .

...

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، وكذا :
Musil, op,cit., p.295.

(٢) عبد الرحمن الانصارى : المرجع السابق - ص ٧٩.

٣ - فى عهد الأنبـــاط :

الانباط (اصلهم - دولتهم) :

وصلت العلاقات بين الجزيرة العربية وفلسطين الى الذورة فى عهد الانباط ، واتخذت طابعا مميزا ليس فى النواحى التجارية فحسب بل وفى النواحي السياسية والعسكرية ايضا ، وتعتبر كتابات المؤرخ اليهودى " يوسفوس فلافيوس " (يوسف بن متى) المصدر الرئيسى للجانب الاخير من هذه العلاقات فقد وقف ملك الانباط الحارث الاول (١٦٩-١٤٦ ق٠م٠) الى جانب المكابيين اليهود فى ثورتهم ضد السلوقيين[١]، وفى عهد الحارث الثانى (١٢٠-٩٦ ق٠م٠) اشتعلت الحرب بين اليهود والانباط حول السيطرة على الاردن وذلك اثناء حكم ملك يهوذا " اسكندرجناى "[٢] وغزا الحارث الثالث (٨٥ - ٦٠ ق٠م٠) ارض يهوذا

---

(١) جواد على : المرجع السابق - ج ٣ - ص ٢٢-٢٥ ، جرجى زيدان: المرجع السابق ص ٩٧ - ٩٨ ، فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين - ج١ - ص ٤١٩ ، سفر المكابيين الاول ٥:٢٤-٢٧ ، ٩:٣٥-٣٦ ، سفر المكابيين الثاني ٥:٨ وكذا :
Josephus., Antiquities., BK.XIII, ch,I:2, Hammond, P.C., The Nabataeans, Their History, Culture and Archaeology, Gothenburg, 1973,pp. 15-16.

(٢) جواد على : المرجع السابق - ج٣ - ص ٢٥-٢٦ ، فيليب حتى : المرجع السابق ، عبد العزيز سالم: المرجع السابق - ص ١٨٩-١٩٠ ، جرجي زيدان : المرجع السابق - ص ٩٧ ، ٩٨ ٠ وكذا :
Josephus, Antiquities,BK.,XIII,ch.XIII: 3,5, Wars of the Jews., BK.,I.ch.IV:3-4, The Universal Jewish Encyclopaedia, Vol.8, p.79, Hammoud,op,cit., p.16 , Altheim and Stiehl, op.cit., p.290.

فى فلسطين وهزم اليهود فى معركة ضارية عند " اديدا " Addida "
(الحديثة) بالقرب من "اللد " Ludda " فاضطر الملك المكابـــي
"اسكندر جناى " الى عقد معاهدة صلح مع الانباط وحينما نشب الصراع بيـــن
ابناء "اسكندر جناى " حول عرش مملكة يهوذا تحالف الحارث الثالث مــع
" هرقانوس " فى صراعه مع اخيه " ارسطو بولس " كما دعمه بمساعدات عسكريــة
ضخمة جعلته يحقق نصرا عسكريا على اخيه [1]، وفى عهد النبطى مالــك الاول
ـ فى بعض المراجع مالك الثانى ـ (٦٢ ـ ٣٠ ق٠م٠) عاد الصراع بين الانبـاط
واليهود وقد ساند الرومان الملك اليهودى " هيرود انتيباتر " ـ وكانت امه
من الانباط ـ فى صراعه مع الانباط [2]، وقد تزوج ملك اليهود " هيرود انتيباس
(Herod Antipas) من ابنة ملك الانباط الحارث الرابـــع

---

(١) جواد على : المرجع السابق ـ ج٣ ـ ص ٢٩-٣٣ ، فيليب حتى: المرجع السابق
وكذا : Josephus., Antiquities, BK.,XIII, ch.XV: 1, ch.XVI:3-4, BK. XIV, ch,I, 2-4,ch,11: 1-3,ch,III:1-4, ch,IV:5., Wars of the;Jews., BK.I,ch,IV:7,ChV:3,ch.VI:1-3, ch,VII:1. Hammond, op.cit,, pp.17-18, Altheim and Stiehl, op.cit., pp. 294,299.

(٢) جواد على : المرجع السابق ـ ج٣ ـ ص ٣٤-٣٧ ، فيليب حتى : المرجــع السابق ج ١ ـ ص ٤٢٠ ، جرجى زيدان : المرجع السابق ـ ص ٩٧ ، ٩٩ ،
وكذا : Josephus., Antiquities, B.K. XIV,ch.VI:4 , ch. VIII: 1-5, ch. XIV: 1.,BK.XV. ch.IV:1-4,ch.V:1-5, VI,1-4., Wars., BK.I,ch. VII:7,ch.IX:1-5,ch.X:1-3, ch.XIX:1-6., Hammond, op.cit.,pp-. 19-22.

(٩ ق.م. - ٤٠ م.) ولكنه بسبب تجرأ هيرودوس انتيباس " وطلاقه لابنة الحارث حتى يتزوج بامراة آخرى ، اضافة الموجود خلاف بينهما على بعض مناطق الحدود اشتعلت الحروب مرة اخرى بين الانباط واليهود (١) ، وهكذا نلاحظ ان العلاقات بين الانباط فىالجزيرة العربية واليهود فى فلسطين كانت تاخذ طابع الصداقة والتحالف ، بل وتصل الى حد لمصاهرة احيانا وطابع العداء والحروب احيانا .

لايزال الجدل قائما بين العلماء والباحثين حول اصل الانباط وموطنهم الاول ، فمن العلماء من يرجع نسبهم الى اسماعيل عليه السلام فهم من سلالة " شبايوت Nebajoth " والذى جاء ذكره فى اسفار العهد القديم بانه اكبر اولاد اسماعيل ، ويرى هؤلاء العلماء ان الاسمين "شبايوت و " نبط" متماثلان ومتطبقان (٢) ، وان " نبياتى Nabaiate " الذى

---

(١) جواد على : المرجع السابق - ص ٤١-٤٥ ، فيليب حتى : المرجع السابق - ص ٤٢٢ ،جرجى زيدان : المرجع السابق ص ١٠٠ ،

وكذا : Josephus., Antiquities, BK. XVI,ch. X:8-9,BK. XVII, ch. 111:2, ch.111:2,ch.X:9,BK.XVIII, ch.V:1-4., Wars., BK., II, ch. V:1-3. Hammond, op.cit.,pp.24-27, Glueck, N., Deities and the Dolphins, The Story of Nabataeans, New York, 1965, pp.376ff.

(٢) سفر التكوين ١٣:٥ ، ٩:٢٨ ، ٢:٣٦ ، اخبار الايام الاول/١ ٢٩ وكذا : Josephus., Antiquities., BK.,I, ch.XII:4, Musil, Arabian Deserts, p.492, Robinson, G.L., The Sacophagus of an Ancienet Civilization, New York, 1930,p.376,Hastings, E.R.E , Vol.9, p.121, Douglas. J D.. The New Bible Dictionary, Grand Rapids, 1962, pp.858,872, Murray, M.A. Petra , the Rock city of Edom, London, 1939,p.91,Crichton, A., The History of Arabia, New York, 1834,Vol.1,p.129, Kammerer, A. Petra et la Nabatene, Paris,1930,p.22, Browing, I., Petra, London, 1982, p.32, Hammond, op.cit., p.9.

ورد ذكرهم في نقوش الملك الاشوري ، اشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٦ ق.م.) له صلة بالانباط وعليه فان " نبياتي " الذين هم من سلالة " نبايوت " هم نفسهم الابناط (١) .

وهناك من العلماء والباحثين من ينكر وجود اي صلة تربط مابين الانباط – الذين نحن بصدد الحديث عنهم – وبين " نبياتي " Nabaiate " الذين ورد ذكرهم في اخبار الملك اشور بانيبال و " نبايوت " Nabajoth " الذي ذكر في اسفار العهد القديم وان الانباط " Nabataeans " لايمتون باي صلة الى هذين الاسمين ، ولا بشكل من الاشكال(٢) .

وذهب اخرون الى ان اصل الانباط من العراق ، لان سكان العراق كان يطلق عليهم اسم " النبط " وان لغتهم التي كتبوا بها آثارهم انما كانت الارامية وهي تختلف عن لغة سكان العراق ، وقد هاجر الانباط من العراق الى " ادوم " في حين يرى اخرون ان " نبوخذ نصر " (بختنصر) هو الذي اتى بهم

---

(١) Hastings, E.R.E , Vol.1,p.145, Vol.3, p.501, Vol.9, p.121, Doublas, op.cit.,p.858, Musil, op.cit.,pp.477, 482, 489,492, Kammerer, op.cit., pp.106,108,109, Murray, op.cit., p.92, Erskine, B., The Vanished Cities of Arabia, London, 1925, p.34.

(٢) جواد علي : المرجع السابق – ج٣ ص١٦ ، وكذا : Hammond, op.cit, p.10, Hastings, E.R.E., Vol.9, p/121, Dictionary., p.692, Jewish Encylopedia, Vol. 9, p.139, Glaser,Skizz., II. 267, 418. Montgomery, Arabia., p.31, Glueck, Dieties, p. 4, Altheim and Stiehl, op.cit., p.281 n.108.

الى فلسطين خلال القرن السادس قبل الميلاد واسكنهم فى "البتراء" وماحولها وهناك من يرى ان اصلهم من جبل " شمر " فى وسط الجزيرة العربية وقد هاجروا اولا الى العراق ليقيموا فيها ، ولكن الاثوريون والميديون سرعان ماخرجوهم من هناك ، واخيرا ذهبت طائفة من هولاء العلماء والباحثين الى ان اصلهم من شواطىء الخليج العربى(١) .

وتظل هذه الاراء التى ترجع اصل الانباط الى العراق مجرد افتراضات ونظريات لايمكن التسليم بها حيث لم يقدم اصحابها دليلا علميا مقنعا ، ولعله من الممكن ان اصحابها تاثروا بما ورد فى مصادر الاخباريين العرب حول تعريف كلمة " نبط " ، وهى فى مجملها تربط "النبط" بعمالقة العراق ، كما تربطهم ببنى آرم ، وكذلك السريان واهل بابل (٢) .

---

(١) انظر هذه الاراء فى جرجى زيدان : المرجع السابق — ص ١٠٤ .

(٢) مزيدا من التفصيل حول ماجاء فى كلمة " نبط " انظر : جواد علي : المرجع السابق — ج ٣ — ص ١١—١٢ ، المسعودى : المرجع السابق — ج ١ — ص ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ٢٦٦ ، ج٢ ص ٢٦—٢٧ ، الزبيدى : تاج العروس — ج٥ — ص ٢٢٩—٢٣٠ ، لسان العرب — ج ٧ — ص ٤١٠—٤١٢ ، تاريخ ابن خلدون — ج٢ ص ١٧٠ ، ٣٤١ ، معجم البلدان — ج٤ ص ٩٧ ، الفيروز آبادى : القاموس المحيط — القاهرة — ١٩٥٥م — ج٢ — ص ٣٨٧ ، وكذا : Trimingham , op.cit., pp.146-147.

والواقع ان "النبط " الذين اشار اليهم الاخباريون العرب انما هم من قرسبات وبقايا الاراميين فى العراق والشام وكانوا يتكلمون بلهجات ربما كانت عربية ولكنها بلكنة غريبة عن العربية ، وهؤلاء "النبط " ليسوا " الانباط "الذين نكتب عنهم وليسوا هم الذين كونوا لهم دولة عظيمة فى الجزء الشمالى الغربى من الجزير العربية واتخذوا "البتراء" عاصمة دولتهم (١).

ونظرا لان الانباط استعملوا اللغة الارامية فى كتاباتهم فقد ذهب بعض العلماء والباحثين الى أن أصلهم من الاراميين (٢) ولكن هناك من الباحثين من يعترض على هذا الرأى ، ويرى ان اللغة الارامية كانت هى اللغة المنتشرة والشائعة فى تلك العصور ، فالارامية كانت هى اللغة الدولية فى العالم القديم منذ القرن السابع قبل الميلاد فكانت هى لغة الكتابات والمراسلات والفكر والثقافة (٣) لذلك فانه ليس من المستغرب ان يستعملها الانباط فى كتاباتهم ، والواقع فان الانباط قد دونوا المعاملات الرسمية والحكومية فى حين كانت العربية هى لهجة المخاطبة والتعامل بين الناس عامة (٤).

وأيا كان الامرفان الاراء الحديثة السائدة بين العلماء والباحثين تكاد تجمع على ان الانباط اصلهم من العرب وان كانوا قد استعملوا الارامية

---

(١) جواد على : المرجع السابق - حـ٢ - ص١٣-١٤.

(٢) جواد على : المرجع السابق - ص١٠ وكذا : Robinson.,op.cit., p.474, Kinnedy, Sir.A.B W., Petra:Its History and Monuments, London 1925, p.34.

(٣) جواد على : المرجع السابق ، ص ١٠ ، وكذا : Hastings, Dictionary., p.49, Cantineau, J.,Le Nabateen , vols 2 vols., Pari 1932.

(٤) Hammond , op.cit., p.10.

فى كتاباتهم ، وان موطنهم الاول كان فى جنوب الجزيرة العربية ومن هناك رحلوا واخذوا يتنقلون فى البوادى حتى وصلوا الى المناطق فى اعالى الحجاز وشرق الاردن (ارض الادوميين) ،فاستقروا هناك ، فاشتغلوا بالزراعة والتجارة ثم استطاعوا منذ القرن الخامس قبل الميلاد ان يكونوا لهم دولة عربية شمالية امتد نفوذها ليشمل مناطق واسعة من الجزء الشمالى الغربى للجزيرة العربية وجنوب فلسطين .(١)

وعلى اى حال فان هناك العديد من الادلة والشواهد التى تجعل عروبة الانباط امرا اكثر قبولا وترجيحا على غيره من الاراء ومن هذه الادلة :

أولا : ان المؤرخين الاغريق والرومان القدامى وكذلك المؤرخ اليهودى يوسيفوس فلافيوس (يوسف بن متى) كانوا يطلقون على الانباط كلمة " العرب " وعلى بلادهم اسم " العربية الحجرية Arabia Petraea " ولو لم يكونوا كذلك لما اطلقوا عليهم كلمة " العرب " ولما ادخلوا بلادهم ضمن " العربية " وجعلوها من اجزائها الثلاثة (٢)(العربية الحجرية والصخرية Arabia Petraea ،العربية السعيدة Arabia Felix العربية الصحراوية Arabia Deserta) كما ان كلمة " العرب التى وردت فى اسفار العهد القديم كان يقصد بها الانباط انفسهم(٣) .

---

(١) جواد على : المرجع السابق - ج٣ - ص ١٠-١١ ، قارن جرجى زيدان: المرجع السابق ص ١٠٤ ، فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين - ج١ - ص ٤١٦، محمد بيومى مهران: تاريخ العرب - ص ٤٩٦ ، عبدالعزيز سالم: المرجع السابق ص ١٨٣ وكذا : Glueck, Deities and Dolphins, p.4.

(٢) جواد على : المرجع السابق ج ٣ - ص ٩ ، جرجى زيدان : المرجع السابق ، وكذا : Diodorus, BK. 11, 48:2-6, BK.XIX, 94, Strabo, BK, XVI, ch., 4:21-27, Josephus, Antiquities.Wars.

(٣) سفر المكابيين الاول ٥:٣٩ ، ٩:٢٥ ، الثانى ٥:٨ .

ثانيا : أن أسماء ملوكهم وزوجاتهم او اخواتهم التى وردت في المصادر اليونانية والرومانية واليهودية القديمة وكذلك فى بعض الاثار النبطية هى اسماء عربية اصيلة . فمن هذه الاسماء عرفنا الحارث وعبادة ومالك وزيد وشقيله ، جميلة وخلدو (خالدة) وهاجرو (هاجر) ، وانه مامن شك انّ للاسماء دخل كبير فى بيان أصول الامم [1] .

ثالثا : عند دراسة النقوش النبطية يلاحظ ان الاسماء الشائعة والمتعملة بين الانباط مثل كهلان وخلف ، مالك والحارث ووهب وكليب وسعد وعبيد ومرة وهانى وبحيرة وحدله وحميد وعلى وقصى وهاجر وانيس وعبد الملك وجميعها اسماء عربية خالصة [2] .

رابعا : انتشرت الوثنية وعبادة الاصنام - مثل عرب الحجاز - بين الانباط وكان من اشهر معبودتهم - مثل التى اشتهرت بين عرب الحجاز - " ذو الشرى " و " اللات " و " العزى " و " مناة " و " هبل "[3]، وربما كانت وثنية عرب الحجاز هى امتداد واستمرار للوثنية التى انتشرت بين الانباط .

خامسا : وجود اثر تحريف عربى فى كتاباتهم الارامية بصورة لاتدع مجالا للشك فى ان لغتهم الوطنية انما كانت لهجة عربية شمالية ، وقد وصل الامر لدرجة انه من كثرة استعمالاتهم للكلمات العربية الصرفة فاننا نجد في احد نقوشهم التى تعود الى عصر متاخر (حوالى عام ٢٦٨ م) بان النص يكاد يكون

---

(١) جواد على : المرجع السابق - جـ٤ - ص ٤٩٤ ، جرجى زيدان : المرجع السابق ص ١٠٥ ، وكذا: Cooke, G.A., A Text-Book of North Semitic Inscriptions, Oxford 1905, pp.214-262, Hammond, op,cit,p.10.

(٢) Lidzbarsk, M., Corpus Inscriptionum Semiticarum Pars Seconda I,II,Paris, 1889-1907, pp.192-260, Cooke,op.cit., p.214-262.

(٣) انظر: ابن الكلبى : كتاب الاصنام - القاهرة ١٩٥٧ ، قارن : Cooke , op.cit, pp.220-221, 252-253, CIS, II, 170, 182, 198.

عربيا خالصا [١] ، كما أن النقوش النبطية التى يعود تاريخها الى ماقبل الميلاد وبعده ، والتى كان قد عثر عليها فى شمال غربالجزيرة العربية وسيناء وحوران هى ناطقة بالعرب والعروبة [٢] .

سادسا : ان لغتهم الاصلية كانت العربية وقد اقتصر استعمالهم اللغة والكتابة الارامية علىالنقوش فقط [٣].

هذا ويؤكد بعض الباحثين علىعروبة الانباط ويرون انهم اقرب الى قريش وقبائل الحجازالعربية التى ادركت الاسلام وذلك لانهم يشاركون قريشا فى كثير من اسماء الاشخاصكما يشاركونهم فىوثنيتهم وعبادة أكثر الاصنام كذلك الخط النبطى قريب من خط كتبة الوحى والخط العربى الذى نكتب به اليوم ، بالاضافة الى ذلك وجود كلمات عربية كثيرة فىالنقوش النبطية التى كتبت بالارامية ، وهى عربية من نوع عربية القرآن الكريم ، وعلى ذلك فان الانباط هم اقرب الى قريش وعرب الشمال من العرب الجنوبيين الذين تختلف أسماؤهم وأسماء أصنامهم اختلافا كبيرا عن تلكالتى انتشرت بين قريش وعرب الشمال العدنانيين [٤] .

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ٤٩٧ ، ريجيس بلاشر : تاريخ الادب العربى - العصر الجاهلى - بيروت ١٩٥٦ - ص ٥٦ . وكذا :

(٢) ديتلف نيلسن: التاريخ العربىالقديم - ص ٤٠-٤١ .

(٣) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، بلاشر : المرجع السابق ص ٥٥-٥٦، وكذا Kammerer, op.cit., p.27, Dussoud, R., Les Arabes en Syrie Avant L'Islam , Paris, 1907, p.66.

(٤) جواد على : المرجع السابق - ج٣ - ص ١٤ ، خليل يحي نامى : اصل الخط العربى وتاريخ تطوره الى ماقبلالاسلام - مجلة كلية الاداب - جامعة القاهرة - العدد الاول ، ١٩٣٥م ، ص ٧ ، وكذا :

ooke, op.cit.,p.18.

ومما تجدر الاشارة اليه فان التقارب الشديد بين لغة الحجاز ولغة الانباط دليل قوى على قرابة اهل الحجاز من الانباط فاللغة الحجازية لم تتطور من اليمانية مباشرة وانما جاء هذا التطور من العربية القديمة الى الاشورية الى الارامية الى النبطية الى القرشية ، فتقارب لغة قريش من هذا السبيل ، وكان التقارب بينهما فى الزمان او فى درجات التطور ولكنه لم يكن تقاربا يقاس بالمكان او الاميال ، وهذا التقارب لم يكن من اختراع النسابين او فقهاء الاسلام ولكنه كان تقارب الواقع الذى حفظته اسانيد اللغة والثقافة واستخرجته من الحفريات والكشوف الحديثة (١) .

وكان الانباط فى بداية حياتهم عبارة عن قبيلة عربية او اتحاد من القبائل العربية ، تعيش حياة بدوية وبدائية (٢)، وعندما كان " ديودور الصقلى" يتحدث عنهم ذكر بانهم كانوا يعيشون فى الصحراء ويسكنون فى الخيام وكان بعضهم يشتغل برعى الاغنام والجمال وبعضهم يعملون كتجار قوافل فيحملون منتجات بلاد العرب الجنوبية (٣)، وكقبائل بدوية كانوا يعيشون فى الصحراء الواقعة شرق الاردن ، وفى عام ٥٨٧ ق.م . نزحت هذه القبائل الى ارض "الادوميين" الذين اضطروا للرحيل الى سواحل البحر الابيض المتوسطة الخصبة (٤)، وما ان أحل عام ٣٢١ ق .م. حتى نقرأ بان – الانباط – اصبحوا قوة بحيث استطاعوا صد الحملات العسكرية التى قادها حاكم سورية السلوقى "انتجونوس Antigonos "

(١) عباس العقاد : ابو الانبياء ابراهيم – ص ١٣٦–١٣٧.

(٢) Hammond, op.cit. p.11.

(٣) Diodorus, BK. II, 48, BK., XIX, 94.

(٤) Kennedy, op.cit., p.29, Robinson, op.cit, p.378.

بقصد الاستيلاء على "البتراء" وذلك بسبب مولاه الانباط للملك البطلمـي حاكم مصر (١) .

وقد أسس الانباط مملكتهم فى المنطقة الواقعة مابين الجزء الجنوبي الشرقي لفلسطين والجزء الشمالي الغربي للجزيرة العربية وهى تعد واحدة من أعظم الممالك العربية الشمالية القديمة وكانت "البتراء"(٢) عاصمتهم وقاعدة ملكهم ، فى حين كانت "الحجر" ثاني أهم مدينة فى مملكتهم ،

---

(١) جواد على : المرجع السابق – ج٣ – ص ١٨–١٩ ، جرجى زيدان : المرجع السابق ص ٩٦ ، فيليب حتى : المرجع السابق ص ٤١٧ ، محمد بيومى مهران: المرجع السابق ص ٥٠٢–٥٠٣ ، وكذا : Glueck, Deities., p.4, Murray, op.cit, pp.93-95, Hastings, E.R.E.,Vol.9, p.121,Altheim and Stiehl, op.cit,p.33.

(٢) تقع "البتراء" الى الشرق من وادى عربه Arabah وفي منتصف المسافة مابين راس خليج العقبة والبحر الميت وبالتحديد تبعد حوالي خمسين ميلا الى الجنوب من البحر الميت و "البتراء" ماخوذة من اللغة اليونانية "Petra" التي تعنى "الصخر" وربما هي نفسها مدينة "سلع" Sela التي جاء ذكرها فى اسفار العهد القديم والتى تعنى ايضا فى اللغة العبرية "الصخر" وتعنى سلع فى اللغة العربية ايضا "الصخر" كذلك ذكرها "يوسيفوس" باسم "الرقيم" Rekem وقد عرفت "التبراء" منذ الاغريق ايضا باسم اخر وهو "Arke" لذلك يعتقد ان العرب قد حرفوا هذه التسمية الى "الرقيم" وكانت البتراء واحدة من اشهر مدن العالم القديم ، فقد كانت عاصمة لدولة "الادوميين" ثم اصبحت بعد ذلك عاصمة دولة "المؤابيين" ثم اتخذها الانباط عاصمة لمملكتهم العظيمة ، واليوم تقع اثار "التبراء" فى وادى موسى بالاردن . انظر بالتفصيل: جواد على : المرجع السابق – ج٣ – ص ٥٣–٥٥ ، جرجى زيدان : المرجع السابق ص ٩٢–٩٥ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٥٢١–٥٢٣ ، معجم البلدان : ج٣ ص ٦١–٦٢ – ٢٣٦–٢٣٧ ، اشعياء ١٦:١ ، ٤٢ ، الملوك الثانى: ٧/١٤ ، وعن "الادوميين" و "المؤابيين" انظر : محمد بيومى مهران : اسرائيل – ج١ – ص ٣٤٢–٣٤٥ . وكذا : Hastings, Dictionary, pp. 894,229,668.

ولكن لايعرف بالتحديد التاريخ الذى تأسست فيه هذه المملكة العربية القديمة ويمكن اعتبار عام ٣١٢ ق٠م٠ وهو العام الذى نجح فيه الانباط فى احباط الحملات العسكرية التى قام بها " انتيخونوس " للاستيلاء على "البتراء " وهو اول تاريخ ثابت ومحدد لعهد مملكة الانباط فى حين نجد أنه من الصعب ارجاع بداية تاريخ مملكتهم الىماقبل هذه الفترة نظرا لقلة المصادر عن تاريخهم فى تلك الفترة ، ومما هو جدير بالاشارة الى ان اولماورد ذكر لاسماء ملوكهم يعود تاريخه الىعام ١٦٩ ق٠م٠ حيث تحدثت المصادر التاريخية القديمة عن ملك للانباط يدعى " الحارث Aretas ".

وقد وصلت مملكة الانباط فى اوج عظمتها وتوسعها الى "دمشق " فى الشمال والى " الحجر " (مدائن صالح) فىالجنوب وحدود مصر الشمالية مع صحراء النقب ، وشبه جزيرةسيناء ، ووادى " عربة " وسواحل البحر الاحمر فىالغرب ، والحافة الشرقية لوادى" سرحان " فى الشرق وبعبارة اخرى فانها كانت تضم جنوبى فلسطين وشرق الاردن ، والاجزاء الجنوبية الشرقية من سورية وشمالى الجزيرة العربية ٠ كما ان هناك مايشير الى وجود كتابات ونقوش نقطية فىالاقسام الشرقية من دلتا نهر النيل كدليل على امتداد نفوذهم الى مصر(١).

وقد جاءت نهاية مملكة الانباط فى عام ١٠٦ ميلاديةوذلكعندما قام حاكم سورية الرومانى " كورتليوس بالما " (٩٨ — ١١٧ م) بالنيابة عن الامبراطور " تراجان " بالاستيلاء على مملكة الانباط ولتصبح بعدها جزءا من الولاية العربية الرومانية التى عرفت باسم " الكورة العربية" (Provincia Arabia)(٢) .

---

(١) جواد على : المرجع السابق — ج٣ — ص ١٥ ، محمد بيومى مهران: تاريخ العرب القديم — ص ٥٠٢٠

Glueck, The Other Side of Jordon, pp.40-42, 175.

(٢) جواد علــى : المرجع السابق — ج٣ ص ٤٩ ، جرجى زيدان : المرجع السابق ص ٩٢ ، فيليب حتى : المرجع السابق — ص ٤٢٤ ، وكذا :

Diodorus, BK. LXVIII,14, Altheim and Stiehl, op.cit, p.304, Glueck, Deities, p.543, Hastings, E.R.E., Vol.9, p.121, Browing, op.cit, p.51.

الأنباط وعلاقاتهم التجارية بين الجزيرة العربية وفلسطين :

لقد اظهر الانباط براعة فائقة ومقدرة فريدة فى مجال التجارة ، فعلى الرغم من ان الانباط كانوا اصلا احد القبائل العربية التى كانت تعيش حياة بداثية وتشتغل برعى الماشية الا انهم اظهروا بعد ذلك تفوقهم وبراعتهم فى احتراف التجارة ، وقد بداوا حياتهم فى التجارة كوسطاء وناقلين للسلع والبضائع مابين موانى خليج العقبة ليقطعوا بها الصحراء وايصالها الى مدن فلسطين وسورية فكانوا يقومون بنقل منتجات جنوب الجزيرة العربية مثل البخور والمر والاطياب الى مصر وشواطىء البحر المتوسط فهم بحق كانوا الوحيدين المسيطرين على نقل التجارة مابين الشرق والغرب ، ولكن الحال سرعان ماتقدم بالانباط فى هذا المجال وتوسعوا فيه حتى كانت السيادة والهيمنة لهم ، واضحوا اصحاب ثروة كبيرة وقوة عظيمة فاصبحوا من الشعوب العربية الغنية ، ويمكن القول ان العامل الاساسى الذى ساعدهم فى ذلك هو الموقع المميز لمملكتهم والذى يتحكم فى طرق التجارة الدولية سواء البرية او البحرية خلال تلك العصور التاريخية والتى تربط مابين الجزيرة العربية وافريقية الشرقية والهند والصين بكل من العراق والشام ومصر واوربا (١) .

ولم يقتصر نشاط الانباط وعلاقاتهم التجارية بالمناطق والدول المحيطة بهم بل وصلوا الى اوربا ، فقد وصل الانباط الى الموانىء الايطالية بتجارتهم ودليل ذلك آنه وجد نقش اغريقى - نبطى فى جزيرتى " رودس " و " ميلتوس " ، كما عثر على النقوش النبطية فى مدينة " بوتيولى Puteoli " التي تقع على بعد عدة اميال غرب مدينة "نابولى " الايطالية (٢)، كما ذكر

(١) Diodorus, BK.,11,48, BK. XIX, 94.

(٢) فيليب حتى : المرجع السابق - ص ٤٢٥ - وكذا :
Glueck, Dieties., p.379, Cooke, op.cit,pp. 256-257, CIS.no: 158,pp.242-260.

أن الانباط قد ارتبطوا بعلاقات تجارية مع الصين ، حيث ورد فى السجلات الصينية مكان اسمه " لى - كان Li-Kan " ويعتقد بعض العلماء ان هذا الاسم الصينى مرادف لكلمة " رقيم Rekem " و " رقيم " هو الاسم الاصلى - كما ذكره يوسيفوس - لمدينة "البتراء " (١) .

وبحكم سيطرة الانباط على الاجزاء الجنوبية من فلسطين فقد كان لهم نشاطا تجاريا كثيفا مع سكان فلسطين ، وحملت قوافل الانباط التجارية السلع والبضائع المختلفة التى تلبى احتياجات وطلبات الأسواق هناك ، فكانت تنقل منتجات جنوب الجزيرة العربية كالمر واللبان والبخور والتوابل كذلك كانت تنقل الاخشاب الثمينة والموسلين من الهند واللؤلؤ من الخليج العربى ، والاوانى الزجاجية والارجوان من صيدا وصور ، والقار (الزفت) الموجود فى البحر الميت ، والحرير الدمشقى ، وكذلك الاقمشة المقصبة والمطرزات ، والاصباغ ، والمرجان ، والذهب ، والفضة ، والنحاس ، والحديد ، والاحجار الكريمة ، وزيت السمسم ، والسكر ، والقطن ، وغير ذلك وكانوا يبيعون هذه السلع والبضائع فى اسواق فلسطين فى حين تحمل كميات اخرى من هذه السلع والبضاهع الى موانىء " غزة " و " عسقلان " ومنها تحملها السفن الى مصر واوربا عبر شمال افريقية (٢) ، كما كانت قوافلهم التجارية تحمل

---

(١) Josephus, Antiquities, BK.IV,ch.VII:1, Hirth, F., China and Roman Orient, Chicago, 1966, pp.158-178, Murray, op.cit. pp.120-126.

(٢) حول هذا الموضوع بالتفصيل انظر / فيليب حتى : المرجع السابق ص ٤٢٥-٤٢٦ صالح احمد العلى : المرجع السابق ص ٤٣ ، وكذا :

Glueck, Deities., pp.4,42-45, 64-69,209, 360,529,531, Murray, op.cit., pp.112-126, Hammond, op.cit, p.66-68, Erskine, op.cit,p,33, Browing,op,cit, p.20, Van Beek, G., Frankineense and Myrrh, BA, XXII, pp.82-85, 86-87.

فى طريق العودة منتجات فلسطين وسورية الزراعية والصناعية الى الجزيرة العربية والعراق والخليج ومنها الى الهند والصين .

ولقد عرف الانباط كثرة الطلب على مثل هذه السلع والبضائع والمنتجات الزراعية والصناعية فى اسواق العالم القديم ، والاسعار التى تدفع لشراء مثل هذه المواد والسلع وما يعود عليهم من مكاسب كبيرة عند بيعها لذلك نجد ان قوافلهم التجارية كانت تحمل هذه الانواع المختلفة من السلع والبضائع لتسد احتياجات وطلبات العالم القديم المتزايدة .

وكان هناك طريقان رئيسيان تمر فيهما قوافل الانباط التجارية لتعبر شبه الجزيرة العربية ، احدهما ياتى من شرق الجزيرة العربية والاخر من جنوبها ، وكلاهما كانا يلتقيان فى " الحجر " (مداين صالح) فكانت قوافل الانباط القادمة من شرق الجزيرة العربية والخليج العربى والمحملة بالبضائع والسلع القادمة من الشرق تعبر بعرض الجزيرة مرورا بمدينة " حايل " و " تيماء " لتصل الى " الحجر " فى حين كانت قوافلهم القادمة من جنوب الجزيرة العربية تسير بخط موازى للبحر الاحمر متجهة شمالا حتى تصل الى " الحجر " وبعد ان تتجمع تلك القوافل فى " الحجر " تستريح من مشقة السفر ، تبدأ رحلاتها فى عدة اتجاهات ، منها مايتجه نحو ميناء " لويكه كومه Lueke Kome "(1) الواقع على الساحل الشرقى للبحر الاحمر

---

(١) لويكه كومه ويعنى " المدينة البيضاء " وكان من اهم الموانى التجارية التابعة للانباط ولايعرف موقعه فى الوقت الحاضر بالتحديد فالبعض يرى انه " الحوراء " او " ينبع البحر " او " المويلح " او " عينونة " التى تقع فى اقصى الركن الشمالى للبحر الاحمر (انظر: جواد على: المرجع السابع – ج٢ – ص ٢٧–٢٨ ، ٤٥–٤٦ ، معجم البلدان : ج٣ ص ٣٥٩ ، اطلال – العدد الخامس – الرياض – ١٩٨١ – ص ٧١–٧٢) وكذا :

Forster, G., The Historical Geography of Arabia, London, Vol., 1, p.220, Vol.2, p.285.

ومنهامايتجه الىالشمال ليصل الى " تبوك " ثم الى ميناء " ايلات " على خليج العقبة ومنها مايتجه الى الشمال ليصل الى العاصمة "البتراء"(١) وقد اكدت الكشوف الحديثة ذلك حيثعثر العلماء والباحثين على الكثير من النقوش النبطية وكذلك اعداد كبيرة من الكسرات الفخارية النبطية المميزة على طول هذه الطرق التى كانت قوافلهم التجارية تسلكها(٢) .

وبحكم موقع مدينة " التبراء " الذى يسيطر علىمايعرف باسم" طريق الملك King's Highway " وهو الطريق الممتد مابين خليج العقبة والبحر الاحمر جنوبا وحتى سورية فيالشمال فان قوافل الانباط التجارية تواصل مسيرتها من " البتراء " لتتجه الى فلسطين ، ومن ثم الى ميناء " غزة " وميناء " عسقلان " علىالبحر المتوسط ، كما تتجه بعض قوافلهم التجارية عبر طريق وادى عربة ثم شرق البحر الميت ونهر الاردن الى دمشق وشمالى سورية(٣) وهناك ايضا الكثير من الادلة العلمية على ان قوافلهم كانت تصل سورية عن طريق آخر وهو عبر " وادى السرحان " فقد عثر علماء الاثار على كميات كبيرة من الكسر الفخارية النبطية وكذلك على اثار محطات تجارية نبطية على طول طرق القوافل الممتدة الى سورية عبر "وادى السرحان " مما يؤكد امتداد

---

(١) عن طرق قوافل الانباط التجارية بالتفصيل انظر : جواد على : المرجع السابق – جـ٣ – ص ٢٠ وكذا Glueck, Deities., pp.44-45,529f, Van Beek, BA, XXII, pp.72-73, 76-78, 80.

(٢) مجلة اطلال – العدد الرابع – الرياض ١٩٨٠م ص ١٢٦ ، العدد الخامس ١٩٨١– ص ٧٠–٧٢ وكذا : Winnett and Reed, op.cit, pp.73,60,99, 119,120,130,133, Browing , op.cit., pp. 13-21.

(٣) Glueck, Other Side., pp.14,15, Hammond, op.cit,pp.65-60, Murray, op.cit, p.112.

سيطرتهم على جميع الطرق التى تصل مابين جنوب سورية والاردن مرورا بوادى السرحان (١) .

وأصبحت التجارة اهم واكبر مورد لثروة الانباط وعلى التجارة قامت حضارتهم ، فاشتغال الانباط بهذا المجال رفع من واردات دولتهم وبالتالى ادى الى ازدهار الحضارة، والى تطورها ، ولعل الانباط ادركوا اهمية التجارة بالنسبة لدولتهم ، ومدى تحكم دولتهم – نظرا لموقعها – فى طرق التجارة الدولية التى تمر فى اراضى دولتهم فى تلك الفترة التاريخية حتى ان بعض العلماء والباحثين راى فى توسع الانباط السياسى والاقليمى نحو الشمال ليصل الى اقليم حوران فى سورية ، ونحو الجنوب ليصل الى " الحجر " (مدائن صالح) ، ونحو الغرب ليشمل الاجزاء الجنوبية من فلسطين كان لتحقيق سيطرتهم على طرق التجارة الدولية [٢]، وان نفوذ دولتهم كان يقوم اساسا على التحكم فى التجارة [٣] .

ولقد حرص الانباط على جعل طرق التجارة الدولية الواقعة ضمن حدود مملكتهم اكثر امانا وسلامة للقوافل التجارية فانشاوا الحصون والقلاع وكذلك المخافر وابراج المراقبة على طول الطرق التجارية لحماية القوافل من السلب والنهب ، كما وضعوا فرقا من القوات المسلحة والجيش عند تلك الحصون ليستنجدوا بها عند الضرورة [٤] ، فى حين كانوا يرسلون ايضا وحدات من الجيش مع القوافل التجارية

---

(١) Glueck, Other Side., pp.40-41, 175, Winnett and Reed, op.cit., p.133, BASOR, 96, (1944), p.7.

(٢) Hammond, op.cit., pp.65-66.

(٣) عبدالله حسن المصرى : مقدمة عن اثار الاستيطان البشرى بالمملكة العربية السعودية – اطلال – العدد الاول – الرياض ١٩٧٧ – ص ١٧ .

(٤) Glueck, Other Side., pp.40-43, 158, 173, Murray, op.cit, 117-118, Erskine, op.cit, pp. 33, 35.

التجارية لحمايتها والدفاع عنها ،حتى أن قوافلهم التجارية كانت في مسيرتها تشبه الجيش المتوجه الى ميدان الحرب [1] ، وفي مقابل هذه الحماية فان القوافل التجارية التى كانت تمر في اراضيهم تدفع مكوسا عالية للانباط لانها ستضمن حماية أموالها وبالتالى مكاسبها [٢] .

كذلك أنشا الانباط المحطات والاستراحات على طول الطرق التجارية وجهزوها بكافة الوسائل لخدمة التجار وقوافلهم وامدادهم بجميع احتياجاتهم فكانت تلك المحطات والاستراحات تقدم الطعام والماء واماكن الراحة والمؤونة وغير ذلك من الاشياء التى يحتاجها التجار والمرافقين للقوافل التجارية وأيضا الدواب المستعملة فى حمل السلع والبضائع .

وقد اكدت الكشوف الحديثة التى قام بها علماء الاثار والمتخصصون على مدى سيطرة الانباط وتحكمهم فى الطرق التجارية والنشاط التجارى فى كل من شمال غرب الجزيرة العربية والاردن وجنوبى سورية وفلسطين كما اكدت هذه الكشوف استخدام الانباط لطرق القوافل التجارية التى كانت تقع ضمن اراض مملكتهم كذلك اكدت على انشائهم للحصون والقلاع وابراج المراقبة والمحطات والاستراحات على طول تلك الطرق التجارية ، فقد عثر هؤلاء العلماء والمتخصصون على اعداد كبيرة من النقوش والكسر الفخارية النبطية وغيرها من الاثار النبطية على طول المنطقة الممتدة من " ينبع البحر " على الساحل الشرقى للبحر الاحمر

---

(١) Strabo, BK.XVI, ch., IV:21, Hasting, E.RE., Vol.9, p. 121.

(٢) Pliny, BK.XXVI, 101,102, Erskine, op.cit, p.33, Murray, op.cit, p.118, Glueck, Other Side., p.158, Schoff, W., Trans., The Periplus of the Erythraean Sea, New York, 1974, pp.29, 104.

و " البوير " — شمال المدينة المنورة — فى الجنوب ، وحتى خليج العقبة ومنطقة "تبوك " فى الشمال وهى منطقة واسعة تشمل الاجزاء الشمالية من اقليم الحجاز ، كما عثروا ايضا على مثل هذه الاثار النبطية فى " وادى السرحان " وفى منطقة " الجوف " و "سكاكا " و "الطوير " و " قريات الملح " و "تيماء " و "اثرا "[١] .

كذلك عثر هؤلاء العلماء على أعداد هائلة من الكسر الفخارية النبطية وغيرها من الاثار النبطية على امتداد " وادى السرحان " وفى سهول الاردن وعلى طول "وادى عربه " وكذلك جنوب البحر المتوسط وفى غرب وادى " غزة " ،وجنوبى سورية عند منطقة " حوران " و " جبل الدروز " [٢]، كما لاحظ هؤلاء العلماء التشابه فى النمط بين الاثار الموجودة فى جنوبى فلسطين وتلك الموجودة فى " البتراء " عاصمة الانباط،مما يدل على مدى تاثر هذه المنطقة بحضارة الانباط جاءت نتيجة هذه الاتصالات التى قامت بينهما [٣] .

وهكذا ادرك الانباط اهمية التجارة كمورد اساس لثروتهم ومصدرا لقوتهم فحرصوا على استمرارها ، كما قاموا بشتى السبل لحمايتها والمحافظة عليها ، فعندما قام البطالمة فى مصر بمحاولة احتكار التجارة البحرية والسيطرة

---

(١) اطلال — العدد الرابع — ١٩٨٠ — ص ١٢٦ ، العدد الخامس — ١٩٨١م ص ٧٠—٧٢، وكذا : Winnett and Reed, op.cit, pp.73,99,133,142-162, 173,174, 178-182, Cooke, op.cit, pp.214-240, CIS.II , no:332, 197,198,199, 201, 202, 204,-209, 212,213,218, 221, Starcky, J., Une Inscription Nabatenne Provenant du Djof, RB, 64, (1957),pp. 96-115, 144-146.

(٢) Glueck, Other Side., pp. 13,40-43,133,158,173-175, Cooke, op,cit, pp.241-225, CIS.II, no: 350,354, 196, 161, 170, 182,174,183.

(٣) Albright, Archaelogy of Palest, p. 165.

على البحر الاحمر ، احس الانباط بالخطر الذى يهدد مصدر ثروتهم والخسائر التى يمكن ان تلحق بهم لذلك استغلوا فرصة الحروب المستعرة بين البطالمة والسلوقيين فاخذوا يشنون الغارات المتتالية على السفن التجارية التي كانت تذهب وتاتى الى ومن مصر (١) .

وقد استمر الانباط فى نشاطهم التجارى واستمرت قيادتهم للقوافل التجارية حتى بعد ضياع نفوذهم السياسى وضم الرومان مملكتهم الى الامبراطورية الرومانية وظلت قوافلهم التجارية فى نقل السلع والبضائع بين مصر وبلاد العرب وموانىء البحر الاحمر الموجودة على السواحل المصرية ، ربما حتى القرن الثالث الميلادى كما تدلنا على ذلك النقوش النبطية التى عثر عليها فى داخل مصر وفى طور سيناء (٢) .

وعلى هذا نرى ان الصلات والعلاقات التجارية بين الجزيرة العربية وفلسطين فى عهد مملكة الانباط كانت جد وثيقة بحكم موقع دولتهم الذى يسيطر على الطرق التجارية الموصلة من والى فلسطين وكذلك بحكم العلاقات السياسية والمصاهرة التى ربطت بينهم وبين دولة يهودا وقد ادى هذا الاتصال الوثيق - خصوصا فى مجال التجارة - بين الانباط واليهود الى درجة ان اليهود دونوا عقود البيع والشراء التى كانت تجرى بين الطرفين باللغة النبطية وقد استمر اليهود فى تدوين كتاباتهم بالخط النبطى حتى بعد سقوط دولة الانباط فى عام ١٠٦ ميلادية (٣) .

---

(١) جواد على : المرجع السابق - جـ٣ ص٢١-٢٢ ، محمد بيومى مهران: المرجع السابق ص ٥٠٤-٥٠٧ وكذا : Murray, op.cit.,p.92, JEA, 15, (1929), p.14, Rostovtzeff, M , Social and Economic History of the Hellenistic World,I, 1941, p. 383, 387.

(٢) جواد على : المرجع السابق جـ٣ - ص ٤٩-٥٠ ، محمد بيومى مهران: المرجع السابق ص ٥٢١ وكذا : Cooke, op.cit, pp.258-262, Littman E., Nabataean Inscriptions from Egypt, BSOAS, (1953), p.1.

(٣) جواد على : المرجع السابق جـ٣ ص ٤٥ وكذا : Glueck, Deities, P. 8.

٤ – فى عهد الغساسنـــة :

استمرت العلاقات التجارية بين الجزيرة العربية وفلسطيـــن حتى بعد زوال دولة الانباط فى مطلع القرن الثانى الميلادى وقد حمـــل التدمريون العرب لواء التجارة والتحكم فى طرقها الدولية من بعدهم وحتـــي نهاية القرن الثالث الميلادى ، ثم جاء بعد ذلك دور الغساسنة العرب الذيـــن استغلوا موقع دولتهم الاستراتيجى كملتقى لطرق القوافل التجارية وكهمـــزة وصل بين الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام ، وايضا كمحطة تجاريـــة هامة للقوافل التجارية ، استغل الغساسنة كل هذه الجوانب فعملوا فـــي مجال التجارة فجمعوا منها الثروات والاموال مثلهم فى ذلك مثل من سبقهم مـــن عرب الجنوب المعينيين والسبئيين او من عرب الشمال اللحيانيين والانبـــاط والتدمريين . وقد لعب الغساسنة دورا تجاريا وسياسيا وعسكريا هاما فى منطقـــة الهلال الخصيب خلال الفترة مابين القرن الخامس والسابع الميلادى.

– أصلهم – دولتهم :

يعود اصل الغساسنة الى قبائل الازد " اليمنية التى هاجرت مـــن جنوب الجزيرة العربية لتستقر فى بلاد الشام [1]، وقد حددت المصادر العربيـــة

(١) تاريخ اليعقوبى : ج١ ص ٢٠٢–٢٠٥ ، بلوغ الارب ج٢ ص ١٧٢–١٧٣ ، لسـان العرب – ج١٣ ص ٣١٣ ، القاموس المحيط ج٣ ص ٢٤٢ ، المعارف ص ٦٤٠ ، المختصر فى اخبار البشر ج١ ص ٧٢ ، حمزه الاصفهانى : تاريخ سنى ملوك الارض والانبياء ص ٩٨–٩٩ ، القلقشندى : نهاية الارب ص ٣١٤ (ط. بغداد– ١٣٣٢هـ) معجم البلدان – ج٤ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، دائرة المعارف الاسلاميـــة المجلد الثانى ص ١٦٩ ، وكذا :
Ency. of Islam, II, p.1020, Ency Britan,(Micro. V 1. IV., P.518), Trimingham, op.cit, p.178 .

القديمة تاريخ هجرتهم من اليمن الى الشام بعد انهيار سد مأرب وسيل العرم ، ولكن هذه المصادر لم تحدد زمان حدوث سيل العرم وتهدم سد مأرب ، غير انه اذا اخذنا في الاعتبار ان سد مارب قد تصدع عدة مرات خلال الفترة الطويلة التي مضت منذ انشائه في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد وحتى اخر مره رمم فيها عام ٥٤٣ ميلادى على زمن "أبرهة الحبشي" عندها يصبح من الصعب معرفة الفترة التي هاجر فيها الغساسنة من اليمن الى الشام بالتحديد ، فهجرتهم - بناء على ذلك - كانت قد حدثت في أي وقت خلال هذه الفترة التي ربما تزيد على ١٢٠٠ عام [1]، وهذا بالطبع يجعلنا امام فترة زمنية طويلة لايمكننا الاعتماد عليها فيتحديد تاريخ هجرتهم بالضبط .

كما اننا نجد ان بعض الروايات العربية تذهب الى انهيار سد مأرب كان قبل البعثة المحمدية باربعة قرون وبعضها يذهب الى انه كان في عصر الاحتلال الحبشي لليمن وبعضها يذهب الى ان حدوثه كان في القرن الرابع للميلاد ، واخيرا الى انه كان في القرن الخامس الميلادى [2]. وهذه الروايات تزيد من صعوبة تحديد فترة معينة لتاريخ هجرة الغساسنة من اليمن الى الشام فطالما تاريخ هجرتهم مرتبط بانهيار سد مأرب وسيل العرم فان هذا التاريخ سيبقى غير محدد حتي

---

(١) حول سد مارب وسيل العرم بالتفصيل انظر : محمد بيومى مهران: المرجع السابق ص ٢٦٣ ، ٥٦٤ ، دراسات تاريخية ص ٣٢٩ ، ٣٤٦ ،جواد على: المرجع السابق - ج٢ ص ٢٨١ ، ٥٨٠ ، ٥٨٦ ، ج٣ ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، هومل: المرجع السابق ص ٨٦-٨٧ ، ١٠٩ ، فؤاد حسنين: المرجع السابق ص ٢٩١-٢٩٢، ٣٠٤ ، احمد فخرى : دراسات فيتاريخ الشرق القديم ص ١٨٢ ، ١٨٧ ، اثار العالم العربى - القاهرة ١٩٥٨ ،ص ٢٠ ، ٢٣ .

(٢) معجم البلدان : ج٥ ،ص ٣٥ ، حمزه الاصفهانى: المرجع السابق - ص ١٢٦ ، جرجى زيدان : المرجع السابق ص٢٠٢ ، محمد بيومىمهران: دراسات تاريخية ص ٣٤٥-٣٤٦ ، احمد ابراهيم الشريف: مكة والمدينة فيالجاهلية وعهد الرسول - القاهرة ١٩٦٥م ص ٣١٥.

يستقر رأي المؤرخين على تحديد فترة انهيار سد مارب وسيل العرم وهجرات العرب الجنوبيين الى الشمال .

ولكن يوجد من العلماء المحدثين من يشكك فى أن أصل الغساسنة من جنوب الجزيرة العربية وان نسبهم يعود الى القحطانية ، وانما يرجع أنهم أصلا من عرب الشمال العدنانيين ودليلهم على ذلك هو ان لغة الغساسنة لاتمت الى اللغة الحميرية الجنوبية بأى صلة وانما تنطبق على اللغة العدنانية الشمالية فلغة الغساسنة كانت عدنانية اكثر منها قحطانية، كذلك اسماء الاعلام بين الغساسنة كانت تشبه فى مجموعها اسماء عرب الشمال اكثر من الاسماء التي كانت شائعة بين عرب الجنوب، بالاضافة الى كل ذلك فان العادات والدين عند الغساسنة كانت اكثر انطباقا على عادات وديانة عرب الشمال (1) .

وهكذا يلاحظ ان الخلاف بين العلماء والباحثين حول اصل الغساسنة لايزال قائما ، ولكن هذه الاراء تظل موضع بحث وتمحيص فيما بينهم حتى يتوصلوا الى الحقيقة المدعمة بالادلة العلمية حول هذا الموضوع ،ولعل سبب هذا الاختلاف يعود الى ان تاريخ الغساسنة يلفه الكثير من الغموض بسبب قلة مصادره ومعلوماته وضياع معظم اثارهم حتى المعلومات اليسيرة المتوفرة امتزجت فيها الحقائق بالاساطير مما ادى الى التشويش واضطراب هذه المعلومات حول تاريخهم .

---

(1) جرجي زيدان : المرجع السابق ص ٢٤٣-٢٤٥ ، محمد مبروك نافع : المرجع السابق ص ٩٦، محمد بيومى مهران : تاريخ العرب ص ٥٦٣ ، قارن بلاشر : المرجع السابق ص ٢٩ وكذا :

JA, no: VI, XIX, (1872)

وقد عرف الغساسنة بعدة اسماء منها " ازدعسان "، اما "ازد" فهي قبيلة يمنية و " غسان " اسم ماء فى احد مناطق جنوب الجزيرة العربية وعندما نزلوا عليه عرفوا باسم " ازدغسان " وعرف من جاء من نسلهم باسم الغساسنة [1]، كما عرف الغساسنة ايضا باسم" ال ثعلبة " نسبة الى احد جدودهم الذى كان اسمه " ثعلبة بن مازن " [2] ، كذلك سموا " ال جفنة " و " اولاد جفنة " وذلك نسبة الى اول ملوكهم وهو" جفنة بن عمرو مزيقياء ، او نسبة الى "جفنة " وهى قبيلة من غسان من اليمن [3] .

---

(١) مروج الذهب — ج٢ — ص ٨٢-٨٣ ، ابن خلدون — ج٢ — ص ٣٣٣-٣٣٤ ، القاموس المحيط ج٣ ص ٢٤٣ ، معجم البلدان ج٢ ص ٣٢٩ ، ج٤ ص ٢٠٣-٢٠٤ ، حمزه الاصفهانى — المرجع السابق ص ٩٨-٩٩ ، نهاية الارب ص ٣١٤ ، المختصر فى اخبار البشر — ج١ ص ٧٢ ، تاريخ اليعقوبى — ج١ ص ٢٠٢ ، لسان العرب ج١٣ ص ٣١٣ ، دائرة المعارف الاسلامية — المجلد الثالث ص ١٦٨ ، جواد على : المرجع السابق — ج٣ ص ٣٨٧ ، محمد مبروك نافع : المرجع السابق ص ١١١ • وأزد هي نطق محلى جنوبى لكلمة أسد•

(٢) جمهرة انساب العرب ج٢ ص ٣٣١ ، ابن حبيب : المحبر — ص ٣٧١ ، نهاية الارب ص ٣١٤ ، تيودور نولدكه : امراء غسان من ال جفنة — بيروت ١٩٣٣م ص ٤ ، جواد على : المرجع السابق ج٣ ص ٣٩١ ، عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ٢٢٥ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٥٦٥ •

(٣) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٥٨ ، جمهرة انساب العرب ج ٢ ص ٣٣١ ، المعارف ص ٦٤ ، نهاية الارب ص ٣١٤ ، لسان العرب ج١٢ ص ٩١ ، تاريخ ابن خلدون — ج٢ ص ٣٣٣-٣٣٤ ، حمزه الاصفهانى : المرجع السابق ص ٩٨-٩٩ ، جواد على : المرجع السابق — ج٣ ص ٣٨٧-٣٨٩ ، جرجي زيدان : المرجع السابق — ص ٢٤٣ ، صالح احمد العلى : المرجع السابق — ص ٥٧ ، عبد العزيز سالم : المرجع السابق — ص ٢٢٤ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق — ص ٥٦٥ •

هاجر الغساسنة الى بلاد الشام وبعد تجوال فيها استقروا اخيرا في منطقة " حوران " بجنوب سورية حيث كان" الضجاغمة " وهم من قبائل بنى " سليخ بن حلوان " من قضاعة استوطنوا فيها ، فعاش الغساسنة بجانبهم ،ولكن بعد مضى فترة زمنية قامت الخلافات والنزاعات بينهما وانتهى الامر بانتصار الغساسنة على الضجاغمة ، فسيطر الغساسنة على هذه المنطقة وحكموها بدلا من الضجاغمة من بنى سليح (١).

وقد كون الغساسنة لهم مملكة فى بلاد الشام بحيث شملت اجزاء في كل من مايعرف اليوم بسورية وفلسطين والاردن وقد اعترف الروم بدولة الغساسنة ولكن تحت ظل سيادتهم ، فكانت دولتهم بذلك دولة شبه مستقلة ، وقد قامت دولتهم للروم مثل ماقامت به دولة المناذرة للفرس ، فقد اتخذ الروم من دولة الغساسنة حاجزا يصد عنهم شر هجمات القبائل البدوية لحدود دولتهم كذلك التصدى لاى توسع اقليمى من قبل الفرس نحو مناطق نفوذهم كما استعان الروم بالغساسنة فىحروبهموصراعاتهم مع الفرس ، وكان للغساسنة ايضا مهمة جمع الضرائب للروم منالقبائل العربية المحيطة بدولتهم (٢).

---

(١) حمزه الاصفهانى : المرجع السابق ص ٩٩ ، تاريخ اليعقوبى — جا ص ٢٠٦-٢٠٧ مروج الذهب — ج٢ ص ٨٢-٨٣ ، تاريخ ابن خلدون ج٢ ص ٣٣٣-٣٣٤ ، المحبر ص ٣٧٠-٣٧١ ، المعارف ص ٦٤٠ ، جمهرة انساب العرب ج٢ ص ٤٥٠ ،جواد علي: المرجع السابق ج٣ ص ٣٩٢ -٣٩٨ ، فيليب حتى : تاريخ سورية — جا — ص ٤٤٦ ، محمد مبروك نافع : المرجع السابق ص ١١١ ، عبد العزيز سالم: المرجع السابق ص ٢٢٥ ، محمد بيومىمهران : المرجع السابق ص ٥٦٤-٥٦٥ سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ص ٢٠٤-٢٠٥ ، نولدكه : المرجع السابق ص ٦ وكذا : O'Leary, op.cit, p.162, Trimingham, op.cit.p.179.

(٢) تاريخ ابن خلدون : ج٢ ص ٣٣٣-٣٣٤ ، كتاب التيجان ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ — ٢٨٨ ، محمدمبورك نافع : المرجع السابق — ص ١١١-١١٢ — ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٥٦٢ ،عمر فروخ : تاريخ الجاهلية — ص ٦٨ ، صالح احمد العلى : المرجع السابق — ص ٥٦ ، وكذا :

Ency. Britan. (Micro Vol.IV, p.518), Ency. of Islam, 11, p. 1020.

وقد بلغت دولة الغساسنة في ذروة اتساعها المنطقة الواقعة الى الشرق من نهري العاصي والشريعة (الارنت والاردن) ، ومن اطراف العراق شمالا الى خليج العقبة جنوبا [(١)]، فشملت بذلك اراضي تدمر ، والجولان ، والبلقاء والصفا ، وحوران ، وفينيقية ، وبصرى ، والرصافة ، واليرموك [(٢)]، ولم تكن سلطة الغساسنة تقف عند حدود معينة فهي - بشكل عام - كانت مفروضة على كل القبائل الضاربة في الشام من شمالها وجنوبها وحتى التي كانت ترحل الى اعماق الصحراء [(٣)] .

ونظرا للخلاف القائم بين المؤرخين العرب القدامى حول عدد ملوك الغساسنة وكذلك اسماؤهم وفترة حكمهم فقد اصبح من الصعب تحديد بالضبط بداية قيام دولة الغساسنة وبالتالي فترة حكمهم ، فعدد ملوك الغساسنة حسب ما ورد في كتابات هؤلاء المؤرخين -- يتراوح ما بين احد عشر واثنين وثلاثين ملكا [(٤)]، وعلى ذلك فقد اختلف المؤرخون المحدثون في تحديد فترة حكم الدولة الغسانية ، فهناك من قدر فترة حكم ملوك الغساسنة ما بين (٥٠٠- ٦٣٥ او ٦٣٦م) [(٥)]،واخر

---

(١) محمد مبروك نافع : المرجع السابق ص ١١٢ .

(٢) فيليب حتى : المرجع السابق : الجزء الاول ص ٤٤٨ ، عبدالعزيز سالم : المرجع السابق ص ٢٣٨ ، نولدكه : المرجع السابق ص ٣٢-٤٤، ٥١-٥٥ ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق - ص ٥٦٦ .

(٣) سعد زغلول عبدالحميد : المرجع السابق - ص ٢١٣.

(٤) حول هذا الموضوع راجع حمزه الاصفهاني : المرجع السابق ص ٩٩، ١٠٤، المختصر في اخبار البشر - جا ص ٧٢-٧٣ ، تاريخ ابن خلدون : ج٢ ص ٢٨٢ ، مروج الذهب - ج٢ ص ٨٢-٨٦ ، المعارف : ص ٦٤٢ جواد علي / المرجع السابق ج٣ ص ٤٤٣-٤٤٨، محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٥٦٧ - ٥٧٥ .

(٥) نولدكه : المرجع السابق - ص ٥٧-٦٧ ، جرجي زيدان : المرجع السابق ص ٢٤٩ ،جواد علي : المرجع السابق - ج٣ ص ٤٤٤.

بأنهم حكموا مابين (٢٢٠ - ٦٣٣ م)[1]، وقد كانت نهاية اخر ملوك الغساسنة على ايدى المسلمين فى النصف الاول من القرن السابع الميلادى حيث دخلت فـي حوزة الدولة الاسلامية ٠

الغساسنة والتجارة بين الجزيرة العربية وفلسطين :

وقد استفاد العرب الغساسنة فى الشام من موقع دولتهم الممتـاز كعقدة الوصل بين المشرق وعالم البحر المتوسط فاشتغلوا بالتجارة فجمعـوا منها الثروات وظهروا بمظهر الملوك مثلهم فى ذلك مثل اسلافهم ملوك الانبـاط وتدمر والحضر وغيرهم [2]، وبسقوط دولة تدمر العربية انتقلت الطرق التجارية مرة اخرى الى الجنوب وحلت مدينة " بعرى "[3] وغيرها من مدن دولة الغساسنة محل تدمر وورثتها كما سبق وان ورثت تدمر " البتراء "[4]، فاصبحـت

---

(١) جرجى زيدان : المرجع السابق ص ٢٥٣-٢٥٤٠

(٢) سعد زغلول عبد الحميد / المرجع السابق ص ٢٠١ ٠

(٣) بصرى مدينة قديمة فى اقليم حوران وهى تعرف اليوم باسم بصـرى الشام وهى تقع فى محافظة درعا بسورية وتبعد حوالى ٥٧ ميلا الـى الجنوب من دمشق ، ويعرفها الاتراك باسم " اسكرشام " او " الشـام القديمة " ٠
انظر : فيليب حتى / تاريخ سورية - جا - ص ٣٢٣
وكذا : (EB., Micro., II, p.214).

(٤) محمد مبروك نافع : المرجع السابق - ص ٩٤٠

دولة الغساسنة - بحكم موقعها - تسيطر على طرق القوافل التجارية وبالتالى تتحكم فى التجارة الدولية فى تلك الفترة التى تمر عبر اراضيها.

وقد استغل التجار الغساسنة موقع دولتهم كمحطة رئيسية لنزول القوافل التجارية عند التقاء الطرق التى تعبر الصحراء من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب وكذلك من الجزيرة العربية الى بلاد الشام فدولتهم كانت همزة الوصل بين اراضى الفرات الشمالية الغربية الخضبة (مابين الحيرة وتدمر) وبين أراضى الشام الشمالية الشرقية (مابين تدمر وخليج العقبة) وكذلك همزة الوصل مابين الحيرة والبتراء عبر شمالى الجزيرة العربية .

ومما تجدر الاشارة اليه أن هناك نقصا كبيرا فى المعلومات عن تاريخ الغساسنة فضلا عن انه تاريخ يلفه الغموض ، لذلك فان الحديث عن نشاط الغساسنة التجارى يصطدم بنفس المشكلة وهى عدم توفر معلومات تاريخية عن التجارة فى عهد الغساسنة ، وعليه فان المعلومات التاريخية عن التجارة فى عهدهم ستبقى مسالة مبنية على النظريات والافتراضات وكذلك قياسا على ماكان قد جرى فى عهد اسلافهم من الممالك العربية الشمالية مثل مملكة لحيان والانباط وتدمر وان اى معلومات تاريخية حو لهذا الموضوع ستتوفر مستقبلا فانها سوف تؤثر على ماقد نتوصل اليه من نتائج لهذه الافتراضات والنظريات .

وعندما نتصفح ماورد عن حضارة الغساسنة فاننا نجد انه كانت لهم حضارة مزدهرة كان من مظاهرها انهم شيدوا العديد من المدن والقرى فى دولتهم مثل " القسطل " و " اذرح " و " الحرباء " ، كذلك أنشأوا القلاع والقصور مثل " قصر صرح الغدير " و "القصر الابيض" و " قصر المشتى " و " قصر الصفا " و "قصر السمار " و " قصر السويداء " و "قصر بركة " و "قصر أبين " و " القلعة الزرقاء " وغيرها كما شيد الغساسنة الاديرة مثل " دير الكهف" و " دير هند " وايضا عدة اقواس النصر والصهاريج وقناطر الماء والمسارح وغير ذلك من الابنية والانشاءات العامة ، وقد عثر علماء الاثار على بعض من آثار

الغساسنة وخرائب وانقاض بعض هذه الانشاءات فى اطراف منطقة " جوران " فى بلاد الشام (١)، وعلى ذلك يمكن القول ان تطورهم الحضارى وازدهار مدينتهم هو دليل على مدى حالتهم الاقتصادية المزدهرة لان التطور والازدهار الحضارى يكون من نتاج الازدهار الاقتصادى فى اى مجتمع أو دولة .

وهناك شواهد اخرى تدل على ما وصل اليه الغساسنة من غنى وثروة وكيف كان ملوك الغساسنة يعيشون حياة مليئة بالبذخ والترف . ففى وصف لاحدى مجالس الملك الغسانى " جبله بن الابهم " ورد ان المغنيات اللاتى كن يغنين فى مجلسه من جنسيات مختلفة والموسيقيين من كلا الجنسين ويقوم بخدمته عدد كبير من الجوارى الروميات ، وأنه اذا جلس فرش الياسمين والاس والرياحين من تحته وكان يقدم له المسك والعنبر فى صحاف من ذهب وفضة ويوقد له العود المندى اذا كان شاتيا ، وان كان صائفا يبطن بالثلج ، وكان هو واصحابه يلبسون فى الصيف ملابس تميزهم عن غيرهم ، وفى الشتاء يلبسون فراء الفنك وهو من اجود واغلى انواع الفراء (٢) ، وفى كل هذا - اذا صح - دليل على ما كان يتمتع به الغساسنة من ترف وبذخ كنتيجة لمدى غناهم وثروتهم .

---

(١) جرجى زيدان : المرجع السابق ص ٢٦٠-٢٦٢ ، محمد مبروك نافع : المرجع السابق ص ١١٥ ، عبدالعزيز سالم : المرجع السابق ص ٢٤٠ ، وكذا : Ency., of Islam, II, p.1021.

(٢) الاغانى : الجزء ١٨ ص ٦٤٥٢-٦٤٥٣ (طبعة دار الشعب ١٩٧٠) ، محمد درويش طاهر : حسان بن ثابت - القاهرة ١٩٧٤ م - ص ١٤٧-١٤٨ ، قارن : محمد مبروك نافع / المرجع السابق ص ١١٥ ، احمد امين : المرجع السابق : ص ٢١ ، فيليب حتى : المرجع السابق - جـ١ - ص ٤٥١ ، عبدالعزيز سالم : المرجع السابق - ص ٢٤١ . وكذا : Nicholson, ALiterary History of the Arabs, p.53.

وعلى هذا النحو يمكن أن نستنتج ، اعتمادا على المصادر الادبيــــة ، أن الغساسنة كانوا أصحاب حضارة راقية جاءت وليدة الازدهار الاقتصادى فـــي دولتهم ، جعلت منهم أصحاب ثروة عظيمة ، واذا حاولنا معرفة مصدر غناهـــم وثروتهم فاننا لانجد اى وسيلة أفضل من التجارة فهى كانت اعظم مصدر للثـــروة والغنى لجميع الممالك العربية الشمالية ، وبالمقارنة لما وصل اليه أسلافهـــم اللحيانيون والانباط والتدمريون من غنى وثروة عن طريق اشتغالهم فى مجـــال التجارة فان افتراض أن الحالة نفسها قد تكررت فى عصر الغساسنة تصبح مسألـــة أكثر قبولا ٠

وقد فتحت التجارة للغساسنة بابا كبيرا للرزق ، فمنهم من كان تاجـــرا، ومنهم من كان يصاحب القوافل التجارية دليلا لهم عند المرور فى ارضهم لمعرفتهـــم بمسالك الطرق عبر الصحراء ، وقد استفادوا من التجارة ماديا حيث كانت تدر عليهم أرباحا عالية ، وكانت دولة الغساسنة تتقاضى المكوس العالية عن التجارة التـــي تمر فى بلادهم ، كما كانت تتقاضى مكوسا عالية عن التجارة التى تحمل اليهـــا فى أسواقها وقد جنت من ذلك ثروة طائلة (١) ، وكانت القوافل التجارية المحملـــة بالتجارة النفيسة لاتجد بدا من دفع هذه المكوس حتى تضمن سلامتها وحمايتهـــا من غارات البدو عند مرورها فى المناطق الصحراوية ٠

ومن صور العلاقات التجارية بين الجزيرة العربية وفلسطين ذلك النشـــاط التجارى الذى كان قائما بين قريش والغساسنة ، فقد استفاد اهل مكة من ســوء الاوضاع التى طرأت على اليمن بعد احتلاله من قبل الاحباش فى القرن السادس الميلادى وكذلك من تردي الاوضاع السياسية والاضطرابات والصراعات المستمرة بين الوطنييـــن والغزاة الاحباش فانحسر كل نفوذ سياسى او عسكرى كان لحكومات اليمن فى الحجـــاز، او على بعض القبائل ، فوجدت قريش نفسها حرة مستقلة وفى وضع يمكنها من الاشتغال بالتجارة

---

(١) جواد على : المرجع السابق — جـ٧ — ص ٤٧٨ —٤٧٩ ، قارن تاج العـــــروس — جـ ٥ — ص ٤٦١ ٠

فقامت بمهمة الوسيط التجارى ، فكانت تنقل تجارة أهل اليمن والعربية الجنوبية الى أسواق فلسطين ، كما كانت تنقل تجارة بلاد الشام وحوض البحر المتوسط الى الحجاز ، ونجد واليمن [١]، والى هذه الحقيقة يشير القرآن الكريم فى سورة قريش : " لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف • فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف " •

وكانت مكة قاعدة قريش التجارية ، فمنها تنطلق القوافل التجارية الى بلاد الشام حتى تصل الى المناطق التابعة لنفوذ الدولة البيزنطية ، وأول ماتنزل فى "ايلات "على خليج العقبة ، ومنها تستمر بعد ذلك الى "غزة " حيث تتصل هناك بتجارة البحر المتوسط ، ثم تأخذ طريقها من "غزة " لتعبر الصحراء السورية حتى تصل الى " بصرى "، التى كانت مركزا تجاريا هاما ، فتفرغ حمولتها من السلع والبضائع فى أسواقها [٢] ، " وبصرى "كانت من أهم المدن التى يرد عليها عرب الحجاز للتجارة ، وهى آخر مكان فى الشمال يصل اليه تجار مكة ،فيقيمون فيها ويبيعون ويشترون ويدفعون الضرائب للجباة البيزنطيين او الغساسنة ، ثم يعودون الى بلادهم ومعهم ما اشتروه من تجارات بلاد الشام ، او من صناعاتها او المستورد اليها من بلاد الروم ومن اوربا ، ومن سلع حية مثل الرقيق الذى كان يباع فى بصرى[٣] •

---

(١) جواد على / المرجع السابق - جـ٧ - ص ٢٨٥ ، احمد امين : المرجع السابق - ص ١٣ ، احمد ابراهيم الشريف: المرجع السابق - ص ١٥٤-١٥٥، ٢٠٠ وما بعدها وعن احتلال الاحباش لليمن والاوضاع السياسية فى ظل الاحتلال الحبشى انظر محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم - ص ٣٦٨ - ٣٩٠ ، احمد ابراهيم الشريف : المرجع السابق - ص ١٥١-١٥٤•

(٢) O'Leary , op.cit., p. 187.

(٣) جواد على : المرجع السابق - جـ ٢ - ص ٦٥٢-٦٥٣•

وتحمل قوافل قريش التجارية فى رحلة الصيف (١) الى الشام منتجات بلاد اليمن من البخور واللبان واللادن والعطور والاحجار الكريمة والجلود ، كما تحمل حاصلات افريقية الشرقية من العطور والاطياب وخشب الابنوس وريش النعام والذهب والجلود والعاج والرقيق ، وكذلك حاصلات جزيرة سقطرة من العود والند ، وتحمل قوافلهم ايضا السلع الواردة من الهند التى ترد الى موانى جنوب الجزيرة العربية واهمها الذهب والقصدير والحديد والصفر والاحجار الكريمة والعاج وخشب الصندل والتوابل والافاوية كالبهار والفلفل والمنسوجات الحريرية والقطنية والكتانية والارجوان والميعة والزعفران والاوانى الفضية ، ومن البحرين اللؤلؤ . (٢)

أما السلع التى كانت تعود بها قوافل قريش من الشام فكان أبرزها الزيت والقمح والدقيق والجوارى والمواد المصنعة فى هذه المنطقة كالاسلحة والمنسوجات بالاضافة الى ماتحمله من منتجات بلاد العرب نفسها من البلح والزبيب والقرظ والصوف والشعر والسمن والجلود (٣) .

---

(١) أشار القرآن الكريم الى تجارتهم فى الصيف فى سورة قريش ، فقد ذكر القرآن خبر رحلتين لقريش احداهما فى الشتاء والاخرى فى الصيف فى معرض بيان فضل الله عليهم فقال تعالى: " لايلاف قريش ، ايلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت ، الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف " . انظر تفسير ابن كثير - ج٤ - ص ٥٥٣ ، تفسير النسفي - ج٤ - ص ٣٧٨ ، تفسير القرطبى : ص ٧٢٩٠ - ٧٢٩٩ ، ظلال القرآن - ج ٦ - ص ٣٩٨٣ .

(٢) أحمد ابراهيم الشريف: المرجع السابق - ص ٢٠٥-٢٠٦ ، قارن ابراهيم بيضون: الحجاز والدولة الاسلامية - بيروت ٩٨٣ - ص ٦٩-٧٠ ، جواد على : المرجع السابق ج ٧ - ص ٢٩١ - ٢٩٤ ، ٣٠٧ - ٣١١ ، فيليب حتى / المرجع السابق: ج١ - ص ٤٢٥ ، ٤٣٣ .

(٣) أحمد ابراهيم الشريف: المرجع السابق ج ص ٢٠٦ ،قارن ابراهيم بيضون: المرجع السابق - ص ٧٠ ، جواد على : المرجع السابق: ج٧ - ص ٢٩١ - ٢٩٤ ، ٣٠٧-٣١١ ، فيليب حتى : المرجع السابق - ص ٤٢٥ ، ٤٣٣ .

هذا ولم يكن ملوك الدولة البيزنطية يرسلون قوافل تجارية خاصة بهم لكى تتاجر فى الجزيرة العربية ، كما أن حكام الدولة التابعة لهم فى بلاد الشام (كالغساسنة) ، لم يتاجروا باسم حكومتهم وباسمائهم مع الجزيرة العربية ولكن التجار العرب (كالقرشيين) كانوا هم الذين يرسلون قوافلهم الى بلاد الشام فكانت هذه القوافل اذا دخلت مناطق نفوذ الدولة البيزنطية تدفع الضرائب الى التابعين للدولة فيسمح لهم بان يذهبوا الى الاسواق لكي يبيعوا تجارتهم ، وكانت "بصرى " هى السوق الرئيسية للتجار العرب ومنتهى قوافلهم ، فعلاقة اهل الحجاز ولاسيما اهل مكة بالشام كانت علاقة تجارية ، وعليها كانت تتوقف العلاقات السياسية فى أغلب الأحيان (١) .

وهكذا يبدو جليا أنه كانت هناك علاقات تجارية تربط الجزيرة العربية بفلسطين فى عهد الغساسنة حيث كانت قوافل تجار الحجاز ولاسيما القرشيون فى مكة تقوم بنقل السلع والبضائع الى أسواق فلسطين ، ومن ثم تعود منها محملة بسلع وبضائع مختلفة الى أسواق الحجاز واليمن ونجد ، وهذه العلاقات التجارية بين الحجاز والشام حقيقة تاريخية تؤكدها مصادر التاريخ الاسلامي فقد ورد فيها أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - رافق وهو ابن تسع سنوات قوافل قريش فى احدى رحلاتها التجارية الى مدينة " بصرى " فى الشام حيث اصطحبه عمه ابوطالب معه فى تلك الرحلة (٢) ، كذلك ورد فى هذه المصادر انه خرج - صلى الله عليه وسلم - مع قوافل قريش وهو فى الخامسة والعشرين من عمره الى الشام في تجارة للسيدة خديجة رضى الله عنها (٣) .

---

(١) جواد على : المرجع السابق - ج٢ - ص ٦٣٢ .

(٢) سيرة ابن هشام - ج ١ - ص ١٩١ ، تاريخ الطبرى - ج ٢ ص ٢٧٧-٢٧٨ ، الطبقات الكبرى - ج١ ص ١٢١ ، الكامل فى التاريخ - ج٢ ص ٢٣ ، البداية والنهاية ج٢ ص ٢٨٣ ، ٢٨٦ .

(٣) سيرة ابن هشام - ج١ - ص ١٩٩ ، تاريخ الطبرى - ج٢ ص ٢٨٠ ، الكامل فى التاريخ - ج٢ ص ٢٤-٢٥ ، الطبقات الكبرى - ج١ ص ١٢٩-١٣٠ ، البداية والنهاية - ج٢ - ص ٢٩٣ .

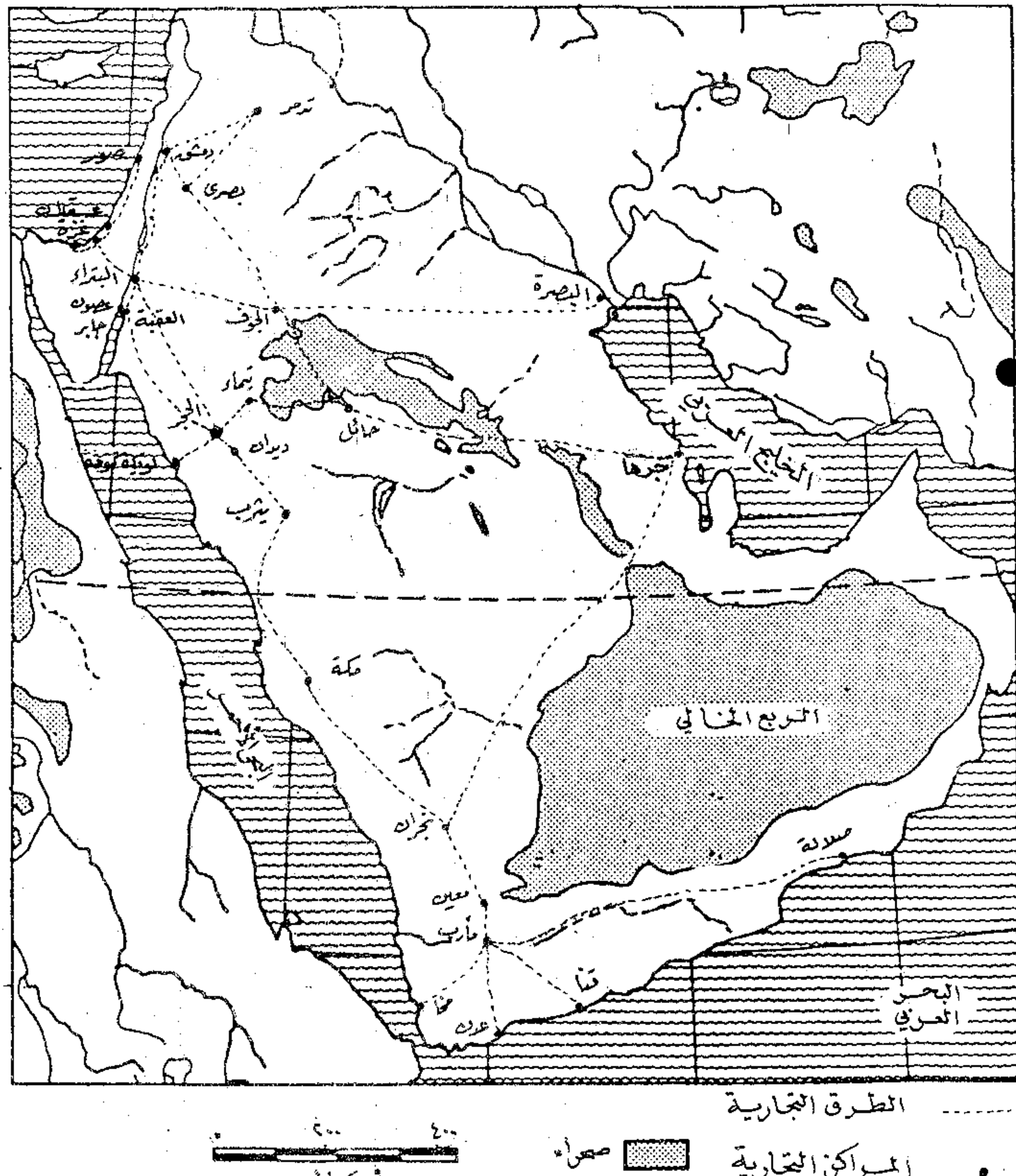
وأيضا عندما أسرى به صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى بالقدس وكذبه المشركون من قريش فانه راح عليه الصلاة والسلام يصف لهم قوافلهم التجارية العائدة بتجارتهم من الشام [1]، ومما تجدر الاشارة اليه أن غزوة بدر الكبرى كانت قد حدثت نتيجة اعتراض المسلمين لقوافل قريش التجارية العائدة من الشام فى ألف بعير محملة بالبضائع والسلع يقودها ويحرسها أبوسفيان [2]، وكم من مرة أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم السرايا لتعترض قوافل قريش التجارية العائدة من بلاد الشام .

...

---

(١) حول هذا الموضوع انظر : سيرة ابن هشام — ج٢ — ص ٣٦—٤٨ ، تاريخ الطبرى — ج٢ — ص ٣٠٨—٣٠٩ ، الطبقات الكبرى — ج١ ص ٢١٣—٢١٦ ، الكامل فى التاريخ — ج٢ — ص ٣٢—٣٧ ، البداية والنهاية ج ٣ — ص ١١٠ ، تفسير القرطبى : ص ٣٨٢٠—٣٨٢٨— تفسير ابن كثير — ج٣ — ص ٢—٢٤ .

(٢) انظر بالتفصيل : سيرة ابن هشام — ج ٢ ص ٢٥٧ ، البداية والنهاية — ج٣ — ص ٢٥٦ ، تاريخ الطبرى : ج٢ ص ٤٢١ ، الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ٨٠ .



الطرق والمراكز التجارية بين الجزيرة العربية وفلسطين في العصور القديمة

الفصل السادس

الفصل السادس

" علاقة الحجاز بفلسطين منذ عصر النبوة حتى الفتح الاسلامي "

١ ـ القدس قبلة الاسلام الاولى .

٢ ـ غزوة مؤتة .

٣ ـ غزوة تبوك .

٤ ـ بعثة أسامة بن زيد .

٥ ـ الفتح الاسلامي لفلسطين .

١ — القدس قبلة الاسلام الأولى :

تحتل القدس مكانة عظيمة فى نفوس المسلمين ، وهي كذلك منذ أربعة عشر قرنا ، ولاتزال هكذا فى الوقت الحاضر وستظل أبدا — ان شاء الله — حتى يرث الله الارض ومن عليها ، ويقدس المسلمون هذه المدينة لانها — بنصوص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف — ثالثة المدن الاسلامية المقدسة بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة ، فالى بيت المقدس أسرى به صلى الله عليه وسلم ومنه كان معراجه الى السماء ، وهو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، واليه تشد الرحال بعد المسجد الحرام ومسجد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وقبل الشروع فى بيان أهمية القدس عند المسلمين فانه من الاجدى أولا تحديد موقع القدس ، ومعرفة أسمائها ، ومن ثم اعطاء موجز عن تاريخها منذ تأسست فى الالف الثالثة قبل الميلاد وحتى الفتح الاسلامى.

— موقعها :

تقع القدس فى منطقة جبلية بوسط فلسطين ،وبالتحديد على خط عرض ٣١° — ٤٦° شمالا ، وخط طول ٣٥° — ١٣° شرقا ، وهى تبعد نحو ٥٢ كم عن البحر المتوسط ، و ٢٢ كم عن البحر الميت ، و ٢٥٠ كم عن البحر الاحمر (٢) وقد أقيمت على اربعة جبال وهى " جبل موريا " (المختار) القائم عليه الحرم الشريف (المسجد الاقصى ومسجد قبة الصخرة) ، و " جبل أكرا " ،و "جبل بزيتا " و " جبل صهيون " الذى يعرف باسم جبل داود (٣) ، ويحيط بالقدس

(١) Ency. Britannica, Vol. 10, p.271.

(٢) مصطفى مراد الدباغ : المرجع السابق — ج٩ — ص ١٢.

(٣) مصطفى مراد الدباغ — المرجع السابق — ج١ — ص ٢٤٨ ، عبد الحميد زايد: القدس الخالدة ; القاهرة ١٩٧٤م — ص ١٣ ، محمد بيومى مهران : اسرائيل — ج٢ — ص ٨١٣—٨١٤ ، وكذا :
Kanyon , K. Digging up Jerusalem , London, 1974, pp. 36-41 , Hastings, Dictionary., p.472.
جبل اكر معناها " الحصن " وبزيتا في الاصل الارامي " بيت زيتا " أى محله الزيتون وجبل صهيون اى " القمة " او " الصخر الصلب "(الصوان).

العديد من الجبال والتلال كجبل "الزيتون" (الطور) و"بطن الهوا"، و"سكوبس" ومثل " تل الفول " و" تل الكابوس " و "تل النصبة " و " تل القرين"، وتتخلل تلك الجبال والتلال العديد من الاودية مثل " وادى جهنم" و " وادى الجـــوز" (قدرون) و " وادى القلط " ، وغير ذلك [1] ، ومن أهم هذه الاودية "وادى ساباط" او وادى " يهوشافاط " الممتد بين جبل القدس حيث الحرم وقبة الصخرة وجبل الزيتون.

- القدس أم أروشليـــم :

عرفت مدينة القدس الشريف خلال تاريخها القديم الممتد من العصـــــــور القديمة وحتى العصور الحديثة بعدة أسماء ، هذا وأقدم اسم للقدس هو الـــــذى أطلقه عليها اقدم سكانها من العرب الكنعانيين وهو " مدينة السلام " او "مدينة اله السلام " وذلك نسبة الى " سالم " او " شالم = شاليم "[2]، ومن الواضح ان اسم المدينة مشتق من أصل سامى ، لان " أورشالم " هو اسم مركــــب من كلمتين " أور Ur " وتعنى موضع او مدينة ، ومن "شالم او شاليـــم = شليم" هو اسم الهوثنى لسكان فلسطين الاصليين وتعنى " اله السلام "[3] .

وقد ذكرت فى أحد النقوش المصرية القديمة وهو اقدم نقش ورد فيه اسم المدينة المقدسة تحت اسم " اورساليمو Ursalimu "[4] ، ويعود تاريخ هذا النقش الى نهاية القرن التاسع عشر قبل الميلاد وفى زمن سنوسرت الثالث " (١٨٧٨-١٨٤٠ ق.م) من الاسرة الثانية عشرة ورسماقبله او بعده بقليل[5]

---

(١) عبدالحميد زايد : المرجع السابق - ص ١٣-١٧ ، محمد بيومى مهـــران : المرجع السابق - ص ٨١٣-٨١٦ .

(٢) مصطفى مراد الدباغ : المرجع السابق - ج ٩ - ص ٢٢.

(٣) حسن ظاظا : القدس - الإسكندرية ١٩٧٠م - ص ٩.

(٤) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ٨١٩-٨٢٠ وكذا : Unger, M.F., Dictionary of the Bible p.576.

(٥) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ٨١٩ (هـ ٤) ، عبدالحميد زايد : المرجع السابق ص ٤١ (هـ١٢) وكذا : Unger, op.cit, p.576, Hastings, op.cit., p. 461.

كما وردت فى نقش مصرى آخر ، وذلك ضمن مايعرف باسم نصوص اللعنة " Execration " تحت اسم أوشاميم Aushamem [١] والذى يعود تاريخه الى ايام الاسرة الثالثة عشرة المصرية (١٧٨٦-١٦٥٠ ق٠م) [٢] كما وردت فى رسائل تل العمارنة التى تعود الى عهد الملكيين المصريين امنحتب الثالث (٥٠٤١-١٣٦٧ ق٠م)٠ وولده اخناتون (١٣٦٧-١٣٥٠ ق٠م) تحت اسم "اورسالم Urusalim " ، وذلك فى الرسائل التى بعثها حاكم " أورو سالم " واسمه " عبد خيبا " الى فرعون مصر [٣] ٠

وظلت تعرف باسم "اوروسالم" حتى استقل بها اليبوسيون بعد فترة الضعف التى أصابت الامبراطورية المصرية ، وقد أطلقوا عليها اسم " يبوس Jebus " [٤]، وقد بقيت كذلك حتى جاء داود (١٠٠٠-٩٦٠ ق٠م) واخذها من اليبوسيين وسماها "مدينة داود " [٥] وربما غير داود عليه السلام،

---

(١) احمد فخرى : مصر الفرعونية - ص ٢٣٥ ، عبدالحميد زايد: المرجع السابق - ص ٤١(هـ١٤) ، مصر الخالدة - القاهرة ١٩٦٦ - ص ٣٨٨ ، ٤٥٦ كذا : Pritchard, op.cit., p.329.

(٢) محمد بيومى مهران : حركات التحرير فى مصر القديمة - القاهرة - ص ١٠٣-١١٦ ، اسرائيل - جـ٢ - ص ٨٢٠٠

(٣) محمد بيومى مهران / المرجع السابق - ص ٨٢٠ ، ٨٢٦-٨٢٧ ، عبدالحميد زايد : القدس الخالدة ص ٤٢-٤٣ ، مصر الخالدة - ص ٦٣٨-٦٣٩ وكذا Pritchard, op.cit., pp. 487-489, King, op.cit.,pp.287-289, Hall, op.cit., p.348.

(٤) القضاة ١٩:١٠-١١ ، يشوع ٨:١٥ ، ٢٨:١٨ ، محمد بيومى مهران: المرجع السابق ص ٥٦٢ - ٥٦٣ ،وكذا Unger, op.cit., p.557, Hastings, op.cit., p.461.

(٥) صموئيل الثانى ٦:٥-٩ ، الملوك الاول ٢٠:٩ ،غزرا ١:٩-٢ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ٥٦٢ ، ٨٢٠ ، عبدالحميدزايد : القدس الخالدة - ص ٤٤-٤٦ ، وكذا : Hastings, op.cit., p.472.

اسمها القديم لانه كان غريبا على العبرانيين ، أو لانه اراد ان يخلد اسمه باطلاقه على المدينة القديمة ،ولو حتى على جزء منها ذلك لان اليهود اطلقوا كذلك على المدينة اسم " يورشالايم " (Yerushalayim) أو "اورشاليم " بـ ضافة لاحقة عبرية لكى تصبح عبرية اللفظ [1] .

كذلك وردت فى النقوش الاشورية باسم " اورساليمو Ursalimmu " فى حين وردت تحت اسم " هيروسوليما Hierosolyma فى النقوش اليونانية والرومانية [2]، ومن هذا الاسم اخذت الامم الاوربية اسمها المعروف فى الغرب وهو " جيروزاليم Jerusalem " واما فى اسفار العهد القديم فقد عرفت باسماء كثيرة ومتعددة [3] .

وبعد ان سيطر الرومان على فلسطين عام ٦٣ ق.م ، وفى عام ١٣٥م ، وبعد مذبحة هدريان الرهيبة والتى كانت ختاما لليهود فى فلسطين سياسيا وسكانيا ، غير الرومان اسم المدينة المقدسة واطلقوا عليها اسم " ايليا كابيتولينا Aelia Capitolina " او ايليا فقط [4]، وقد ظلت تحمل هذا الاسم " ايليا " حتى الفتح الاسلامى للقدس فى السنة الخامسة عشرة من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث عرفت بعدها باسم " القدس " و " بيت القدس " بضم الدال وسكونها ، و " بيت المقدس بفتح الميم وسكون القاف اى المكان

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق — ص ٨٢٠ ، حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٨ .

(٢) Unger, op.cit., p. 576.

(٣) عن اسمائها فى اسفار العهد القديم انظر : محمد بيومى مهران : المرجع السابق — ص ٨٢١ ، احمد سوسه : المرجع السابق — ص ٧١٨

(٤) عبد الحميد زايد : المرجع السابق — ص ١٥٤—٥٥ .

المطهر من الذنوب ، وأيضا " البيت المقدس " بضم الميم وفتح الـــــدال المشددة اى المطهر [1] .

وهكذا يلاحظ ان اسماء القدس التى دعيت بها عند الامم تعود فى أصلهـا الى تحريف اسمها الكنعانى[2]، وهو "اورشالم " او "اورسالم " وعندما غيـر داود هذا الاسم الى " مدينة داود " بعد احتلالها فانه سرعان ما حل محلـه اسمها القديم مرة اخرى بعد عصر سليمان فى اخريات القرن العاشر قبل الميـلاد، وقد ذكرت للمرة الاولى فى اسفار العهد القديم بهذا الاسم " اورشليم " فـي سفر يشوع (الاصحاح العاشر)،وعليه فالاسم الذى استعمله اليهود لهذه المدينـة هو تحريف لاسمها العربى الكنعانى " اورسالم " او "اورشاليم "[3]، وهو ليـس اسما عبريا فى الاصل بدليل انها كانت تعرف بهذا الاسم قبل دخول العبرانييـن إليها بشهادة النقوش المصرية القديمة منذ عهد الدولة الوسطى ، ورسائـل "تل العمارنة " من عهد الدولة الحديثة .

والواقع ان الاسم الغالب هو " القدس " ويبدو ان هذا الاسـم رافق المدينة منذ بداية تاريخها قبل نزول العبرانيين فيها وذلك منذ ان أقيمت فيها لاول مرة اماكن مقدسة خاصة بالعبادات القديمة عند الكنعانيين ، هذا ولم يذكر المؤرخ اليونانى هيرودوت فى تاريخه المشهور اسم " اورشليم " ولكنـه ذكر مدينة كبيرة ، عندما كان يتحدث عن الجزء الفلسطينى من بلاد الشام ، سماها " قديتس "مرتين فى الجزء الثانى والثالث من تاريخه ، وقد رأى احـد المستشرقين الفرنسيين ان هذا الاسم هو "القدس" على الارجح وهو محـرف

---

(١) مجير الدين الحنبلى : الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل – عمـان ١٩٧٣ – ص ٦ ، قارن: النويرى : نهاية الارب فى فنون الادب – القاهرة – ١٩٢٩م – جا ص ٣١٣ ، معجم البلدان – ج ٥ – ص ١٦٦.

(٢) سبق ان تحدثنا عن اصل للكنعانيين بالتفصيل على انهم من الشعـوب السامية واصلها من الجزيرة العربية.

(٣) مصطفى مراد الدباغ : المرجع السابق – ج٩ – ص ٤٠.

فى اليونانية عن النطق الارامى " قديشتا "(١)، حتى ان اليهود قد اطلقـوا عليها فى اسفار العهد القديم أحيانا اسم مدينة القدس(٢) ، وجبل القـدس(٣)، وفى العهد الجديد " المدينة المقدسة "(٤) .

...

موجز عن تاريخ القدس قبل الفتح الاسلامى :

هناك شبه اجماع بين العلماء والباحثين على ان اليبوسيين(٥) هـم أول من بنوا وسكنوا مدينة القدس ، وكان ملكهم المعروف باسم " ملكى صادق" (Malki - Saduqus = Melchisedek) يسكنها على أيام ابراهيم عليه السلام(٦) ، ولكن لايعرف متى تم بناؤها بالتحديد ،فاستمار

---

(١) حسن ظاظا : القدس — ص ٨ ، محمد بيومى مهران: المرجع السابق — ص ٨٢١-٨٢٢.

(٢) أشعياء ٤٨ : ٢ .

(٣) أشعياء : ٢٧ : ١٠ .

(٤) متى ٤ : ٥ .

(٥) اختلف العلماء حول أصل اليبوسيين ، فمنهم من راى انهم احدى القبائل الكنعانية وهو الذى يرجحه معظم العلماء والباحثين ، ومنهم مـن راى انهم بطن من بطون العرب الاوائل الذين هاجروا من الجزيرة العربية الى ارض كنعان فى حوالى عام ٣٠٠٠ ق.م. ومنهم من راى انهم من القبائل "الحورية" ومنهم من قال انهم من الحيثيين .(انظر : محمد بيومى مهران: المرجـع السابق — ص ٥٦٣) .

(٦) التكوين : ١٤ : ١٨ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق — ص ٨٢٤-٨٣٦ ، عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٣٩-٤٠ ، مصطفى مراد الدبـاغ : المرجع السابق — جـ٩ ص ٢٢، ٢٣ ، عارف باشا العارف : تاريخ القدس — القاهرة ١٩٥١ ص ١١ ، الاباء الفرنسيين — السير السليم فى يافا والرملة واورشليم — القدس ١٨٩٠-ص ٥١ ،وكذا : Josephus, Antiquities., BK I, ch.X :2, Unger, op.cit., p.557.

العهد القديم (التكوين ١٤:١٨) تذكر فقط ان " ملكي صادق " كان معاصرا لابراهيم الخليل ، عليه السلام ، والذى سبق أن أشرنا انه عاش فى الفترة (١٩٤٠ – ١٧٦٥ ق.م) وان كان هناك من حدد له الفترة (٢٢٦١–١٩٨٦ق.م) ، وعليه فان بناءها يكون قد تم قبل هذه الفترة التاريخية ، وتدل الحفريات التى اكتشفت حديثا على وجود سور للمدينة يعود تاريخه الى منتصف العصر البرونزى الثانى وفى حوالى ١٨٠٠ ق.م. كما عثر على فخار فى موقع المدينة التى بناها اليبوسيون يعود تاريخه الى عام ٢٢٠٠ ق.م. ، وربما أقدم من ذلك بكثير(١)، فى حين أن هناك من يرى أن مدينة القدس كانت موجودة خلال الألف الثالثة قبل الميلاد(٢) .

وهكذا يلاحظ أن بناء مدينة القدس ربما يعود الى الألف الثالث قبل الميلاد ، وقد ورد اسمها فى النقوش المصرية التى يرجع تاريخها الى أيام سنوسرت الثانى (١٨٧٨ – ١٨٤٠ ق.م) وفى النصوص التى عرفت بنصوص اللعنة ، كذلك ذكرت فى رسائل تل العمارنة ، وجميع ذلك يؤكد على مدينة موغلة فى القدم، وأن وجودها كان قبل وصول بنى اسرائيل فى حوالى ١٢٠٠ ق.م. الى أرض كنعان (٣)، وقد ظلت القدس فى أيدى اليبوسيين حتى بعد احتلال اليهود لأرض كنعان وبقيت غريبة على بنى اسرائيل كما تذكر أسفار العهد القديم (٤) .

---

(١) حول الاكتشافات الحديثة لاثار القدس انظر: Cattan, H., Jerus lem, London, 1981, p.20, Kenyon, K.M., . Digging up Jerusalem , London, 1974, Macalister, R.A.S., The Topography of Jerusalem, in CAH, II, Cambridge, 1965, Kenyon, K.M., Palestine in the Middle Bronze Age, in CAH, II-1, Cambridge, 1973.

(٢) Kenyon, Digging., p., 78-79.

(٣) محمد بيومى مهران : المرجع السابق – ص ٨٢٤–٨٢٨.

(٤) يشوع: ١٥:٦٣ ، القضاة : ١:٢١ ، ١٩:١٠–١٢ .

هذا وظلت القدس (اورشالم) فى أيدى أهلها اليبوسيين حتى استولى داود عليها فى العام السابع من الحكم ، وغير اسمها الى " مدينة داود" واتخذها عاصمة جديدة لمملكته الموحدة (١) ، وقد بقى اليبوسيون فى مدينتهم " يبوس " (اورشالم) حتى بعد ان استولى داود عليها (٢)، وقد اصبحت منذ هذا التاريخ مدينة مقدسة عند اليهود .

وبعد وفاة داود فى عام ٩٦٠ ق.م. حكم من بعده ابنه سليمان ، واستمرت عاصمة للمملكة الموحدة مايقرب من اربعين عاما ، وحتى وفاته فى عام ٩٢٢ق.م (٣) وقد دلت الحفريات الحديثة على أن القدس بقيت فى عهد داود كما هى دون اى توسع او تطوير فى حين أثبتت هذه الحفريات انها قد اتسعت وتطورت فى عهد سليمان لتبلغ مساحتها حوالى ١٥٥ فدانا (٤) ، ولعل أعظم الانشاءات التى قام بها سليمان فى القدس كانت المعبد أو مايعرف باسم " هيكل سليمان " الذى استغرق بناؤه حوالى سبع سنوات (٩٥٦-٩٤٩ ق.م) (٥) .

وبعد موت سليمان بدأ الصراع القبلى بين الاسرائيليين ، وانقسمت المملكة التى وحدها داود الى مملكتين منفصلتين ، مملكة فى الشمال تدعى " اسرائيل " والاخرى فى الجنوب وتدعى " يهوذا " . وقد اتخذت الاخيرة من

---

(١) عن عصر داود بالتفصيل انظر : محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٦٩٣-٧٤٣ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ .

(٢) صموئيل الثانى ٢٤ : ١٦-٢٥.

(٣) Albright, W.F., The Biblical Period, from Abraham to Ezra, New York, 1963,pp. 120-123.

(٤) عبد الحميد زايد : المرجع السابق - ص ٦٧-٧٥ وكذا :

Kenyon, op.cit., pp. 98-104, 116-118.

(٥) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ٨٤٤-٨٦٠ وكذا :

Kenyon, op.cit., pp. 119-123, Eissfeldt, O., The Hebrew Kingdom, in CAH,II,Cambridge, 1975,pp.594-601.

القدس (اورشاليم) عاصمة لها ، وقد تعرضت عاصمة مملكة "يهوذا" خلال عصر هذه المملكة (٩٢٢ — ٥٨٧ ق٠م٠) الى العديد من الاعتداءات وواجهت الكثير من المصائب والمحن [١] ، فقد هاجمها ملك مصر " شيشنق " في عام ٩١٧ ق٠م [٢] ، كما تعرضت لهجوم الفلسطينيين في عام ٨٥٠ ق٠م٠ واحتلها ملك دويلة اسرائيل " يهواش " (٧٩٦ — ٧٨١ ق٠م) [٣] ، وكذا خلال فترة حكم ملك يهوذا " احاز " (٧٣٤—٧٢٠ ق٠م) [٤] ، ولكنه عندما غزا الاشوريون مملكة يهوذا اثناء حكم الملك " حزقيا " (٧١٥ — ٦٨٧ ق٠م) سلمت القدس من الاحتلال الاشوري [٥] ، وقد ظلت بمنأى من الاحتلال حتى جاء الملك البابلي " بنو خذ نصر " واحتلها في عام ٥٩٢ ق٠م٠ ، بيد انها ظلت تحت حكم ملك يهوذا حتى عام ٥٨٦ ق٠م٠ عندما محت يد السبي البابلي مملكة يهوذا من الوجود ودمرت عاصمتها القدس (اورشليم) [٦] .

وقد بقيت آورشليم (القدس) تحت الحكم البابلي حتى جاء الملك الفارسي " كيروش الثاني " (٥٥٨ — ٥٣٠ ق٠م) فقضى على الامبراطورية البابلية في عام ٥٣٩ ق٠م٠، ومن ثم اصبحت اورشليم خاضعة لحكم الامبراطورية الفارسية [٧] ، وقد سمح " كيروش " لليهود المنفيين في بابل بالعودة الى

---

(١) محمد بيومي مهران : المرجع السابق — ص ٨٦٩ ، ٩٥١ ، ٩٩٣ ، وكذا :
Cattan, op.cit., p.23.

(٢) احمد فخرى : المرجع السابق — ص ٣٩٨ ٠
Hastings, op.cit., p.473.

(٣)

(٤) محمد بيومي مهران : المرجع السابق — ص ٩٦٩ ، قارن :
Hastings, op.cit., p.473.

(٥) محمد بيومي مهران : المرجع السابق — ص ٩٧٠ ، ٩٧٢ — ٩٧٥ ، الملوك الثاني ١٩:٣٥ ٠

(٦) الملوك الثاني : ١٢:٢٥ ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق — ص ٩٨٩ —٩٩٣٠ وكذا :
Hastings, op.cit., p.474.

(٧) محمد بيومي مهران : المرجع السابق — ص ١٠٣٢—١٠٣٣٠

أورشليم وإعادة بناء معبدها الذى كان " نبوخذ نصر " قد دمره فى عام ٥٨٧ ق.م (١).

وحين أفل نجم الفرس وسقطت دولتهم على يد الاسكندر المقدونى، فقد أظهر اليهود ولاءهم وخضوعهم وترحيبهم بالاسكندر المقدونى عندما استولى على اورشليم فى عام ٣٣٢ ق.م. فاصبحت منذ ذلك التاريخ خاضعة لحكم الأغريق وبعد وفاة الاسكندر المقدونى تقاسم قواده امبراطوريته فيما بينهم ، فآلت مصر الى بطلميوس (Ptolemy)وخضعت ولايات الشمال الى سلوقس (Selecus) وبعد صراع مرير بين بطلميوس وسلوقس انتصر بطلميوس وصارت اورشليم خاضعة لحكم البطالمة فى مصر منذ عام ٣١٩ ق.م. وحتى موقعة بانيون عام ١٩٩ ق.م.(٢)

وفى عام ١٩٨ ق.م. استولى ملك سورية السلوقى انتيوخوس ابيفاس الرابع على اورشليم فاصبحت بذلك خاضعة لحكم السلوقيين وقد تعرضت اورشليم بعد ذلك الى العديد من الفتن والثورات والحروب الدامية (٣) ، وحتى جاء القائد الرومانى " بومبى Pompy " فاحتل اورشليم فى عام ٦٣ ق.م. ودخلت بذلك تحت حكم الرومان (٤) ، وقد ظل الرومان يتحكمون فى مقاليد الامور فى أورشليم حتى جعلوها ولاية رومانية ، وتعاقب بعد ذلك الولاة الرومان على حكم اورشليم

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ١٠٣٤-١٠٤٣.

(٢) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ١١٠٥- ، عبد الحميد زايد: المرجع السابق ص ١٠٩ ، مصطفى مراد الدباغ: المرجع السابق - ج٩ - ص ٥٥-٥٦ ، وكذا. Josephus, Antiquities., BK. XI, ch. VIII : 3-7.

(٣) عن الثورات والحروب والفتن التى عمت فلسطين خلال هذه الفترة بالتفصيل انظر : محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ١١٠٥-١١٢٦- ، عبد الحميد زايد/ المرجع السابق - ص ١١٠-١١٥ ، مصطفى مراد الدباغ: المرجع السابق - ص ٥٥-٥٨.

(٤) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ١١٢٧- ، عبد الحميد زايد : المرجع السابق - ص ١١٦. وكذا :

Cattan , op.cit., pp. 23-24.

وخلال هذه الفترة التاريخية كانت ولادة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فى مدينة " بيت لحم " وذلك فى اواخر حكم " هيرودوس " (٣٧ - ٤ ق.م) ، وقد عاش عليه السلام حياته فى مدينة "الناصرة " و "الجليل" وكانت اورشليم مكان تبشيره بدعوة التوحيد ، وفيها يعتقد المسيحيون انه صلب ودفن (١) ، وقد اصبحت اورشليم منذ ذلك الوقت مدينة مقدسة عند المسيحيين (٢) .

وعندما قام اليهود بالعصيان والثورة على الحاكم الرومانى ، أرسل الامبراطور الرومانى " فسباسيان " ابنه " تيتوس Titus " للقضاء على هذه الثورة فهاجم " تيتوس "اورشليم فى عام ٧٠ ميلادية وقتل الكثير من اليهود (٣) ، وبقيت اورشليم مدينة خربة مدة طويلة لايسكنها سوى حامية رومانية ، ويبدو ان " تيتوس " لم يسحق اليهود نهائيا ، فقد ثار اليهود على الرومان مرة اخرى واستقلوا باورشليم فيما بين عامى ١٣٢ م الى ١٣٥ م (ثورة باركوكبا) ، ولكن الامبراطور الرومانى " هارديان " اخمد تلك الثورة ومحا اورشليم من الوجود ، وبنى فوقها مدينة جديدة سماها " ايلياكبيتولينا Aelia Capitolina " وقام الرومان بمذبحة ختمت مصير اليهود فى فلسطين كدولة وقومية ، ولم يسمح لليهود أن تطأ اقدامهم مدينة " ايليا " اطلاقا منذ عام ١٣٥ م حتى جاء الفتح الاسلامى فسمح المسلمون لهم بالعودة

---

(١) كذب الله سبحانه وتعالى دعوى اليهود والنصارى بان عيسى بن مريم عليه السلام قتل وصلب ، فيقول عز وجل فى القرآن الكريم : " وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وان الذين اختلفوا لفى شك منه ، مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما" (سورة النساء اية :١٥٧-١٥٨) .

(٢) وعن مولد المسيح عيسى بن مريم وحياته بالتفصيل راجع الفصل الرابع من هذا البحث .

(٣) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ١١٤٠-١١٥٥ وعبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ١٤١-١٤٧ ، مصطفى مراد الدباغ : المرجع السابق ج٩ ص ٥٩ ، ٦٨ - ٧٠ وكذا :
Cattan , op.cit., p.24,
Hastings , op.cit, p.475.

الى " ايليا " (القدس)[١] .

وعندما انقسمت الامبراطورية الرومانية الى قسمين ، كانت فلسطين تابعة للامبراطورية الرومانية الشرقية (الامبراطورية البيزنطية) فاصبحت "ايليا " تحت حكمها منذ القرن الرابع الميلادى حتى عام ٦١٤ م ، عندما احتلها الملك الساسانى "كسرى ابرويز " ، وظلت كذلك حتى استعادها منه الامبراطور البيزنطى " هرقل " فى عام ٦٢٧م ، ولم يدم انتصار "هرقل " طويلا فقد اعقبه مباشرة الفتح الاسلامى لمدينة " ايليا " فى السنة الخامسة عشر من الهجرة النبوية (٦٣٦ م) وذلك فى زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه[٢] .

...

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق - ص ١١٥٥-١١٥٧- ، عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ١٥٣ - ١٥٧ وكذا : Cattan, op.cit., p.24.

(٢) مصطفى مراد الدباغ : المرجع السابق - ج٩ - ص ٧٤-٧٧ ، عارف باشا العارف المرجع السابق - ص ٣٨-٤٠.

القبلة الاولى للمسلمين :

والقبلة بكسر القاف وسكون الباء هى فى الاصل الجهة ، وناحية الصلاة ، وهى وجهة المسجد التى يصلى نحوها [(١)]، وكان بيت المقدس قبل أن يأمر الله عز وجل بتغيير القبلة هو قبلة المسلمين . وهناك شبه اجماع بين العلماء والمفسرين المسلمين على ان الصلاة حينما فرضت فى مكة كانت الى بيت المقدس ، فالنبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى هو واصحابه فى مكة باتجاه صخرة بيت المقدس ، فكان يجمع بين استقبال الكعبة واستقبال صخرة بيت المقدس فى صلاته فكان صلى الله عليه وسلم يصلى بين الركنين ، اليمانى والاسود ، فتكون الكعبة بينه وبين صخرة بيت المقدس ، بمعنى أن الاتجاه كان الى الكعبة على ناحية بيت المقدس ، وعندما هاجر صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة تعذر الجمع بين القبلتين ، فامره الله بالتوجه الى بيت المقدس ، وقد استمر الحال على ذلك بضعة عشر شهرا ، كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر خلالها من الدعاء والابتهال الى الله بأن يجعل الكعبة المشرفة هى القبلة ، فأجيب الى ذلك وأمره الله سبحانه وتعالى بالتوجه فى صلاته الى البيت العتيق [(٢)] .

وظل الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون يصلون وهم فى المدينة باتجاه بيت المقدس مدة ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ، كما ورد فى الصحيحين [(٣)]

---

(١) لسان العرب — جـ١١ — ص ٥٤٤—٥٤٥ . وانظر : النويرى : المرجع السابق — جـ١ — ص ٣١٦ .

(٢) تفسير ابن كثير — جـ١ — ص١٨٩ ، تفسير الطبرى — جـ٣ — ص١٣٩ ، تفسير القرطبى — ص ٥٣٣ ، تفسير النسفى — جـ١ ص ٨٠ ، تفسير روح المعانى جـ٢ — ص ٥ ، تفسير المنار —جـ٢ ص ٢ ، تفسير الرازى — جـ٤ ص ١٠٣ ، ظلال القران — جـ١ ص ١٢٥ .

(٣) صحيح البخارى — جـ١ ص ١١٠ (كتاب الصلاة — باب فضل استقبال القبلة) جـ٦ — ص ٢٥، ٢٧ ، (تفسير سورة البقرة) ، صحيح مسلم — جـ٢ — ص ٣٧٤ — ٣٧٥ (كتاب المساجد — باب تحويل القبلة من القدس الى الكعبة) .

وكان عليه الصلاة والسلام يحب أن تكون الكعبة قبلته ،وان يوجه اليها ولكنه لم يكن يملك ان يغير قبلة المسلمين من تلقاء نفسه ، وماكان يتكلم بذلك تأدبا مع ربه الذى أحسن تأديبه ، سوى ان ينتظر امر الله تعالى ، فراح يقلب وجهه فى السماء متجها الى الله عز وجل مرتقبا حكمه ،فانزل الله عليه القرآن مستجيبا لما فى صدره صلى الله عليه وسلم ، ونزلت آية البقرة :

" قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يفعلون "(١) .

تحول القبلة الى الكعبة :

اختلفت الآراء فى تحديد التاريخ الذى تحولت القبلة فيه من بيت المقدس الى البيت الحرام ،فذكر أن ذلك كان يوم الاثنين للنصف من شهر رجب على رأس سبعة عشر شهرا او ثمانية عشر شهرا من مقدم الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، وقيل انه كان فى يوم الثلاثاء للنصف من شهر شعبان على راس ثمانية عشر شهرا وقيل ستة عشر شهرا مضت من سنى الهجرة النبوية (٢) ،

---

(١) سورة البقرة اية ١٤٤: ، تفسير ابن كثير — جـ١ ص ١٩٢-١٩٣: تفسير الطبرى — جـ ٣ ص ١٧٢-١٨٣ ، تفسير القرطبى — ص ٥٢١-٥٥٠ ، تفسير الرازى — جـ٤ ص ١٠٩-١٢٧ ، روح المعانى — جـ٢ ص ٨-١١ ، تفسير المنار، جـ٢ ص ١٣-١٨.

(٢) حول هذه الاراء بالتفصيل انظر: ابن هشام — جـ٢ ص١٩٨، ٢٥٧ ، تاريخ الطبرى جـ٢ ص ٤١٥-٤١٧ ، الكامل فى التاريخ جـ٢ ص ٨٠ ، البداية والنهاية جـ٣ ص٢٥٣ ، الطبقات الكبرى — جـ١ ص٢٤١-٢٤٤.

ويميل الجمهور الاعظم من علماء السلف الى أنها كانت فى النصف من شهر شعبان من السنة الثانية لهجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وكانت صلاة العصر هى اول صلاة صلاها الرسول الكريم نحو الكعبة المشرفة كما ذكر انها كانت صلاة الظهر ، فقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين من الظهر فى مسجده بالمسلمين ثم أمر أن يوجه الى المسجد الحرام فاستدار اليه ودار معه المسلمون ، كما قيل ان الرسول زار ام بشر بنت البراء بن معرور، من بنى سلمة ، وهناك فى صلاة الظهر امر بالتوجه الى الكعبة المشرفة ،فاستدار اليها ، فسمى مسجد بنى سلمة هذا "مسجد القبلتين " [1]، وجاء فى الصحيحين عن ابن عمر انه قال: " بينما الناس فى صلاة الصبح بقباء ، اذ جاءهم آت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد انزل عليه الليلة ، وقد امر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها ، فكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة "[2]، ويبدو أن أهل قباء لم يبلغهم خبر تحول القبلة الى الكعبة حتى صلاة الفجر من اليوم الثانى ، كما ورد فى الصحيحين ، هذا وقد روى ابن مردويه عن ابن عمر : ان أول صلاة صلاها ، صلى الله عليه وسلم ، الى الكعبة كانت صلاة الظهر وانها الصلاة الوسطى ، والمشهور ان اول صلاة الى الكعبة كانت صلاة العصر ، ولهذا تأخر الخبر عن أهل قباء الى صلاة الفجر ، على رأى ابن كثير[3] .

ولم يمض تحويل القبلة من بيت المقدس الى البيت الحرام دون جدل من اليهود ، واتخاذ ذلك ذريعة للتشكيك فى رسالة محمد ، عليه الصلاة والسلام ، وفى الدين الاسلامى ، فعندما كان المسلمون يصلون باتجاه بيت المقدس ،كان

---

(١) الطبقات الكبرى - جا - ص ٢٤١ ، تفسير ابن كثير ج٢ ص ١٩٠.
(٢) صحيح البخارى - جا ص١١١ ، ج ٦ ص ٢٧ ، صحيح مسلم - جا - ص ٣٧٥.
(٣) تفسير ابن كثير - جا - ص ١٩٣.

اليهود سعداء بذلك ، وقد اعطاهم ذلك الفرصة ليطلقوا السنتهم بان اتجاه محمد فى الصلاة الى بيت المقدس هو دليل على صحة دينهم وان قبلتهم هى القبلة الاصل ، ولكنه عندما امر الله سبحانه وتعالى بالتحول الى الكعبة بدلا من بيت المقدس أبت اليهود الا ان توجد الشك والريبة بين المسلمين كما توقع بينهم بغية فتنتهم عن دينهم ، فراحوا يجادلون بما يعلمون ومما لايعلمون ، واخذ أحبارهم يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم مساومين: " ماولاك عن قبلتك التى كنت عليها وانت تزعم انك على ملة ابراهيم وثينه ، ارجع الى قبلتك التى كنت عليها نتبعك ونصدقك "(١) ، وهنا نجد المصطفى صلى الله عليه وسلم يتلو عليهم من وحى ربه : " سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط المستقيم "(٢) ، فانصرف اليهود بغيظهم ولم يحصلوا على شىء بحيلتهم الماكرة ومساومتهم الكاذبة والمكشوفة (٣)، وقد نسيت اليهود او تناست أن دين ابراهيم انما هو الاسلام وان الكعبة البيت الحرام ، وليس بيت المقدس انما هى التى بناها ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام ، وهكذا صارت الكعبة المشرفة قبلة المسلمين والى يوم القيامة ، أينما كانوا ولوا وجوههم شطرها وقد روى عن ابن عباس انه قال : "قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : البيت قبلة لاهل المسجد ، والمسجد قبلة لاهل الحرم ،والحرم قبلة لاهل الارض فى مشارقها ومغاربها من امتى" (٤) .

---

(١) ابن هشام — ج٢ — ص ١٩٨ ، تفسير الطبرى — ج٢ — ص ١٣٢.

(٢) سورة البقرة اية :١٤٢.

(٣) تفسير ابن كثير — ج١ — ص ١٨٩ ، تفسير الرازى : ج٤ ص ٩١-٩٢ ، تفسير الطبرى — ج٢ ص ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، تفسير القرطبى — ص ٥٢١ ، روح المعانى — ج٢ ص ٣ ، ظلال القران — ج١ — ص ١٢٥-١٢٧.

(٤) تفسير القرطبى — ص٥٤١.

مكانة القدس عند المسلمين :

يؤمن المسلمون عن يقين نابع من الاسلام أن بيت المقدس وما حوله هي أرض مقدسة ، لها مكانة عظيمة فى نفوسهم ، فهى مقر الأنبياء من لدن ابراهيم الخليل عليه السلام [(١)] ، ففيها أولى القبلتين للمسلمين قبل أن يتحولوا عنها الى مكة بناء على أمر الله سبحانه وتعالى ، كما بينا آنفا ، وهى ثالث الحرمين الشريفين بعد المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومسجد القدس من المساجد الثلاثة التي لاتشد الرحال الا اليها كماورد فى الصحيحين [(٢)] ، وبها مسرى النبى الكريم صلى الله عليه وسلم ومنطلق عروجه الى السماء ، كما ان للقدس ايضا فضائل عديدة تذكرها المصادر الاسلامية الاساسية - القرآن والسنة - جعلت لها هذا المقام العظيم عند المسلمين [(٣)] .

فالقدس ارتبط بمعجزة الاسراء والمعراج وذلك حين أسرى برسول الله محمد ، صلى الله عليه وسلم ، من مكة الى القدس ، ومن صخرة بيت المقدس كان عروجه صلى الله عليه وسلم الى السماوات العلى ، وقد سجل القرآن الكريم كل ذلك فقال تعالى فى سورة الاسراء : " سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير " [(٤)] ، وقال فى سورة النجم : " ولقد رءاه نزلة

---

(١) تفسير ابن كثير - ج ٣ - ص ٢ ، تفسير الطبرى - ج١٥ ص ٤ ، ابن الجوزى: المرجع السابق - ص ٨٤ .

(٢) صحيح البخارى - ج٢ ص ٧٦ ، صحيح مسلم - ج٢ ص ٩٧٦ ، ١٠١٤ .

(٣) حول فضائل القدس انظر : ابن الجوزى المرجع السابق ، مجير الدين الحنبلى : المرجع السابق - ج١ ص ٢٢٦-٢٤٢ ، المقدسى :فضائل بيت المقدس : تحقيق محمد مطيع حافظ ، بيروت ، ١٩٨٥ ، السيوطى : اتحاف الاخصاء بفضائل المسجد الاقصى - تحقيق احمد رمضان احمد - القاهرة - ١٩٨٢م .

(٤) سورة الاسراء : آية (١) .

أخرى ، عند سدرة المنتهى ،عندهاجنة المأوى . اذ يغشى السدرة مايغشى، مازاغ البصر وماطغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى " (١) .

فالقرآن الكريم كما جاء فيالايات السابقةهو السندالأعلىوالوثيقة الالهية التى لاتقبل النقض ، يثبت حدث الاسراء والمعراج ، وكما دل القرآن الكريم على معجزة الاسراء والمعراج ، فان الاحاديث الكثيرة دلت عليها بالتفصيل ، وقد اتفقت جميع الاحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها على انه أسرى به صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة الى بيت المقدس ، وانه عرج به صلى الله عليه وسلم الى السماوات العلى[٢] ، وعليه فالايمان بهذا الحديث العظيم وهذه المعجزة يصبح جزءا من عقيدة المسلمين .

واختلفت الآراء فيتاريخ حدوث هذه المعجزة التى اختص بها الله سبحانه وتعالى خاتم انبيائه محمد عليه الصلاة والسلام ، فقد ذكر انها كانت قبل البعثة بثمانية عشر شهرا[٣]، وقيل انها بعد بعثته بسبعة اعوام ، وقيل خمسة اعوام ، وان السيدة خديجة توفيت قبل ان تفرض الصلاة ، وقيل انها صلت مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وفيهذا دليل على انها كانت قبل الهجرة باعوام لان وفاة السيدةخديجة كانت قبل الهجرة بخمس سنوات وقيل باربع سنوات،

---

(١) سورة النجم : اية ١٣-١٨.

(٢) حول موضوع الاسراءوالمعراج بالتفصيل انظر: تفسير ابن كثير - ج٣ - ص ٢ - ٢٤ ، تفسير الطبرى - ج١٥ - ص ١-١٧ ، تفسير القرطبى ص ٣٨٢٠ - ٣٨٢٨ تفسير الرازى : ج٢٠ ص ١٤٥ ، ١٥٢ ،روح المعانى ج١٥ ،ص ٢-١٤ ،تفسير البحر المحيط - ج ٦ ص ٣-٦ ،صحيح البخارى - ج٥ - ص ٦٦-٦٩ ، ج ٦ ص١٠٤ صحيح مسلم ج ١ ص ١٤٥-١٥٤، ١٥٧-١٦١ ، ابن الجوزى : فضائل القدس تحقيق جبرائيل جبور - بيروت ١٩٦٩م ص ١١٦-١٢١ ، الطبقات الكبرى - ج ١ - ص ٢١٣-٢١٦ ، ابن هشام - ج ٢ - ص ٣٧-٤٩ .

(٣) تفسير الرازى - الجزء الثانى - ص١٤٦ ، تفسير البحر المحيط - ج ٦ - ص ٦.

وقيل بثلاث سنوات [1]، وهو الارجح ، كذلك ذكرأن ليلة الاسراء والمعراج كانت قبل الهجرة بسنتين [2] وعمر الرسول احدى وخمسون سنة ، ومن الملاحظ أن معظم الآراء تحدد تاريخ هذه المعجزة بسنة واحدة قبل الهجرة النبوية [3] حيث ذكر انها تمت فى شهر ذى القعدة ، وعلى قول فى ربيع الاول ، وقيل بل هى فى رجب [4]، وذكر انها فى رمضان ، وقيل فى شوال ، حكى انها فى السابع والعشرين من ربيع الاخر [5] ، هذا وقد رجح العلماء معجزة الاسراء والمعراج انها كانت فى السابع والعشرين من شهر رجب قبل الهجرة بسنة وبضعة اشهر ، وهو التاريخ الذى فرضت فيه الصلاة الخمس [6] .

وهكذا فان المسلمين ينظرون الى بيت المقدس نظرة تعظيم وتقديس ، وهو مرتبط — فى نظرهم — ارتباطا دينيا وثيقا بالمسجد الحرام ، ولايزال هناك شاهد حى للترابط الدينى بين المسجد الحرام والمسجد الاقصى [7] موجود

---

(١) تفسير القرطبى — ص ٣٨٢٦ .

(٢) الطبقات الكبرى — جا — ص٢١٣ ، البداية والنهاية — ج ٣ ،ص ١٠٨ ، المسعودى : التنبيه والاشراف — ص ٢٠٠ .

(٣) الكامل فى التاريخ — ج٢ — ص ٣٣ ، تفسير ابن كثير — ج٣ — ص ٢٢ ، تفسير القرطبى — ص ٣٨٢٦ ، تفسير الرازى — ج٢ ص ١٤٦ ، تفسير البحر المحيط ج٦ ص ٥ .

(٤) البداية والنهاية — ج٣ ص١٠٨—١٠٩ .

(٥) روح المعانى — ج١٥ — ص ٦—٧ .

(٦) تفسير ابن كثير — ج ٣ — ص ١٠٩ ، تفسير القرطبى — ص ٣٨٢٤ ، تفسير البحر المحيط — ص ٥ .

(٧) هو بيت المقدس ، وقد سمى بالمسجد الاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ،وكان اسم المسجد الاقصى يطلق فى الماضى على جميع الحرم القدسى (الحرم الشريف) الذى يحتوى على مسجد قبة الصخرة والمسجد الاقصى ، وبعد الفتح الاسلامى اصبحت تسمية المسجد الاقصى تطلق فقط على المسجد القائم فى الناحية الجنوبية من الحرم الشريف الى الجنوب من مسجد قبة الصخرة ، غير ان هناك فتوى من العلماء المسلمين فى الضفة الغربية من الاردن صدرت فى ١٩٦٧م وهى مستندة الى نصوص دينية (=)

فى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المسجد المعروف باسم " مسجد القبلتين " ، ولقد اختار الله سبحانه وتعالى المسجد الاقصى مكانا لاسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحكمة الهية ، ويبين احد علماء المسلمين ذلك بان الله سبحانه وتعالى اختار الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لان الكعبة كانت قد انطمرت كبيت من بيوت الله ولم يعد لها هذا المظهر وامتلات بالاصنام هذا شئ ، وبيت المقدس له قدسية مع موسى وعيسى وانبياء بنى اسرائيل ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث لقومه فقط اى انه لم يخص لعرب وانما جاء عالميا ، فاسراؤه من مكة الى بيت المقدس كانه آدخل بيت المقدس فى مقدسات دينه الجديد ، وهذه العملية توضح بان دينه هو المهيمن على كل البقع وكل مقدسات البقع ، وكذلك اتجهنا اليه اولا ، فلا يأتى واحد ليقول انتم لكم دينكم ونحن لنا ديننا ، صحيح ان دين محمد جاء فى مكة ولكنه مهيمن على سائر الكتب ، ورسوله مهيمن على مقدساتها وهذه المقدسات داخلة ايضا فى مقدساتنا ، وأصبح بيت المقدس فى مقدساتنا لانه صار منتهى مسرى النبى ، وبداية معراجه صلى الله عليه وسلم (1) .

...

(=) وتاريخية تفيد أن المقصود بالمسجد الاقصى هو جميع المساجد التى يحيط بها السور ، اى جميع ماهو فى داخل الحرم الشريف ، وقد ايد هذه الفتوى مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية فى الازهر الشريف الذى عقد فى مايو من عام ١٩٦٨م . (انظر : عبدالحميد زايد: المرجع السابق - ص ١٨١ ، مصطفى مراد الدباغ : المرجع السابق - جـ٩ ، ص ١١٨-١٢٤) .

(1) محمد متولى الشعراوى : الاسراء والمعراج - جدة - ١٩٧٤م - ص ٥٢-٥٣ .

٢ - غزوة مؤتـــة :

تعتبر غزوة مؤتة أول انطلاقة للمسلمين لنشر الدعوة الاسلاميـــة خارج حدود الجزيرة العربية ، كما تعتبر التمهيد للفتوحات الاسلامية فى بـــلاد الشام ، وبداية الصراع مع الرومان ،وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قـــد أدرك بحسه الواسع أن الامور فى المدينة مستقرة وأصبحت كذلك مركز قوة ، كمـا أنه اطمأن على انتشار الدعوة الاسلامية فى الجزيرة العربية ، وعليه فانـــه بدأ فى التطلع الى خارج الجزيرة العربية وفى البلاد المجاورة ،وانطلاقـــا من كون دعوته الاسلامية للناس كافة ، فقد بدأ فىتوجيه الرسل الىالملـــوك والحكام فىالبلدان المجاورة ، كما بعث الحملات العسكرية الى بلاد الشـــام فكانت غزوة مؤتة (١) ، وكانت غزوة تبوك التى قادها بنفسه ، وكان قـــد جهز جيش أسامة بن زيد لغزو الروم فى بلاد الشام وهو على فراش الموت لتصعد روحه الشريفة الى الرفيق الاعلى قبل أن يتحقق له رؤية ذلك ، وقد قام الخليفة

(١) يذكرها ابن سعد فى الطبقات الكبرى (ج ١ - ص ١٢٨) باسم " سريـــة مؤتة " وليس " غزوة مؤتة " وكلمة غزوة تطلق علىالجيش الذى قـــاده الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه لمحاربة الاعداء ، سواء حصـــل قتال أو لم يحصل ، أما السرية فتطلق على الجيش الذى أوكل الرســـول صلى الله عليهوسلم من ينوب عنه فى قيادته ، وهذا الاصطـــــلاح هو الغالب ، غير ان كلمة غزوة تطلق احيانا على ماهو فى الحقيقـــة سرية مثل " غزوة مؤتة " . (انظر احمد شلبى : موسوعة التاريـــخ الاسلامى والحضارة الاسلامية - القاهرة ١٩٨٤م ،ج١ - ص ٤٥٩) ، كمـــا يطلق ايضا على " غزوة مؤتة " اسم " غزوة جيش الامراء " وذلـــك لكثرة جيش المسلمين فيها وما تحملوه مع الكفار ، وربما لانلها أكثر من اميركلما قتل امير خلفه امير اخر (انظر : سعد المرصفى :الهجـرة النبوية - الكويت ١٩٨٢ - ص ٤٣٧) .

الاول أبوبكر الصديق بتنفيذ بعثة أسامة لنفس الغاية التى جهزها لها النبى صلى الله عليه وسلم ٠

– موقع غزوة مؤتة :

ومؤتة هى قرية تقع الى الشمال من الجزيرة العربية على حدود الشام (١) ، من قرى البلقاء (٢) ، فى حدود او مشارف الشام ، وكانت تطبع بها السيوف واليها تنسب المشرفية من السيوف (٣) ، وتقع شمال البتراء قرب الطرف الجنوبى من البحر الميت من جهة الشرق (٤) ، وذلك ضمن حدود المملكة الاردنية الهاشمية الان ، وهى تبعد بالتحديد ١٢ كيلو مترا جنوبى مدينة "الكرك" الاردنية ، و ١٠٦ كيلومترا جنوب شرق العاصمة الاردنية " عمان " كما تبعد عن المدينة المنورة ١١٠٠ كيلو مترا من الشمال (٥) ، وقد قطع الجيش الاسلامى الذى أرسله النبى الكريم صلى الله عليه وسلم كل هذه المسافة على ظهور الخيل والابل متحملين عظيم المشقة من أجل هدف سام وعظيم وهو نشر العقيدة الاسلامية خارج حدود الجزيرة العربية ٠

---

(١) بلاد الشام او الشام اسم يطلق على منطقة واسعة تمتد من شرق البحر المتوسط وحتى نهر الفرات غربا ، ومن الشمال الجمهورية التركية وحتى خليج العقبة وصحراء سيناء ، وتشمل كلا من سورية ولبنان وفلسطين والمملكة الاردنية الهاشمية فى الوقت الحاضر ٠

(٢) البلقاء مقاطعة جنوب بلاد الشام ، وهى الان احدى محافظات المملكة الاردنية الهاشمية ٠

(٣) معجم البلدان : جـ ه – ص ٢٢٠ ٠

(٤) شكرى فيصل : حركة الفتح الاسلامى فى القرن الاول – بيروت ١٩٦٧ (هـ ١) ص ٢٦ ٠

(٥) ابو الحسن على الحسنى الندوى : السيرة النبوية – بيروت – ١٩٨٤ م – هـ ١ ص ٢٧٧ ٠

أسباب غزوة مؤتة :

كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد بعث بكتاب الى امير " بصرى"(١) يدعوه فيه الى الاسلام ، فحمله الى امير " بصرى " الحارث بن عمير الأزدى ،وعندما وصل مبعوث المصطفى صلى الله عليه وسلم الى مؤتة ، عند حدود الشام اعترضه شرحبيل بن عمر الغسانى وقتله ، فساء ذلك الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، واشتد عليه (٢) ، وكان ذلك العمل عدوانا وحشيا يستحق التأديب والقصاص من هؤلاء القتلة ، فهذه هى المرة الاولى والوحيدة التى يقتل فيها مبعوث النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يقتل مبعوث لرسول الله غيره من الذين أرسلهم الى الملوك والعظماء لدعوتهم الى الاسلام ، وان لقى بعضهم غلظة وجفاء فى اللقاء،

---

(١) كانت " بصرى " تحت حكم ملوك الغساسنة الخاضعين لملوك الدولة البيزنطية (دولة الروم) ، واذا كانت تلك الحادثة قد وقعت فى السنة الثامنة للهجرة (٦٢٩ م) فانها بذلك تكون على زمن الملك الغسانى " عمرو بن الحارث الاصفر " وليس فى زمن " الحارث بن جبلة ابن شمر الغسانى" كما ورد فى بعض المراجع التاريخية - والذى توفى سنة ٥٦٩م ، وحكم من بعده عدد من الملوك حتى عام ٦١٤ م حيث تولى " النعمان بن الحارث الاصفر " ثم من بعده اخوه "عمرو بن الحارث" الذى ربما كانت هذه الواقعة قد جرت فى عصره . (عن قائمة ملوك الغساسنة انظر: جواد علي المرجع السابق - ج٣ - ص ٤٤٤-٤٤٧ ، جرجى زيدان : المرجع السابق - ص ٢٤٨-٢٤٩ ، نولدكه : أمراء غسان - ص ٥٣) .

(٢) الطبقات الكبرى : الجزء الثانى - ص ١٢٨ ، ابن القيم : زاد المعاد - ص ١٥٥ ، الواقدى : كتاب المغازى - تحقيق مارسد بن جونس - بيروت ١٩٨٤- ج ٢ - ص ٧٥٥ ، محمود شيت خطاب : الرسول القائد - بيروت ١٩٦٤- ص ٢٩٥ ، محمد احمد باشميل : غزوه مؤته - ٩٧٤ - ص ٢٥٢ .

كما أن العادة لم تجر بقتل الرسل والسفراء عند الملوك والامراء مهما كانت شدة الخلاف ومهما كرهت الرسالة التى يحملونها ، فهذا الحادث كان فيه خطر عظيم على الرسل والسفراء ولايجوز السكوت والتغاضى عنه ، وكان فى هذا العمل اهانة بليغة للمرسل والرسالة ، وكان لابد لهذا المعتدى من تاديب ، ولابد من هذا الغضب للمعتدي عليه ، حتى لاتصبح حياة الرسل والسفراء هينة ، وحتى لاتتكرر مثل هذه المسأساة [1] .

ويعتبر قتل مبعوث الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم الى الغساسنة العرب شذوذ عن الاصول المرعية ، وفيه اهانة للكرامة وجرح للشعور ، مما اساء رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتبره تحديا صريحا للاسلام والمسلمين ، ويجب عدم السكوت عليه ، لاسيما ان الاسلام لايزال يركز دعائمه فى انحاء الجزيرة العربية ، ولايزال فى اشد الحاجة الى الاحتفاظ بكل ماله من هيبة ، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان حريصا على الا تنقص هيبة الاسلام فى اية ناحية ، وان عليه ان يحفظ هيبته ويشعر الناس فى داخل الجزيرة العربية وخارجها ان الاسلام قوة لايستهان بها ، فكان لابد من تاديب المعتدين ولابد من معاقبة الغساسنة واسيادهم الروم على هذا العمل المشين خصوصا وانه قد سبق لعرب الشام قبل هذه الواقعة باكثر من شهر ان غدروا بالبعثة السلمية التى ارسلها النبى صلى الله عليه وسلم لنشر العقيدة الاسلامية بين سكان بلاد الشام ، فقاموا بقتل الدعاة المسلمين وعددهم خمسة عشر رجلا مسلما فى " ذات اطلاح " على حدود الشام [2] ، هذا وقد راى البعض ان هذه الوقعة كانت ايضا السبب الذى الجأ الى غزوة مؤتة [3] .

---

(١) ابو الحسن الندوى : المرجع السابق — ص ٢٧٧ .

(٢) انظر هذه الحادثة بالتفصيل فى الطبقات الكبرى — ج ٢ ص ١٢٧ ، كتاب المغازى — جـ٢ ص ٧٥٢.

(٣) محمود شيت خطاب : المرجع السابق — ص ٢٥٩ ، محمد احمد باشميل: المرجع السابق — ص ٢٤٧، ٢٥٣ .

وعلى اى حال وسواء أكان السبب الذى أدى الى غزوة مؤتة هو قتل مبعوث النبى صلى الله عليه وسلم الى امير " بصرى " أو قتل دعاته الخمسة عشر فى " ذات اطلاح " فان المصطفى صلى الله عليه وسلم سارع الى تجهيز جيش اسلامي ضخم بلغ ثلاثة الاف مقاتل ، وهو اكبر اجيش بعثه النبى صلى الله عليه وسلم حتى تاريخ هذه الغزوة ، ومن الواضح ان النبى صلى الله عليه وسلم قدر ان الخسائر قد تكون كبيرة فى هذا الجيش ، لعدم تكافؤ قواته مع قوات العدو ، ولما كانت الجيوش تؤتى من قبل قوادها ، فقد عين صلى الله عليه وسلم لجيشه ثلاثة قواد ، كلما قتل قائد تولى القيادة من بعده قائد آخر[1] ، ويروى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنه انه قال : " امر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة مؤتة زيد بن حارثة ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان قتل زيد فجعفر، وان قتل جعفر فعبدالله بن رواحة "[2] ، وتعتبر هذه هى المرة الاولى التي يعين النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة من المسلمين لقيادة الجيش الاسلامى بالتعاقب وكان هذا احساسا من الرسول بصعوبة المعركة ، كما ترك هذا التصرف الجديد على المسلمين احساسا لديهم بخطورة الامر[3] .

أحداث معركة مؤتة :

خرج الجيش الاسلامى بقيادة زيد بن حارثة فى جمادى الاولى من السنة الثامنة للهجرة (سبتمبر ٦٢٩ م)[4] من المدينة المنورة باتجاه بلاد الشام فى طريقه لقتال عدو يحظى بحماية دولة الروم اعظم وأقوى امبراطورية

---

(١) سعد المرصفى : المرجع السابق - ص ٤٢٩.
(٢) صحيح البخارى - جـ٥ ص ١٨٢.
(٣) احمد شلبى : المرجع السابق - ص ٥١١ .
(٤) الطبقات الكبرى جـ٢ ص ١٢٨ ، زاد المعاد جـ٢ ص ١٥٥ ، سيرة ابن هشام : جـ ٤ ص ١٥ ، محمد حسين هيكل : المرجع السابق - ص ٣٧٤.

فى ذلك العصر ، ووصل جيش الايمان الى مشارف الشام ،وقد سبقته اخباره الى الروم ، فاستعدوا له بجيش كثيف ، ومضى الجيش الاسلامى حتى وصل الى " معان " ، فبلغ المسلمين أن الروم فى انتظارهم بمائة الف مقاتل ، وقد انضم اليهم مائة الف اخرى من قبائل العرب النصارى ، وبديهى ان الهجوم بثلاثة آلاف مقاتل على جيش قوامه مائتا الف مجازفة خطيرة [1] ، ومن ثم فقد اقام المسلمون فى " معان " ليلتين ينظرون فى امرهم فراى بعضهم ان يكتبوا الى النبى صلى الله عليه وسلم يخبروه بعدد عدوهم وينتظروا الاوامر النهائية منه ولكن اكثرهم راى ان يمضى الجيش الاسلامى الى الهدف الذى جاء من اجله مهما كانت النتائج ،وراح عبدالله بن رواحه يشجع الناس قائلا : " ياقوم والله ان التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون ، الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولاكثرة ، مانقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا به الله ، فانما هى احد الحسنيين ، اما الظفر ، واما الشهادة [2] ، ومضى جيش الايمان الى مؤتة .

تحرك المسلمون نحو جيوش الروم وحلفائهم من نصارى العرب ، والتقى المسلمون بهم عند تخوم البلقاء بالقرب من قرية " مشارف " ولكن المسلمين اختاروا قرية " مؤتة " وتحصنوا فيها لان قرية مؤتة كانت انسب مكان للمعركة وذلك لوجود العوارض الطبيعية التى يستطيعون التحصن بها نظرا لقلة قوتهم بالنسبة الى الاعداء [3] ، وبدأ القتال بين جيش الايمان وجيش الكفر ،

---

(١) محمد الغزالى : فقه السيرة - القاهرة ١٩٧٦ - ص ٣٩٦ .

(٢) الطبقات الكبرى - ج٢ - ص ١٢٨ - ١٢٩ ، زاد المعاد - ج٢ ص ١٥٦ ، كتاب المغازى - ج٢ ص ٧٥٩-٧٦٠ ، سيرة ابن هشام ج٤ ص ١٥ ، ١٧ ، تاريخ الطبرى - ج٣ - ص ٣٦-٣٨ ، الكامل فى التاريخ - ج٢ - ص ١٥٨-١٥٩ ، البداية والنهاية ج٤ - ص ٢٤٢-٢٤٣ .

(٣) محمود شيت خطاب : المرجع السابق - ص ٢٩٧ ، محمد احمد باشميل : المرجع السابق - ص ٢٧٨-٢٨٠ .

ودارت رحى معركة عنيفة بين قوتين غير متكافئتين في العدد والعدة، وقاتل المسلمون بضراوة وبسالة منقطعة النظير واندفع قائد الجيش الاسلامي زيد بن حارثة الى صفوف العدو يقاتل بشجاعة فابلى بلاءاً حسنا حتى استشهد في سبيل الله ، فتولى القيادة جعفر بن ابى طالب وراح يقاتل قتال الابطال فاستشهد كذلك ، فخلفه عبدالله بن رواحة ، فخاض بالمسلمين المعركة وقاتل الاعداء ببسالة حتى استشهد ، ثم اصطلح المسلمون على خالد بن الوليد ليكون قائد جيش المسلمين [1] ، واستمر القتال وصمد المسلمون فى المعركة صمودا هو اروع مايصنع الايمان الصادق والتقوى .

وهكذا تولى خالد بن الوليد امرة الجيش الاسلامى بعد ان كان مصير المعركة قد تحدد، والعمل المطلوب هنا الذى ينتظر عبقريا ان ينجزه، هو دفع العدوان والخروج ببقية الجيش الاسلامى من ساحة المعركة دون ضياع، فالانسحاب فى مثل ذلك الوضع كان من الاستحالة بمكان ولكن لايستحيل على العبقرية العسكرية التى صقلها الايمان . فمن اشجع من خالد بن الوليد قلبا ، ومن أروع عبقرية وأنفذ بصيرة؟ ومن ثم استعمل خالد فنه المعجز ودهائه البليغ حتى فتح فى جيش الروم ثغرة عميقة خرج منها جيش المسلمين سليما [2] ، فى الوقت الذى كان الروم يظنون فيه ان خالد يريد ان يستدرجهم الى الصحراء فلم يتبعوه ويلحقوا به ، ومازال خالد يناوش جموع العدو حتى افلت بجيشه [3] . فصنع بذلك خير مايصنع القائد العبقرى فى ذلك الموقف وهو الارتداد المأمون وهو اصعب من النصر فى بعض المآزق، لان النصر ميسور مع اجتماع العدة واحتمال الشدة ، ولكن الارتداد المأمون غير ميسور لكل من يريده وهو فى اضعف الموقفين،

---

(١) الطبقات الكبرى - جـ٢ - ص ١٢٩-١٣٠ ، كتاب المغازى جـ٢ ص ٧٦٠-٧٦٤ ، زاد المعاد - جـ٢ ص ١٥٦ ، سيرة ابن هشام جـ٤ ص ١٩-٢٢ ، تاريخ الطبرى: جـ ٣ ص ٣٩-٤١ ، الكامل فى التاريخ - جـ٢ - ص ١٥٩-١٦٠ ، البداية والنهاية جـ٤ - ص ٢٤٤-٢٤٨ .

(٢) سعد المرصفى : المرجع السابق - ص ٢٣٤ .

(٣) امين دويدار : صور من حياة الرسول - القاهرة ١٩٧٦م - ص ٥٢٠ .

الا أن تكون له خبرة بالقيادة تكافىء الرجحان فى قوة العدو الذى يرتد بين يديه [1]، وهكذا انقذ خالد بن الوليد جيش المسلمين وعاد به الى المدينة بعد معركة عنيفة قاتل فيها المسلمون بقوة الايمان والعقيدة قوات عدو تفوقهم اضعافا مضاعفة فى العدد والعدة .

نتائج غزوة مؤتة :

اختلف العلماء والباحثون حول نتيجة معركة غزوة مؤتة فقال فريق منهم أن النتيجة كانت السلامة ، وليس النصر ، وربما ارادوا الهزيمة ، بل ان ابن سعد يروى بسنده عن ابى عامر ، وكان قد شهد المعركة أن المسلمين قد انهزموا بعد مقتل عبدالله بن رواحة أسوأ هزيمة حتى انه لم ير اثنين جميعا [2]. على أن فريقا آخر يرى أنها كانت نصرا [3]، وهذا مانميل اليه من الرأى لعدة أسباب وهى :

١ - أن النبى صلى الله عليه وسلم سماها فتحا ، وسمى الذين عادوا الى المدينة بعد الغزوة كرارا ، وليسو فرارا [4] .

٢ - أن المسلمين ساقوا غنائم ، فى حين لم يؤخذ منهم شىء [5] .

---

(١) عباس محمود العقاد : عبقرية خالد - القاهرة ١٩٦٩ - ص ٥٢-٥٣.

(٢) الطبقات الكبرى - جـ٢ - ص ١٢٩ ، كتاب المغازى جـ٢ ص ٧٦٣.

(٣) زاد المعاد - جـ٢ ص ١٥٦. وانظر ماذكره الواقدى فى المغازى برواية ابى هريرة (المغازى - جـ٢ - ص ٧٦٠).

(٤) سيرة ابن هشام جـ ٤ ص ٢٤ ، الطبقات الكبرى - جـ٢ - ص١٢٩ ، كتاب المغازى - جـ٢ - ص ٧٦٥.

(٥) كتاب المغازى - جـ٢ - ص ٧٦٨.

٣ - ان قتلى المسلمين كانوا اثنى عشر رجلا [١] ، في الوقت الذى كانت أعداد القتلى من الاعداء لاتحصى ، او على الاقل لايعرف عددهم ، ويعلق ابن كثير في البداية والنهاية على هذا بقوله : وهذا عظيم جدا أن ان يتقاتل جيشان متعاديان في الدين ، أحدهما وهو الفئة التى تقاتل فى سبيل الله عدتها ثلاثة الاف ، وأخرى كافرة وعدتها مائتا الف مقاتل ، من الروم مائة الف ، ومن العرب النصارى مائة الف يتبارزون ويتصاولون ثم مع هذا كله لايقتل من المسلمين الا اثنا عشر رجلا ، وقد قتل من المشركين خلق كثير [٢] .

٤ - ان ابن سعد الذى روى عن ابى عامر هزيمة المسلمين بعد مقتل عبدالله بن رواحه ، هو نفسه يروى ان خالد بن الوليد ما ان اخذ اللواء حتى حمل على القوم فهزمهم الله أسوأ هزيمة حتى وضع المسلمون اسيافهم حيث شاؤوا [٣] ، كما يروى الواقدى عن العطاف بن خالد انه لما قتل عبدالله بن رواحه مساء ؛ بات خالد بن الوليد ، فلما اصبح غدا وقد جعل مقدمته ساقته ، وساقته مقدمته ، وميمنته ميسرة ، وميسرته ميمنة ، فانكر المشركون ماكانوا يعرفون من رآياتهم وهيئتهم وقالوا قدجاءهم مدد ، فرعبوا وانكشفوا منهزمين فقتلوا منهم مقتلة لم يقتلها قوم [٤] .

ان ما حدث في غزوة مؤتة كان فتحا للمسلمين بدون شك ، ولم يهزم جيش الايمان او يفر من ارض المعركة ، وانما انسحب بعد ان قام بالمهمة التى كلفه بها النبى صلى الله عليه وسلم ، فجيش الايمان ارسل الى

---

(١) كتاب المغازى - جـ٢ - ص ٧٦٩ ، زاد المعاد جـ٢ ص ١٥٧ ، سيرة ابن هشام جـ ٤ ص ٣٠ .

(٢) البداية والنهاية جـ٤ ص ٢٥٩ .

(٣) الطبقات الكبرى - جـ٢ - ص ١٣٠ .

(٤) كتاب المغازى - جـ٢ - ص ٧٦٤ .

الشام لتاديب عرب الشام ، ولم يكن فى تعليمات الرسول القائد صلى الله عليه وسلم لقادة هذا الجيش ان يحتلوا اى منطقة من بلاد الشام بل كان الهدف هو التاديب والانتقام من الذين غدروا بخمسة عشر من الدعاة المسلمين وقتلهم فى " ذات اطلاح " وهم فى بعثة سلام ودعوة الناس الى الاسلام بالحسنى وكذلك من الذين قتلوا مبعوثه صلى اللهعليه وسلم ، الحارث بن عمير الازدى الى أمير " بصرى " الغسانى ، ولكن جيش الايمان بما فيه من ثلاثة الاف مقاتل وجد نفسه أمام مائتى ألف مقاتلمن الاعداء ، ومع ذلك لم يتراجع المسلمون وخاضوا معركة شرسة بكل شجاعة وبسالة مدة سبعة ايام وانزلوا بالعدو خسائر فادحة وبعدها انسحب الجيش الاسلامى بشكل منظم فكان ذلك هو عين الانتصار والفتح (1) .

والواقع ان معركة مؤتة كانت معركة استطلاعية استفاد منها المسلمون كثيرا حيث تعرفوا على اساليب وخواص قوات الروم فى القتال مما افادهم فى قتالهم بعد ذلك ضد جيوش الروم ، والحقيقة ان الخسائر الطفيفة التى لحقت بالمسلمين لاتعد شيئا يذكر بجانب المعلومات العسكرية التى استفادوها من الاطلاع على خواص قوات الروم وتنظيمها وتسليحها واساليب قتالها مما كان له الاثر الكبير فى المعارك التى خاضها المسلمون ضد الروم فيما بعد (٢) .

* * *

---

(1) محمد احمد باشميل: المرجع السابق - ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

(٢) محمود شيت خطاب : المرجع السابق - ص ٢٩٩ .

٣ – غزوة تبوك :

تعد غزوة تبوك اضخم وآخر حملة عسكرية يقودها النبى صلى الله عليه وسلم حتى توفاه الله تعالى ، وقد نزلت الكثير من الآيات فى القرآن الكريم فى سورة التوبة فى شأن هذه الغزوة [(١)] ، وقد عرفت هذه الغزوة أيضا باسم " غزوة العسرة " كما سماها بذلك الامام البخارى فى صحيحه [(٢)] ، وقد سميت بغزوة العسرة لان التأهب لها كان فى زمن عسرة من الناس وشدة من الحر وجدب فى البلاد ، ولانها كانت فى وقت طابت فيه الثمار فى المدينة ، والناس عادة يحبون البقاء فى ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذى هم فيه ، ومع ذلك تجهز الناس ، وانفق الكرام بسخاء مايتجهز به ضعفاء الحال .

– موقع غزوة تبوك :

تبوك هى موضع بين وادى القرى والشام [(٣)] ، يقع الى الشمال من اقليم الحجاز ، والى الشرق من خليج العقبة ، وهى اليوم مدينة رئيسية فى المملكة العربية السعودية ، تقوم على الطريق الرئيسى بين المدينة المنورة وعمان بالاردن ، وتبعد تبوك عن المدينة ٧٧٨ كيلو مترا شمالا ، وعن عمان ٤٥٠ كيلو مترا جنوبا وتقع مدينة تبوك فى سهل فسيح يمتد من الشمال الى الجنوب يحيط به سلسلتان من الجبال وهو يمتاز بمياهه الغزيرة [(٤)] ، وتعتبر تبوك منفذا رئيسيا وهاما الى بلاد الشام .

---

(١) انظر سورة التوبة : الايات ٣٨، ٣٩ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٩٢ ، ٩٣ . وكذا تفسير ابن كثير ج٢ ص ٣٥٧ ، الواقدى : كتاب المغازى – ج٣ – ص ١٠٢٢–١٠٢٥.

(٢) صحيح البخارى – ج٦ – (باب غزوة تبوك) (تفسير سورة التوبة).

(٣) معجم البلدان ج٢ – ص ١٤.

(٤) عاتق بن غيث البلادى : رحلات فى بلاد العرب – مكة المكرمة ١٩٨٣– ص ٤٥.

أسباب وأهداف غزوة تبوك :

كانت غزوة تبوك مثل فتح مكة فى قذف الرعب فى قلوب اعداء الاسلام والمسلمين ورفع الغشاوة عن عيون الكثير من الذين اعتقدوا أن الاسلام ماهو الا سحابة صيف تنقشع بعد قليل او سراج يلتهب سرعان ماينطفىء فكانت هذه الغزوة احتكاكا باعظم واقوى امبراطورية فى ذلك العصر[1]، ولقد كان لهذه الغزوة أسباب واهداف كثيرة ومتعددة وهى :

- أولا : ماوصل الى الرسول ، صلى الله عليه وسلم ،من اخبار شاعت فى المدينة من ان حشودا عسكرية ضخمة من الروم قد اجتمعت فى الشام للقضاء على المسلمين وغزوهم فى ديارهم ، وان قيصر الروم " هرقل " قد رزق جنوده أجر سنة مقدما ، وان لخم وجذام وعامله وغسان تشارك معهم فى هذه الحشود، وقد جاءت الاخبار ان هذه الحشود قد بلغت البلقاء لغزو الحدود الشمالية من الجزيرة العربية للقضاء على سلطة ونفوذ الاسلام هناك [2]، لذلك كان لابد من تحرك عسكرى اسلامى ضخم لمواجهة تلك التطورات وحماية المسلمين من الخطر القادم .

- ثانيا : أن الدعوة الاسلامية استوعبت شبه الجزيرة العربية ، وليس فى العرب أحد لايعلم بالاسلام ، فالمصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، أرسل للناس كافة بشيرا ونذيرا ، ومن ثم فلابد من أن تبلغ دعوته الى الناس كافة ، ومن هنا فقد عزم النبى صلى الله عليه وسلم ، ان يرسى الاسلام على دعائم مكينة ، وان لايترك الدعاة الى الله يعرضون الاسلام على الناس جميعا ، فان راق لهم دخلوه ، وإلاّ تركوه ، اما أن يحاربوه فهذا لا مساغ له بحال من الأحوال ، وأما

---

(١) ابو الحسن على الندوى : المرجع السابق - ص ٣١٤ .

(٢) كتاب المغازى - ج٣ - ص ٩٩٠ - محمود شيت خطاب : المرجع السابق - ص ٣٨٩ .

أن تقطع اعناق الدعاة الى الله ، وتقام الاسوار الكثيفة فى وجوههم فهذا مايقاومه الاسلام بقوة ولامساغ له كذلك باية حال ، ثم ان الروم فى الشام ومصر وغيرهما هم قوم غزاة عتاة لاتربطهم باهل البلاد الاولين الا صلات القهر المادي والمعنوى[1] .

ـ ثالثا : أدرك الروم ، بعد أن عرفوا بانتصار الاسلام على اليهودية فى المدينة وخيبر وفدك ووادى القرى وتيماء ، فضلا عن الوثنية وعلى رأسها قريش وهوازن وغطفان وغيرها ، أن حدودهم الجنوبية اصبحت مهددة بقيام الدولة الاسلامية ، وقد كان للروم مصالح كثيرة فى شبه الجزيرة العربية حيث كانت لهم تجارة تمر هناك بين الشمال والجنوب ، وبين الشرق والغرب ، وكان لهم اتباع من العرب فى شمال الجزيرة يخضعون لسلطانهم ، كما كان لهم أيضا انصار فى قلب الجزيرة يعتمدون عليهم فى حماية تجارتهم ، وكانت النصرانية هى الديانة الرسمية للدولة ، ويدين بها اتباعهم من الغساسنة العرب ، وعدد غير قليل من عرب الشمال والجنوب ، ومن ثم فانهم اخذوا يعدون العدة للقضاء على الاسلام والمسلمين ، وهو امر اسعد المنافقين واعداء الاسلام كثيرا حتى ظنوا ان مقبرة الاسلام ستكون هناك على ايدى الروم ، وعليه فقد كان من الضرورى الوقوف ضد خطر الروم .

ـ رابعا : ان العرب قبل أن يبعث الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، كانوا قبائل متفرقة ، ولم تكن لهم وحدة تجمع شملهم وكلمتهم ، وكان من صالح الروم ان يستمر هذا التفرق بين العرب ليستمر سلطانهم مبسوطا على اتباعهم منهم ، وليستمر جانب غيرهم من العرب مأمونا على مصالحهم فى نواحى الجزيرة العربية حتى لايستطيع العرب ان يقفوا امام الروم صفا واحدا فيصعب عليهم تفريقهم اذا اجتمعوا ، ولما ظهر الاسلام وقضى على فرقة

---

(١) سعد المرصفى : المرجع السابق ـ ص ٤٣٧ .

العرب ووحد صفوفهم ، فى دولة تكاد تكون واحدة ، وتدين بدين واحد ، بل تكاد تخضع لرئيس واحد ، اصبح الوضع خطيرا بالنسبة للروم ، وخوفا من أن يتم ذلك على أكمل وجه ، أعد الروم عدتهم للقضاء على الاسلام (١) .

– خامسا : ان العرب ماكانوا يفكرون فى غزو الروم والزحف عليهم ، بل كانوا يخافون أن يغزوهم الروم فى عقر دارهم ، بل كانوا يرون أنفسهم اصغر من ذلك كثيرا ، خاصة وأن دولة الروم كانت فى ذلك الوقت اقوى دول العالم بعد ان دحرت جيوشها بقيادة الامبراطور " هرقل " جيوش الامبراطورية الفارسية وتوغلت فى ديارها ، ومن هنا كانت غزوة تبوك ، والتى من أهم أهدافها ارهاب دولة الروم التى كان يخشى بأسها على مركز الاسلام والمسلمين وعلى الدعوة الاسلامية الزاحفة وقوتها الناشئة ومنعها من ان تطمع فى غزو المسلمين فى عقر دارهم ، وأن تعتبرهم لقمة سائغة أو مالا سائبا (٢) .

– سادسا : ادخال الرعب فى قلوب القبائل العربية التى لم تدخل فى الاسلام فى الجزيرة العربية ، والقبائل العربية المتنصرة والخاضعة للروم ، واتاحة الفرصة لهم للتفكير فى اهمية الدين الاسلامى جديا ، وان له مستقبلا زاهرا لعل ذلك يفتح لها الطريق فى الدخول فى الاسلام ، وكان الروم فى نفس الوقت مايزالون يذكرون غزوة مؤتة التى لم يقضوا منها حاجة فى نفوسهم وأنها أضعفت رهبة الروم وجيوشهم الجرارة فى نفوس العرب (٣) .

---

(١) آمين دويدار : المرجع السابق – ص ٥٥٧–٥٦٨ .
(٢) ابو الحسن على الندوى : المرجع السابق – ص ٣١٤–٣١٦ .
(٣) نفس المرجع السابق – ص ٣١٦–٣١٧ .

- الاستعدادات وسير الاحداث :

تأكد المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، من الأنباء التى جاءته بأن الروم انما يعدون العدة لضرب الاسلام فى شمال الجزيرة العربية ضربة ترده من حيث جاء وتوصد أبواب الحدود فلا يتسرب منها ، ولم ير النبى ، صلى الله عليه وسلم بدا من استنفار المسلمين لملاقاة الروم ، على الرغم انه كان وقت قيظ وقحط وعسر وشدة (١)، فضلا عن ان قتال الروم ليس صداما مع قبيلة او حتى دولة محدودة العدد والعدة بل هو كفاح مرير مع دولة تمثل الدولة الاعظم فى ذلك الوقت ، وكان صلى الله عليه وسلم يعرف ذلك جيدا ، ومن ثم قرر القيام بغزوة فاصلة يخوضها المسلمون ضد الروم فى عقر دارهم ، ولا يعطوهم الفرصة للزحف الى دار الاسلام ، فأعلن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم الاستنفار العام بين المسلمين فى المدينة وبعث الى مكة والى قبائل العرب يستنفرهم (٢) وأعلن رسميا على غير عادة عند الغزو انه يريد غزو الروم ، وذلك ليستعد كل مسلم لهذه المعركة لان المسافة بعيدة والوقت وقت عسر وشدة والعدو قوى وكثير العدد والعدة (٣)، وقد استجاب الكثير من المسلمين لهذه الدعوة وتخلف عنها المنافقون وتعللوا بالعلل ، فقد كرهوا ان يخرجوا مع سول الله صلى الله عليه وسلم اشفاقا من العدو القوى القاهر ، وهروبا من الحر الشديد ، زهادة فى الجهاد ، وشكا فى الحق ، وفى ذلك يقول الله تعالى : " فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله وقالوا : لا تنفروا فى الحر ، قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون" (٤) وبعد أن اكتملت الاستعدادات والتجهيزات لهذه الغزوة ، خرج الرسول القائد صلى الله عليه وسلم على رأس جيش قوامه ثلاثون الف مقاتل ، ومعهم عشرة الاف فرس (٥) وهو أكبر جيش راته بلاد العرب حتى ذلك اليوم .

---

(١) الطبقات الكبرى ج٢ - ص ١٦٧ ، سيرة ابن هشام ج٤ ص ١٥٩.
(٢) الطبقات الكبرى - ج٢ - ص ١٦٥ ، كتاب المغازى -٣ - ص ٩٩٠.
(٣) محمود شيت خطاب : المرجع السابق - ص ٣٩٠-٣٩١.
(٤) سورة التوبة : اية ٨١. ابو الحسن على الندوى - ص ٣١٨.
(٥) كتاب المغازى - ج٣ - ص ٩٩٦ ، ١٠٠٢ ، الطبقات الكبرى - ج٢ - ص ١٦٦.

وتجمع كتب السيرة على أن غزوة تبوك انما كانت فى رجب من السنة التاسعة للهجرة [1]، وقد حاول بعض المؤرخين المحدثين معرفة تاريخها بالتقويم الشمسى فذهب بعضهم الى أنها كانت فى سبتمبر - اكتوبر عام ٦٣٠ م، وذهب اخرون الى أنها كانت فى نوفمبر ٦٣٠ م ويذهب العلامة ابو الحسن على الندوى الى ان الشواهد الداخلية والتصريحات التى وردت فى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان وغيرهما من اصحاب الصحاح والسنن على لسان كعب بن مالك " أن رسول الله غزاها فى حر شديد ، حين طابت الثمار والظلال "[2] يحتم ان تكون هذه الغزوة قد وقعت فى الصيف ، وفى رواية موسى بن عقبة عن ابن شهاب : " .. فى قيظ شديد من ليالى الخريف ، والناس خارفون فى نخيلهم "واكثر من ذلك قول المنافقين الذى نقله القرآن الكريم فى سورة التوبة : (اية ٨١) ثم رده عليهم فقال: " وقالوا لاتنفروا فى الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون " . وشهر نوفمبر هو بداية الشتاء فى المدينة واقليم الحجاز ، وتطبيق التقويمين الشمسى الميلادى والهجرى الهلالى من الامور والمسائل الصعبة ، وقد كثر فيه الاضطراب نظرا لاختلاف اهل السير فى تحديد بداية التقويم الهجرى ، وهل كان من ربيع الاول او من المحرم ، هذا وقد توصل الاستاذ اسحاق الرامفورى بعد استعراض طويل للحوادث والغزوات وتطبيق بين التقويمين ، الى انها كانت فى شهر ابريل عام ٦٣٠ م لانه بداية الصيف فى المدينة ، وان كان العلامة شبلى النعمان عينها فى كتابه " سيرة النبى" سنة ٦٢٥ م [3] .

والواقع أن تحديد شهر نوفمبر كتاريخ لهذه الغزوة هو تاريخ متأخر، وتحديدها فى شهر ابريل هو تاريخ متقدم ، فالاول يكون فى فصل الخريف ، والثانى فى فصل الربيع ، وربما كان شهر سبتمبر ، وربما شهر اغسطس (وهذا اقل احتمالا) اقرب ، لانهما يقعان فى الصيف من ناحية ، ولان الحرارة

---

(١) الطبقات الكبرى - ج٢ - ص ١٦٥ ، سيرة ابن هشام ج٤ - ص ١٥٩ ، تاريخ الطبرى - ج٣ - ص ١٠٠ .

(٢) صحيح البخارى - ج ٦ - باب غزوة تبوك ، صحيح مسلم ج٤ - كتاب التوبة (باب توبة كعب بن مالك) .

(٣) ابو الحسن على الندوى : المرجع السابق - ص ٣١٧-٣١٨ .

فى هذين الشهرين فى تلك المناطق اقرب الى ماجاء فى كتب الحديث والسيرة عن شدة الحرارة فى هذه الغزوة ، والله أعلم ، هذا فضلا عن أن رواية كعب بن مالك عن الحر الشديد ،حين طابت الثمار والظلال ، انما تنطبق على شهر سبتمبر اكثر منها على شهر ابريل ، لان ثمار المدينة ليست قمحا ولاشعيرا وانما هى ثمار النخيل وهى التمر وهذه أوانها اقرب الى شهر سبتمبر منه الى ابريل من ناحية ، ونوفمبر من ناحية اخرى ، ثم ان شهر ابريل عام ٦٣٠ م انما يقابله المحرم - صفر من عام ٩ هـ ، كما جاء في التقاويم المقارنة ، واما تحديد شبلى النعمان عام ٦٣٥ م لغزوة تبوك فهذا تاريخ لايقبله المؤرخون لان عام ٦٣٥ م انما يقع فى خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه (١٣-٢٣ هـ / ٦٣٤-٦٤٤م) وليس فى عصر النبوة ، فضلا عن عصر الصديق ابوبكر (١١ - ١٣ هـ / ٦٣٢ - ٦٣٤ م) رضى الله عنه .

وقد وصل جيش الايمان يقوده نبى الله ورسوله ، صلي الله عليه وسلم ، الى تبوك فى رجب من السنة التاسعة للهجرة ، وكانت الروم قد بلغها أمر جيش المسلمين وقوته ، فآثرت الانسحاب بجيشها الذى كانت قد وجهته الى حدودها ليحتمى داخل بلاد الشام فى حصونها ، فلما وصل المسلمون الى تبوك وعرف النبى ، صلى الله عليه وسلم ، بأمر انسحاب الروم ، ونمى اليه ما أصابهم من خوف ، لم ير محلا لتتبعهم داخل بلادهم [1] ، وأقام الرسول صلى الله عليه وسلم وجيش الايمان فى تبوك ولم يتقدم الى ماوراءها من بلاد الشام نحو عشرين يوما [2] ، ولم يحدث فى هذه الغزوة اى اصطدام بين جيش المسلمين وجيش الروم ومن ثم رجع النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة فوصلها فى رمضان من نفس السنة بعد أن آمن حدود الدولة الاسلامية الشمالية ،

---

(١) محمد حسين هيكل : المرجع السابق - ص ٤٢٩ .

(٢) كتاب المغازى : جـ٣ - ص ١٠١٥ ، الطبقات الكبرى - جـ٢ - ص ١٦٨ .

(٣) تاريخ الطبرى : جـ٣ ص ١١٠ ، أمين دويدار : المرجع السابق ص ٥٦٦ .

- نتائج غزوة تبـــوك :

حققت غزوة تبوك نتائج عظيمة والتى من أهمها :

(أولا) : ادخال الرعب فى الدول المجاورة التى كانت تهدد الدعـــوة الاسلامية وتحاول منع انتشارها ، واضعاف هيبة امبراطورية الروم (البيزنطيين) وتوجيه ضربة قاصمة لسادتها فى بلاد الشام ، كذلك اضعاف سطوتهـــــــا ونفوذها على القبائل العربية ، وكسر جدار الخوف العربى من هذه الامبراطوريـة وهو انتصار نفسى حاسم ، مكن العرب بعد فترة وجيزة من تجاوز ولائهم القديـــم والانطلاق لضرب الروم البيزنطيين والحاق الهزائم بهم وطردهم الى بلادهـــم التى جاءوا منها ، فكانت هذه الغزوة خطوة من خطوات الحركة الاسلاميــــــة المسلحة صوب الخارج ، وتخط لنطاق العرب والجزيرة العربية نحو العالــــم ، وبادرة متقدمة لحركة الفتوحات الاسلامية التى شهدها عصر الخلفاء الراشديـن رضوان الله عليهم جميعا[1] .

(ثانيا) : ضمان سلامة الحدود الشمالية للدولة الاسلاميــــــة وكذلك توسع هذه الحدود حتى لاقت حدود دولة الروم مباشرة فاصبحت كلمــــة الاسلام تتردد فى الشام بين نصارى غسان وايقن العرب الشماليين ان المستقبـــل للاسلام ، وكان لهذا آثره فيما بعد ابان الفتوحات الاسلامية فى الشام[2].

(ثالثا) : عقد المعاهدات بين النبى ، صلى الله عليه وسلــــم ، وبين العرب النصارى المجاورين لامبراطورية الروم ، فقد اتى " يوحنة بن رؤبة " صاحب ايلة (ايلات الحالية وهى ميناء على خليج العقبة) الى النبى صلـــى الله عليه وسلم وهو معسكر فى تبوك وصالحه على الجزية ، ثلاثمائة دينار كل عام وفعل كذلك اهل جرباء (تقع على بعد ٢٢ كيلا شمال غرب مدينة معان الاردنية)

---

(١) سعد المرصفى : المرجع السابق - ص ٤٤٠.

(٢) نفس المرجع السابق .

وأهل اذرح (على مقربة من جرباء) فصالحوا النبى ، صلى الله عليه وسلم ، أيضا على الجزية ، وكتب لهم الرسول صلى الله عليه وسلم كتاب امان ، شأنهم فى ذلك شان صاحب ايلة ، وكان فيه كفالة الحدود وتامين المياه والطرق البرية والبحرية ، والضمان لسلامة الفريقين [(١)]، وعندما تخلف صاحب دومة الجندل (الجوف) النصراني " اكيدر بن عبد الملك " عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ندب اليه خالد بن الوليد فى كتيبة من جنده فاسره خالد بن الوليد وهدده بالقتل ان لم تفتح دومة الجندل ابوابها للمسلمين ففتحت دومة الجندل ابوابها للمسلمين فداءا لمليكها اكيدر بن عبد الملك وعاد خالد باكيدر الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فصالحه على دفع الجزية ثم خلى سبيله ، فعاد الى دومة الجندل[(٢)] ، وقيل ان الرسول عرض عليه الاسلام فأسلم واصبح اميرا على قومه ، ثم ارتد بعد ان مات الرسول صلى الله عليه وسلم[(٣)] .

...

---

(١) كتاب المغازى ج٣ ص ١٠٣١-١٠٣٢ ؛ سيرة ابن هشام ج٤ ص ١٦٩ ، ابو الحسن على الدوى : المرجع السابع — ص ٣٢٠ ، محمود شيت خطاب / المرجع السابق ص ٣٩٣-٣٩٤ .

(٢) كتاب المغازى — ج٣ — ص ١٠٢٥-١٠٢٧ ، ١٠٣٠ ، الطبقات الكبرى ج٢ ص ١٦٦ ، سيرة ابن هشام — ج٤ — ص ١٦٩ ، ١٧٠ ، محمدو شيت خطاب : المرجع السابق ص ٣٩٤ .

(٣) ابن الاثير (عز الدين ابى الحسن على بن محمد بن عبد الكريم الجزرى) : اسد الغابة فى معرفة الصحابة ،طهران — ج١ — ص ١١٣-١١٤ ، ابن حجر العسقلانى (احمد بن على) : الاصابة فى تمييز الصحابة — ج١ — القاهرة — ١٩٣٩م — ص ٢٠٥ .

٤ - بعث أسامة بن زيـــد :

أقام النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة بعد ما عاد مـــن حجة الوداع بقية ذي الحجة والمحرم ، ولما كان يوم الاثنين لاربع ليالـــي بقيـــن من صفر سنة احدى عشرة للهجرة ، أمر الرسول ، صلى الله عليـــه وسلم ، بتجهيز جيش كبير لغزو الروم فى فلسطين وجعل " أسامة بن زيـــد " أميرا على هذا الجيش ، ومرض النبى ، صلى الله عليه وسلم ، يوم الاربعـــاء ورغم المرض الذى ألم به فقد عقد ، صلي الله عليه وسلم ، لاسامة اللـــواء بيده يوم الخميس ، وأمره بأن يغزو ويقاتل الكفر فى سبيل الله (١) ، وبعـــد أن اكتملت التجهيزات والاستعدادات ، خرج أسامة بالجيش الاسلامى وفيه جلـــه المهاجرين والانصار وعسكر فى " الجرف " (٢) ، على بعد حوالى ثلاثة اميـــال من المدينة ، وعندما تهيأ الجيش الاسلامى للتحرك الى الشام اشتد المـــرض بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فعاد اسامة بن زيد الى المدينة سريعـــا ومعه عمر بن الخطاب وابو عبيدة بن الجراح ، وماهى الا لحظات حتى توفـــي النبى صلى الله عليه وسلم (٣) ، فكان ذلك فى يوم الاثنين الثانى عشر مـــن شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة هجرية (٤) .

ويذهب رواة السيرة القدامى والمحدثين الى أن السبب فى اعدادا هذا الجيش هو الثار لقتل زيد بن حارثة واصحابه يوم مؤتة ، غير أن هنـــاك

---

(١) كتاب المغازى - ج٣ - ص ١١١٧ ، الطبقات الكبرى ج٢ ص ١٨٩-١٩٠ ، سيـرة ابن هشام ج٤ ص ٢٥٣، ٢٥٤.

(٢) كتاب المغازى ج٣ ص ١١١٨ ، الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٩٠ ،

(٣) كتاب المغازى ج٣ ص ١١٢٠ ، الطبقات الكبرى ج٢ ص ١٩١.

(٤) كتاب المغازى ج٣ ص ١١٢٠ ، الطبقات الكبرى ج٢ ص ١٩١ ، تاريخ الطبرى ص ١٩٩-٢٠٠.

من يذهب الى ابعد من ذلك فيرى أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، انما كان يحسب لناحية الروم حسابها ، ويرى ضرورة توطيد سلطان المسلمين على حدود الشام ، ويخشى ان تثور الذكريات بحماة المسيحية من الروم فيعلنوا الحرب على من طاردوا النصرانية من بلاد العرب ، ومن هنا كانت غزوة تبوك ، التي قادها بنفسه ، وفي ظروف قاسية حتى أطلق عليها - كما رأينا من قبل - جيش العسرة ، ومن هنا أيضا كانت سرية أسامة بن زيد (١) ، كما يذهب أحد العلماء الى سبب لايتعارض مع هذا الاتجاه ، وان كان سببا مباشرا ، وهو أن " فروة بن عمرو الجذامي " كان واليا من قبل الروم على معان (تبعد ٢١٢ كيلا جنوب عمان عاصمة الاردن) وماحولها من اراضي الشام ، وقد اعتنق فروة الاسلام فغضب الروم لذلك وجردوا عليه حملة جاءت به ، فالقي في السجن ثم ضربت عنقه على ماء لهم يقال له " عفراء " بفلسطين وترك هناك مصلوبا ليرهب غيره من الامراء الذين يريدون اعتناق الاسلام ، ومن ثم فقد أعد النبي ، صلى الله عليه وسلم جيش اسامة بن زيد وامره ان يوطيء الخيل تخوم البلقاء الداروم من ارض فلسطين ، يبغي بذلك ارهاب الروم واعادة الثقة الى قلوب العرب الضاربين على الحدود حتى لايحسبن احدا ان بطش الكنيسة لامعقب له ، وأن الدخول في الاسلام يجر على أصحابه الحتوف فحسب (٢) .

وعلى اى حال فان هذا البعث لم يقدر له الخروج الا على ايام ابي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، حيث اشتدت العلة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم كان قضاء الله ان ينتقل الى الرفيق الاعلى وظل جيش اسامة مرابطا في "الجرف" خارج المدينة ، وكان الناس يتوقعون ان يعود هذا الجيش الى المدينة وتلغى عملية غزو الروم التي آمر بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن بعد

---

(١) محمد حسين هيكل : المرجع السابق ص ٤٦٧ ، امين دويدار : المرجع السابق ص ٥٩٧ .

(٢) محمد الغزالي : فقه السيرة - القاهرة ١٩٧٦م - ص ٤٩١ .

أن تم دفن النبى صلى الله عليه وسلم وبويع أبوبكر الصديق بالخلافة فانه أمر جيش أسامة بالتحرك لغزو الشام كما هى أوامر النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فكلم المسلمون ابا بكر بابقاء جيش اسامة للدفاع عن المدينة بعد ان ارتدت قبائل كثيرة من العرب ،فرفض أبوبكر الصديق ، رضى الله عنه ، ذلك وأصر على انفاذ جيش أسامة الى هدفه وبقيادة أسامة بن زيد[(١)] ، فسار أسامة بالجيش حتى وصل البلقاء فانزل الهزيمة بالاعداء وانتقم للمسلمين وأبيه الذى قتل فى مؤتة اشد انتقام ، ثم عاد بعد ذلك من الشام الى المدينة منتصرا ومحققا الهدف الذى أرسل من أجله[(٢)] .

...

(١) تاريخ الطبرى جـ٣ ـ ص ٢٢٣-٢٢٦ ، الكامل فى التاريخ جـ٢ ـ ص ٢٢٦، البداية والنهاية ـ جـ ٦ ص ٣٠٤.

(٢) تاريخ الطبرى ـ جـ٣ ص ٢٢٧ ، الكامل فى التاريخ جـ٢ ص ٢٢٧.

٥ - الفتح الاسلامى لفلسطين :

اتجهت أنظار النبى ، صلى الله عليه وسلم الى فلسطين فشرع فى التمهيد لتطهير بيت المقدس وتأمين حدود الدولة الإسلامية الشمالية ، فبعث بالسرايا والدعاة الى الشام ، فكانت كما اشرنا من قبل مؤتة فى سنة ثمانى هجرية ، وكانت تبوك سنة تسع من الهجرة ، ثم كانت بعثة اسامة بن زيد فى سنة احدى عشر هجرية والتى توقفت بسبب مرض الرسول على الله عليه وسلم ووفاته وعندما تولى أبوبكر الصديق رضى الله عنه ، الخلافة امر أن يواصل جيش أسامة سيره ويحقق المهمة التى آمر بها الرسول صلى الله عليه وسلم وقد استطاع أسامة بن زيد الحاق الهزيمة بالروم فى جنوبى الشام وهكذا كانت بعثة اسامة ومن قبلها غزوة مؤتة الفاتحة للحملة الكبرى لتطهير بلاد الشام بما فيها فلسطين التى يوجد فيها المدينة العزيزة والمقدسة عند المسلمين وهى بيت المقدس وأولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، والتى اليها اسرى بالرسول صلى الله عليه وسلم ، ومنها عرج به الى السماء .

وهكذا مهد الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، الطريق للفتوحات الاسلامية فى العراق والشام ومصر وغيرها من الاقطار ، فقام الخلفاء الراشدون بتلك المهمة خير قيام ، ولقد اختلف الباحثون فى تعليل حركة الفتوحات الاسلامية وتفسير الدوافع التى كانت من أجلها فبعضهم - وهم من الحاقدين على الدين الاسلامى - يرجعها الى أسباب ودوافع اقتصادية (١) ، والبعض الاخر يرجعها الى دوافع وأسباب قومية (٢) ، ولكننا ننكر ونرفض هذين الدافعين الاقتصادى والقومى ، جملة وتفصيلا ، فالفتوحات الاسلامية لم يكن الغرض منها

---

(١) انظر هذه الاراء بالتفصيل فى عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية - الاسكندرية ١٩٧٣ - ص ١٨٣-١٨٦.

(٢) نفس المرجع السابق - ص ١٩١-١٩٤.

الحصول على الاموال وايجاد اسواق تجارية جديدة ، أو البحث عن سلع وبضائع تجارية ، او بغرض فرض السيطرة على طرق القوافل التجارية ،كما ان تلك الفتوحات لم تكن لتحقيق وحدة قومية بين القبائل العربية لان الاسلام للناس جميعا وليس لأمة دون أمة ، ولا للعرب دون العجم ، وانما للناس كافة ، فالدين الاسلامى يحارب العصبية والتعصب ويقاوم العناصر العنصرية وهو يجمع الناس كلهم تحت كلمة واحدة وهى توحيد الله ، والواقع ان دوافع واسباب الفتوحات الاسلامية ارفع واسمى من كل ذلك الا وهى نشر الدين الاسلامي بين الناس كافة ، ورفع كلمة التوحيد ، وقد جاهد المسلمون باموالهم وانفسهم فى سبيل هذا الهدف العظيم ،فالجهاد فى سبيل الله والرغبة في نشر العقيدة الاسلامية هو الباعث لمحرك والدافع الاساسى لحركة الفتوحات الاسلامية والمسلمون مكلفون بموجب نصوص دستورهم ، القرآن الكريم والسنة النبوية بنشر هذا الدين والمجاهدة فى سبيل ذلك ٠

هذا ولم يكد أبوبكر الصديق رضى الله عنه ينتهى من حروب الردة ، حتي أرسل الجيوش الاسلامية لفتح البلاد ونشر الاسلام فيها ، فوجه الخليفة الاول الجيوش لغزو الفرس والروم فى وقت واحد ، فارسل خالد بن الوليد الى "الحيرة" بالعراق فى السنة الثانية عشرة للهجرة (١) ، ثم بدا فى السنة الثالثة عشرة للهجرة فى توجيه الجيوش الى بلاد الشام حيث دعا الخليفة الاول رضي الله عنه المقاتلين من جميع ارجاء الجزيرة العربية للجهاد فى سبيل الله فلبوا جميعا هذه الدعوة بحمية وحماسة شديدين ، فأمرهم بغزو بلاد الشام غزوا شاملا لتطهيره من الروم ونشر الاسلام بين ربوعه ، فقرر لذلك أن يرسل أربعة جيوش وعقد لواءها لاربعة من أشهر وأمهر القادة بين المحاربين المسلمين وقد عين لكل قائد منهم اقليما فى الشام تكون فيه عملياته العسكرية ،

---

(١) تاريخ الطبرى — ج٣ — ص ٣٤٣ — ٣٥٠ ، الكامل فى التاريخ —٢ ص ٢٦١ ، البداية والنهاية ج٦ — ص ٣٤٢٠

فأبوعبيدة بن الجراح وجهته كانت حمص ،ويزيد بن ابى سفيان وجهته كانت دمشق ، وشرحبيل بن حسنة وجهته كانت وادى الاردن ، واخيرا عمرو بن العاص كانت وجهته فلسطين [1]، وقد خاضت هذه الجيوش الاسلامية معارك حربية كبرى وفاصلة مع الروم البيزنطيين ، انتهت جميعها بالنصر المؤزر للمسلمين ومن ثم سيطرتهم على بلاد الشام .

- فتح فلسطين وتسليم القدس الى الخليفة عمر بن الخطاب :

أرسل أبوبكر الصديق رضى الله عنه جيوشه لفتح الشام وأمرهم أن يعاون بعضهم بعضا ، وأن يكونوا جميعا تحت قيادة ابى عبيدة ، وقد كلف عمرو بن العاص بفتح فلسطين ، وكذلك مد الجيوش الاخرى اذا دعت الحاجة الى ذلك ، وعندما سار عمرو بن العاص بجيشه الى فلسطين اوصاه الخليفة الاول أبوبكر الصديق وصية تدل على حرصه على المسلمين وتعكس اخلاق المسلمين فى حربهم العادلة للجهاد فى سبيل الله [2]، وتوالت انتصارات المسلمين فى الشام ، ولكننا لانريد أن ندخل فى تفاصيل ماحدث للجيوش الاسلامية فى الشام ، وانما نريد أن نذكر ان عمرو بن العاص سار على رأس جيشه الى فلسطين ، وراح يفتتح المدن الفلسطينية الواحدة تلو الاخرى ، وبعد معركة اجنادين (وهى بلدة تقع بين الرملة وبيت جبرين فى فلسطين) فى سنة ١٣ هـ (٦٣٤ م)[3]

---

(١) تاريخ الطبرى - جـ٣ ص ٣٨٧ ، الكامل فى التاريخ جـ٢ ص ٢٧٦-٢٧٧ ،البداية والنهاية جـ٧ ص ٣ ، البلاذرى : فتوح البلدان - بيروت ١٩٨٣ ص ١١٥ - ١١٧.

(٢) انظر هذه الوصية فى الواقدى : فتوح الشام - بيروت - جـ١ - ص ٧-٨ .

(٣) تاريخ الطبرى - جـ٣ - ص ٤١٥ - ٤١٨ ، ٦٠٥ - ٦٠٧ ، الكامل فى التاريخ جـ ٢ ص ٢٨٦-٢٨٧ ، فتوح البلدان ص ١٢٠-١٢٢.

أصبحت أبواب فلسطين مفتوحة على مصراعيها أمام المد الاسلامى ، وبعد ان غلب المسلمون الروم فى معركة اليرموك وفتحت دمشق [(١)] ، اتجهوا بانظارهم شطر فلسطين ثم مالبث ان سقطت بقية مدنها وبقاعها بايدى الفاتحين المسلمين فخضعت لهم "نابلس" و "اللد" و "يبنى" و "سبطية" و "عمواس" و "بيت جبرين" و "يافا" و "عكا" و "مرجعيون" و "عسقلان" و "رفح" و "غزة" [(٢)] ، وصدرت الاوامر من الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، الذى تولى الخلافة بعد ان انتقل الصديق ، رضى الله عنه ، الى دار البقاء في جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ [(٣)] ، بالزحف الى " ايليا " (بيت المقدس) فحاصرها المسلمون زهاء أربعة شهور لم ينقطع فيها القتال بين الطرفين .

وظل عمرو بن العاص محاصرا "ايليا" فى ظل ظروف مناخية صعبة حيث البرودة شديدة فى الشتاء ، وقد م عليه أبوعبيدة بن الجراح وهو لايزال محاصرا لها فكتب ابوعبيدة الى أهل " ايليا " يدعوهم الى الايمان بالله ورسوله او الدخول فى طاعة المسلمين ودفع الجزية ، او القتال ، ونظر أهل "ايليا" فى امرهم فوجدوا انه ليس لهم مخرجا من ذلك سوى الاستسلام فطلبوا الصلح من أبى عبيدة على شرط ان يتولى الخليفة عمر بن الخطاب

---

(١) اختلف المؤرخون حول تحديد تاريخ معركة اليرموك وفتح دمشق ، فبعضهم ذكر انها كانت فى سنة ١٣ هـ والبعض الاخر فى سنة ١٥ هـ ، وقد جعلها البعض قبل فتح دمشق والبعض الاخر بعد فتح دمشق (انظر هذه الاراء في تاريخ الطبرى جـ٣ — ص ٣٩٤—٤١٤ ، الكامل فى التاريخ — جـ٢ — ص ٢٨١، ٢٩٣ البداية والنهاية جـ٧ — ص ٤—١٦ ، فتوح الشام — جـ١ — ص ٩٦—١١٠، فتوح البلدان — ص ١٤٠—١٤٤.

(٢) راجع مواقع هذه المدن فى : محمود شيت خطاب : قادة فتح الشام ومصر — بيروت ١٩٧٥ — ص ١٣٥—١٣٦.

(٣) تاريخ الطبرى — جـ٣ — ص ٤١٩ ، الكامل فى التاريخ جـ ٢ ص ٢٨٧.

رضى الله عنه استلام المدينة ويعطيهم عهدا ويكتب لهم الأمان ، فقبل أبوعبيدة طلبهم واخذ عليهم عهدا بان يسلموا المدينة عند حضور الخليفة عمر بن الخطاب ويدخلوا فيما دخل فيه أهل مدن الشام ، وكتب أبوعبيدة الى الفاروق عمر بن الخطاب بشأن ذلك ، فوافق عمر بن الخطاب رضى الله عنه على ما اتفق عليه الطرفان حقنا للدماء وسافر امير المؤمنين الى " ايليا " (بيت المقدس) ، وهناك استقبله بطريرك المدينة "صفرونيوس Sophronius" ومعه كبار الاساقفة ، وبعد ان تحدثوا فى شروط التسليم انتهوا الى التوقيع على وثيقة الصلح التى اشتهرت باسم "العهدة العمرية " والتى تعد من الاشار الخالدة الدالة على عظمة تسامح المسلمين فى التاريخ [1] ، وقد كان فتح "ايليا " (بيت المقدس) صلحا فى سنة ١٦ هـ ز ٦٣٧ م) أوفى أواخر سنة ١٥ هـ (٦٣٦م) ، وقيل أنها فى سنة ١٧ هـ (٦٣٨ م) [2] ، فى حين ذكر أن حصار بيت المقدس كان فى عام ١٦ هـ ، وأن الصلح كان فى عام ١٧ هـ [3] .

وهكذا وبعد أن تم ابرام وثيقة تسليم مدينة "ايليا" (بيت المقدس) فى فلسطين الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أصبحت فلسطين كلها خاضعة للحكم الاسلامى وتحررت هذه المدينة المقدسة من حكم الرومان الذى استمر حوالى ٧٠٠ سنة (٦٣ ق.م - ٦٣٧ م) واصبحت بيت المقدس مدينة مسلمة عربية .

---

(١) تاريخ الطبرى - جـ٣ - ص ٦٠٧-٦١٢ ، فتوح الشام - جـ١ - ص ١٤٣- ١٥٥ ، الكامل فى التاريخ : جـ٢ - ص ٣٤٧ - ٣٥٠ ، البداية والنهاية : جـ ٧ - ص ٥٥ - ٦١ ، فتوح البلدان - ص ١٤٤ .

(٢) انظر : تاريخ الطبرى : جـ٣ - ص ٥٧٩ ، ٦١٠ ، الكامل فى التاريخ : جـ٢- ص٣٤٩ ، فتوح البلدان : ص ١٤٤ ، البداية والنهاية - جـ٧ - ص ٥٧ ، فضائل القدس - ص ١٢٢ ، تاريخ اليعقوبى - جـ٢ - ص ١٦٧ .

(٣) معجم البلدان : جـ٥ - ص ٥٩٨-٥٩٩ .

فقد أخذت القبائل العربية تشد الرحال منذ ذلك العهد الى بيت المقدس واستقرت هناك ، ولم يشعر سكان تلك المدينة بالأمان أكثر مما شعروا به بعد الفتح الاسلامى لمدينة القدس وتسليمها لأمير المؤمنين وخليفة المسلمين ، عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ومنذ ذلك الوقت والقدس تحظى بعناية واهتمام المسلمين لها على نحو قريب من عنايتهم واهتمامهم بالمسجد الحرام فى مكة المكرمة ، والمسجد النبوى الشريف فى المدينة المنورة .

•••

الخاتمة

الخاتمـــــــة

نحمد الله الكريم الذى وفقنا وساعدنا على اكمال هذا البحث عـــــن العلاقات بين الجزيرة العربية وفلسطين حتى الفتح الاسلامى ، فبعد دراســــة تاريخية مسهبة استطعنا التوصل الى نتائج تؤكد وبالعديد من الادلـــــة والبراهين العلمية علىوجود علاقات وروابط بينالجزيرة العربية وفلسطين فـــى مختلف النواحى ولاسيما الدينية منها ، وقد اتضح ان هذه العلاقات والروابـــط لم تكن مقصورة على العصور القديمة وانما امتدت الى مابعد ذلك ، وهى ماتـزال باقية حتى اليوم ٠

وعند دراسة الاصول التاريخية لمسميات العرب والكنعانيين والفلسطينيـــن اتضح أن اصل العرب من الجزيرة العربية ، وان تسميتهم بذلك يعود نسبه الـــى لغتهم الام وهىاللغة العربية ، وأن تسميتهمبالعرب يعنىمفهوما دينيا وثقافيا اكثر من كونه مفهوما جنسيا وعرقيا٠

اما فلسطين فقد عرفت قديما باسم " أرض كنعان " نسبة الى الكنعانييـــن والذى يعود أصلهم أيضا من الجزيرة العربية ، وربما أطلق عليهم اســـــــم الكنعانيين نسبة الى كلمة " كناخى Knaggi " الحورية ، والتى تعنـى الصباغ الارجوانى أو القرمزى ، وقد جاءت تسميتهم هذه نظرا لشهرتهم فى صناعـــة الصباغ الارجوانى وتجارتهم فيه ، وقد أطلق على " ارض كنعان " اسم "فلسطيـن" نسبة الى الفلسطينيين ، وهم أحد قبائل شعوب البحر ، واحتفظ التاريـــــخ باسمهم على فلسطين ، ليس لانهم كانوا الغالبية العظمى من سكانها ولا لانهـــم بسطوا نفوذهم على جميع اراضيها ، ولكن لانهم اخر من نزل فى اراضيها ، ولكثرة ذكر اسمهم فى أسفار العهد القديم ٠

ويعود أصل سكان الجزيرة العربية من العرب ، وكذلكمعظم سكان فلسطيـــن، الى ما اصطلح على تسميتهم باسم " الشعوب السامية " ٠ وهذه التسمية لاتعنـــى شعوبا مميزة عرقيا أو جنسيا وانما تقوم وتستند على أساس لغوى ، فالساميـــون كانوا يتحدثون بلغات متشابهة ومتقاربة ، مما يدل على أن هناك موطنا أصليـــا

كان يجمعهم فى فترة ما من التاريخ ، وكانت هناك لغة واحدة هى اللغة الأم لكل اللهجات السامية .

وتعتبر الجزيرة العربية هى الموطن الاصلى للشعوب السامية ، فالجزيرة العربية كانت عبارة عن خزان بشرى كبير يفيض بسكانه على شكل موجات متتالية من الهجرات البشرية الى المناطق الخصبة المتاخمة لها مثل فلسطين وسورية والعراق ووادى النيل ، وكان الاموريون والكنعانيون والاراميون من الشعوب السامية التى هاجرت من الجزيرة العربية الى فلسطين فيما بين الألف الثالثة والألف الثانية قبل الميلاد .

وقد لعب الاموريون والكنعانيون والاراميون دوراً هاما فى تاريخ فلسطين، فالاموريون كانوا يسيطرون على المناطق الجبلية من فلسطين وشرق الاردن قبل قدوم العبرانيون اليها ، كما استطاع الكنعانيون أن يؤسسوا دويلات مدن ومراكز تجارية على طول السواحل الشرقية للبحر المتوسط ، وامتدت من أوجاريت شمالا حتى غزة فى الجنوب ، وقد عرفت فلسطين قديما باسم " أرض كنعان" نسبة اليهم ، وبقيت كذلك حتى مجىء بنى اسرائيل اليها .

وقد أسس الآراميون دولة كبرى فى الممر الواقع بين جبال لبنان الصحراوية ونهر الفرات خلال النصف الاخير من الالف الثانية قبل الميلاد ، ومع حلول القرن التاسع قبل الميلاد أخذت قوتهم وسيطرتهم فى الاضمحلال ، ومن ثم اختفوا من مسرح الاحداث كقوة سياسية ، ولكنهم استمروا كمجتمع وثقافة لعدة قرون ، فقد تركوا للشرق ميراثا حضاريا وهو اللغة الارامية ، وقد ظلت اللغة الارامية هى اللغة الدولية فى الشرق حتى العصور الميلادية .

ويرجع نسب أبو الانبياء ابراهيم ، عليه السلام ، الى القبائل الارامية التى هاجرت أصلا من الجزيرة العربية فى الالف الثانية - ربما فى نهاية الالف الثالثة - قبل الميلاد واستقرت على ضفاف نهر الفرات الاوسط ، وكانت " حاران "

- وليست اور الكلدانيين - هي موطنه ومسقط رأسه ، وقد عاش فيها فترة من الزمن ، وفى تلك البيئة انتشرت الوثنية فدعاهم ابراهيم الى عقيدة التوحيد ونبذ عبادة الاوثان والاصنام ، ولما فقد الامل في ايمانهم بدعوته للتوحيد قرر ، بوحي من الله ، أن يهاجر من موطنه الى " آرض كنعان " (فلسطين) ليحمل لواء دعوة التوحيد هناك .

عاش ابراهيم فى فلسطين مدة من الزمن ، وقد رزقه الله فيها من زوجته السيدة " هاجر " ولده البكر " اسماعيل " ، كما وهبه الله من زوجته الاولى السيدة " سارة " على الكبر " اسحاق " ، وقد خص الله سبحانه وتعالى ابراهيم عليه السلام ، بأن جعل فى ذريته النبوة ، فقد تفرعت منه شجرة النبوة في فلسطين والجزيرة العربية ، فمن ولده اسحاق جاء يعقوب ، عليه السلام ، ومن نسل يعقوب كان الانبياء والرسل فلسطين ، ومن ابراهيم تفرعت شجرة النبوة الى الجزيرة العربية ، فبعد أن ولد " اسماعيل " أخذه والده ومعه امه " هاجر " ورحل بهما ، امتثالا لامر الله عز وجل ، الى مكة ، وأسكنهما فى ذلك الوادى الغير ذى زرع ، فكانت تلك الهجرة هى التمهيد لنشر دعوة التوحيد فى بيئة جديدة والبداية لاعظم مهمة خلدت ذكر ابراهيم واسماعيل وهى بناء الكعبة المشرفة وبيت الله الحرام ، وقد عاش اسماعيل فى تلك البيئة ودفن فيها ، ومن نسله جاء خاتم الانبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم .

وهكذا جعل الله فى ذرية ابراهيم ، عليه السلام ، النبوة ، فكان من نسله الانبياء والرسل فى فلسطين ومنهم اسحاق ويعقوب وايوب وداود وسليمان والياس واليسع وزكريا ويحي والمسيح ، عليهم السلام ، وكذلك فى الجزيرة العربية ومنهم اسماعيل وشعيب ، ومن نسل اسماعيل كان سيد الاولين والآخرين وخاتم الانبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم ، والرسالات السماوية التى جاؤوا بها كانت ذات هدف واحد وهو الدعوة الى التوحيد .

وجميع الرسالات السماوية فى فلسطين والجزيرة العربية كانت لهدف دعوة الامم فيها الى التوحيد فىالعقيدة ووحدانية السيادة لله الواحد القهار وعدم الشرك به ، فقد بعث النبى هود ، عليه السلام ، لقوم عاد ، والنبي صالح ، عليه السلام ، لقوم ثمود ، كما بعث لوط ، عليه السلام لتحقيق هذا الهدف ، ولما لم يستجب هؤ لاء القوم لدعوات الانبياء والرسل للتوحيد فىعقيدتهم أهلكهم الله جميعا ليكونوا عبرةوعظة للاقوام الاخرى .

وهكذا نجد ان جميع الرسالات السماوية فى فلسطين والجزيرة العربية كانت لدينواحدوهو دين الله الذى آرسل به انبياءه ورسله فى كل أمة منذ أقدم العصور حتىعصر البعثة المحمدية وهو دين التوحيد ، وهو الاسلام ،لان الدين عند الله الاسلام واليه دعى جميع الانبياء والمرسلين ، وان اختلفتوتنوعت شرائعهم .

وقد كانت دعوات جميع الانبياء والرسل الى قومهم خاصة ماعدا الرسالة التى جاء بها النبى محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فقد أرسل الله سبحانه وتعالى المصطفىالمختار للناس كافة ، بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله ، وليكون رحمة للعالمين .

ولم تكن العلاقات والروابط بينالجزيرة العربية وفلسطين مقصورة على النواحى الدينية وانما شمل أيضا النواحى التجارية ،فالجاليات المعينية والسبئية ، التى كانت تعيش فىالاجزاء الشمالية من الجزيرة العربية ، كان لها نشاطا تجاريا مع فلسطين ، وسيطروا على الجزء الاعظم من التجارة العالمية فى الجزيرة العربية ، وكانت قوافلهم المحملة بمنتجات جنوب الجزيرة العربية وافريقية الشرقية والهند تصل الى فلسطين عبر طرق ومراكز تجارية خاضعة لنفوذهم ، فكانت تلكالقوافل تحمل الى فلسطيناللبان والمر والطيوت والتوابل وغير ذلك من السلع والبضائع ، وتعود محملة بمنتاجات وصناعات بلاد الشام .

كما ارتبط اللحيانيون ، بحكم موقع دولتهم فى الجزء الشمالى الغربى من الجزيرة العربية بعلاقات تجارية مع فلسطين , فمن موقع دولتهم الذى كان يتحكم بطرق التجارة بين الجزيرة العربية وفلسطين استطاع اللحيانيون جمع ثروة عظيمة من عائدات النشاط التجارى بين فلسطين والجزيرة العربية .

كذلك قامت علاقات وثيقة بين الجزيرة العربية وفلسطين فى عهد دولة الانباط التى قامت فى الاجزاء الشمالية الغربية من الجزيرة العربية وحتى الاجزاء الجنوبية الشرقية من فلسطين ، والتى وصلت فى أوج عظمتها وتوسعها الى دمشق فى الشمال ، والحجر فى الجنوب . وقد وصلت تلك العلاقات فى عهدهم الى الذروة ، ليس فى النواحى التجارية وانما شمل النواحى السياسية والعسكرية ، بل وصلت الى حد المصاهرة ، وبحكم موقع دولتهم بالنسبة لفلسطين فقد كان لهم نشاطا تجاريا عظيما , فقد كانت قوافلهم التجارية تحمل السلع والبضائع المختلفة ، من منتجات جنوب الجزيرة العربية والهند وشرق افريقية ، لتبيعها فى فلسطين وسورية ، وتحمل فى طريق عودتها من فلسطين الى الجزيرة العربية منتجات فلسطين وسورية الزراعية والصناعية المطلوبة فى أسواق الجزيرة العربية .

واستمرت العلاقات التجارية بين الجزيرة العربية وفلسطين حتى عهد دولة الغساسنة العربية ، وقد كان لموقع دولتهم الممتاز فى منطقة حوران بسورية الفضل فى تحكمهم فى الطرق التجارية الموصلة من والى فلسطين ، فكانت دولتهم محطة رئيسية للقوافل التجارية عند التقاء طرق التجارة التى تربط فلسطين بالجزيرة العربية ، وقد استغل الغساسنة هذا الموقع فى السيطرة على البضائع والسلع المتجهة من الجزيرة العربية الى فلسطين وبالعكس ، ومن صور العلاقات التجارية بين الجزيرة العربية وفلسطين فى عهد دولة الغساسنة برز النشاط التجارى فى عصر قريش ، فقد كانت قوافل القرشيين تتجه الى الشام حتى تصل " بصرى " قاعدة ملك الغساسنة ، فتفرغ حمولتها هناك وتعود منها محملة ببضائع وسلع من بلاد الشام .

وعندما بزغ نور الاسلام فى الجزيرة العربية بدأت العلاقات والروابط بين الجزيرة العربية وفلسطين تاخذ طابعا دينيا وروحيا اكثر من قبل ، فانظار المسلمين اخذت تتجه الى فلسطين بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة فالقدس مدينة مقدسة ولها مكانة عظيمة فى نفوس المسلمين ، فهى مقر الانبياء والرسل من عهد ابراهيم الخليل عليه السلام ، وفيها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

وقد كانت غزوة مؤتة التى حدثت فى السنة الثامنة للهجرة ، تمثل صورة من تلك العلاقات التى استمرت بين الجزيرة العربية وفلسطين حتى عصر النبوة ، فهذه الغزوة كانت أول انطلاقة للمسلمين لنشر الدعوة الاسلامية فى بلاد الشام وخارج حدود الجزيرة العربية ، وفيها اصطدم المسلمون بجيش الروم وحلفاءهم من نصارى العرب عند قرية مؤتة الواقعة شمال مدينة البتراء وفى الطرف الجنوبى الشرقى للبحر الميت ، وقد أبلى المسلمون فى هذه الغزوة بلاءا حسنا حتى كتب الله لهم النصر على اعداء الاسلام والمسلمين .

وتمثل غزوة تبوك ، الواقعة الى الشرق من خليج العقبة وشمال اقليم الحجاز ، صورة آخرى من تلك العلاقات ، وتعتبر غزوة تبوك التى حدثت فى السنة التاسعة للهجرة أضخم حملة عسكرية يقودها النبى صلى الله عليه وسلم فى حياته وذلك بهدف اظهار مدى القوة التى وصل اليها المسلمون ، واظهار مدى استعدادهم لمواجهة مؤامرات وتحركات الروم ضد المسلمين ، وقد أحرز المسلمون فى هذه الغزوة نصرا كان من نتائجه تامين الحدود الشمالية للدولة الاسلامية ، وعقد المعاهدات الامنية بين النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وبين النصارى العرب المجاورين للروم مثل صاحب ايله (ايلات) وجرباء واذرح ودومة الجندل .

وقد استمر الاتصال بين الجزيرة العربية وفلسطين فى عهد الخليفة أبى بكر الصديق الذى أرسل بعثة آسامة بن زيد لتنفيذ المهمة التى أوكلها

بها الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، قبل وفاته والتى تأخرت بسبب وفاة النبى الكريم صلى الله عليه وسلم ، واستطاع أسامة بن زيد الحاق الهزيمة بالروم فى جنوب بلاد الشام •

وكانت غزوة مؤتة وغزوة تبوك وبعثة أسامة بن زيد هى لتمهيد الطريق للفتوحات الاسلامية فى الشام وتطهير فلسطين ، التى فيها بيت المقدس اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، واليها أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم ومنها عرج به الى السماء ، من سيطرة اعداء الاسلام والمسلمين • وقد تم الفتح الاسلامى لفلسطين فى زمن الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وفتحت بيت المقدس صلحا ، وسلمت الى خليفة المسلمين عمر بن الخطاب بعد توقيع وثيقة الصلح ، التى اشتهرت باسم " العهدة العمرية " بين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وصفرو ينوس ، بطريرك مدينة " ايليا " (بيت المقدس) ، وقد أصبحت فلسطين ، بعد تسليم بيت المقدس للفاروق ، كلها خاضعة للحكم الاسلامى •

•••

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية والمترجمة

أولا: ١- القـــرآن الكريـــــم ٠

ثانيا : كتب الحديث :

٢ - ابن حجر العسقلانى ، احمد بن على : فتح البارى بشرح صحيح البخارى - القاهرة ١٣٨٠ هـ ٠

٣ - ابن حنبل ، أحمد بن محمد : مسند أحمد بن حنبل - القاهرة ١٣١٣ هـ ٠

٤ - ابن ماجه : أبىعبدالله محمد بن يزيد القزوينى : سنن ابن ماجـــه - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى - القاهرة ١٩٥٢م٠

٥ - أبوداود ، سليمان بن الاشعث السجستانى الازدى - سنن ابى داود - حمـــص ١٩٦٩م٠

٦ - البخارى ، أبوعبدالله محمد بن اسماعيل : صحيح البخارى ٠ دار احياء التراث العربى - بيروت (بدون)٠

٧ - التبريزى ، محمد بن عبدالله : مشكاة المصابيح - دمشق ١٩٧٩م٠

٨ - الترمذى ، محمد بن عيسى : سنن الترمذى - مراجعة وتصحيح عبدالوهاب عبداللطيف - المدينة المنورة ١٩٦٣م٠

٩ - الحاكم النيسابورى ، محمد بن عبدالله : المستدرك على الصحيحين فـــى الحديث - بيروت ١٩٧٨م٠

١٠- الدارمى ، عبدالله بن عبدالرحمن : سنن الدارمى - دمشق ١٣٤٩هـ٠

١١- الطبرانى ، سليمان بن أحمد : المعجم الصغير - صححه وراجع اصولـــه عبدالرحمن عثمان - المدينة المنورة ١٩٦٨م٠

١٢- الطحاوى ، أحمد بن محمد : مشكل الاثار - حيدر اباد - ١٩٦٨م.

١٣- مالك بن أنس : الموطأ - القاهرة ١٣٣١ هـ .

١٤- مسلم ، أبوالحسن مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى : صحيح مسلم تحقيق فؤاد عبدالباقى - بيروت ١٩٧٢م.

١٥- النسائى ، أحمد بن على : سنن النسائى - القاهرة ١٩٣٠م.

ثالثا : كتب التفسير :

١٦- ابن حيان، محمد بن يوسف بن حيان الاندلسى : البحر المحيط - بيروت - ١٩٨٣م.

١٧- ابن كثير ، الحافظ عماد الدين ابى الفداء اسماعيل : تفسير القران العظيم - بيروت ١٩٨٢م.

١٨- ابن كثير ، الحافظ عماد الدين ابى الفداء اسماعيل : مختصر تفسير ابن كثير - اختصار وتحقيق محمد على الصابونى - بيروت ١٩٨١م.

١٩- ابوالسعود ، محمد بن محمد : ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم - تحقيق عبدالقادر احمد عطا - الرياض (بدون).

٢٠- البيضاوى ، ناصر الدين ابو الخير عبدالله بن عمر : انوار التنزيل واسرار التأويل - القاهرة ١٩٦٨م.

٢١- الالوسى ، ابوالفضل شهاب الدين السيد محمود : روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى - بيروت ١٩٧٨م .

٢٢- جوهر ، طنطاوى : الجواهر فى تفسير القرآن - القاهرة ١٩٧٤م.

٢٣- الخازن ، ابومحمد الحسين الفراء البغوى : لباب التاويل في معاني التنزيل - دار الفكر - بيروت (بدون) .

٢٤- رضا ، محمد رشيد : تفسير سورة يوسف - القاهرة ١٩٣٦م .

٢٥- رضا ، محمد رشيد : تفسير المنار - القاهرة ١٩٧٣م .

٢٦- الزمخشري ، ابوالقاسم جاد الله محمود بن عمر : الكشاف عن حقائق عوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل - القاهرة ١٩٦٦م .

٢٧- السيوطى ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر : الدرر المنثور في التفسير بالمأثور - طهران ١٣٧٧هـ .

٢٨- الشوكانى ، محمد بن على : فتح القدير ، الجامع بين فنى الرواية والدراية في علم التفسير - القاهرة ١٩٦٤م .

٢٩- الصابونى ، محمد على : صفوة التفاسير ، بيروت ١٩٨٠م .

٣٠- الطبرسي ، ابوعلى الفضل بن الحسن : مجمع البيان في تفسير القران - بيروت ١٩٦١م .

٣١- الطبرى ، ابوجعفر محمد بن جرير : جامع البيان من تاويل اى القران - دار المعارف - القاهرة ١٩٧٢م .

٣٢- الفخر الرازى ، أبوعبدالله محمد بن عمر بن حسين القرشي : التفسير الكبير - دار الكتب العلمية - طهران (بدون) .

٣٣- القاسمى ، جمال الدين : محاسن التأويل - القاهرة ١٩٥٧م .

٣٤- القرطبى ، أبوعبدالله محمد بن احمد الانصارى : الجامع لاحكام القرآن - القاهرة ١٩٦٧م .

٣٥- قطب ، سيد : فى ظلال القرآن - بيروت ١٩٨٢م٠

٣٦- النسفى ، أبوالبركات عبدالله بن احمد بن محمد : مدارك التنزيل وحقائق التأويل - بيروت (بدون)٠

رابعا : المصادر والمراجع المتخصصة والعامة :

٣٧- الاباء الفرنسيين : السير السليم فى يافا والرملة واورشليم - القدس ١٨٩٠م٠

٣٨- ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم : مجموعة فتاوى ابن تيمية - الرياض ١٣٨٢هـ٠

٣٩- ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم : كتاب النبوات - بيروت (بدون)٠

٤٠- ابن الاثير ، عزالدين ابوالحسن على الشيبانى : أسد الغابة في معرفة الصحابة - طهران (بدون)٠

٤١- ابن الاثير ، عز الدين ابوالحسن على : الكامل فى التاريخ - بيروت ١٩٧٨م٠

٤٢- ابن الجوزى ، عبدالرحمن بن على : فضائل القدس - تحقيق جبرائيل سليمان جبور - بيروت ١٩٧٩م٠

٤٣- ابن الجوزى ، عبدالرحمن بن على : الوفا فى فضائل المصطفى - القاهرة ١٩٦٦م٠

٤٤- ابن حبيب ، أبوجعفر محمد : كتاب المحبر - حيدر أباد - ١٩٤٢م٠

٤٥- ابن حجر العسقلانى ، أحمد بن على : الاصابة فى تمييز الصحابة - القاهرة ١٩٣٩م٠

٤٦- ابن حزم ، أبومحمد على بن أحمد : جمهرة انساب العرب - القاهرة ١٩٦٢م٠

٤٧- ابن حزم ، أبومحمد على بن احمد : المفصل في الملل والاهواء والنحل - القاهرة ١٩٦٤م.

٤٨- ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد : تاريخ ابن خلدون - بيروت ١٩٨١م.

٤٩- ابن دريد ، أبوبكر محمد بن الحسن : الاشتقاق - القاهرة ١٩٥٨م.

٥٠- ابن سعد ، أبوعبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهري : الطبقات الكبرى - بيروت ١٩٦٠م.

٥١- ابن قتيبة ، أبومحمد عبدالله بن مسلم : المعارف - القاهرة ١٩٦٩م.

٥٢- ابن القيم الجوزية ، محمد بن ابى بكر : زاد المعاد فى هدى خير العباد - القاهرة ١٩٥٠م.

٥٣- ابن كثير ، الحافظ عماد الدين ابى الفداء : البداية والنهاية فى التاريخ - بيروت ١٩٨٢م.

٥٤- ابن كثير ، الحافظ عماد الدين أبى الفداء : السيرة النبوية القاهرة ١٩٦٤م.

٥٥- ابن كثير ، الحافظ عماد الدين أبى الفداء : شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضله وخصائصه - القاهرة ١٩٦٧م.

٥٦- ابن كثير ، الحافظ عماد الدين أبى الفداء : قصص الانبياء - تحقيق عبدالقادر احمد عطا الله - بيروت ١٩٨٢م.

٥٧- ابن الكلبى ، المنذر بن هشام : كتاب الاصنام - القاهرة ١٩٥٧م.

٥٨- ابن منبه ، وهب : كتاب التيجان فى ملوك حمير - حيدر اباد - ١٣٤٧هـ.

٥٩- ابن منظور ، ابوالفضل محمد بن مكرم : لسان العرب . بيروت ١٩٥٥م.

٦٠- ابن هشام ، ابومحمد عبدالملك : السيرة النبوية - تحقيق وضبط وشرح وفهرسة مصطفى السقا وآخرون - دار احياء التراث العربى - بيروت (بدون) .

٦١ - أبوزهرة ، محمد : العقيدة الاسلامية كما جاء بها القرآن الكريم - القاهرة ١٩٦٩م.

٦٢- أبوشهبه ، محمد : الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير - القاهرة ١٣٩٢هـ.

٦٣- أبوالفداء ، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل : المختصر في أخبار البشر - القاهرة ١٣٢٥هـ.

٦٤- أحمد ، ابراهيم خليل: محمد فى التوراة والانجيل والقرآن - القاهرة - ١٩٨٣م .

٦٥- الأزرقى ، أبوالوليد محمد بن عبدالله بن أحمد : أخبار مكة وماجاء فيها من الاثار - تحقيق رشدى الصالح ملحس - مكة المكرمة ١٩٦٥م.

٦٦- الاشقر ، عمر سليمان (دكتور) : الرسل والرسالات - الكويت ١٩٨٥م.

٦٧- الاصفهانى ، أبوفرج على بن الهيثم : الاغانى - اشراف وتحقيق ابراهيم الابيارى - دار الشعب - القاهرة ١٩٧٠م.

٦٨- الاصطخرى ، أبواسحاق ابراهيم بن محمد : المسالك والممالك - القاهرة ١٩٦١م.

٦٩- الاصمعى ، عبدالملك بن قريب : تاريخ العرب قبل الاسلام - تحقيق محمد حسن آل ياسين - بغداد - ١٩٥٩م .

٧٠- الالوسى ، السيد محمود شكرى : بلوغ الارب فى معرفة احوال العرب - صححه وضبطه وغنى بشرحه محمد بهجه الاثرى - دار الكتب العلمية - بيروت (بدون).

٧١- أمين ، احمد : فجر الاسلام - بيروت ١٩٦٩م.

٧٢- الانصارى ،حسان بن ثابت : ديوان حسان بن ثابت - القاهرة ١٣٢١ هـ.

٧٣- الانصاري ، عبدالرحمن (دكتور) : لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غرب الجزيرة العربية - مجلة الدارة - العدد الاول - الرياض ١٩٧٥م.

٧٤ - الانصاري ، عبدالرحمن (دكتور) : لمحات عن القبائل البائدة في الجزيرة العربية - الرياض ١٩٦٩م.

٧٥- باسلامه ، حسين عبدالله : تاريخ الكعبة المعظمة - جدة ١٩٨٢م.

٧٦- باشميل ، محمد احمد : غزوة مؤتة - بيروت ١٩٧٤م.

٧٧- بافقيه ، محمد عبدالقادر : تاريخ اليمن القديم - بيروت ١٩٧٣م.

٧٨- باقر ، طه : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة - بغداد ١٩٥٥م.

٧٩- الباقوري ، أحمد حسن : مع القرآن - القاهرة ١٩٧٠م.

٨٠- بدر ، محمد : الكنز في قواعد اللغة العبرية - القاهرة ١٩٢٦م.

٨١- البرقوقي ، عبدالرحمن : شرح ديوان حسان بن ثابت - القاهرة ١٩٢٩م.

٨٢ - برستد ، جيمس هنري : العصور القديمة - ترجمة داود قربان - بيروت ١٩٨٣م.

٨٣ - البكري ، ابوعبيد عبدالله بن عبدالعزيز : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع - القاهرة ١٩٤٥-١٩٥١م.

٨٤- البكري ، صلاح : تاريخ حضرموت السياسي - القاهرة ١٣٥٤هـ.

٨٥- البلادي ، عاتق بن غيث : رحلات في بلاد العرب - مكة المكرمة ١٩٨٣م.

٨٦ - البلاذري ، ابوالحسن احمد بن يحي : فتوح البلدان - راجعه وعلق عليه رضوان محمد رضوان - بيروت ١٩٨٣م.

٨٧- بلاشر ، رجيس : تاريخ الادب العربى - العصر الجاهلى - بيروت ١٩٥٦م .

٨٨- بيضون ، ابراهيم (دكتور) : الحجاز والدولة الاسلامية - بيروت ١٩٨٣م .

٨٩- بيهم ، محمد جميل : دراسة وتحليل للعهد الاصيل - بيروت ١٩٧٤م .

٩٠- ترسيس ، عدنان : اليمن وحضارة العرب - بيروت ١٩٦٥م .

٩١- توفيق ، محمد : آثار معين فى جوف اليمن - القاهرة ١٩٥١م .

٩٢- الثعلبى ، ابواسحاق احمد بن محمد : قصص الانبياء المسمى عرائس المجالس - القاهرة ١٩٤٠م .

٩٣- الثور ، عبدالله احود محمد : هذه هى اليمن - صنعاء ١٩٦٩م .

٩٤- جراهام ، مايكل وآخرون : التقرير المبدئى عن مسح المنطقة الشمالية الغربية (مع لمحة موجزة عن مسح المنطقة الشمالية) مجلة اطلال - العدد الخامس - الرياض ١٩٨١م .

٩٥- حتى ، فيليب : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين - ترجمة د. جورج حداد وابراهيم رافق - بيروت ١٩٨٢م .

٩٦ - حتى ، فيليب : تاريخ العرب (مطول) - ترجمة ادوارد جرجي ود. جبرائيل جبور - بيروت ١٩٦٥م .

٩٧ - حتى ، فيليب : خمسة الاف سنة من تاريخ الشرق الادنى - الجزء الاول - بيروت ١٩٨٢م .

٩٨ - حسين ، طه (دكتور) : فى الادب الجاهلى - القاهرة - ١٩٣٣م .

٩٩ - الحميرى ، نشوان بن سعيد : الروض المعطار فى خبر الاقطار - تحقيق احسان عباس - بيروت ١٩٧٥م .

١٠٠ - الحميرى ، نشوان بن سعيد : ملوك حميرواقيال اليمن - تحقيق وتعليق علي بن اسماعيل المؤيد واسماعيل بن احمد الجرافى - القاهرة ١٣٧٨هـ.

١٠١ - حورانى ، جورج فضلو : العرب والملاحة فى المحيط الهندى - ترجمه وزاد عليه د. السيد يعقوب بكر - القاهرة ١٩٥٨م.

١٠٢ - الحيمى ، الحسن بن احمد : سيرة الحبشة - القاهرة ١٩٥٨م.

١٠٣ - الخازن ، نسيب وهيبه : من الساميين الى العرب - بيروت ١٩٧٩م.

١٠٤ - خالد ، محمد خالد : كما تحدث القرآن - القاهرة ١٩٧٠م.

١٠٥ - الخربوطلى ، على حسنى (دكتور) : تاريخ الكعبة - بيروت ١٩٧٦م.

١٠٦ - خطاب ، محمود شيت : الرسول القائد - بيروت - ١٩٦٤م.

١٠٧ - خطاب ، محمود شيت : قادة فتح الشام ومصر - بيروت ١٩٧٥م.

١٠٨ - الخطيب ، محب الدين : اتجاه الموجات البشرية من جزيرة العرب - القاهرة ١٣٤٤هـ.

١٠٩ - خليل ، عماد الدين : دراسة فى السيرة - بيروت ١٩٧٤م.

١١٠ - دائرة المعارف الاسلامية - دار الشعب - القاهرة ١٩٦٩-١٩٧٢م.

١١١ - دراز ، محمد عبدالله (دكتور) : الدين - بحوث ممهدة لدراسة الاديان - القاهرة ١٩٧٩م.

١١٢ - دروزه ، محمدعزه : تاريخ بنى اسرائيل من اسفارهم - بيروت ١٩٦٩م.

١١٣ - درويش ، محمد طاهر (دكتور) : حسان بن ثابت - القاهرة ١٩٧٤م.

١١٤ - الدباغ ، مصطفى مراد : بلادنا فلسطين - بيروت ١٩٧٣م.

١١٥ - الدسوقي ،خالد طه (دكتور) : قوم‌ثمود بين روايات المؤرخين ومحتويات النقوش - مجلةكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - العدد السادس- الرياض ١٩٧٦م٠

١١٦ - دويدار ، أمين : صور من حياة الرسول - القاهرة ١٩٧٦م٠

١١٧ - الديار بكري ،حسين بن محمد الحسن : تاريخ الخميس في انفس نفيس - القاهرة ١٣٠٢ هـ ٠

١١٨ - ديسور ، رينيه : العرب في سوريا قبل الاسلام - ترجمة عبدالمجيد الدواخلي - القاهرة ١٩٦٨م٠

١١٩ - الدينوري ، أبوحنيفة احمد بن ددود : الاخبار الطوال - تحقيق عبدالمنعم عامر - القاهرة ١٩٦٠م٠

١٢٠- زيدان ، جرجي : العرب قبل الاسلام - بيروت ١٩٧٩م٠

١٢١ - الراوي ، محمد : الدعوة الاسلامية دعوة عالمية - بيروت ١٩٧١م٠

١٢٢ - رزقانه ، ابراهيم احمد (دكتور) واخرون : حضارة مصر والشرق القديم - القاهرة (بدون)٠

١٢٣ - زايد ، عبدالحميد (دكتور) : القدس الخالدة - القاهرة ١٩٧٤م٠

١٢٤ - زايد ، عبدالحميد (دكتور) : مصر الخالدة - القاهرة١٩٦٦م٠

١٢٥ - الزبيدي ، ابوالفيض مرتضى بن محمد : تاج العروس-الكويت (بدون)٠

١٢٦ - الزركشي ، بدر الدين محمد بن‌عبدالله : اعلام‌الساجد باحكام المساجد تحقيق ابوالوفا مصطفى‌المراغي - القاهرة ١٣٨٤ هـ٠

١٢٧ - سالم ، السيد عبدالعزيز (دكتور) : تاريخ‌الدولة العربية - الاسكندرية ١٩٧٣م٠

١٢٨ - سالم ، السيد عبدالعزيز (دكتور) : تاريخ العرب فى عصر الجاهلية - بيروت ١٩٧١م.

١٢٩ - سبينوزا ، باروخ : رسالة فى اللاهوت والسياسة . ترجمة حسن حنفي - القاهرة ١٩٧١م.

١٣٠ - سعيد ، حبيب : خليل الله فى اليهودية والمسيحية والاسلام - القاهرة - (بدون) .

١٣١ - سعيد ، حبيب : المدخل الى الكتاب المقدس - القاهرة (بدون) .

١٣٢ - السمهودى ، نور الدين على بن جمال الدين : خلاصة الوفا باخبار المصطفى - المدينة المنورة - ١٩٧٢م.

١٣٣ - السمهودى ، نور الدين على بن جمال الدين: وفاء الوفا ، باخبار دار المصطفى - القاهرة ١٣٢٦ هـ .

١٣٤ - سوسه ، احمد (دكتور) : العرب واليهود فى التاريخ - بغداد ١٩٨١م.

١٣٥ - السيوطى ، جلال الدين عبدالرحمن ابى بكر : اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الاقصى - تحقيق احمد رمضان احمد - القاهرة ١٩٨٢م.

١٣٦ - السيوطى ، جلال الدين عبدالرحمن ابى بكر : الاكليل فى استنباط التنزيل - القاهرة ١٩٧٣م.

١٣٧ - السيوطى ، جلال الدين عبدالرحمن أبى بكر: المزهر فى علوم اللغة - القاهرة ١٩٤٢م.

١٣٨ - الشاذلى ، عبدالمجيد : حد الاسلام وحقيقة الايمان - مكة المكرمة - (بدون).

١٣٩ - شحاته ، عبدالله (دكتور) : تفسير سورة الاسراء - القاهرة - ١٩٧٥م.

١٤٠ - شحاته ، عبدالفتاح (دكتور) :تاريخ الامة العربية قبل ظهور الاسلام - القاهرة ١٩٦٠م.

١٤١ - شرف الدين ، احمد حسين : اللغة العربية فيعصور ماقبل الاسلام - القاهرة ١٩٧٥م.

١٤٢ - شرف الدين ، احمد حسين : اليمن عبر التاريخ - الرياض ١٩٨٠م.

١٤٣ - الشرقاوي ، محمود : الانبياء في القرآن الكريم - القاهرة ١٩٧٠م.

١٤٤ - الشريف ، محمود : الاديان فيالقران - جدة ١٩٧٩م.

١٤٥ - الشريف ، احمد ابراهيم (دكتور) : مكة والمدينة فيالجاهلية وعصر الرسول - القاهرة ١٩٦٥م.

١٤٦ - الشعراوي ، محمد متولي : الاسراء والمعراج - جدة ١٩٧٤م.

١٤٧ - شلبي ، احمد (دكتور) : موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ١٩٨٤م.

١٤٨ - شلتوت ، محمود : الفتاوي ، دراسةلمشكلات المسلمالمعاصرفي حياته اليومية - القاهرة ١٩٧١م.

١٤٩ - الصابوني ، محمد علي : النبوة والانبياء - بيروت ١٩٧٠م.

١٥٠ - الصالح ، عبدالعزيز (دكتور) : الشرق الادنى القديم - مصر والعراق - القاهرة ١٩٨٤م.

١٥١ - صقر ، عطيه : الدينالعالمي ومنهج الدعوة اليه - القاهرة١٩٧٠م.

١٥٢ - الطحاوي ، احمد بن محمد : العقيدة الطحاوية - بيروت ١٩٧١م.

١٥٣ - الطحاوي ، احمد بن محمد : مشكل الاثار - حيدر اباد - ١٩٦٨م.

١٥٤ - الطبري ، ابوجعفر محمد بنجرير : تاريخالامم والملوك - تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم - دار سويدان - بيروت (بدون).

١٥٥ – الطبرى ، ابوجعفر محمدبن جرير : تاريخ الامم والملوك – دار المعارف – القاهرة ١٩٦٧م.

١٥٦ – ظاظا ، حسن (دكتور) : الفكر الدينى الاسرائيلى – القاهرة ١٩٧١م.

١٥٧ – ظاظا ، حسن (دكتور) : القدس – الاسكندرية – ١٩٧٠م.

١٥٨ – ظاظا ، حسن (دكتور) : الساميون ولغاتهم – الاسكندرية ١٩٧١م.

١٥٩ – العارف ، عارف باشا : تاريخ القدس – القاهرة ١٩٥١م.

١٦٠ – عبدالحميد ، سعد زغلول (دكتور): فى تاريخ العرب قبل الاسلام – بيروت – ١٩٧٦م.

١٦١ – عبدالحميد ، محمد حسنى : ابوالانبياء ، ابراهيم الخليل – القاهرة – ١٩٤٧م.

١٦٢ – عبده ، محمد : رسالة التوحيد – القاهرة ١٩٦٩م.

١٦٣ – عصفور ، محمد ابوالمحاسن (دكتور) : تاريخ الشرق الادنى القديم ، من اقدم العصور حتى مجئ الاسكندر – بيروت ١٩٨٤م.

١٦٤ – العطاس ، هارون احمد : عاد فى التاريخ ، القاهرة ١٩٧٨م.

١٦٥ – العقاد ، عباس محمود : ابراهيم ابوالانبياء – بيروت ١٩٨١م.

١٦٦ – العقاد ، عباس محمود : الاسلام دعوة عالمية – القاهرة ١٩٧٠م.

١٦٧ – العقاد ، عباس محمود : عبقرية خالد – القاهرة ١٩٦٩م.

١٦٨ – العقاد ، عباس محمود : مطلع النور – القاهرة ١٩٦٨م.

١٦٩ – العلامات ، محمود جلال : السبئيون وسد مأرب – جدة ١٩٨٤م.

١٧٠ - علی ، جواد (دکتور) : المفصل فی تاریخ العرب قبل الاسلام - بیروت ١٩٦٨م٠

١٧١ - العلی ،صالح احمد (دکتور) : محاضرات فی تاریخ العرب - بغداد ١٩٦٠م٠

١٧٢ - علی ،فاضل عبد الواحد : الطوفان فی المراجع المسماریة - بغداد ١٩٧٥م٠

١٧٣ - العمری ، شهاب الدین بن فضل الله : مسالك الابصار فی الممالك والامصار تحقیق احمد زکی باشا - الجزء الاول - القاهرة ١٩٢٤م٠

١٧٤ - عنان ، زید بن علی : تاریخ حضارة الیمن القدیم - القاهرة ١٣٩٦ هـ٠

١٧٥ - عون ، کمال احمد : الیهود فی کتبهم المقدسة - القاهرة ١٩٧٠م٠

١٧٦ - الغزالی ، محمد : فقه السیرة - القاهرة ١٩٧٦م٠

١٧٧ - غلاب ، محمد السید (دکتور) : الهجرات البشریة الکبری - مجلة اللغة العربیة والعلوم الاجتماعیة - العدد السادس - الریاض - ١٩٧٦م٠

١٧٨ - الفاسی ، ابو الطیب تقی الدین محمد بن احمد : شفاء الغرام فی اخبار البلد الحرام - بیروت ١٩٨٢م٠

١٧٩ - الفاسی ، ابو الطیب تقی الدین محمد بن احمد : العقد الثمین فی تاریخ البلد الامین - القاهرة ١٩٥٩م٠

١٨٠ - فخری ، احمد (دکتور) : اثار العالم العربی - القاهرة ١٩٥٨م٠

١٨١ - فخری ، احمد (دکتور) : دراسات فی تاریخ الشرق القدیم - القاهرة - ١٩٨٤م ٠

١٨٢ - فخری ، احمد (دکتور) : مصر الفرعونیة - القاهرة - ١٩٧١م٠

١٨٣ - فخری ، احمد (دکتور) : الیمن ، ماضیها وحاضرها - القاهرة ١٩٥٧م٠

١٨٤ - فروخ، عمر (دكتور) : تاريخ الجاهلية - بيروت ١٩٨٤م٠

١٨٥ - فريحه ، انيس (دكتور) : اسماء المدن والقرى اللبنانيةوتفسير معانيها - بيروت ١٩٥٦م٠

١٨٦ - فوده ، عبدالرحمن : من معانى القرآن - القاهرة (بدون)٠

١٨٧ - الفيروز ابادى ، محمد بن يعقوب : القاموس المحيط - القاهرة ١٩٥٥م٠

١٨٨ - فيصل ، شكرى (دكتور) : حركة الفتح الاسلامى فىالقرنالاول - بيروت - ١٩٦٧م٠

١٨٩ - القسطلانى ، احمد بن محمد : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية - القاهرة ١٩٠٨م٠

١٩٠ - القطان ، مناع : الاسلام شريعة الله الخالدة الى البشرية كافة - مجلة كلية الشريعة - العدد الخامس - الرياض ١٣٩٤ هـ ٠

١٩١ - القلقشندى ، ابوالعباس احمد بنعلى : نهاية الارب فى معرفة انساب العرب - القاهرة ١٩٥٩م٠

١٩٢ - كرستنسن ، آرثر ، ايران فى عهد الساسانيين ، ترجمة يحي حشاب - القاهرة - ١٩٥٧م٠

١٩٣ - لوبون ، جوستاف : اليهود فى تاريخالحضارات الاولى - ترجمة عادل زعيتر - القاهرة ١٩٦٧م٠

١٩٤ - لويس ، برنارد : العرب فى التاريخ - ترجمة نبيه فارس ومحمود يوسف - بيروت ١٩٥٤م٠

١٩٥ - ماجد ، عبدالمنعم (دكتور) : التاريخ السياس للدولة العربية - القاهرة ١٩٧٦م٠

١٩٦ - الماوردى ، ابوالحسن على بن محمد بنحبيب : اعلام النبوة - القاهرة - ١٩٧١م٠

١٩٧ - مجير الدين الحنبلى ، عبدالرحمن بنمحمد : الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل - عمان ١٩٧٣م٠

١٩٨ - المحامى ، محمود كامل : اليمن ،شماله وجنوبه - بيروت ١٩٦٨م٠

١٩٩ - محمد ، محمد عبدالقادر (دكتور) : الساميون فىالعصور القديمة - القاهرة ١٩٦٨م٠

٢٠٠ - محمود ، عبدالحليم : التفكير الفلسفى فى الاسلام - بيروت ١٩٧٤م٠

٢٠١ - محمود ، عبدالحليم : دلائل النبوة ومعجزات الرسول ، القاهرة ١٩٧٣م٠

٢٠٢ - محمود ، عبدالحليم : فى رحاب الانبياء والرسل - القاهرة ١٩٧٧م٠

٢٠٣ - مدنى ،أمين : التاريخالعربى وبدايته - جدة ١٩٨١ م ٠

٢٠٤ - المرصفى ،سعد (دكتور) : الهجرةالنبوية - الكويت - ١٩٨٢م٠

٢٠٥ - المسعودى ،ابوالحسنعلى بنالحسين : التنبيه والاشراف - بيروت ١٩٦٥م٠

٢٠٦ - المسعودى ، ابوالحسن على بن الحسين : مروجالذهب ومعادن الجوهر - بيروت ١٩٧٣م٠

٢٠٧ - المصرى ، عبدالله حسن (دكتور) : مقدمة فىاثار الاستيطان البشرى بالمملكةالعربية السعودية - مجلة اطلال - العدد الاول - الرياض ١٩٧٧م٠

٢٠٨ - المطرفى ، عويد بن عياد (دكتور) : داود وسليمان عليهما السلام فى القران الكريم والسنة - مكة المكرمة ١٩٧٩ (رسالة دكتوراه) ٠

٢٠٩ - المقدسى ، المطهر بن طاهر : فضائل بيت المقدس - تحقيق محمد مطيع حافظ - بيروت ١٩٨٥م٠

٢١٠ - المقدسى ،المطهر بن طاهر : كتاب البدء والتاريخ - الجزء الثالث والرابع - باريس ١٩٠٣ - ١٩٠٧م٠

٢١١ - مورتكات ، انطوان : تاريخ الشرق الادنى القديم - ترجمة توفيق سليمان وعلى ابوعساف وقاسم طوير - دمشق ١٩٦٧م.

٢١٢ - موسل ، الويس : شمال الحجاز - ترجمة عبدالمحسن الحسينى - الاسكندرية ١٩٥٢م.

٢١٣ - موسكاتى ، سبتينو : الحضارات السامية القديمة - ترجمه وزاد عليه د. يعقوب بكر - القاهرة ١٩٦٨م.

٢١٤ - مهران ، محمد بيومى (دكتور) : دراسات تاريخية من القران الكريم - بلاد العرب - الرياض ١٩٨٠م.

٢١٥ - مهران ، محمد بيومى ، (دكتور): دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم - الجزء الثانى - اسرائيل - القاهرة ١٩٧٣م.

٢١٦ - مهران ، محمد بيومى (دكتور) : دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم - الجزء الثالث - حركات التحرير فى مصر القديمة - القاهرة ١٩٧٦م.

٢١٧ - مهران ، محمد بيومى (دكتور) : دراسات فى تاريخ العرب القديم - الرياض ١٩٧٧م.

٢١٨ - مهران ، محمد بيومى (دكتور) : الديانات العربية القديمة - الاسكندرية ١٩٧٨م.

٢١٩ - مهران ، محمد بيومى (دكتور) : الساميون والاراء التى دارت حول موطنهم الاصلى - مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - العدد الرابع - الرياض ١٩٧٤م.

٢٢٠ - مهران ، محمد بيومى (دكتور) : العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة - مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - العدد السادس - الرياض ١٩٧٦م.

٢٢١ - مهران ، محمد بيومى (دكتور) : قصة الطوفان بين الاثار والكتب المقدسة - مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - العدد الخامس - الرياض ١٩٧٥م .

٢٢٢ - ميخائيل ، زخارى : محمد رسول الله - كما بشرت به الاناجيل - القاهرة ١٩٧٢م .

٢٢٣ - ميخائيل ، نجيب (دكتور) : مصر والشرق الادنى القديم - ج ٣ - الاسكندرية - ١٩٦٣م .

٢٢٤ - ناداتى ، سيد مظفر : التاريخ الجغرافى للقران - ترجمة عبدالشافي غنيم وحسن محمد جوهر - القاهرة ١٩٦٥م .

٢٢٥ - نافع ، محمد مبروك : عصر ماقبل الاسلام - القاهرة - ١٩٥٢م .

٢٢٦ - نامى ، خليل يحي (دكتور) : اصل الخط العربى وتطوره الى ماقبل الاسلام - مجلة كلية الاداب - جامعة القاهرة - العدد الاول - القاهرة ١٩٣٥م .

٢٢٧ - نامى ، خليل حيي (دكتور) : نشر نقوش سامية من جنوب بلاد العرب وشرحها - القاهرة ١٩٤٣م .

٢٢٨ - الناضورى ، رشيد (دكتور) : المدخل فى التطور التاريخى للفكر الدينى - بيروت ١٩٦٩م .

٢٢٩ - النجار ، عبدالوهاب : قصص الانبياء - القاهرة ١٩٦٦م .

٢٣٠ - النجار ، محمد الطيب (دكتور) : تاريخ الانبياء فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية - الرياض ١٩٨٣م .

٢٣١ - النجار ، محمد مصطفى (دكتور) : عرب الجزيرة بين الجاهلية والاسلام - القاهرة (بدون) .

٢٣٢ - الندوى ، ابو الحسن على الحسنى : السيرة النبوية - بيروت ١٩٨٤م .

٢٢٣ — الندوى ، ابو الحسن على الحسنى : النبوة والانبياء فى ضوء القرآن — القاهرة ١٩٦٥م.

٢٣٤ — نوفل ، عبدالرزاق : يوحنا المعمدان — القاهرة ١٩٧٧م.

٢٣٥ — نولد كه ، تيودور : آمراء غسان من ال جفنة — ترجمة قسطنطين زريق وبندلى الخورى — بيروت ١٩٣٣م.

٢٣٦ — النويرى ، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب : نهاية الارب فى فنون الادب — القاهرة ١٩٤٣م.

٢٣٧ — نيلسن ، ديتلف واخرون : التاريخ العربى القديم ، ترجمه وزاد عليه د. فؤاد حسنين على — القاهرة ١٩٥٨م.

٢٣٨ — الهاشمى ، رضا جواد : تجارة القوافل فى التاريخ العربى القديم — معهد البحوث والدراسات العربية (١٥) — بغداد ١٩٨٤م.

٢٣٩ — هامرتين ، السير جون ،أ. : تاريخ العالم — ترجمه وزارة المعارف العمومية — مكتبة النهضة المصرية — القاهرة .

٢٤٠ — هراس ، محمد خليل (دكتور) : دعوة التوحيد — بيروت ١٩٨٦م.

٢٤١ — الهمدانى ، ابومحمد الحسن بن احمد بن يعقوب : الاكليل — الجزء الاول — تحقيق محمد بن على الاكوع — القاهرة ١٩٦٣م.

٢٤٢ — الهمدانى ، ابومحمد الحسن بن احمد بن يعقوب : صفة جزيرة العرب — تحقيق محمد بن عبدالله بن بليهد النجدى — القاهرة — ١٩٥٣م.

٢٤٣ — الهيثمى ، على بن ابى بكر : مجمع الزوائد — القاهرة ١٣٥٢ هـ .

٢٤٤ — هيكل ، محمد حسين : حياة محمد — القاهرة ١٣٤٥ هـ .

٢٤٥ - ولفنسون ، اسرائيل (دكتور) : تاريخ اللغات السامية - بيـــــروت - ١٩٨٠م٠

٢٤٦ - الواقدى ، محمد بن عمر : فتوح الشام - بيروت (بدون)٠

٢٤٧ - الواقدى ، محمد بن عمر : كتاب المغازى - تحقيق د٠ مارسدن جونســن - بيروت ١٩٨٤م٠

٢٤٨ - ياقوت الحموى ، شهاب الدين ابوعبدالله : معجم البلدان - بيـــــروت ١٩٥٥ - ١٩٥٧م٠

٢٤٩ - يحي، لطفى عبدالوهاب (دكتور) : العرب فى العصور القديمـــة - بيروت ١٩٧٩م٠

٢٥٠ - اليعقوبى، أحمد بن ابى يعقوب بن جعفر : تاريخ اليعقوبى - بيـــروت - ١٩٦٥م٠

٢٥١ - يوسف ، أحمد عبدالحميد : مصر فى القرآن والسنة - القاهرة ١٩٧٣م٠

المصادر والمراجع الأجنبيــــــــة

252- Abbot, (N.), Pre Islamic Arab Queens, AJSL, 58, 1941.

253- Albright. (W.F.), Archaeology and the Religion of Israel, Baltimore, 1963.

254- Albright, (W.F), The Archaeology of Palestine, London, 1949.

255- Albright, (W.F.), The Bible and the Ancient Near East, London, 1934.

256- Albright, (W.R) , The Biblical Period from Abraham to Ezra, New York, 1963.

257- Albright , (W.F.), The Chronology of Ancient South Arabia in the Light of the First Campaign Excavation in Qataban, BASOR, 119, 1950.

258- Albright, (W.F.), The Chronology of Minaean Kings of Arabia, BASOR, 129, 1953.

259- Altheim, (F.)and Stiehl, (R.), Die Araber in de Alten Welt, Berlin, 1964-1968.

260- Amer, (A.), The Ancient rans-Peninsular Routes of Arabia, Le Cairo, 1925.

261- Anati, (E.), Ancient Rock-Drawings in the Central Negev, PEFQ, 1955.

262- Barton, (G.A.), Semitic and Hamitic Origins, London, 1934.

263- Barton , (G.A.), Sketch of Semitic Origin, New York, 1901.

264- Beeston, (A.F.L.), Problems of Sabaean Chronology, BASOR, 16, 1954.

265- Bonfante, (G.), Who were the Philistines, AJA, Vol. L, 1946.

266- Bowen, (R.) and Albright, (W.F.), Archaeological Discovaries in South Arabia, Baltimore, 1958.

267- Bowman, (R.A.), Arameans Aramaic and the Bible, JNES, VII, 1948.

268- Braden, (A. Van den), Essai de Solution du Problem , BO, 15, 1958.

269- Branden, (A. Van Den), La Chronologie de Dedqn et Lihyn , BO, 14, 1957.

270- Branden, (A. Van Den) , Les Inscriptions Thamoudeens, Louvian, 1950.

271- Bermantand(C.), and Weitzman, (M.), EBLA, London, 1979.

272- Breasted, (J.H.), Ancient Records of Egypt, Chicago, 1906-1907.

273- Breasted, (J.H.), A History of Egypt, From the Earliest time to Persian Conquest, New York, 1940.

274- Brinton , (D.G.), Cradle of the Semites,Philadelphia, 1890.

275- Brinton (D G.), Races and Peoples, New York,1890.

276- Browing, (I.) Petra, London, 1982.

277- Budge, (E.A.), History of Ethiopia, Nubia and Abyssinia , I, London, 1928.

278- Burckhardt, (J.L.), Travels in Arabia, London, 1829.

279- Burn, (A.R.), Persia and Greeks, New York,1962.

280- Burton (R.E.), Royal Inscription from Sumer and Akkad, London, 1929.

281- Buxton, (L.H.D.), The Peoples of Asia, London, 1925.

282- Caatan , (H.) , Jerusalem , London, 1981.

284- Cantineau, (J.), Le Nabateen ,Paris, 1930-32.

284- Caskel, (W.), Lihyan Und Lihyanisch, Koln,1954.

285- Cheyne, (T.K.), Encyclopedia Biblica, London, 1899-1903.

286- Chiers, (E.), Sumerian Religions Texts, Upland, 1924.

287- Clay, (A.T.), Amurru, The Home of the Northern Semite, Philadelphia , 1909.

288- Clay, (A.T.), The Empire of the Amorite, New Haven, 1919.

289- Cooke, (G A.), A Text-Book of North Semitic Inscription , Oxford , 1903.

290- Corpus Inscriptonum Semiticarum Pars Secunda I,II. Paris, 1889-1905.

291- Crichton, (A.), The History of Arabia, New York, 1834.

292- Della Vida, (L.), Pre-Islamic Arabia , Princeton , 1944.

293- Diodorus Siculus, Biodorus of Sicily, Tr. by : C.H. Oldfather, Cambridge, 1933-1967.

294- Dhorme, (E.), Langues et Ecritures Semitiques, Paris, 1930.

295- Doe, (B.), Southern Arabia, London , 1971.

296- Doughty, (C.M.), Nabonidus and Belshazzar, New Haven , 1929.

297- Doughty, (C.M.), Travels in Arabia Deserta, New York, 1946.

298- Doglas, (J.D.), The New Bible Dictionary,Grand Rapids, 1962.

299- Duassud, (R.), La Penetration des Arbes en Syrie avant L'Islam , Paris , 1955.

300- Duassud, (R.), Les Araves en Syrie avant L'Islam, Paris, 1907.

301- Encyclopedia Britannica, 15th. Edition, Chicago, 1979.

302- Erskine, (B.), The Hebrew Kindeom, in CAH, II, Part 2, Cambridge, 1975.

303- Finegan, (J.), Archaeological Histrory of the Ancient Near East, Boulder, 1974.

304- Finegan (J.), Light fron the Ancient Past, Princeton, 1969.

305- Foder, (A.), Petra : Petrea : Phoenicia, London, 1923.

306- Forster, (C.), The Historical Geography of Arabia, London, 1844.

307- Gardiner, (A.H.), Ancient Egyptian Onomastica, Oxford, 1947.

308- Gardiner, (A.H.), Egypt of the Pharaos, Oxford, 1964.

309- Ghul, (M.A.), New Qatabani Inscriptions , BSOAS, 1959.

310- Glaser, (E.), Skizze der Geschichte und Geographie Arabiene, Berlin, 1890.

311- Glueck, (N.), Deities and Dolphines, the Story of Nabataeans , New York, 1965.

312- Glueck, (N.) , Excavation of Solomon's Seaport: Ezion-Geber, SIAR, 1941.

313- Glueck, (N.), The Other Side of Jordan, New Haven, 1940.

314- Grant, (M.), The H story of Ancient Israel, New York, 1984.

315- Green , (F.W.), Notes on Some Inscriptions in the ETBAI District, PSBA,26, 1959.

316- Grohmann, (A.), Arabien, Munchen, 1963.

317- Guidi, (I.), L'Arabie Anteislamique, Paris,1921.

318- Halevy, (J.), Rapport Sur Une Mission Archeologique dans le Yemen, JA, VI, 1872.

319- Hall, (H.R.), The Ancient History of the Near East, London, 1927.

320- Hall, (H.R.), The Philistine Migration in CAH,II, 1931.

321- Hammond, (P.C.), The Nabataeans: Their History, Culture and Archaeology , Gothenburg, 1973.

322- Harding, (L.), The Antiquities of Jordon, New York, 1967.

323- Hardon, (D.), The Phoenicians, London, 1980.

324- Hastings, (J.), Dictionary of the Bible, Edinburgh, 1936.

325- Hastings, (J.), Encyclopedia of Religion and Ethics, New York, 1908-1926.

326- Heaton , (E.W.), The Old Testament Prophets , London , 1969.

327- Herodotus, The Histories, Tr. By :Aubry de Selincourt, revised by A.R. Burn, New York, 1983.

328- Hirth, (F.), China and Roman Orient, Chicago, 1966.

329- Historical Atlas of the Holy Land, New York, 1959.

330- Hogarth, (D.G.), A History of Arabia , Oxford , 1922.

331- Hommel, (F.), Explorations in the B ble Land, Philadelphia, 1903.

332- Horovity, (J.), Korsnische Untersuchunger Berlin, 1916.

333- Huber, (C.), Inscriptions Recueillies dans L'Arabie Centeral , 1878-1882,BSG,5.

334- Huntington, (E.), The Puls of Asia, London,1919.

335- Huntington, (E.), and Vishers, (S.), Climate Changes, New Haven , 1903.

336- Inconographic Encyclopaedia of Art and Science, Philadelphia, 1885.

337- Jamme, (A.), Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib), Baltimore, 1961.

338- Josephus Flavius, Complete Work : The Antiquities of the Jews and the Wars of the Jews, Tr. by William Whiston, New Edition, London, 1981.

339- Kammerer, (A.), Essai Sur L'Histoire Antique d'Albyssinie, Paris, 1926.

340- Kammerer, (A.), Petra et la Nabatene, Pa is , 1930.

341- Keane, (A.H.), Ethnology, Cambridge, 1909.

342- Keane , (A.H.), Man Past and Present , Cambridge, 1900.

343- Keller, (W.), The Bible As History, London,1967.

344- Kennedy, Sir (A.B.W.), Petra : Its History and Monuments, London, 1925.

345- Kensdale, (E.N.), Three Thamudic Inscription from The Nile Delta, Le Museon, 65,1952.

346- Kent, (R.G.), Old Persian Text, III, Darius, Behiston Inscriptions, JNES, II, 1943.

347- Kenyon, (K.M.), Archaeology in the Holy Land, 1970.

348- Kenyon, (K.M.), Digging Up Jerusalem, London, 1974.

349- Kenyon, (K.M.), Excavation in Jerusalem, PEFQ, 95, 1962.

350- Kenyon, (K.M.), Palestine in the Middle Bronze Age, CAH, II, 1973.

351- King, (L.W.), Egypt and Western Asia in the Light of Recent Discoveries, London,1907.

352- Kraeling, (E.G.H), Aram and Israel, New York, 1918.

353- Kroeber, (A.), Anthropology, New Haven, 1933.

354- Fay, (H.), Ebla, NGM, Vol. 154,6, Dec.1978.

355- Libbey, (W.), and Hoskin, (F.W.), The Jordan Vally amd Petra, New York, 1905.

356- Lie, (A.G.), The Inscription of Sargon II, Part I, Annales, 1929.

357- Littmann , (E.), Nabataean Inscription from Egypt, BSOAS.

358- Lloyd, (S.), The Archaeology of Mesopotamia, London, 1978.

359- Lods, (A.), Israel, From its Beginnings to the Middle of the Eight Century, London, 1962.

360- Luckenbill, (D.D.), Ancient Records of Assyria and Babylonia, Chicago, 1927.

361- Macalister, (R.A.S.), The Topographu of Jerusalem, CAH, III, 1965.

362- Margoliouth, (D.S.), The Relation between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam, London, 1942.

363- Masry, (A.H.), Prehistory in Northeastern Arabia, Miami, 1974.

364- Montgomery, (J.A.), Arabia and the Bible, Philadelphia, 1934.

365- Moritz , (B.), Arabien , Hanover, 1923.

366- Moscati, (S.), Ancient Semitic Civilizations, London, 1957.

367- Moscati, (S.), The face of the Ancient Orient , New York, 1962.

368- Murray, (M.A.), A Street in Petra, London,1940.

369- Murray , (M.A.), Petra, the Rock City of Edom , London, 1939.

370- Musil, (A.), In the Arabian Desert, New York, 1927.

371- Musil, (A.), The Norther Hegaz, New York,1926.

372- Musil, (A.), The Northern Nejd, New Yourk, 1928.

373- Nicholson, (R.A.), A Literary History of the Arabs, London, 1907.

374- Noeldeke, (T.), Historians History of the World, London, 1908.

375- Noth, (M.), The History of Israel, London,1965.

376- Leary, (De Lacy D.D.), Arabia before Muhammad, London, 1977.

377- Olmstead, (A.T.), Darius and his Behistum Inscriptions, AJSL, LV, 1938.

378- Olmstead, (A.T.), History of Assyria, Chicago, 1933.

379- Oppenheim, (A.L.), Babylonian and Assyrian Historical Text, ANET, 1966.

380- De Perceval, (C.), Essai Sur L'Histoire des Arabe's avant L'Islamisme, Paris, 1847.

381- Philby, (J.B.), The Background if Islam , Alexandria, 1949.

382- Philby, (J.B.), The land of Midian, MEF, 9, 1955.

383- Philby, (J.B.), and Tritton (A!S.), Najran Inscriptions, JRAS, 1944.

384- Philby, (J.B.), Sheba's Daughters, London,1939.

385- Phillips, (W.), Qataban and Sheba, London,1955.

386- Pirenne, (J.), Le Royaume Sud-Arabe des Qataban et sa Datation, Louvian, 1961.

387- Plinus Secundus, Natural History , tr. by H Rackham, Cambridge, 1958.

388- The Priplus of Erythraean Sea , tr. by W. Schoff, London, 1974.

389- Pritchard, (J), Ancient Near Eastern Texts, Princenton , 1969.

390- Ptolemy, Geographia, ed. by C.F. Nobbe,Leipzing, 1843-1845.

391- Rhodokanakis, (N.), Zeitschriftfur SEmitistik und Verwandte Gebiete, Band 2,1924.

392- Ripley, (W.Z.), Races of Europe, London,1899.

393- Robinson , (G.), The Sarcophagus of an Ancient Civilization, New York, 1930.

394- Rostovtzeff, (M.), Social and Economic History of Hellenistic World, Oxford, 1941.

395- Roth, (C.), A short History of the Jewish People, London, 1969.

396- Roux, (G.), Ancient Iraq, Baltimore, 1966.

397- Ryckmans, (G.), Graffits Thamoudeens du Yemen, Le Museon, 72, 1959.

398- Ryckmans, (G.), On Some Problems of South Arabia Epigraphy, BSOAS, 1952.

399- Shahid, (I.), Pre-Islamic Arabia, Cambridge History of Islam , Cambridge, 1970.

400- Smith, (W.), Dictionary of the Bible Boston, 1896-1896.

401- Simons, (J.), The Geographical and Topographical Text of the Old Testment, Leiden ,1959.

402- Sprenger, (A.), Die Alte Geographie Arabiens, Berlin, 1875 .

403- Starcky (J.), Une Inscriptions Nabateenne Provenant du Djof, RB,64,1957.

404- Strabo, The Geography, tr. by H.L. Jones, Cambridge, 1917-1949.

405- Talmud, tr. by H. Polano, London, 1978.

406- Tarno, (W.W.), Ptolemy II and Arabia, JEA,

407- Thomas(B.), Arabia Felix, Across the Empty Quarter of Arabia , New York, 1932.

408- Trimingham, (J.S.), Christianity among the Arabs in Pre-Islamic Times, New York, 1979.

409- Unger, (M.F.), Archaeology and the Old Testament, Chicago, 1954.

410- Unger, (M.F.), Unger's Bible Dictionary ,Chicago, 1970.

411- Van Beek, (G.), Frankineense and Myrrh, BAR,XXIII, 1960.

412- Velikovsky, (I.), People of the Sea, London, 1980.

413- Vincent, (W.), The Priplus of the Erythraean Sea, London, 1805.

414- Wainwright, (G A.), Some Sea People , JEA, 47, 1961.

415- Wincklery, (H.), Musri, Meluhha and Main, MVG,I, 1898.

416- Winnett, (F.V.), and Reed, (W.), Ancient Records From North Arabia, Toronto, 1970.

417- Winnett, (F.V.), The Places of the Minaeans in the History of Pre-Islamic Arabia, BASOR,73, 1939.

418- Winstone, (H.V.F.), Uncovering the Ancient World, London, 1985.

419- Wissman, (H.V.), Himyar Ancient History, Le Museon, 77, 1964.

420- Woolly, (L.), Abraham, Recent Discovories and Hebrew Origins, London, 1963.

421- Woolley, (L.), UR' of the Chaldees', London, 1982.

***

Abbreviations اختزالات

AJA : American Journal of Archaeology.
AJSL : American Journal of Semitic Languages and Literatures.
ANET : Ancient Near Eastern Texts.
BAR : Biblical Archaeology Review.
BASOR : Bulletin of the American Schools of Oriental Research.
BO : Bibliotheca Orientalis .
BSH : Bulltine Social Geography.
BSOAS : Bulletine of the Schools Oriental and African Studies.
CAH : The Cambridge Ancient History.
CIS : Corpus Inscriptionum Semiticarum.
EB : Encyclopaedia Britannica.
EI : Encyclopaedia of Islam.
JA : Journal Asiatique.
JAI : Journal of Anthropoligical Institute.
JEA : The Journal of Egyptian Archaeology.
JNES : Journal of Near East Studies.
JRAS : Journal of Royal Asiatic Society.
MVG : Mitteilungen der Vordersiatischen Gesellschaft.
NGM : National Geographic Magazine.
PEFQ : Palestine Exploration fund Quarterly.

PSBA : Proceeding of the Society of Biblical Archaeology.

RB : Revue Biblique.

SIAR : Smithonian Institution Annual Report.

ZDMG : Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft.

...

فهرس المواضيع

فهرس المواضيـــــع